



الاحتجاج بالآثار السلفية
على
اثبات الصفة الإلهية
والرد على
المفوضة والمشبّهة والجهمية

الاحتجاج بالآثار السلفية
على

اثبات الصفات الالهية

والرد على
المفوضة والمشبهة والجهمية

جمع
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد
عفا الله عنه

دار الأمر الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد :

فإن خير العلوم وأشرفها هو علم التوحيد لتعلقه بالله تبارك وتعالى.

وأفضل مراتب الجهاد هو الذب عن جناب التوحيد والعقيدة السلفية الصحيحة، وتصفيتهما من شوائب البدع والدخن الباطل.

وبين يديك بيان لعقيدة السلف الصالح أهل السنة والأثر في باب عظيم من أبواب الاعتقاد؛ ألا وهو باب إثبات صفات الرب عز وجل على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فإن الناس قد اختلفوا واختلفوا في باب الإيمان بنصوص صفات الرب عز وجل ما بين: مثبت، ومؤول، ومفوض، ومكيف، ومُنكر.

وكان من أكثر الفرق انتشارًا بين أقطار المسلمين: مذهب أهل التأويل القائم على تعطيل نصوص صفات الرب ﷻ عن حقيقتها اللائقة بالله تعالى !!

وأصبح هذا المذهب هو الساري في كثير من الأمصار، وأصبحت كتب أهل التأويل والتحريف هي التي تُدرّس لأبناء المسلمين في كثير من المدارس والجامعات !!

ح دار الأمر الأول للنشر والتوزيع / ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل حمدان، عادل بن عبدالله

الاحتجاج بالآثار السلفية على إثبات الصفات الإلهية والرد على المفوضة والمشبّهة والجهمية/

عادل بن عبدالله آل حمدان جدة ١٤٣١هـ

٥١٠ ص؛ ٢٠×١٤ سم

ردمك: ٠-٤٦٤٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الألوهية ٢- الأسماء والصفات ٣- العقيدة الإسلامية

١٤٣١/٢٢٩٦

ديوي ٢٤١

رقم الإيداع: ١٤٣١/٢٢٩٦

ردمك: ٠-٤٦٤٣-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ

دار الأمر الأول للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

المركز الرئيسي - طريق الرياض الدائري الشرقي بين مخرجي ١٤ و ١٥

شرق مصلحة الزكاة - شارع الزبير بن العوام

هاتف وفاكس، (٠١/٤٩٢٤٥٥٥) و (٠١/٤٩٢٩١٧٦)

البريد الإلكتروني:

alamralawal1@gmail.com

ومن تلك الكتب:

١ - «العقائد النسفية» بشروحها وحواشيها، وما فيها من الجدل العقيم حول ألفاظ متنها، وحول ما يُريده المؤلف منها كأنها ألفاظها وحي من عند الله تعالى!! فيمضي الطالب في دراسة ألفاظها، وما يخرج من ذلك إلا بالقييل والقال، والجدل الذي يُبعد عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته. فتعني عليه السنة وهو لم ينقضي من فهم الفقرة الأولى من فقرات هذا الكتاب!!

٢ - وأما الكتاب الثاني:

فهو كتاب: «جوهرة التوحيد» للقياني، وشرحه للبيجوري. وهذا الكتاب وشرحه مُناقض تماماً لما كان عليه السلف الصالح في أبواب الاعتقاد فقد جمع: إرجاء الجهمية في الإيمان، والجبر في القدر، وقول الجهمية في الأسماء والصفات، والقول بخلق القرآن، ونفي الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى وأحكامه، والدعوة إلى عبادة القبور، والقول بوحدة الوجود، وغيرها من الضلالات!!

[انظر في ذلك كتاب: «الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد»].

فالله المستعان على غربة هذا الزمان، وقلّة السالكين فيه سبيل السلف الصالح، أهل السنة والأثر، ورحمة الله على الإمام عبدالله بن المبارك إذ يقول في القرن الثاني من الهجرة: (اعلم أي أخي أن الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلّة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلّ بهذه

الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة، وظهور البدع). [«البدع» لابن وضاح (٩٧)]

وبعد: فقد أحببت أن أبين في هذا الكتاب اعتقاد السلف الصالح، ومن اقتفى أثرهم من أهل الحديث والأثر أهل السنة والجماعة في باب: (صفات الرب تعالى)؛ حتى يرى الذي في قلبه مرض، أو شك، أو جهل أن الله تعالى قد هدنى أهل السنة والجماعة من بين سائر الفرق للحق، «فلم يتلوثوا بشيء من أوضار هذه الفرق وأنداسها، وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، ونفوا عنه ثمالة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهباً بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، خرج من بين مذاهب المعطلين، والمخيلين، والمجهلين، والمُشبهين، كما خرج اللبن من بين قرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين». [«الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٢٥)]

واعلم - وفقك الله لاتباع السنة - أي سأسلك في غالب كتابي هذا طريقة أهل الحديث والأثر في التبويب والاستدلال بالكتاب والسنة وآثار سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وعن سار على طريقتهم، واقتفى أثرهم من المتأخرين.

- قال أبو المظفر السمعاني (٤٨٩هـ) رحمه الله في [الانتصار لأهل الحديث] (ص ٤٤): أبقى الله أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلقاً عن سلف، وقرناً عن قرن، بإسناد متصل إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذ التابعون من أصحاب النبي ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث. اهـ

وأما الخوض فيما أحدثه أهل الكلام من مسائل وآراء مُحدثة فسأبتعد عنها

ما استطعت، فإنها لا تزيد أبواب الاعتقاد إلا تعقيداً وصعوبة مما جعلت كثيراً من طلبية العلم يعرضون عن تعلم هذا العلم وتدارسه وتدرسه.

واعلم أن من أعظم أسباب من ضلَّ في أبواب السنة والاعتقاد من أهل الكلام وغيرهم من يتسبب إلى السنة: هو إعراضهم عن طريقة السلف الأوائل في الاستدلال، ودخولهم في علم الكلام المحدث، والنظر في مصنفاتهم التي أجمع أهل السنة على النهي عن تعلمها، والنظر فيها.

قال ابن تيمية رحمه الله في [«الحموية» (ص ٢١٦)]: إن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين: بنزهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البينات والهدى، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله تعالى. اهـ

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله في [«الدرر السنية» (٣/٢٨٨)]: فالواجب على من له مهمة في الخير، وطلب العلم: أن يبحث عن مذاهب السلف، وأقوالهم في هذا الأصل العظيم [يعني: التوحيد]، الذي قد يكفر الإنسان بالغلط فيه، ويعرف مذاهب الناس في مثل ذلك، وأن يطلب العلم من معدنه ومشكاته، وهو ما جاء به محمد ﷺ من الكتاب، والحكمة، وما كان عليه سلف الأمة.. فإذا وفق العبد لهذا، وبحث عن تفاسير السلف، وأئمة الهدى، ورزق مع ذلك معلماً من أهل السنة؛ فقد احتضنته السعادة، ونزلت به أسباب التوفيق والسيادة، وإن كان نظر العبد وميله إلى كلام اليونان، وأهل المنطق والكلام، ومشائخه من أهل البدعة والجدل، فقد احتوشته أسباب الشقاوة، ونزلت وحلت قريباً من داره موجبات الطرد عن مائدة الربّ وكتابه، ومن

عدم العلم، فليتهل إلى معلم إبراهيم في أن يهديه صراطه المستقيم. اهـ وبعد؛ فقد جمعت في كتابي هذا ما وقفت عليه من كلام السلف الصالح ومن تبعهم من أهل السنة في أبواب صفات الله تعالى، ثم قسمتها إلى قسمين:

* القسم الأول:

جمعت فيه كلام أهل السنة في أبواب ومباحث الصفات؛ ومن ذلك:

١- بيان العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وأنه لا يتم أحدهما إلا بتحقيق الآخر، وأن من وقع في مخالفات في الأسماء والصفات فلا يخلوا غالباً من الوقوع في مخالفات في توحيد العبادة.

٢- طريق أهل السنة في إثبات صفات الله تعالى.

٣- إمرار صفات الله تعالى كما جاءت بلا كيف.

٤- إجماعهم على مسائل الاعتقاد، وإنكارهم على من أجاز الاجتهاد فيها.

٥- شدة إنكارهم على المعطلة، والتحذير منهم بأسمائهم، ومن مصنفاتهم.

٦- إجماعهم على تحريم علم الكلام، والتحذير منه، ومن الدخول فيه.

* القسم الثاني:

وجمعت فيه أقوال أهل السنة في معطلة الصفات على أنواعهم ومن معطل، أو مفوض، أو مؤول، ومن ذلك:

١- أهم أصول أهل التعطيل التي ساروا عليها في تعطيل الصفات.

٢- التعريف بالمفوضة والردّ عليهم، وذكر نماذج من التفويض المبتدع،

ليكون السُّنِّي منها ومن أمثالها على حذر.

٣- التعريف بأهل التأويل، وجمع كلام أهل العلم في الردِّ عليهم، وذكر نماذج من التأويلات المنتشرة حتى يحذرنا السُّنِّي.

٤- الكشف عما ينسبه أهل التأويل لأئمة السلف من تأويل الصفات.

٥- التعريف بأهل التشبيه والتكييف، وجمع كلام أهل العلم في الردِّ عليهم.

٦- جمع كلام السلف في الردِّ على مُنكري الصفات، وتكفيرهم.

٧- الكشف عن الكلمات المجملّة المحدثّة التي يستخدمها المعطلة لتعطيل الصفات.

٨- الخاتمة وذكر فيها أهمُّ كُتُب السلف الأوائل التي ينبغي لكلِّ طالبٍ سُنَّةٍ إيمان النظر فيها ودراستها.

فهذه بعض الأبواب المهمة في الكتاب، وهناك فصول كثيرة ومسائل مهمة ألحقها تحت كلّ مبحث من هذه المباحث.

وقد ألحقت في كثير من هذه المباحث نماذج عملية من أقوال المخالفين لأهل السُّنَّة في مسائل الصفات، أو من تأثر بهم، وسلك سبيلهم في بعض صفات الله تعالى دون بعض، وإن لم يكن مثلهم في بدعة التعطيل والتأويل.

والمقصود من ذكر هذه الأمثلة والتصريح بأسماء أصحابها:

١- نصحاً لطلبة العلم وعامة المسلمين من اتباع من خالف أهل السُّنَّة في مسائل الصفات وإن كان مشهوراً بالحفظ وكثرة الرواية والفقهاء.

قال السَّجْزِي رحمه الله في [الحرف والصوت] (١٩٥): (الفصل التاسع في ذكر شيء من أقوالهم ليقف العامة عليها فينفروا عنهم ولا يقعوا في شباكهم).

وقال الشَّيْخُ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في [عيون الرسائل] (٥٩١/٢): فإنَّ الرَّجُلَ إذا خيف أن يفتن به الجُّهَال، ومن لا تميز عندهم في نقد أقاويل الرِّجال، فحينئذ يتعيّن الإعلان بالإنكار، والدَّعوة إلى الله في السِّرِّ والجَّهَار، ليعرف الباطل فيجتنب، وتهجر مواقع التُّهم والزُّبب، ولو طالعت كُتُب الجرح والتعديل، وما قاله أئمة التحقيق والتأصيل، فيمن اتهم بشيء يقدح فيه، أو يحطُّ من رُتبة ما يُحدِّث به ويرويه، لرأيت من ذلك عجباً.

- قال ابن طاهر المقدسي: سمعت أبا إسماعيل الأنصاري الهروي يقول بهراً: عُرضت على السَّيِّف خمس مرات لا يُقال لي: ارجع عن مذهبك؛ لكن يُقال لي: اسكت عن خالفك، فأقول: لا أسكت. [تذكرة الحفاظ] (١١٨٤/٣).

٢- التحذير من الرُّكون إلى كُلِّ أحدٍ، والأخذ من كُلِّ كتاب، فإن أغلب التفاسير وشروح الأحاديث المنتشرة المتداولة بين طلبة العلم قد سلك أصحابها مسلك أهل التأويل، وأصبح كثير من طلبة العلم لا يُمَيِّز بين مَنْ سَلَكَ طريقة أهل السُّنَّة في الصفات، ومَنْ خالفهم فوق في التأويل.

وقد كانت عادة أهل العلم من أئمة السُّنَّة وغيرهم ممن اقتفى أثرهم كأئمة الدَّعوة إذا وقع في أيديهم كتاب من تلك الكتب المنتشرة فَنَشَوْا في معتقده، وموافقته للسُّنَّة، كما قال الشَّيْخُ حمد بن عتيق رحمه الله: واعلم - أرشدك الله - أن الذي جرينا عليه أنَّه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير، أو شرح حديث، اخترناه، واعتبرنا مُعتقده في: العلو،

والصفات، والأفعال، فوجدنا الغالب على كثير من المتأخرين، أو أكثرهم، مذهب الأشاعرة الذي حاصله: نفي العلو، وتأويل الآيات في هذا الباب بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي، وأضرابه من أهل البدع والضلال، ومن نظر في شروح البخاري ومسلم ونحوهما، وجد ذلك فيها، وأما ما صُنّف في الأصول والعقائد فالأمر فيه ظاهر لذوي الألباب .. الخ

أما اليوم فقد هجر هذا المنهج عند كثير من المتأخرين، بل وأصبح من يسلك هذا المنهج ويحذر من الكتب التي فيها التأويل والتعطيل، ويحذر من أصحابها منبوذاً مهجوراً عندهم، وهو الذي يُحذّر منه !! والله المستعان.

٣- إيقاف السني الميثب لصفات الله تعالى على طريقة أهل التعطيل، والتأويل، والتفويض في كتبهم المنتشرة المتداولة بين طلبة العلم ليكون منها، ومن أمثالها على حذر، فإن كثيراً من طلبة العلم يعلم بخطورة التأويل والتفويض والتعطيل وغيرها؛ ولكنه لا يميز، وتنطلي عليه كثير منها في ثنانيا كتبهم وهو لا يشعر، ولا يتفطن لها، ولهذا حذر السلف الصالح من قراءة كتبهم، والنظر فيها كما سيأتي.

والله أسأل أن يوفقنا إلى سلوك طريق أهل الحديث والأثر، وأن يجنبنا الأهواء والبدع، وأن يثبتنا إلى الممات على الإسلام والسنة، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبدالله عادل بن عبدالله آل حمدان

ص ب/ ص ب جدة (٥٠١٧٢) الرمز (٢١٥٢٣)

adelalhmdan@gmail.com

المبحث الأول :

العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء
والصفات

وأن توحيد العبادة لا يتم إلا بإثبات الصفات؛
وكل معطل فلا بد أن يكون مشركاً،
وأن التعطيل شر من الشرك

قرّر أهل السنة أن توحيد العبادة لا يتم إلا بإثبات أصليين عظيمين هما:

- ١- «إثبات صفات الكمال؛ ردّاً على أهل التعطيل.
- ٢- وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو؛ ردّاً على المشركين».

فالعلاقة بين توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية لا تنفك كما بين ذلك أهل السنة، وأنه لا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر.

ولهذا ترى كثيراً من أهل الكلام ممن وقع في مخالقات في باب الأسماء والصفات لا يخلو غالباً من الوقوع في الشرك بنوعيه الأصغر والأكبر في باب العبادة وتوحيد الله تعالى.

وذلك لأمر:

- ١- أنهم لم يهتدوا إلى معرفة توحيد الألوهية والعبادة بمعناه الصحيح، بل ولا وجود لذكره عندهم في مُصنّفاتهم !!

٢- أن التوحيد عند أهل الكلام هو الشهادة لله تعالى بالربوبية.

٣- أن الشرك عندهم هو شرك الربوبية.

٤- أن صرف العبادة كالذُّعاء، والخوف والرَّجاء، والمحبة، والعبادات العملية المتعلقة بالجوارح لا تكون شركاً عندهم إذا لم يعتقد استقلالية المعبود بالربوبية.

٥- أن الشرك في توحيد الأسماء والصفات عندهم هو: إثبات صفات الله تعالى.

وبيان ذلك أن التوحيد عند المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم ثلاثة أقسام:

١- توحيد الله في الذات فلا قسيم له، ولا تركيب، ولا تبعيض، ولا تعدد، ولا تجزؤ.

ويدخلون في نفي التَّقسيم والتَّبعيض: نفي صفات الله تعالى، مثل: الوجه، واليدين، والقدم، والسَّاق، والعينين ونحو ذلك.

٢- توحيد الله في الصفات فلا شبيه له.

ويدخلون في هذا القسم نفي صفة: الرَّحمة، والرِّضا، والغضب، والفرح، والضَّحك، والعجب، والاستواء، والنُّزول، والمجيء وغيرها، لوجود التشبيه فيها.

فالتوحيد عندهم هو إنكارها وتعطيلها باسم التأويل الذي هو في حقيقته تحريف، وأمَّا الشرك عندهم فهو في إثباتها.

ولهذا ترى الرَّازي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٠) وهو من كبار المعطلة يُسمِّي «كتاب التَّوحيد» الذي ألفه ابن خزيمة رحمه الله في إثبات صفات الله ﷻ: (كتاب

الشُّرك)!!

فهذان القسمان من أقسام التَّوحيد عند المتكلمين يُقابله عند أهل السُّنة:

توحيد الأسماء والصفات.

٣- توحيد الله في أفعاله فلا شريك له.

ويقصدون به: توحيد الربوبية، ويُنكرون بعد ذلك أي وجود لتوحيد الألوهية والعبادة!!

فلم يعدوا توحيد الألوهية الذي بعث الله به الرُّسل، وأنزلت به الكتب من أقسام التَّوحيد، وليس له عندهم نصيب ولا ذِكْر في أقسام التَّوحيد!!

وإذا ذُكر عندهم فسروه وعرفوه بتوحيد الربوبية.

فهم يعتقدون: «أن الإله بمعنى الآله اسم فاعل، وأن الإلهية هي: القدرة على الاختراع، كما يقوله الأشعري وغيره ممن يجعلون أخص وصف الإله القدرة على الاختراع». [درء التعارض] (٣٧٧/٩)

ولهذا صرَّح المتأخرون منهم بذلك فهذا أحمد زيني دحلان يقول في ردِّه على أئمة الدَّعوة: وأمَّا جعلهم التَّوحيد نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ فباطل أيضاً، فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية. «الدرر السنية» (ص ٤٠).

بل عدَّوا التفريق بينهما بدعة أحدثها ابن تيمية وتابعه عليه من بعده.

فقال أبو حامد بن مرزوق: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية الذي اخترعه ابن تيمية، وزعم أن جميع فرق المسلمين من المتكلمين عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية، ولم يعرفوا من التَّوحيد إلَّا توحيد الربوبية؛ وهو

الإقرار بأنَّ الله خالقُ كُلِّ شيءٍ، ورَّعَمَ أَنَّ هذا اعترف به المشركون فكفَّروه جميع المسلمين، وقَلَّدَه فيه محمد بن عبد الوهاب. اهـ

[«التوسل بالنبي ﷺ وجهلة الوهابين» (ص ٢٠)]

ولما وجدوا هذا القول لا يتوافق مع الآيات الكثيرة التي تصف المشركين بأنهم الذين عبدوا غير الله تعالى، وتجعل حقيقة التوحيد: أفراد العبادة لله وحده، والشُّرك: صرف العبادة لغيره، حاولوا التوفيق بينهما:

فزعموا أنَّ العبادة لا تكون عبادة إلا إذا تضمنت اعتقاد الربوبية لمن صرفت له، وإلا فليست عبادة حتَّى ولو جمعت الدَّلَّ والخضوع والمحبة والتأله !!

قال القضاعي الأشعري في كتابه «البراهين الساطعة»: إن مُسمَّى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء من التوسل والاستغاثة وغيرهما، بل لا يشتبه بالعبادة أصلاً، فإن كُلَّ ما يدلُّ على التعظيم لا يكون عبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم.

وقال: إن الدُّعاء بمعنى النداء إن كان لمن لا يعتقده ربّاً فليس من العبادة في شيء (!!).. وإن اعتقد ربوبيته، أو استقلاله بالنفع والضَّر، أو شفاعته عند الله بغير إذن الله فهو عبادة لذلك المدعو .. اهـ

ولهذا ظنُّوا أنَّ ما وقع فيه المشركون إنَّما وقعوا فيه لاعتقاد الربوبية في أصنامهم، فقال أحدهم: إنَّما كفَّرَ أهل الجاهلية بعبادة الأصنام لتضمنها اعتقادهم ثبوت شيء من صفات الربوبية لها.

ويقول آخر: فهل سمعت عن أحد من المستغيثين أنَّه يعتقدُ في الرسول ﷺ أو في الولي المستغاث به أنَّه إله مع الله تعالى يضر وينفع ويشفع بذاته كما

يعتقد المشركون فيمن عبَّوه. اهـ

فتفتحوا للعامة أبواب الشُّرك على مصراعها، بل ودعوا إليها كما قال علوي الحداد: وينبغي اليوم في هذا الوقت من الحوادث التي حدثت في الثلم في الدِّين باعتقاد العامة قول البدعي أنَّ الاستغاثة شرك (!!)، فالعالم والمُقتدى به ينبغي له أن يُظهر الاستغاثة ليُقتدى به. !! اهـ

فهذا موقفهم من توحيد الألوهية !!

أما موقفهم من كلمة التَّوحيد (لا إله إلا الله):

فإن المشهور عندهم أنَّها ليست بأوَّل واجب على العباد، وإنَّما أوَّل الواجبات هو إثبات وجود الله تعالى بالنظر والقصد إليه !! فخالفوا بذلك دعوة الرُّسل جميعاً عليهم صلوات الله وسلامه !!

- قال الباقلاني وهو من كبار أئمة الأشاعرة: (وأن يعلم أنَّ أوَّل ما فرض الله على جميع العباد: النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته؛ لأنَّ الله غير معلوم بالاضطرار). اهـ

وأما موقفهم من الإيمان الذي هو أحد مراتب الدِّين:

فالإيمان عندهم يكفي فيه التصديق القلبي المجرد، ولو لم يتكلَّم بكلمة التَّوحيد، ولم يعمل بجوارحه قط.

فوافقوا الجهمية في تعريف الإيمان أنَّه: التصديق فقط دون القول والعمل.

قال الباقلاني: (وأنَّ يعلم أنَّ الإيمان بالله عزَّ وجلَّ هو التصديق بالقلب، بأنَّه الواحد الفرد).

قال ابن تيمية رحمه الله [مجموع الفتاوى] (١١٩/٧): والقاضي أبو بكر الباقلاني نصر قول جهم في مسألة الإيمان متابعة لأبي الحسن الأشعري وكذلك أكثر أصحابه. اهـ

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله صاحب كتاب «فتح المجيد» في [الدرر السنية] (٢٠٨/٣-٢١١):

وهذه الطائفة التي تنسب إلى أبي الحسن الأشعري، وصفوا رب العالمين بصفات المعدوم والجماد، فلقد أعظموا الفرية على الله، وخالفوا أهل الحق من السلف والأئمة وأتباعهم .. إلى أن قال: فهذه الطائفة المنحرفة عن الحق، قد تجردت شياطينهم لصد الناس عن سبيل الله، فجحدوا توحيد الله في الألوهية، وأجازوا الشرك الذي لا يغفره الله، فجوزوا: أن يُعبد غيره من دونه، وجحدوا توحيد صفاته بالتعطيل. فالأئمة من أهل السنة وأتباعهم، لهم المصنفات المعروفة في الرد على هذه الطائفة الكافرة المعاندة .. اهـ

* والأمثلة على وقوع من تأول صفات الله تعالى أو عطّلها عن حقيقتها اللاتقة بالله ﷻ في المخالفات العقديّة في توحيد العبادة كثيرة جدًا، ومنها:

١- ابن الجوزي (٥٩٧هـ).

وموقفه من الصفات لا يخفى فقد سلك فيها مَسلك أهل التأويل والتعطيل، ومن نظر في كتبه وخاصة في كتابه: «دفع شبه التشبيه» تبين موافقته للمُعطلّة، وشِدّة عدايته لمُثبتة صفات الله تعالى.

وقد أنكر عليه أهل السنة في زمانه موافقته للمُعطلّة، وتُوصح بترك موافقتهم؛ كما في رسالة العَلّثي له. وستأتي هذه النصيحة (ص ١٦٨).

ومن مخالفاته في توحيد العبادة:

ما ذكره في كتابه [صيد الخاطر] (ص ٥٩): قال: .. ثم جاء التأويل فانبسطت فيها يباح، فأنعدم ما كنتُ أجد من استنارة وسكينة، وصارت المخالطة تُوجب ظلمة في القلب إلى أن عدم النور كله. فكان حنيني إلى ما ضاع مني يُوجب انزعاج أهل المجلس، فيتوبون ويصلحون، وأخرج مُفلسًا فيما بيني وبين حالي. وكثُر ضجيجي من مَرَضِي، وعمزتُ عن طِبِّ نفسي، فلجأت إلى قبور الصالحين، وتوسلت في صلاحي، فاجتذبني لطف مولاي إلى الخلوة على كراهة مني. الخ

وقد تعقبه الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله في [ملاحظاته] (ص ٨٠): فقال: أقول: هذه زلة عظيمة من ابن الجوزي؛ لأن صلاح القلب أمر لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، فاللجاء فيه يجب أن يكون إليه؛ لأنه عبادة، وفي الدعاء المأثور: «لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك»، فاللجاء فيه إلى قبور الصالحين شرك في تلك العبادة، كما أن التوسل بالصالحين بعد وفاتهم لا يكون إلا بدوأتهم، وهذه بدعة محرمة؛ لأن التوسل إنما يكون بأسماء الله الحسنى وصفاته، وبالأعمال الصالحة، هذا هو المشروع؛ فتنبه لذلك. اهـ

٢- الرّازي (٦٠٦هـ).

وهو من كبار الأشاعرة المتأخرين، وهو الذي أصل للمتأخرين من أهل التأويل قواعدهم في تأويل الصفات، وقد وقع في الشرك الأكبر وعبادة غير الله تعالى في كتابه: «السّر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم» !! وإن كان قد تاب من ذلك.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [بيان تلبس الجهمية] (٣/٤٧٢):

فإن ثِقَاة كونه على العرش لا يُعرف منهم إلا من هو متأبون في عقله ودينه عند الأئمة، وإن كان قد تاب من ذلك؛ بل غالبهم، أو عاقتهم حصل منهم نوع ردة عن الإسلام!! وإن كان منهم من عاد إلى الإسلام، كما ارتد عنه قديماً شيخهم الأول الجهم بن صفوان وبقي أربعين يوماً شاكاً في ربه لا يقر بوجوده ولا يعبد، وهذه ردة باتفاق المسلمين، وكذلك ارتد هذا الرازي حين أمر بالشرك وعبادة الكواكب والأصنام، وصنف في ذلك كتابه المشهور وله غير ذلك؛ بل من هو أجل منهم من هؤلاء بقي مدة شاكاً في ربه غير مقرر بوجوده حتى آمن بذلك؛ وهذا كثير غالب فيهم، ولا ريب أن هذا أبعد العالمين عن العقل والدين. اهـ [وانظر كذلك (٣/٥٣-٦٠) في نفس المصدر]

٣- ابن الحجاج الأشعري (٧٣٧هـ).

وله في تأويل الصفات وتعطيلها الشيء الكثير!! أما وقوعه في شرك العبادة فهو أعظم وأكثر:

فقد وقع في بدع القبور الشركية؛ كالاستغاثة بالأموات عند إمام المليات!!، والتوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم!!، والتبرك بالأولياء والقبور!!، والدعوة إلى كثير من الخرافات!! ومن ذلك:

قوله في كتابه [«المدخل» (١/٢٤٩)]: ثم يتوسل بأهل تلك المقابر؛ أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجهم، ومغفرة ذنوبهم!!

وقوله (١/٢٤٨): فمن أراد حاجة فليذهب إليهم، ويتوسل بهم، فإثم الوساطة بين الله تعالى وخلقه!!

وقوله (١/٢٥٢): فمن توسل أو استغاث به، أو طلب حوائجه منه صلى

الله عليه وسلم فلا يُرد ولا يجيب!!

قلت: ولا يخفى على كل صاحب توحيد وسنة ما في هذه الأقوال من دعوة صريحة إلى الشرك الأكبر، والوثنية التي كان عليها أهل الجاهلية من عبادة غير الله تعالى.

٤- أبو الحسن السبكي (٧٥٦هـ).

وهو من غلاة معطلة الصفات كما في ردوده الكثيرة وتعدياته الأئمة على أهل السنة مثبتة صفات الله تعالى.

ومنها: رده على ثونية ابن القيم رحمه الله وما فيها من إثبات صفات الله تعالى كما في كتابه الذي نشره الكوثري الجهمي باسم: «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل».

أما وقوعه في مخالفات توحيد العبادة:

فقد كان ممن يقرر في كتبه استحباب التبرك بالموتى والصالحين!!، والاستغاثة بهم، وألف في ذلك كتابه: «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، وقد لقي هذا الكتاب قبولاً عند القبورين!! ونقلوا عنه كثيراً، وتشبهوا بما فيه من الشبهات، والأحاديث المكذوبة والموضوعة.

قال السبكي فيه: (وإن المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين؛ التبرك ببعض الموتى من الصالحين..!!)

وذكر من أقسام زيارة القبور: (زيارتها للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح والخير..!!)

وقد ردَّ على ضلالاته ومخالفاته في هذا الكتاب: محمد بن عبد الهادي (٧٥٦هـ) رحمه الله في كتابه «الصَّارم المنكي في الردِّ على الشُّبكي».

قال عنه محمود الألوسي في «رده على النبهاني» (٢/ ٢٦): فقد أجاد فيه وأفاد .. وبه ظهر زيف الشُّبكي، وما بهرج به من الباطل، وتبيَّن أنه من أجهل النَّاسِ بعلم الحديث، مُماريًا مُعجَّبًا برأيه، مُتَّبِعًا لهواه، ذاهبًا في كثير مما يعتقده إلى الأقوال الشاذة، والآراء الساقطة.. الخ.

وقال أيضًا (١/ ١٣٠): ومن نَظَرَ إلى هذا الكتاب تبيَّن له أن شهرة الشُّبكي بالعلم كانت شهرة كاذبة، وأن نظره كنظر العوام، وأن منزلته من العلماء كقطرة من بحر ماء.. لا يعلم شيئًا من معقول ولا منقول، وإن إطرأ غلاة الشافعية فيه من محض تعصبهم، وقسوة قلوبهم.. الخ.

وقد ذكر ابن الشُّبكي عن أبيه أنه كان يذهب إلى بعض القبور، ويُمِرُّ وجهه على تربتها!! فقال في «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٣٩٦): لما سكن في قاعة دار الحديث الأشرفية في سنة اثنتين وأربعين وسبعائة، كان يخرج في الليل إلى إيوانها ليتجهد تجاه الأثر الشريف!! ويُمِرُّ وجهه على البساط!! وهذا البساط .. كان للنووي يجلس عليه وقت الدرس، فأنشدني الوالد لنفسه:

وفي دار الحديث لطيف معنى على بسط لها أصبو وآوي
عسى أنِّي أمس بحر وجهي مكاناً مسَّه قدم النَّوَاوي . اهـ
وقد كان الشُّبكي أيضًا يرى مشروعية التوسل بالأنبياء والصالحين!!

فقال: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه .. ولم يُنكر أحد ذلك من أهل الأديان!! ولا سُمع به في زمن من الأزمان،

حتى جاء ابن تيمية فتكلَّم في ذلك بكلام يُلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأمصار .. وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله، وصار به بين أهل الإسلام مثلة!!
نقلا من كتاب: «أراء أبي الحسن الشُّبكي الاعتقادية».

قال محمود الألوسي في «رده على النبهاني» (٢/ ٨٠): فليت شعري بأي فضيلة استحق الشُّبكي أن يُعبر عنه بشيخ الإسلام؟! هل بإغرائه العوام على عبادة غير الله، والمغلاة في الدين، أو بنيابته في الشام بعد أن تقلدها بالرشوة .. أو بشتمه خيار عباد الله، أو بجهله بما ورد في الكتاب والسنة .. وهو في ذلك لا يستحق هذا التعبير، فلا أرى به إلا أن يُلقَّب بـ (شيخ الغلاة). اهـ

٥- محمد بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ).

وهو أشعري المعتقد له كتاب: «الأزمية في أحكام الأدعية» عطل فيه صفة العلو، والتزول وغيرها من الصفات، وسمى أهل السنة فيه: (مُشبَّهة) كعبادة الجهمية في نيز أهل السنة بذلك.

أما موقفه من توحيد العبادة فقد ذكر في كتابه هذا الخلاف في جواز الاستغاثة بالمخلوق، ثم قال: والظاهر الجواز، وقد صنف الشيخ أبو عبد الله ابن النعمان كتاباً سماه: «مصبح الظلام في المستغيثين بخير الأنام»، وتلقاه الناس بالقبول، وعدم النكير (!!). اهـ

ثم خلط وخبط في ذكر الأدلة على جواز الاستغاثة بغير الله تعالى.

٦- ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

وقد سار في شرحه لصحيح البخاري المسمى بـ «فتح الباري» بين

التأويل والتفويض كما سيأتي، أما عن مخالقاته في توحيد العبادة:

١- قوله (٥٢٢/١): وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ، أو وطئها، ويستفاد منه أن من دُعي من الصالحين ليُتبرك به أنه يجب. اهـ

وقوله (٥٦٩/١): فهو حُجّة في التبرك بآثار الصالحين. اهـ

٢- ومن شعره في التوسل وطلب الشفاعة من النبي ﷺ، قوله:

فاشفع لِمَدْحِكَ الذي بك يتقي ... من هَوْلِ يومِ الدِّينِ والتَّعْذِيبِ !!
وقوله:

بِبابِ جُودِكَ عَبْدٌ مُذْنِبٌ كَلِفَ ... يا أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا مُشْرِقًا وَقَفَا
بِكُمْ تَوَسَّلْ يَرْجُو العَفْوَ عَن زَلَلٍ ... مِنْ خَوْفِهِ جَفَنُ الهَامِي لَقَدْ ذَرَفَا
وقوله:

نَبِي اللَّهِ يَا خَيْرَ الْبَرِيَا بِجَاهِكَ أَتَقِي فَصْلَ الْقَضَاءِ
إلى قوله:

فقل: يا أحمد بن عليّ اذهب إلى دارِ النَّعِيمِ بِسَلَا شَقَاءٍ
وقوله في مدح النبي ﷺ:

هَذي ضَرَاةٌ مُذْنِبٌ مُتَمَسِّكٌ بلوائك من يومِ كانَ وليدا
يرجو بكِ المحيا السَّعِيدَ وَبَعَثُهُ بعدَ الماتِ إلى النَّعِيمِ شَهِيدا
[ديوان ابن حجر] (ص: ١٠٧ و ١١٣ و ١١٥ و ١١٧ و ١٢٤ و ..)

٧- السيوطي (٩١١هـ).

وهو من كبار الأشاعرة مؤولة الصفات، كما يظهر جلياً في تعليقاته في

جميع كتبه، وخاصة كتابه: «تأويل أحاديث الموهمة للتشبيه».

وموقفه من توحيد الألوهية يظهر جلياً من مؤلفاته الكثيرة التي دعا فيها إلى ما يناقض توحيد الألوهية؛ ومن تلك الكتب:

١- «تأييد الحقيقة العلية، وتشديد الطريقة الشاذلية» !!، قال فيه: (الشيخ أبو الحسن الشاذلي إمام أرباب القلوب في زمانه الذي كان يسأل معتمداً على الإلهام الواقع في قلبه ذاك إلهامه صواب لا يخطيء، وبعد موتات ماتها في الله).

٢- وكتاب: «تنبيه الغبي في تنزيه ابن عربي» !! قال فيه: (والقول الفصل عندي في ابن عربي ... اعتقاد ولايته) !!

وقارن بين هذا وبين قول ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/٢٤١): وجماع أمر صاحب «الفصوص» [يعني: ابن عربي] وذويه؛ هدم أصول الإيمان الثلاثة، فإن أصول الإيمان: الإيمان بالله، والإيمان برسله، والإيمان باليوم الآخر... وقال: ما تضمنته كتاب «فصوص الحكم» وما شاكله من الكلام: كفر باطنا وظاهراً، وباطنه أقبح من ظاهره.. ثم بعض كفرهم الذي لا يُشك فيه أحد ثم قال: ولا يتصور أن يُثني على هؤلاء إلا: كافر مُلحد، أو جاهل ضال. اهـ

٣- «قمع المعارض في نصرة ابن فارض» !!

وابن فارض صاحب عقيدة الاتحاد ووحدة الوجود، قال ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (٤/٧٣): له قصيدة في نظم عقيدة الاتحاد سماها: «نظم السلوك»، وقد نظم فيها الاتحاد نظماً رائق اللفظ، فهو أخبث من لحم الخنزير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها بـ: «نظم الشكوك». اهـ

٤- «الخبر الدال على وجوب القطب والأوتاد والنجباء والأبدال»،

٥- «القول الجلي في تطوّر الولي» !! يرى فيه أن الولي يتشكّل وتتعدد صورته للرائين !!،

٦- «حسن المقصد في عمل المولد»، ذهب فيه إلى استحسان إقامة الموالد الشّركية.

وغيرها من كتبه الكثيرة التي دَعَا في كثير منها إلى أنواع شتّى من بدع التّجهم، والتّفويض، والتّصوف وغيرها، ولقد صدّق فيه قول محمد بدر الدّين الحلبيّ وهو يتكلّم على تصانيفه الكثيرة فقال: وطريقته - على ما علمنا من استقراء كتبه - أنّه كلّما وقّع إليه كتاب من الكتب في أيّ فنٍّ من الفنون، واستحسنه؛ اختصره، ونسبه إلى نفسه بدوّن تمييز بين غيِّه وسمين، ولا وقوف على حقائق العلوم، ولذلك تراه مضطرباً في كتبه؛ لأنّه لا يحكم فكر نفسه، وإنّما يحكم في كلّ كتاب فكر مؤلّفه هو، فيضيفه إلى نفسه ببعض التّصرف يُجده في الكتاب.. إلخ. نقلاً من كتاب «الرد على النّبّهاني» (١/ ٨٢).

٨- القسطلاني (٩٢٣هـ)، له كتاب «إرشاد السّاري شرح صحيح البخاري»

وقد كان من كبار الأشاعرة مُعطلّة الصّفات.

ومن أمثلة مُخالفاتِه في ما يُناقض توحيد الألوهية:

قوله في كتابه «المواهب اللدّنية في المنح المحمّدية» قال في مدحه للنبي ﷺ: فهو خزّاية السّر، وموضع نفوذ الأمر، فلا ينفذ أمر إلاّ مِنْهُ، ولا ينقل خير إلاّ عنه. اهـ

وله كثير من الأقوال الشّركية التي يطول تتبعها، ولقد صدّق فيه قول محمود شكري الألوّسي إذ يقول فيه كما في «غاية الأحكام»: كان القسطلاني

من غلاة القبورية، يُثبت الوساطة الشّركية، قياساً على ملوك الدّنيا. اهـ
وقد تابع القسطلاني في بدعته هذه الزّرقاني صاحب «شرح الموطأ» في كتابه «شرح المواهب» !! انظر: كتاب «نقض عقائد الأشاعرة» (ص ٢٠٣).

٩- ابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ).

وهو من الأشاعرة المعطلّة المعادين لأهل السّنة والتّوحيد، وكثيراً ما يحكي الخلاف في تكفير من أثبت علوّ الله تعالى على خلقه، وغيرها من صفات الله تعالى !! كما سيأتي ذلك عنه.

أمّا مُخالفاتِه في توحيد العبادة فهي كثيرة جدّاً، ومن أعظمها: غلّوه في قُبور الصّالحين، والدّعوة إلى ذلك.

- قال ابن سحمان رحمه الله [«الصواعق المرسلة» (ص ٢٧٧)]: وابن حجر المكي - عامله الله بعدله - من الغالين في الصّالحين، ومن الثّالين لأئمة المسلمين، الذين جرّدوا توحيد العبادة لله ربّ العالمين، وجاهدوا في الله ولله من خرج عن سبيل المؤمنين: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِيهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿وَمَنْ لَّمْ يَعْمَلِ اللَّهُ لَهُ تَوَكُّلاً فَتَأْتِيهِ الْيُسْرَىٰ﴾، ومن كانت هذه حاله، وهذه أقواله فحقيق أن لا يلتفت إليه. اهـ

وقال أيضاً في «الأسنة الحداد» (ص ٢٠٩): وأمّا ما ذكره عن الشّيخ زكريا، وابن حجر، والرّملي، فهؤلاء ليسوا بمن يُعتدّ بهم وبكلامهم وخلافهم، بل ظهر أنهم من الغلاة المعظمين للقُبور فلا معول على كلامهم. اهـ

قلت: زكريا هو الأنصار (٩٢٦هـ) صاحب كتاب «فتح الباقي شرح ألفيه العراقي»، وله شرح على صحيح البخاري وغيرها من الكتب.

والزملي: هو أحمد بن محمد الشافعي تلميذ الأنصاري (٩٧١هـ).

وقال محمود الألوسي في «رده على النبهاني» (٣٥٨/١): وما كان عليه ابن حجر المكي من الغلو في القُبور، والقول بأقوال المتصوفة الكاذبة، وترويج بدعهم، المعلومة أثر لا يسعه الإنكار، وكُتبه طافحة بمثل هذه الأكاذيب .. وقال: ومنه يُعلم أن ابن حجر المكي ليس منهم في شيء [يعني: أولياء الله]، فإنه ممن يجوز الالتجاء إلى غير الله تعالى، والاستغاثة بالأنبياء والصالحين، والاستعانة بهم والتوسل، وغير ذلك ... الخ

وقال: فتراه في كثير من كتبه يُروج البدع، ويدافع عنها، ويدب عن أهلها، ويُخاصم اتباع السنن، ويعادي أهل الحديث أشد العداوة، وينسب إليهم كل ما خطر على باله، وجرى على لسان قلمه من الإفك والزور والبهتان. انظر إلى ما ذكره في «فتاويه الحديثية» بل البدعية، تجدها مشحونة من العدوان على ابن تيمية .. اهـ

١٠- يوسف النبهاني الحنفي الأشعري (١٣٥٠هـ).

قال في كتابه «شواهد الحق»: إن المسلمين من أهل السنة [يعني: الأشاعرة] وهم جمهور الأمة الحمدية (!!) يعتقدون فيه ﷺ أنه يعلم الغيب، ويُعطي ويمنع، ويقضي حوائج السائلين، ويُفَرِّج كُرْبَات المَكْرُوبِينَ، وآتة يشف فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء. !! اهـ

قلت: ماذا بقي لله تعالى بعد ذلك؟!؟

قال محمود الألوسي في «رده على النبهاني» (٤/٢): استولت على قلبه حبة الإشراك بالله تعالى، والغلو في الصالحين. وقال أيضًا (١٠٩/١): وله

عدّة قصائد في الاستغاثة والالتجاء إلى غير الله، وهي مطبوعة مشهورة. اهـ

١١- البيجوري الأشعري.

وعقيدته في الأسماء والصفات قائمة على التأويل والتفويض كما سيأتي.

قال في «جوهره التوحيد» وهو يشرح قول اللقاني:

وأثبتن لأولياء الكرامة ومن نفاها انبذن كلامه

قال: ولذا قيل: من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق.

وقال الشعراني: ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقير الولي ملك يقضي الحوائج، وتارة يخرج الولي من قبره فيقضيها بنفسه. اهـ

قلت: فهذه بعض الأمثلة على ما قرره أهل السنة من أن المعطل والمؤول لصفات الله تعالى يقع غالبًا في مخالفات في توحيد الألوهية والعبادة.

وما ذكرته من بعض هذه الأمثلة أكبر دليل على ذلك، وإن كانت مخالفتهم تختلف بين الشريك الأكبر والأصغر، وتختلف منزلتهم في العلم والفهم.

وليس في ذكري لهذه الأمثلة تكفير لأصحابها، أو إخراجهم من دين الإسلام؛ فإن هذا الأمر لا بُدَّ أن يكون مُقيدًا بضوابط أهل السنة المشهورة في كتبهم التي ساروا عليها في التكفير، وإنما المقصود من التمثيل بهذه الأمثلة هو إثبات الترابط بين توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبادة، وأن من وقع في تأويل أو تعطيل الصفات لا يخلو غالبًا من الوقوع في توحيد العبادة. والله أعلم.

* ومن أقوال أهل السنة في أنه لا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر:

١ - قال عبدالله بن المبارك (١٨١هـ) رحمه الله: كُلُّ قَوْمٍ يَعْرِفُونَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا الْجَهْمِيَّةَ. [«خلق أفعال العباد» (٧٣)]
وقال رحمه الله:

ولا أقولُ بقولِ الجهم إنَّ له ... قولاً يُضارع قولَ الشُّركِ أحياناً

[«خلق أفعال العباد» للبخاري (١٢)]

قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (١٤٣/٢): وكذلك سائر الجهمية والمعتزلة نفاة الصفات؛ لما أثبتوا واحداً لا يتصف بشيء من الصفات، كانوا عند أئمة العلم الذين يعرفون حقيقة قولهم إنما توحيدهم تعطيل مُستلزم لنفي الخالق، وإن كانوا قد أثبتوه فهم مُتناقضون جمعوا بين ما يستلزم نفيه، وما يستلزم إثباته. ولهذا وصفهم أئمة الإسلام بالتعطيل، وأنهم دلاسون، ولا يُثبتون شيئاً، ولا يعبدون شيئاً، ونحو ذلك كما هو موجود في كلام غير واحد من أئمة الإسلام؛ مثل: عبدالعزيز بن الماجشون، وعبدالله بن المبارك، وحامد بن زيد .. وأحمد بن حنبل. اهـ

٢ - قال وكيع (١٩٧هـ) رحمه الله: القرآن كلام الله عزَّ وجلَّ أنزله جبريل على محمدٍ عليهما السلام، كُلُّ صَاحِبٍ هَوَى يَعْرِفُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَعْرِفُ مَنْ يَعْبُدُ إِلَّا الْجَهْمِيَّةَ لَا يَدْرُونَ مَنْ يَعْبُدُونَ. بِشَرِّ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ.

[«السُّنَّة» لعبدالله بن أحمد (٣٧)]

٣ - قال محمد بن إسماعيل الترمذي: سمعت المزي (٢٦٤هـ) يقول:

لا يصحَّ لأحدٍ توحيدٍ حتَّى يعلم أنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ بِصِفَاتِهِ.

قلتُ: مِثْلُ أَيِّ شَيْءٍ؟

قال: سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، قَدِيرٌ.

[أخرجه ابن منده في «تاريخه». كما في «العلو» للذهبي (٤٦١)]

٤ - قال عبد الله بن الإمام أحمد في «السُّنَّة»: (باب من زعم أن الله لا يتكلم فهو يعبد الأصنام) ثُمَّ ذَكَرَ تَحْتَهُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَاَنْظُرْهُ.

٥ - قال الدَّارِمِيُّ (٢٨٠هـ) رحمه الله في [«النقض» (ص ٣٢٠)]:

والعجب من المَرِيسِيِّ صاحب هذا المذهب أنه يدَّعي توحيد الله بمثل هذا المذهب وما أشبهه، وقد عَطَّلَ جميع صفات الواحد الأحد، فادَّعى في قياس مذهبه أن واجده الذي يوحدُه إله: مُجَدِّعٌ، مُنْقِصٌ، مُشَوِّهٌ، مُشَبِّحٌ، مُقْصُوصٌ، لا تتم وحدانيته إلا بمخلوق، ولا يستغني عن مخلوق من الكلام، والعلم، والاسم.

ويلك إنَّها المُوَحِّدُ الصَّادِقُ في توحيدِه الذي يوحدُ الله بكِمالِه، وبجميع صفاته في علمه، وكلامه .. وهبوطه، وارتفاعه، الغني عن جميع خلقه بجميع صفاته من: النَّفْسِ، والوجه، والسَّمْعِ، والبصر، واليدين، والعلم .. الفعال لما يشاء، هذا إلى التوحيدِ أقرب من هذا الذي يوحدُ إلهًا مُجَدِّعًا، مُنْقِصًا، مُقْصُوصًا، لو كان عبدًا على هذه الصِّفَةِ لم يكن يساوي تمرتين، فكيف يكون مثله إلهًا للعالمين !! تعالى الله عن هذه الصفة. اهـ

وانظر: «رده على الجهمية» (٢٣٠).

٦ - قال ابن بطّة رحمه الله في [«الإبانة الكبرى» (٤/٦١)]:

وإنَّما أَبْطَلَ الجهميَّ صفاته يريد بذلك إبطالَه؛ وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد آتيته ليكون بذلك مُباينًا لمذهب أهل التَّعطيل الذين لا يشبتون صانعًا.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مُباينًا لمذهب أهل الشُّرك الذين أقرُّوا بالصَّانع، وأشركوا معه في العبادة غيره.

الثالث: أن يعتقد موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه، إذ قد علمنا أن كثيرًا ممن يقرُّ به ويؤخِّد بالقول المطلق قد يلحد في صفاته، فيكون إلحاده في صفاته قاذحًا في توحيده.

ولأننا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كُلِّ واحدة في هذه الثلاث والإيمان بها، فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار بآتيته ووحدانيته، فلسنا نذكر هذا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه؛ ولأن الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بها، وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه بها. اهـ

وقال أيضًا (٨٦/٤): مَنْ رَزَقَهُ اللهُ فَهَمًّا وَعَقْلًا، وَوَهَبَ لَهُ بَصَرًا نَافِذًا، وَذَهْنًا ثَاقِبًا، عَلِمَ بِحَسَنِ قَرِيحَتِهِ، وَدَقَّةِ فِطْنَتِهِ؛ أَنْ الْجَهْمِيَّةَ تَرِيدُ إِبْطَالَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَدَفْعَ الْأُلُوهِيَّةِ، وَاسْتِغْنَى بِهَا يَدْلُهُ عَلَيْهِ عَقْلُهُ، وَتَنْبَهُهُ عَلَيْهِ فِطْنَتُهُ عَنْ تَقْلِيدِ الْأُتَمَّةِ الْقُدَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ الْعُقَلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْجَهْمِيَّةَ زَنَادِقَةٌ، وَأَنَّهُمْ يَدُورُونَ عَلَى أَنْ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ، فَإِنَّ الْقَائِلِينَ لِذَلِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَهْلُ صَدَقٍ وَأَمَانَةٍ، وَوَرَعٍ وَدِيَانَةٍ، فَإِنَّ مَنْ أَمْعَنَ النَّظَرَ وَجَدَ الْأَمْرَ كَمَا قَالُوا.. الخ

٧ - قال ابن تيمية رحمه الله في [«درء التعارض» (١/٢٢٤)]: فهم يريدون بلفظ (التوحيد، والواحد) في اصطلاحهم: ما لا صفة له، ولا يُعلم منه شيء

دون شيء، ولا يُرى، والتوحيد الذي جاء به الرسول لم يتضمن شيئًا من هذا النفي، وإثباتا تضمن إثبات الألهية لله وحده؛ بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلَّا عليه، ولا يُوالي إلَّا له، ولا يُعادي إلَّا فيه، ولا يعمل إلَّا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات.. وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك مَنْ يظنُّه مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ، وَيُظَنُّ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ إِذَا أَثْبَتُوا ذَلِكَ بِالذَّلِيلِ فَقَدْ أَثْبَتُوا غَايَةَ التَّوْحِيدِ، وَيُظَنُّ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ إِذَا شَهِدُوا هَذَا وَفَنُوا فِيهِ فَقَدْ فَنُوا فِي غَايَةِ التَّوْحِيدِ.

وكثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاث معانٍ، وهو: واحد في ذاته لا قسيم له، أو لا جزء له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وهذا المعنى الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ، وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ، وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول، بل التوحيد الذي أمر به أمرٌ يتضمن الحق الذي في هذا الكلام، وزيادة أخرى، فهذا من الكلام الذي لُبس فيه الحق بالباطل، وكتم الحق.

وذلك أن الرجل لو أقرَّ بما يستحقه الربُّ تعالى من الصفات، ونزَّهه عن كُلِّ مَا يُنْزَعُ عَنْهُ، وأقرَّ بأنَّه وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، لم يكن مُوَحِّدًا، بل ولا مُؤْمِنًا حَتَّى يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فيقرَّ بأنَّ الله وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له.

والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى: (القادر على الخلق)، فإذا فسَّرَ المفسِّرُ الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد

أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مُقرِّين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين ..

ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مُشركاً.

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك،

فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله، وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطالحوا عليه، وأدخلوا في ذلك نفي صفاته. اهـ

وقال أيضاً [درء التعارض] (٣٠٧/١٠): ونفاة الصفات وإن كانوا لا يعتقدون أن ذلك مُتضمن لنفي الذات؛ لكنّه لازم لهم لا محالة؛ لكنهم مُتناقضون؛ ولهذا لا يوجد فيهم إلا من فيه نوع من الشرك، ولا بد من ذلك لنقص توحيدهم الذي به يتخلصون من الشرك. اهـ

- وقال أيضاً في [مجموع الفتاوى] (٥٦٧/١٦): التعطيل شر من الشرك، وكل مُعطّل فلا بد أن يكون مُشركاً. اهـ

- وقال أيضاً رحمه الله في [الصفدية] (٢٢٨/٢): والتوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب هو: توحيد الإلهية، وهو أن يُعبد الله وحده لا شريك له، وهو مُتضمن لشئئين:

١- أحدهما: القول العلمي، وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال، ولا يماثله أحد في شيء من الكمال، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فالصمدية تثبت له الكمال، والأحدية تنفي مماثلة شيء له في ذلك.

٢- والتوحيد العملي الإرادي: أن لا يُعبد إلا إياه، فلا يدعو إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه، ولا يرجو إلا إياه، ويكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وهذا التوحيد يتضمن أن الله خالق كل شيء، وربّه، ومليكه لا شريك له في الملك.

فجاءت الجهمية ومن شاركهم في النفي، فأدخلوا في التوحيد نفي الصفات، وهو في الحقيقة تعطيل مُخالف لصريح المعقول، وصحيح المنقول، وأخذ ذلك هؤلاء الملاحدة فزادوا في النفي.

وكانت الجهمية تقول: الواحد هو: (الذي لا ينقسم)، وهذا لفظ مُجمل، فإن الله تعالى مُنزّه عن قبول التفريق والتبعض؛ ولكن مقصودهم بذلك نفي الصفات .. اهـ

وقال أيضاً في [بيان تلبيس الجهمية] (٧٨٤/٣):

متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً، وهذا هو نهاية التعطيل،

ومتصوفتهم يعبدون كل شيء، وهذا نهاية الإشرار. اهـ

وقال أيضاً (١٠٠/٣): وهم [يعني: الجهمية] يُفسّرون الواحد والتوحيد بما ليس هو معنى (الواحد) و (التوحيد) في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليس هو

التوحيد الذي أنزل الله به كُتبه، وأرسل به رُسوله، وهذا أصل عظيم تجب معرفته. فقال نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم: (الواحد): هو الذي لا صفة له، ولا قدر.. الخ

وقال أيضًا (٦٠٥/٤): إن الله بعث الرسل تدعوا الخلق إلى عبادته الجامعة لمعرفته بأسائمه وصفاته وآياته، ومحبهه والإنابة إليه، وإخلاص الدين له حتى يكون الدين كله لله. والجهمية تصدّ القلوب عن معرفته ومحبهه وعبادته بحسب تجهمهم، إذ هم بين المستقل والمستكثر، ولا تجحد أحدًا فيه شعبة من التجهم إلا وفيه من نقص التوحيد والإيمان بحسب ذلك. اهـ

٨ - قال ابن القيم رحمه الله في [اجتماع الجيوش] (٩٣/١):

وملاك السعادة والنّجاة والفوز بتحقيق التّوحيدين اللّذين عليهما مدار كتاب الله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، وإليهما دعت الرّسل صلوات الله وسلامه عليهم كلهم من أولهم إلى آخرهم: أحدهما: التّوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتّمثيل، وتنزيهه عن صفات النّقص.

والتوحيد الثّاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه والتّوكل عليه، والرّضا به ربّا، وإلها، ووليّا، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التّوحيد في سورتي الإخلاص وهما:

سورة ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي،

وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري... ولا يتم أحد التّوحيدين إلا بالآخر...

فالتّوحيد العلمي الخبري له ضدان: التّعطيل، والتّشبيه والتّمثيل، فمن نفى صفات الرّب عزّ وجلّ وعطلها: كدّب تعطيله توحيده، ومن شبّهه بخلقه ومثله بهم: كدّب تشبيهه وتمثيله توحيده....

- وقال أيضًا في [الصواعق المرسلة] (١٣٥٣/٤):

مَرَضُ التَّعْطِيلِ وَمَرَضُ الشَّرْكِ أَخَوَيْنِ مُتَصَاحِبَيْنِ لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ صَاحِبِهِ؛

فإن المعطل: قد جعل آراء الرّجال وعقولهم ندًا لكتاب الله،

والمشرك: قد جعل ما يعبد من الأوثان ندًا له.. الخ

قلت: ثم يبيّن رحمه الله التّلازم بين التّعطيل والشّرك في كلام طويل، انظره في كتابه «اجتماع الجيوش». [وانظر كذلك: «الصواعق المرسلة» (١٤٩٠/٤)]

- وقال أيضًا رحمه الله في [الصواعق المرسلة] (٩٣١/٣):

توحيد الجهمية: وهو مُشتقّ من توحيد الفلاسفة، وهو نفى صفات الرّب: كعلمه، وكلامه، وسمعه، وبصره، وحياته، وعلوه على عرشه، ونفي وجهه، ويديه، وقُطب رَحَى هذا التّوحيد: جحد حقائق أسائمه وصفاته.. وسمّوا التّوحيد الذي بعث الله به رُسله وأنبياءه: (تركيبًا، وتجسيمًا، وتشبيهًا)، وجعلوا هذه الألقاب له سِهَامًا وسِلَاحًا يُقَاتِلُونَ بها أهله، فتترسّوا بها عند أهل الحقّ من الأسماء الصّحيحة، وقاتلوهم بالأسماء

الباطلة التي سَمَّوا بها مَا بعثَ اللهُ به رسوله، فقاتلوهم باسم: (التركيب، والتجسيم، والتشبيه)، وتترسوا منهم باسم التوحيد والتنزيه. اهـ
[وانظر كذلك نحوه في: «بيان تلبس الجهمية» (٣/ ٩٤)]

٩ - قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في [«الذُرر السنية» (١/ ١١٢)] وهو يتكلم عن معنى المعبود عند المتكلمين، قال:

والمتكلمون ممن يدعي الإسلام؛ لكن أضلهم الله عن معرفة الإله، فذكر عن الأشعري، ومن تبعه: أنه القادر، وأن الألوهية هي القدرة.

فإذا أقررنا بذلك، فهي معني قوله: (لا إله إلا الله)،

ثم استحوذ عليهم الشيطان؛ فظنوا أن التوحيد لا يتأتى إلا بنفي الصفات، فنفوها، وسموا من أثبتها: (مُجسِّمًا) !!

ورد عليهم أهل السنة بأدلة كثيرة، منها:

أن التوحيد لا يتم إلا بإثبات الصفات؛

وأن معنى الإله: هو المعبود؛ فإذا كان هو سبحانه متفردًا به، عن جميع المخلوقات، وكان هذا وصفًا صحيحًا، لم يكذب الواصف به، فهذا يدل على الصفات، فيدل على العلم العظيم، والقدرة العظيمة؛ وهاتان الصفتان: أصل جميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْثَرُ بَيْنَهُنَّ لِيُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

فإذا كان الله قد أنكر عبادة من لا يملك لعباده نفعًا ولا ضرًا، فمعلوم:

أن هذا يستلزم العلم بحاجة العباد ناطقها، وبهيمةا؛

ويستلزم: القدرة على قضاء حوائجهم؛

ويستلزم الرحمة الكاملة، واللفظ الكامل، وغير ذلك من الصفات؛

فمن أنكر الصفات، فهو مُعطل؛ والمعطل: شرٌّ من المشرك؛

ولهذا كان السلف، يستمّون التصانيف في إثبات الصفات: (كتب التوحيد)، وختم البخاري صحيحه بذلك، قال: (كتاب التوحيد)؛ ثم ذكر الصفات بابًا بابًا.

فنكتة المسألة: أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات.

فقال أهل السنة: لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات، وتوحيدكم هو: التعطيل؛ ولهذا آل هذا القول لبعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى، كما هو مذهب ابن عربي، وابن الفارض، وفثام من الناس، لا يحصيهم إلا الله..

فبين السلف: أن العبادة إذا كانت كلها لله عن جميع المخلوقات فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال، فتبين:

أن منكر الصفات، منكر لحقيقة الألوهية؛ لكن لا يدري.

وتبين لك: أن من شهد أن لا إله إلا الله صدقًا من قلبه، لا بُدَّ أن يثبت الصفات، والأفعال؛ ولكن العجب العجيب: ظن إمامهم الكبير [يعني: الأشعري]، أن الألوهية: هي القدرة، وأن معنى قولك: لا إله إلا الله؛ أي: لا يقدر على الخلق إلا الله !

إذا فهمت هذا: تبين لك عظم قدرة الله على إضلال من شاء مع الذكاء والفتنة، كأنهم لم يفهموا قصة إبليس، ولا قصة قوم نوح، وعاد، وحمود،

وَهَلَمْ جَزَا، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي آخِرِ «الْحُمُومَةِ»: أَوْتُوا ذَكَاءً، وَمَا أَوْتُوا زَكَاءً، وَأَوْتُوا عُلُومًا، وَمَا أَوْتُوا فَهُومًا، وَأَوْتُوا سَمْعًا، وَأَبْصَارًا، وَأَفْئِدَةً ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَتَمُّهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

- وقال أيضًا في «الدُّرَرُ السَّيْنِيَّةُ» (١/ ١١٢) وهو يتكلم عن معاني التوحيد الثلاثة:

وأما توحيد الصفات:

فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية؛ إلّا بالإقرار بالصفات، لكن الكُفَّار: أعقل ممن أنكر الصفات. والله أعلم. اهـ

[وانظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٣/ ١٦٠)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٩٤)، و(٥/ ٤٠٥)، و«المدارج» لابن القيم (٢/ ٤٠٢)، و«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١/ ١٥١)، و(٣/ ٩٢٩)، و(٤/ ١٤٠٥) فقد أطلا في ذكر معاني التوحيد عند الفلاسفة، والجهمية، والأشاعرة، والكَلَابِيَّة، وغيرهم]

المبحث الثاني:

إثبات صفات الله تعالى عند أهل السنة

أهل السُّنَّة يثبتون كُلَّ ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه، وما أثبتته له نبيه ﷺ مما قد صَحَّ إسناده، وتلقاه أهل السُّنَّة بالقبول والتسليم، وكذا ما أثبتته الصحابة رضي الله عنهم لربهم من صفات الله تعالى، وتلقاه عنهم أهل السُّنَّة بالقبول والاحتجاج.

- قال الآجري (٣٦٠هـ) رحمه الله في «الشرية» (٢/ ١٠٥١):
 إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يَصِفُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّ وَجَلَّ،
 وَبِهَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ،

وبها وصفه به الصحابة رضي الله عنهم،
 وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يتدع. اهـ

- وقال ابن تيمية رحمه الله في «الحموية» (ص ٢٧١):

ثُمَّ الْقَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا الْبَابِ:

أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِهَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ،

وبها وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث. اهـ

* ومما جاء عن السلف الأوائل ومن بعدهم من أهل السنة في ذلك :

١ - قال عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون (١٤٦هـ) رحمه الله: اعلم - رحمك الله - أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك، ولا تجاوز ما قد حُدَّ لك؛ فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة: فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصفه من نفسه عيباً، ولا تكلفن بها وصف لك من ذلك قدرًا.

وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك، ولا في حديث عن نبيك - من ذكر صفة ربك - فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه؛ فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل كإنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحدته الجاحدون مما وصف من نفسه: فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها .. والراسخون في العلم - الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها - لا ينكرون صفة ما سمي منها جحدًا، ولا يتكلفون وصفه بما لم يُسمَّ تعمقًا ...

[«الإبانة الكبرى» لابن بطة (تنمة الرد على الجهمية) (٥٩)، و«الحموية الكبرى» لابن تيمية (ص ٣١٩) وقال: إسناده صحيح]

٢ - قال أفلح بن محمد: قُلْتُ لابن المبارك (١٨١هـ): يا أبا عبد الرحمن، إني أكره الصفة - عنى صفة الرب عز وجل - . [أي الكلام في ذلك بغير نص].

فقال له عبدالله بن المبارك: وأنا أشدُّ الناس كراهةً لذلك؛

ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه. - ونحو هذا - .

[رواه اللالكائي (٧٣٧)، وانظر: «العلو» للذهبي (٣٦٢/٢)]

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«مجموع الفتاوى» (٥١/٥)]: أراد ابن المبارك: أنا نكره أن تبتدىء بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يبيء به الكتاب والآثار. اهـ

٣ - قال أحمد بن حنبل رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصَفَ به نفسه، أو وصَفَ به رسوله ﷺ؛ لا يتجاوز القرآن والحديث. اهـ

[«مجموع الفتاوى» (٤٧٢/١٦)]

٤ - قال حنبل: سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل عن هذه الأحاديث التي تُروى: «أن الله تبارك وتعالى يرى»، و«أنه ينزل إلى سماء الدنيا»، و«أنه يضع قدمه»، وما أشبه ذلك.

فقال أبو عبدالله: نؤمنُ بها، ونُصدِّقُ بها، ولا نردُّ منها شيئاً إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نردُّ على الرسول ﷺ قوله.

[«تحريم النظر في كتب أهل الكلام» لابن قدامة (ص ٣٩)]

٥ - قال أبو بكر المروزي رحمه الله: سألت أبا عبدالله - أحمد بن حنبل - عن الأحاديث التي تردّها الجهمية في الصفات، والرؤية، والإسراء، وقصة العرش.

فصححها أبو عبدالله، وقال: قد تلقتها العلماء بالقبول، تُسلم الأخبار كما جاءت.

قال: فقلتُ له: إن رجلاً اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت.

فقال: يُجفَى. وقال: ما اعتراضه في هذا الموضع؟

يُسَلِّمُ الأخبار كما جاءت. [«السنة» للخلال (٢٨٣)]

٦ - قال أبو بكر المروزي: أرسل أبو بكر وعثمان أبناء أبي شيبه إلى أبي عبد الله يستأذنان في أن يُحدّثا بهذه الأحاديث التي تردّها الجهمية.

فقال أبو عبد الله: حدّثوا بها، فقد تلقّتها العلماء بالقبول.

[«الشرعة» للأجري (٧٢٦)]

[وانظر: «بيان تلبس الجهمية» (١٩٦/٧)، و«مجموع الفتاوى» (٣١٢/١٧)، والتمييز في «الحجة» في بيان المحجة» (٢٠٨/١)]

٧ - قال ابن خزيمة (٣١١هـ) رحمه الله في [«التوحيد» (١٠/١)]: الإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جلّ وعلا بما وصف الله به نفسه في مُحْكَم تنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبما صحّ وثبت عن نبينا بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولاً إليه صلى الله عليه وسلم. اهـ

٨ - قال ابن بطة (٣٨٧هـ) رحمه الله في [«الإبانة الكبرى» (تممة الرد على الجهمية) (٩١/٣)]: اعلموا رحمكم الله أنّ من صفات المؤمنين من أهل الحقّ: تصديق الآثار الصحيحة، وتلقيها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس، ومواضعة القول بالآراء والأهواء؛ فإنّ الإيمان: تصديق، والمؤمن هو المصدق، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

فَمِنْ علامات المؤمنين: أن يصفوا الله بها وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، مما نقلته العلماء، ورواه الثقات من أهل النقل الذين هم الحجة فيما روه من الحلال والحرام، والسُنن والآثار، ولا يُقال فيما صحّ عن رسول الله ﷺ: كيف؟ ولا لِمَ؟ بل يتبعون ولا يتدعون، ويُسلمون ولا يعارضون، ويتيقنون ولا يشكّون ولا يرتابون. اهـ

٩ - قال أبو نصر السجزي (٤٤٤هـ) رحمه الله في [«رسائله في الحرف والصوت» (ص ١٢١)]: ولا يجوز أن يُوصف الله سبحانه إلّا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، وذلك إذا ثبت الحديث، ولم يبق شبهة في صحته. فأما ما عدّا ذلك من الروايات المعلولة، والطرق الواهية؛ فلا يجوز أن يعتقّد في ذات الله سبحانه ولا في صفاته ما يوجد فيها باتفاق العلماء للأثر. اهـ

١٠ - قال التيمي الأصبهاني (٥٣٥هـ) رحمه الله في [«الحجة» في بيان المحجة» (٤٣٦/١)]: قال أهل السنة: ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الصفات بأسانيد صحاح فهو حقّ. اهـ

١١ - قال ابن قدامة (٦٢٠هـ) رحمه الله في [«ذم التأويل» (١٠٠)]: ينبغي أن يُعلم أن الأخبار الصحيحة التي ثبتت بها صفات الله تعالى هي الأخبار الصحيحة الثابتة بنقل العدول الثقات التي قبلها السلف، ونقلوها ولم ينكروها، ولا تكلموا فيها.

وأما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة ليلبسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة: إمّا لضعف روايتها، أو جهالتهم، أو لعلّة فيها؛ لا يجوز أن يُقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها، وما

وضعته الزنادقة فهو كقولهم الذي أضافوه إلى أنفسهم.

فمن كان من أهل المعرفة بذلك وجب عليه اتباع الصحيح، واطراح ما سواه، ومن كان عامياً ففرضه: تقليد العلماء وسؤالهم لقول الله تعالى:

﴿فَتَتَلَوَا هَٰذَا الذِّكْرَ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل]

وإن أشكل عليه علم ذلك، ولم يجد من يسأله: فليقف؛ وليقل: آمنت بما قاله رسول الله ﷺ، ولا يثبت به شيئاً، فإن كان هذا مما قاله رسول الله ﷺ فقد آمن به، وإن لم يكن منه؛ فما آمن به. اهـ

فصل

ما حدث به العلماء وتلقوه بالقبول من أحاديث الصفات

هناك كثير من الأحاديث والروايات في إثبات صفات الله تعالى قد تلقاها أهل السنة من السلف الأواثل ومن بعدهم بالقبول والتسليم، وحدثوا بها على رؤوس الناس، بل وأنكروا على من طعن فيها، أو ردّها؛ فمثل هذه الأحاديث نُحَدِّثُ بها، وننشرها، ولا نتكلّم فيها من قبل أنفسنا فنُخَالِفُ سلفنا الصّالح فيما احتجّوا به، وتلقوه بالقبول والتسليم، وخاصّة وأن هذه الأحاديث التي فيها شيء من الضعف فيما يبدو لنا تعضدها متابعات وشواهد كثيرة من الكتاب والسنة الصحيحة تشهد لها.

ومن المسلم به عند كلّ صاحب سنة واتباع: أن السلف الصّالح من أئمة العلم والسنة والدين لا يُثبتون مسائل التّوحيد والاعتقاد إلّا بدليل صحيح صريح، وأنهم أروع وأخشى الله تعالى من أن يصفوه بما لا يثبت، أو ما لا يليق به سبحانه.

قال الأجرى رحمه الله في [«الشرعة» (١/٣٠١)]: علامة من أراد الله به خيراً سلوك هذه الطريق: كتاب الله، وسُنن رسول الله ﷺ، وسُنن أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد، إلى آخر ما كان من العلماء، مثل: الأوزاعي، وسُفيان الثوري، ومالك

ابن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على طريقتهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء. اهـ

وقال البرهاري (٣٢٩هـ) رحمه الله: فالله الله في نفسك، وعليك بالآثار، وأصحاب الآثار، والتقليد، فإن الدين إنما هو التقليد - يعني: للنبي ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين -، ومن قبلنا لم يدعونا في لبس، فقللهم واسترح، ولا تجاوز الأثر، وأهل الأثر. اهـ [طبقات الحنابلة] (٣٩/٢)

ورحم الله الإمام الأوزاعي إذ يقول: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقُل بما قالوا، وكُفَّ عما كُفُّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسلك ما وسعهم... [رواه اللالكائي] (١٠٤/١)

ومما جاء عن السلف وأهل السنة من بعدهم على التحديث بكل ما حدث به السلف الصالح، وتلقوه بالقبول والتسليم، وعدم معارضته بالرد والطعن:

١ - قال عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٧٢) حدثنا أبي، نا وكيع بحديث: إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن عمر رضي الله عنه، قال: «إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ ﷻ عَلَى الْكُرْسِيِّ؛ فَاقْشَعِرَّ رَجُلٌ سَمَاءَ أَبِي عِنْدَ وَكَيْعٍ، فَغَضِبَ وَكَيْعٌ، وَقَالَ: أَدْرَكْنَا الْأَعْمَشَ، وَشَفِيانٌ يُحَدِّثُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ لَا يُنْكِرُونَهَا.

٢ - قال يحيى بن معين: شهدت زكريا بن عدي سأل وكيعاً فقال: يا أبا شفيان، هذه الأحاديث - يعني: مثل: (الكُرْسِيِّ مَوْضِعَ الْقَدَمَيْنِ)، ونحو هذا - فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد، وشفيان، ومسعرًا يُحَدِّثُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَلَا يُفْسِرُونَ شَيْئًا. [الأسماء والصفات] (٧٦٥)

٣ - قال عبد الصمد بن يحيى: قال لي شاذان: اذهب إلى أبي عبد الله [الإمام

أحمد] قُلْ: ترى لي أن أحدث بحديث: قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي صُورَةِ شَابٍّ؟ قال: فَأَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ لَهُ.

فَقَالَ لِي: قُلْ لَهُ نَحَدِّثُ بِهِ، قَدْ حَدَّثَ بِهِ الْعُلَمَاءُ.

[«طبقات الحنابلة» (١٠٤/٢)، و«إبطال التأويلات» (١٣٥)]

٤ - قال الإمام أحمد رحمه الله في تفسير مجاهد رحمه الله للمقام المحمود بأنه إقعاد النبي ﷺ على العرش، قال: قد تلقته العلماء بالقبول، نُسَلِّمُ الْخَبْرَ كما جاء. «إبطال التأويلات» (٤٤٨).

٥ - قال إبراهيم الأصبهاني عن قول مجاهد في إقعاد النبي ﷺ على العرش: هذا الحديث حَدَّثَ بِهِ الْعُلَمَاءُ مُنْذُ سِتِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ، وَلَا يَرُدُّهُ إِلَّا أَهْلُ الْبِدْعِ. «السنة» للخلال (٢٥٠).

٦ - قال إبراهيم الحربي (٢٨٥هـ) رحمه الله في أثر مجاهد في إقعاد النبي ﷺ على العرش، قال: هذا حَدَّثَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٣٩هـ) في المجلس على رؤوس الناس، فكم ترى كان في المجلس عشرين ألفاً؟ فترى لو أن إنساناً قام إلى عثمان فقال: لا تُحَدِّثْ بهذا الحديث، أو أظهر إنكاره تراه كان يخرج من ثَمَّ إِلَّا وَقَدْ قُتِلَ. [«الخلال» (٢٥٤)]

٧ - قال الدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله في [«النقض» (ص ٣٤٣)]: فقد أخذنا بما قال رسول الله ﷺ، فلم نقبل منها إلا ما روى الفقهاء الحفاظ المتقنون؛ مثل: معمر، ومالك بن أنس، وشفيان الثوري، وابن عيينة، وزهير بن معاوية، وزائدة، وشريك، وحامد بن زيد، وحامد بن سلمة، وابن المبارك، وكيع، ونظرناهم الذين اشتهروا بروايتهم ومعرفتهم والتفقه فيها، خلاف تفقه المريسي

وأصحابه، فما تداول هؤلاء الأئمة ونظراؤهم على القبول قبلنا، وما ردّوه ردّدناه، وما لم يستعملوه تركناه؛ لأنهم كانوا أهل العلم والمعرفة بتأويل القرآن ومعانيه، وأبصر بها وافقه منها مما خالفه من المريسي وأصحابه، فاعتمدنا على روايتهم، وقبلنا ما قبلوا، وزيّفنا منها ما روى الجاهلون من أئمة هذا المعارض، مثل: المريسي، والثّلجي ونظرائهم. اهـ

- وقال أيضًا (ص ٤٤٨-٤٤٩): ومن الأحاديث أحاديث جاءت عن النبي ﷺ قالها العلماء، ورووها ولم يُفسّروها، ومن فسّرَها برأيه اتهموه.

فقد كتب إليّ علي بن خشرم أن وكيعًا سئل عن حديث عبد الله بن عمرو: الجنة مطوية مُعلّقة بقرون الشمس. فقال وكيع: هذا حديث مشهور، قد روي فهو يروي، فإن سألوا عن تفسيره لم نفسّر لهم، ونتهم من ينكره وينازع فيه، والجهمية تنكره. اهـ

٨ - قال الأجزري (٣٦٠هـ) رحمه الله في [«الشرعية» (٣/٣٦٧)]: وأما حديث مجاهد [يعني: في إقعاد النبي ﷺ على العرش].. فقد تلقاه الشيوخ من أهل العلم والنقل لحديث رسول الله ﷺ تلقوها بأحسن تلقٍ، وقبلوها بأحسن قبول، ولم ينكروها، ولم ينكروها وأنكروا على من ردّ حديث مجاهد إنكارًا شديدًا، وقالوا: من ردّ حديث مجاهد فهو رجل سوء. اهـ

٩ - قال ابن منده رحمه الله وهو يتكلم عن حديث أبي رزين الطويل، وفيه إنبات كثير من صفات الله تعالى: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما، وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم: أبو زرعة الرّازي، وأبو حاتم، وأبو

عبد الله محمد بن إسماعيل، ولم يُنكره أحد، ولم يتكلّم في إسناده، بل رَوّوه على سبيل القبول والتسليم، ولا يُنكر هذا الحديث إلّا جاحِدٌ، أو جاهل، أو مخالف للكتاب والسنة. اهـ نقلًا من «زاد المعاد» (٣/٦٧٨).

١٠ - قال السّجزي رحمه الله في [«إنبات الحرف والصوت» (١٦١)]: وذكر قول كعب الأحبار: (لما كلّم الله موسى عليه السّلام كلمة بالالسنّة كلّها..)

فقال مُعلّقًا عليه: وهذا محفوظ عن الزّهرري، رواه عنه ابن أبي عتيق، والزّبيدي، ومعمر، ويونس بن يزيد، وشُعيب بن أبي حمزة، وهؤلاء كلّهم أئمة، ولم يُنكره واحدٌ منهم. اهـ

- وقال أيضًا (ص ١٩٠): وإذا ثبت ما ذكرناه، وعلم أن طاعة الرّسول ﷺ واجبة، وأن قبول خيرِه لازمٌ؛ وجب اعتقاد ما في هذه الأحاديث المذكورة في الصّفات، ولو لم يلزم اعتقاد ذلك لم تكن هذه الأخبار لا محالة دون سائر الأخبار الواردة في سبيله العمل به، فينبغي أن يعمل بها أيضًا، والعمل بها هو القول بمخبرها.

وقبل وبعد فالأئمة الذين رَوّوها غير مُنكرين لشيءٍ منها، بل قد أوردوها في السنن، وبينوا أن اعتقادها سنةٌ وحقٌّ، بل واجب وفرض.

ولا يخلو أمرهم من أن يكونوا مُحطّين في فعلهم،

أو مُصيبين في رأيهم، فإن أصابوا فاتباعهم على الصّواب هُدى.

وإن أخطئوا - بزعم المخالف - وهم الأئمة المقبولون، المرضيون بالاتفاق، فالمخالفون الذين قد حكم بأنهم من أهل الزّيف والضّلال أقرب إلى الخطأ،

وأبعد من الصواب منهم، فيجب أن لا يصغي إليهم، ولا يعول على تمويههم. اهـ

١١ - قال ابن تيمية رحمه الله في [بيان تليس الجهمية] (٣٥٦/٧) وهو يتكلم عن حديث أم الطفيل: (أن النبي ﷺ أنه رأى ربه في المنام في أحسن صورة، شاباً مؤقراً.. الحديث): وأما حديث أم الطفيل فإنكار أحمد له لكونه لم يعرف بعض رواته، لا يمنع أن يكون عرفه بعد ذلك، ومع هذا فأمره بتحديثه به؛ لكون معناه موافقاً لسائر الأحاديث كحديث: مُعَاذُ، وابن عباس وغيرهما؛ وهذا معنى قول الخلال: (إنما يروى هذا الحديث، وإن كان في إسناده شيء تصحيحاً لغيره؛ ولأن الجهمية تُنكر ألفاظه التي قد رويت في غيره ثابتة).

فروى لثبوت أن الذي أنكروه تظاهرت به الأخبار واستفاضت.

وكذلك قول أبي بكر عبدالعزيز [المعروف بـ غلام الخلال (٣٦٣هـ)]: (فيه وهاء، ونحن قائلون به)، أي لأجل ما ثبت من موافقته لغيره الذي هو ثابت، لا أنه يقال بالواهي من غير حجة.

فإن ضعف إسناده الحديث لا يمنع أن يكون متنه ومعناه حقاً،

ولا يمنع أيضاً أن يكون له من الشواهد والمتابعات ما يثبت صحته.

ومعنى الضعيف عندهم: أنا لم نعلم أن راويه عدل، أو لم نعلم أنه ضابط.

فعدم علمنا بأحد هذين يمنع الحكم بصحته، لا يعنون بضعفه أن نعلم أنه باطل، فإن هذا هو الموضوع، وهو الذي يعلمون أنه كذب مُحْتَلَق.

فإذا كان الضعيف في اصطلاحهم عائداً إلى عدم العلم، فإنه يطلب له اليقين والتثبت، فإذا جاء من الشواهد والأخبار الأخرى غيرها ما يوافق صواب ذلك موجباً للعلم بأن راويه صدق فيه وحفظه، والله تعالى أعلم. اهـ

- وقال أيضاً رحمه الله في [جواب الاعتراضات المصرية] (ص ١٦٦) وهو يتكلم عن حديث: «خلق الله آدم على صورة الرحمن»: وليس الغرض تعدد طرقه، وإنما الغرض الأصلي أن الأئمة المتفق على إمامتهم في الأمة ما زالوا يروونه ولا ينكرونه، ولا يتأولونه على المحفوظ عنهم في ذلك. اهـ

وقال أيضاً في [بيان تليس الجهمية] (٤٤٥/٦) وهو يتكلم عن حديث: «خلق الله آدم على صورة الرحمن» قال:

وأيضاً: اتفاق السلف على رواية هذا الخبر ونحوه - مثل: عطاء بن أبي رباح، وحبيب بن أبي ثابت، والأعمش، والثوري وأصحابهم من غير تكبير شمع من أحد لمثل ذلك في ذلك العصر، مع أن هذه الروايات المتنوعة في مظنة الاشتهار - دليل على أن علماء الأمة لم تنكسر إطلاق القول: (بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن)؛ بل كانوا متفقين على إطلاق مثل هذا..

وأيضاً: فإن الله قد وصف هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس، وأنها تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، فمن الممتنع أن يكون في عصر التابعين يتكلم أئمة ذلك العصر بما هو كُفْرٌ وضلال، ولا ينكر عليهم أحد، فوكان قوله: «خلق الله آدم على صورة الرحمن» باطلاً لكانوا كذلك. اهـ

- وقال أيضاً في [مجموع الفتاوى] (٣٧٤/٤):

.. إذا تبين هذا فقد حدث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون: أن محمداً رسول الله ﷺ يجلسه ربه على العرش.. وهذا ليس مناقضاً للشفاعة لما استفاضت بها الأحاديث من أن المقام المحمود هو الشفاعة باتفاق الأئمة من جميع من ينتحل الإسلام ويدعيه، لا يقول: إن إجلالته على العرش

مُنكَرٌ، وَلَئِنَّا أَنْكَرُهُ بَعْضُ الْجَهْمِيَّةِ، وَلَا ذِكْرُهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ مُنْكَرًا. اهـ

- وقال أيضًا في [«الفتاوى» (١٦/٤٣٤)] وهو يتكلم عن حديث: «إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ عَلَى الْكُرْسِيِّ»، قال: حديث عبدالله بن خليفة المشهور الذي يروى عن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، وقد رواه أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي في «المختارة». وطائفة .. تردّه لاضطراره، كما فعل ذلك أبو بكر الإسماعيلي، وابن الجوزي وغيرهم؛ لكن أكثر أهل السُّنَّة قبلوه. اهـ

١٢ - قال ابن القيم رحمه الله [كما في «مختصر الصواعق» (٣/١٠٧٤)]:

وروى يونس بن يزيد، عن الزُّهري، عن سعيد بن المسيب، عن كعب قال: قال الله في التوراة: أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمر عبادي ولا يخفى عليّ شيء في السَّاء ولا في الأرض. ورواه ابن بطة، وأبو الشيخ وغيرهما بإسناد صحيح.

وهب أن المعطل يكذب كعبًا ويرميه بالتجسيم، فكيف حدّث به عنه هؤلاء الأعلام مُبْتَدِئِينَ لَهُ غَيْرَ مُنْكَرِينَ !؟ اهـ

- وقال أيضًا (٣/١٢٩٣): وروى ابن خزيمة من حديث كعب القُرظي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْبُضُ اللَّهُ بِكَفِّهِ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَهْتَفُ بِصَوْتِهِ: مَنْ كَانَ لِي شَرِيكًا فَلْيَأْتِ». .. الحديث.

قال: وهو قطعة من حديث الصُّور الطويل، ولم يزل الأئمة يروونه ويُحْتَجُّ به حتّى حدثت الجهمية. اهـ

- وقال أيضًا (٣/١٢٨٣) وهو يتكلم عن حديث جابر رضي الله عنه: «يَحْشَرُ

النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ عُرَاءَ غُرْلَا بُهْمًا، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا، قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ .. الحديث.

ورواه عبدالله بن أحمد في «السُّنَّة»، والطبراني في «المعجم»، و«السُّنَّة»، وأبو بكر بن أبي عاصم في «السُّنَّة» مُتَحَجِّجِينَ بِهِمْ، فَمِنْ النَّاسِ سَوَى هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ سَادَاتُ الْإِسْلَامِ، وَلَا الْفَتَاتِ إِلَى مَا أَعْلَهَ بِهِ بَعْضُ الْجَهْمِيَّةِ ظُلْمًا مِنْهُ، وَهَضْمًا لِلْحَقِّ، حَيْثُ ذَكَرَ كَلَامَ الْمُضْعَفِينَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَنِ عَقِيلٍ، وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ دُونَ مَنْ وَثَّقَهَا وَأَثْنَى عَلَيْهَا، فَيُوهَمُ الْغَرَّ أَنَّهَا مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهَا، لَا يُحْتَجُّ بِحَدِيثِهَا ... الخ ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضُ عَلَلِّهِمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَقَالَ:

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْعِلَلُ الْبَارِدَةَ عَلِمَ أَنَّهَا مِنْ بَابِ التَّعَنُّتِ .. إِلَى أَنْ قَالَ: وَرَوَاهُ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ، وَمَا زَالَ السَّلَفُ يروونه، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ أَنْكَرَهُ حَتَّى جَاءَتْ الْجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْهُ، وَمَضَى عَلَى آثَارِهِمْ مِنْ اتَّبَعَهُمْ فِي ذَلِكَ ... الخ

١٣ - قال الذهبي (٧٤٨هـ) في كتابه [«العرش» (٢/١٢١)]: وهو يتكلم عن حديث عمر رضي الله عنه «إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ عَلَى الْكُرْسِيِّ»:

قُلْتُ (يعني الذهبي): وهذا حديثٌ صحيحٌ عند جماعةٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ؛ أَخْرَجَهُ ضِيَاءُ الدِّينِ الْمُقَدِّسِيِّ فِي «صَحِيحِهِ»، وَهُوَ مِنْ شَرِطِ ابْنِ حِبَّانٍ فَلَا أُدْرِي أَخْرَجَهُ أَمْ لَا؟ فَإِنْ عِنْدَهُ: أَنَّ الْعَدْلَ الْحَافِظَ إِذَا حَدَّثَ عَنِ الرَّجُلِ لَمْ يُعْرِفْ؛ فَإِنْ ذَلِكَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

فَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ: أَبُو إِسْحَاقَ السَّبَّيْعِيُّ، وَالْأَعْمَشُ، وَإِسْرَائِيلُ،

وعبدالرحمن بن مهدي، والثوري، وأبو أحمد الزُّبيري، ووكيعة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ممن يطول ذكرهم وعددهم، الذين هم سُجج الهُدَى، ومَصَابِيح الدُّجَى، قد تلقوا هذا الحديث بالقبول، وحدثوا به، ولم يُنكروه، ولم يطعنوا في إسناده، فمن نَحْنُ حَتَّى نُنكره، وتُتحدلق عليهم؟ بل نُؤمن به. اهـ

فصل

ما روي موقوفاً عن الصحابة رضي الله عنهم في باب الصفات

أجمع أهل السُّنَّة على أن الكلام في صفات الله تعالى توقيفي؛ لأن صفاته تعالى من علم الغيب، فلا يكون الكلام فيها إلّا بنصٍّ من كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيه ﷺ، وهذا من المقرر عند أهل السُّنَّة والجماعة.

- قال السَّجْزِي (٤٤٤هـ) رحمه الله في [الرد على من أنكر الحرف والصوت] (ص ١٢١):

وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تُؤخذ إلّا توقيفاً .. اهـ

أما ما ثبت عن أصحاب النبي ﷺ في أبواب الصفات ولم يرفعوه إلى النبي ﷺ؛ فإن أهل السُّنَّة يقبلونه، ويروونه في مُصنِّفاتهم مُحتجِّين به على المعطلة، ويجعلونه من قبيل المرفوع؛ لأنَّه لا مجال للرأي فيه، ولعظيم شأن أصحاب النبي ﷺ أن يتكلموا في ذات الله تعالى بمحض أرائهم، ومن قبيل أهوائهم من غير أن يسمعه من النبي ﷺ.

- قال الشافعي رحمه الله في «رسالته البغدادية» التي رواها عنه الحسن ابن محمد الرِّعْفَرَانِي وهذا لفظه: وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبَّح لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنأهم بما آتاهم من

ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء، والصالحين أدوا إلينا سُنة رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًا وخاصًا، وعزما وإرشادًا، وعرفوا مِن سُنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كُلِّ عِلْمٍ، واجتهادٍ، وورعٍ، وعقلٍ، وأمر استدرك به عِلْمٌ، واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا مِن رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى، أو حُكي لنا عنه ببلدنا، صاروا فيما لم يعلموا الرسول الله ﷺ فيه سُنة إلى قولهم أن اجتمعوا، أو قول بعضهم أن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم، ولم يخالفه غيره؛ أخذنا بقوله. اهـ [إعلام الموقعين] (١/ ٨٠)

- قال الآجري (٣٦٠هـ) رحمه الله في [الشرعية] (ص ٢٩١):

إنَّ أهلَ الحقِّ يصفون الله عزَّ وجلَّ بما وَصَفَ به نفسه عزَّ وجلَّ،

وبما وَصَفَهُ به رسوله ﷺ، وبما وَصَفَهُ به الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ،

وهذا مذهب العلماء من اتبع ولم يتدع. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله في فضل القرون المُفضَّلة كما في [الحموية] (ص ١٩٩): [من المُحال أن يكونَ خير أُمَّته، وأفضل قُرونها قَصُرُوا في هذا الباب، زائدين فيه، أو ناقصين عنه.

ثمَّ من المُحال أيضًا أن تكون القُرون الفاضلة - القرن الذي بُعث فيه رسول الله ﷺ، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم - كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحقِّ المبين؛ لأنَّ ضدَّ ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحقِّ وقول خلاف الصدق، وكلاهما مُمتنع.

أما الأول: فلأنَّ من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم، أو تَهَمَّة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب، والسُّؤال عنه، ومعرفة الحقِّ فيه أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه؛ أعني: بيان ما ينبغي اعتقاده، لا معرفة كيفية الرَّبِّ وصفاته.

ولست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر... وأما كونهم كانوا مُعتقدين فيه غير الحقِّ أو قائلين: فهذا لا يعتقده مُسلم، ولا عاقل عَرَفَ حالَ القوم .. ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السَّالِفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يَقْدِرْ قَدَرُ السَّلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها .. اهـ

* ومن أمثلة ما رُوِيَ عن الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في أبواب الاعتقاد:

١- الكرسي موضع القدمين.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله.

[رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٩٩٧ و ٩٩٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٥٦)، والدارقطني في «الصفات» (٣٧)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (١٥).

وإسناده صحيح، بل قال الأزهري رحمه الله في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٥٤): هذه الرواية اتفق أهل العلم على صحتها. اهـ]

- قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: الكرسي موضع القدمين وله أطيِّط كأطيِّط الرَّحْلِ.

[رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنة» (٩٩٩)، ومحمد بن أبي شيبه في «العرش» (٦٠)، وابن جرير في «تفسيره» (٥٧٨٩)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (١٧)، وإسناده صحيح.

قال الخليل بن أحمد رحمه الله: (الأطُّ والأطيظ): صوت تَقْبُضُ المحامل، أطُّ أطيظًا، وكُلُّ شيءٍ ثَقِيلٌ يُحْمَلُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ يَنْطُ. والأطاطُ: الصَّياح. وأطيظ الإبل: أنيئها من ثِقَلِ الحِمْلِ. «العين» (ص ٣٠)

- قال ابن أبي زمنين (٣٩٩هـ) رحمه الله في [«أصول السُّنة» (ص ٩٦)]: ومن قولِ أهلِ السُّنةِ أنَّ الكرسيَّ بين يدي العرشِ وأَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ. اهـ

٢- إثبات الثقل لله تعالى.

أثبت أهل السُّنة والأثر (الثقل لله تعالى) كما وردت بذلك الآثار السلفية الصحيحة عن الصحابة والتابعين، وتلقاها أهل السُّنة عنهم بالقبول، ورووها في مصنفاتهم مُحْتَجِّين بها على مُعْطَلَةِ الصِّفَات.

وأما المتأخرون فقد جنبوا عنها فاستنكروها، ونحاشوا مِنْ ذِكْرِها وروايتها. كما قال ابن القيم رحمه الله في [«النونية» (ص ٩٩)]:

وبسورة الشورى وفي مَرْمَلٍ سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُهُ دُوشَانٍ
في ذكرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرْذِ عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي
لم يسمح المتأخرون بنقله جُبْنًا وَضَعْفًا عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ
بَلْ قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِسُ الْإِسْلَامِ هُمْ أَمْرَاءُ هَذَا الشَّانِ
ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره حُكِيَتْ بِهِ الْقَوْلَانِ

ومما رُوي عنهم في ذلك:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿كَكَادُ السَّكَوَاتِ يَنْفَطَرْنَ مِنْ قَوْعِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥] قال: مِنْ الثَّقَلِ.

[رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٣٥-٢٣٦)، والحاكم في «المستدرک»

(٢/ ٤٤٢) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

- عن كعب الأحبار رحمه الله - في أثره الطويل وفي آخره -: ... فما من السموات سماء إلا لها أطيظ كأطيظ الرّحل العلافي أول ما يرتحل من ثقل الجبار ... قال أبو صالح: العلافي: الجديد يريد.

[رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٣٤)، وصححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص ١٠٢)]

وفي الباب نحوه عن: خالد بن معدان، والحسن، ومجاهد، وعكرمة رحمهم الله، وغيرهم من السلف.

[انظر: «السُّنة» عبدالله بن أحمد في (١٠٠٤)، (١٠١٠-١٠١٦)، وابن جرير في «تفسيره» (٣٥٢٨٢)، (٣٥٢٨٥)، (٣٥٢٨٧)]

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٢٦٨)]: وهو يتكلم عن أثر كعب الأحبار رحمه الله السابق، قال: وهذا الأثر وإن كان هو رواية كعب؛ فيحتمل أن يكون مِنْ عُلُومِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا تَلَقَّاهُ عَنْ الصَّحَابَةِ، وَرَوَايَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّتِي لَيْسَ عِنْدَنَا شَاهِدٌ هُوَ لَا دَافِعَ لَهَا لَا يَصَدِّقُهَا، وَلَا يَكْذِبُهَا.

فهؤلاء الأئمة المذكورة في إسناده؛ هم مِنْ أَجْلِ الْأَئِمَّةِ، وَقَدْ حَدَّثُوا بِهِ هُمْ وَغَيْرُهُمْ، وَلَمْ يَنْكُرُوا مَا فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ: (مِنْ ثِقَلِ الْجَبَّارِ فَوْقَهُنَّ)، فَلَوْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ مُنْكَرًا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُمْ لَمْ يَحْدِّثُوا بِهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ. اهـ

٣- إثبات الذراعين والصدر.

- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خلق الله عزَّ

وجلّ الملائكة من نور الذراعين والصدر.

رواه عبدالله بن الإمام أحمد عن أبيه في كتابه «السنة» (١٠٦٢)، ومن طريقه ابن منده في «الرد على الجهمية» (٧٨)، والقاضي أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (٢١٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣١٥).

وهو صحيح الإسناد، رواه بعض أهل السنة محتجين به في كتب «السنة»، و«الرد على الجهمية»، ولم يتعقبه أحد منهم بشيء من الطعن والرد.

ومن ذلك:

١ - قال غلام الخلال رحمه الله في كتابه «السنة» [ق/٣/ب] (باب في الذراعين والحق والصدر).

٢ - قال ابن المحب رحمه الله في «الصفات» (ق/٢٣٠/ب) (باب ما ذكّر في الساعد، والذراع، والباع، والصدر).

وقد ردّ بعضهم هذا الأثر بأن الصحابي عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، كان يحدث عن أهل الكتاب، ولعلّ هذا منها، فلا يجوز اعتقاده ولا القول به !!

قلت: وهذا القول لم أقف على من قال به من السلف الأوائل، بل كما تقدّم عنهم أنهم أوردوه في أبواب الرد على الجهمية معطلة الصفات.

وقد أطلت في الرد على من ردّ هذا الأثر أو طعن فيه في تحقيق كتاب «الرد على المبتدعة» (رقم/٥٥) لابن البناء رحمه الله.

قلت: وهناك أمثلة كثيرة لا مجال لذكرها هنا، والمقصود أن أهل السنة

يُعظمون ما ثبت عن صحابة رسول الله ﷺ من الأقوال والروايات في صفات الله تعالى، ويحتجّون بها في مُصنّفاتهم في الردّ على الجهمية والمعتلة، ومن نظر في كُتب السلف الأوائل: كـ «السنة» لعبدالله بن أحمد، و«الرد على الجهمية» للإمام أحمد، والذارمي، وابن منده، و«الإبانة» لابن بطة، وغيرهم وجد من الروايات الكثيرة عن الصحابة في الكلام عن صفات الله تعالى سواء من قولهم، أو من رواياتهم عن أهل الكتاب مما أذن الله تعالى بالرواية عنهم، والتحديث بأخبارهم.

وأما كثير من المتأخرين فما يكاد أحدهم يمرّ بتلك الآثار المروية عن الصحابة بالأسانيد الصحيحة إلّا وردّه بأنّه من قول صحابي !!

أو هذا مما تلقاه هذا الصحابي عن أهل الكتاب !!

فيقال لهم: إن ما أخبر به الصحابي من صفات الله تعالى فإن أهل السنة يعتبرونه من قبيل المرفوع؛ لأنّه لا مجال للاجتهاد الرأي فيه.

وأما إن كان مما نقله عن أهل الكتاب، فقد أذن فيه النبي ﷺ فقال: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج». [رواه البخاري (٣٤٦١)]

وكيف يظنّ به أنّه ينقل عن بني إسرائيل ما لا يجوز نقله وروايته في ذات الله تعالى ويسكت عن بيان بطلانه ونكاريته !! هذا لا يفعله من هو أدنى منزلة في العلم من هذا الصحابي الجليل الذي أخذ العلم عن النبي ﷺ؛ فيجب إحسان الظنّ به.

وانظر إلى كلام أهل العلم فيمن هو أقلّ قدرًا من الصحابة رضي الله عنهم:

- قال القاضي أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (٢/٤٧١) عن بعض

روايات محمد بن كعب القرظي عن أخبار بني إسرائيل:

(ولو كان موقوفاً على محمد بن كعب لم يضّر أيضاً؛ لأنّ محمد بن كعب من العلماء الثقات، روى عن ابن عباس، وعن جابر، وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، ولا يجوز أن يُظنّ به أن يروي في شرعنا ما هو باطل منسوخ، ويجب أن يحسن الظنّ فيه. اهـ

وانظر كذلك إلى ما قاله ابن تيمية رحمه الله في أثر كعب الأحبار رحمه الله السابق.

وانظر كذلك إلى دفاع الدارمي رحمه الله في كتابه [النقض على بشر المريسي] (ص ٣٦٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص فيمن اتهمه بأنّه يروي من كتب بني إسرائيل ولا يُميّز بينها وبين حديث النبي ﷺ.

ويقال كذلك: شرعنا وشرع من قبلنا في الصفات سواء؛ لأنّ صفات الله تعالى لا تختلف باختلاف الشرائع، فما ثبت في التوراة والإنجيل من صفات الله تعالى، فهو بلا شك ثابت عندنا؛ فإن هذا من باب الإخبار عن الله تعالى، وباب الإخبار لا يتبدّل ولا يتغيّر من شرع إلى شرع.

قال ابن تيمية رحمه الله في [مجموع الفتاوى] (١٣/٣٤٥):

وما نُقِلَ في ذلك عن بعض الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما نُقِلَ عن بعض التابعين؛ لأن احتمال أن يكون سَمِعَهُ من النبي ﷺ، أو من بعض من سَمِعَهُ منه أقوى؛ ولأنّ نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين، ومع جزم الصّاحِبِ فيما يقوله، فكيف يُقال: إنّه أخذَهُ عن أهل الكتاب، وقد نُهِوا عن تصديقهم. اهـ

فصل

التّحديث بأحاديث الصّفات ونشرها بين العامّة من غير حرج

درج أهل السّنة والأثر على التّحديث بأحاديث الصّفات وروايتها في مُصنّفاتهم، والتّحديث بها في مجالسهم الخاصّة والعامّة، ولم يتحرّجوا من ذلك، ولم يمنعوا منه.

وإنّما جاء إنكار روايتها وترك التّحديث بها من قبل الجهمية والمعتزلة وغيرهم من مُعطلّة الصّفات، أو من تأثّر بهم، وإن كان ليس على مذهبيهم، كما صنع الخطيب البغدادي في كتابه [الجامع لأخلاق الراوي] (١٣٥٤) فقال:

(ويتجنب المحدث في أماليه رواية ما لا تحتمله عقول العوامّ لما لا يؤمنّ عليهم فيه من دخول الخطأ والأوهام، وأن يشبهوا الله تعالى بخلقه، ويُلقّقوا به ما يستحيل في وصفه، وذلك نحو: أحاديث الصّفات التي ظاهرها يقتضي التّشبيه والتّجسيم!! وإنبات الجوارح والأعضاء!! للأزلي القديم، وإن كانت الأحاديث صحاحاً، ولها في التأويل طرق ووجوه!!؛ إلّا أن من حقّها أن لا تُروى إلّا لأهلها؛ خوفاً من أن يضلّ بها من جهل معانيها، فيحملها على ظاهرها، أو يستنكرها فيردها ويكذب روايتها ونقلتها!!) اهـ

قلت: فإن كان هذا يقولونه في أحاديث الصّفات فماذا سيَقولون في آيات الصّفات التي يقرؤها الصّبيان في الكتاتيب، والعوام من الرجال والنساء؟!!

ولهذا استنكر أهل السنة القول بترك التحديث بأحاديث الصفات وعابوه، وأنكروا على قائله، ومن ذلك:

١- قال سهل بن هارون: كان أول من خرّج هذه الأحاديث أحاديث الرؤية وجمعها من البصريين حماد بن سلمة، فقال له بعض إخوانه: يا أبا سلمة لقد سبقت إخوانك بجمع هذه الأحاديث في الوصف.

قال سمعت حماد بن سلمة يقول: إنه والله ما دعنتني نفسي إلى إخراج ذلك إلاّ أنا رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج. - يقولها ثلاثاً - وهو ينفض كفّه، فأحببت إحياءه وبثّه في العامة لئلا يطمع في خروجه أهل الأهواء. [إبطال التأويلات] (٢٠)

٢- قال يحيى بن أيوب رحمه الله: كنّا ذات يوم عند مروان بن معاوية الفزاري، فسأله رجل عن حديث الرؤية، فلم يُحدّثه به. قال: إن لم تُحدّثني به فأنت جهمي.

فقال مروان: أتقول لي جهمي!! وجهم مكث أربعين يوماً لا يعرف ربّه. [خلق أفعال العباد] (٧٢)

٣- قال الدّارمي رحمه الله في [الرد على الجهمية] (١٤٧): فهذه الأحاديث قد جاءت كلّها وأكثر منها في نزول الرّب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها؛ حتّى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله ﷺ برّدّها، وتشمروا لدفعها بجدر.

٤- عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس عن النبي ﷺ في قوله عزّ

وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: «تجلى عزّ وجلّ منه مثل هذا»، ووضع الإبهام قريباً من طرف الخنصر. قال: فساخ الجبل.

زاد الهيثم: قال حماد لثابت: لا تُحدّث بهذا الحديث.

فلكم في صدره، وقال له قولاً شديداً.

فقال - يعني ثابت -: أنس يُحدّثني به عن رسول الله ﷺ، ويقول: لا تُحدّث به. وفي لفظ: وأنا أكتمه.

[الرد على الجهمية لابن منده (٧٠)، و«الأحاديث المختارة» للضياء (٥٦/٥)]

٥- قال إبراهيم الحربي يوماً - وذكر حديث ليث عن مجاهد [يعني في إقعاد النبي ﷺ على العرش] فجعل يقول: هذا حدّث به عثمان بن أبي شيبة في المجلس على رؤوس الناس، فكم ترى كان في المجلس عشرين ألفاً؟! فترى لو أن إنساناً قام إلى عثمان فقال: لا تُحدّث بهذا الحديث، أو أظهر إنكاره، تراه كان يخرج من ثَمّ إلا وقد قُتِلَ؟ [«السنة» للخلال (٢٥٤)]

٦- جاء في «تاريخ الإسلام» (١٧/١٣) (إظهار المتوكل للسنة):

وفيها أظهر السنة المتوكل في مجلسه، وتحدّث بها، ووضع المحنة، ونهى عن القول بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الآفاق، واستقدم المحدثين إلى سامراء، وأجزل عطاياهم، وأكرمهم، وأمرهم أن يُحدّثوا بأحاديث الصفات والرؤية. وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في «جامع الرصافة» فاجتمع له نحو من ثلاثين ألف نفس.

وجلس أخوه عثمان بن أبي شيبة على منبر في مدينة المنصور، فاجتمع إليه أيضاً نحو من ثلاثين ألفاً.

وجلس مُصعب الزُّبيري وحدث، وتوفر دُعاء الخلق للمتوكل، وبالعوا في الشَّاء عليه، والتَّعظيم له، ونسوا ذنوبه، حتَّى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصِّديق يوم الرِّدة، وعمر بن عبد العزيز في ردِّ المظالم، والمتوكل في إحياء السُّنة وإماتة التَّجهم. اهـ

٧ - قال أحمد البرمكي: سألت أبا الحسن بن بشار عن حديث أم الطُّفيل، وحديث ابن عباس في الرُّؤية، فقال: صحيحان، فعارض رجل فقال: هذه الأحاديث لا تذكر في مثل هذا الوقت.

فقال ابن بشار: فيدْرُسُ الإسلام ١؟ مُنْكَرًا على من منع السُّؤال عن الخبرين. [طبقات الحنابلة (٢/٥٩)]

٨ - قال السَّمْعاني رحمه الله في [الانتصار لأصحاب الحديث] (ص ٨٦):
فإن قال قائل: إن الخوض في مسائل القدر والصفات، وشرط الإيمان يُورث: التَّقاطع، والتَّدابر، والاختلاف؛ فيجب طرحها، والإعراض عنها - على ما زعمتم -.

الجواب: إننا قلنا هذا في المسائل المُحدثة؛ فأما الإيمان في هذه المسائل فهو من شرط أصل الدين، ولا بُدَّ من قبوله على نحو ما ثبت فيه الثَّقَل عن رسول الله ﷺ وأصحابه.

ولا يجوز لنا الإعراض عن نقلها وروايتها وبيانها لتفرُّق النَّاس في ذلك، كما في أصل الإسلام والدُّعاء إلى التَّوحيد وإظهار الشَّهادتين.

وقد ظهر بما قدمنا وذكرنا - بحمد الله ومَنه - أن الطَّرِيق المستقيم مع أهل الحديث، وأن الحقَّ ما نقلوه ورَوَّوه. اهـ

٩ - قال ابن تيمية رحمه الله في [«التسعينية» (١/١٢١)] وما بعدها [عندما طُلب منه ألا يذكر أحاديث الصفات عند العوام. فقال:

إن قول القائل: نطلب منه أن لا يتعرَّض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام، ولا يكتب بها إلى البلاد، ولا في الفتاوى المتعلقة بها؛ يتضمن إبطال أعظم أصول الدِّين ودعائم التَّوحيد؛ فإن من أعظم آيات الصفات: آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن .. و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ التي هي تعدل ثلث القرآن.. ولا خلاف بين المسلمين في استحباب قراءة آيات في الصفات للصلاة الجهرية التي لم يسمعها العامي وغيره .. ومعلوم أن جميع من أرسل إليه الرسول من العرب كانوا قبل معرفة الرسالة أجهل من عامة المؤمنين اليوم، فهل كان النبي ﷺ ممنوعاً من تلاوة ذلك عليهم وتعليمهم إياه، أو مأموراً به، أو ليس هذا من أعظم الصَّد عن سبيل الله، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنَ آمَنَ﴾ الآية.

وقال (١/١٢٧): إن أعظم ما يحذرُه المنازع من آيات الصفات ما يزعم أن ظاهرها كُفْرٌ وتَجْسيمٌ كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿يَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].. فهل سمع أن أحداً ممن يؤمن بالله ورسوله منع أن يقرأ هذه وتُتلى على العامة؟ ..

وقال: إن كُتِبَ الصَّحاح والسُّنن هي المشتملة على أحاديث الصفات بل قد بُوِّبَ فيها أبواب مثل: كتاب التَّوحيد، والرَّد على الزنادقة والجهمية الذي هو آخر كتاب صحيح البخاري ..

وأيضاً فهذه الأحاديث لما حدث بها الصَّحابة والتَّابعون ومن اتبعهم من الخالفين هل كانوا يخفونها عن عموم المؤمنين ويتكاثمونها ويوصون بكتماها أم كانوا يُحَدِّثُون بها كما كانوا يُحَدِّثُونَ بسائر سُنَنِ رسول الله ﷺ، وإن نُقِلَ عن بعضهم أنه امتنع من رواية بعضها في بعض الأوقات، فهذا كما قد كان هذا يمتنع عن رواية بعض أحاديث في الفقه والأحكام، وبعض أحاديث القدر، والأسماء والأحكام، والوعيد، وغير ذلك في بعض الأوقات ليس ذلك عنده مخصوصاً بهذا الباب، وهذا كان يفعله بعضهم، ويُخالفه فيه غيره؛ وذلك لأنه قد يرى أن روايتها تضر بعض الناس في بعض الأوقات، ويرى الآخر أن ذلك لا يضر بل ينفع، فكان هذا مما قد يتنازعون فيه في بعض الأوقات.

فأما المنع من تبليغ عموم أحاديث الصفات لعموم الأمة فهذا ما ذهب إليه من يؤمن بالله واليوم الآخر، وإنما هذا ونحوه رأي الخارجين المارقين من شريعة الإسلام: كالرافضة، والجهمية، والخوارية، ونحوهم وهو عادة أهل الأهواء .. اهـ

قلت: سيأتي في (المبحث العاشر) (فصل في موقف المعطلة من أحاديث الصفات وتحريفهم لها، وكراحتهم لسماعها وروايتها).

فصل

فيمن روي عنه من السلف كراهية رواية بعض أحاديث الصفات

أشار شيخ الإسلام في كلامه السابق إلى أن بعض السلف امتنع من رواية بعض أحاديث الصفات في بعض الأوقات، وفي بعض أحاديث الصفات لا كلها، ولعله يشير إلى ما روي عن الإمام مالك رحمه الله من رواية ابن القاسم رحمه الله تعالى عنه.

- قال ابن القاسم: سألت مالكا عن حدث بالحديث الذي قالوا: «إن الله خلق آدم على صورته»، والحديث الذي جاء: «إن الله يكشف عن ساقه»، و«أنه يدخل يده في جهنم حتى يخرج من أَرَادَ»، فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يُحَدِّثَ بها أحد.

ف قيل له: إن ناساً من أهل العلم يتحدثون به.

فقال: من هو؟

قيل: ابن عجلان، عن أبي الزناد.

قال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالماً. وذكر أبا الزناد فقال: لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات. [«السير» (٨/١٠٣)]

قلت: وهذا من الإمام مالك رحمه الله يحتمل وجهين:

١- أنه لم تثبت عنده هذه الأحاديث، فأنكر التحديث بها، كما هو ظاهر هذه الرواية، وإلى ذلك أشار الذهبي في «السيرة».

٢- أنه خشي على العامة أن يفهموه على غير وجهه الصحيح المعروف عند أهل السنة، فرأى ترك التحديث ببعض أحاديث الصفات من باب سد الذريعة، كما قال البخاري في صحيحه: (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا)، وقال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

ثم أسند حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ ومعاذ رضي الله عنه ردّيه على الرجل، قال: يا معاذ بن جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك.. قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». قال: يا رسول الله أفلا أخبر به النَّاسَ فيستبشروا؟ قال: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا».

- وفي «ترتيب المدارك» (٢/ ٤٤): في رواية ابن القاسم وابن وهب:

وكره مالك أن يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه، ولا تبلغه عقولهم فينكروه، أو يضعوه في غير موضعه. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٣٧٤):

ولكن كان من العلماء في القرن الثالث من يكره روايته، ويروي بعضه، كما يكره رواية بعض الأحاديث لمن يخاف أن يفسد عقله، أو دينه، كما قال عبد الله بن مسعود: (مَا مِنْ رَجُلٍ يُحَدِّثُ قَوْمًا حَدِيثًا لَمْ تَبْلُغْهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ ..)

وإن كان مع ذلك لا يرون كتمان ما جاء به الرسول مطلقاً، بل لا بد أن يبلغوه حيث يصلح ذلك، ولهذا اتفقت الأمة على تبليغه وتصديقه. اهـ

- وقال في «جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية» (ص ١٥٨):
المقتصدون يقولون: إننا كره مالك ذلك لأن العلم الذي قد يكون فتنة للمستمع لا ينبغي للعالم أن يحدثه به؛ لأنه مضرّة بل فتنة، وأن يكون بلغه لمن لا يفتن به، لوجوب تبليغ العلم، ولثلاثيكم ما أنزل الله من البينات والهدى، وهذا كما قال عبد الله بن مسعود: مَا مِنْ رَجُلٍ يُحَدِّثُ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُمْ عُقُولُهُمْ؛ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ ...

ولذلك كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة إذا خشوا فتنة بعض المستمعين بسماع الحديث لم يحدثوه به، وهذا الأدب مما لا يتنازع فيه العلماء؛ فإن كثيراً من العلم يضر أكثر الخلق ولا ينتفعون به، فمخاطبتهم به مضرّة بلا منفعة.

ومن المعلوم أن فيما روي في هذا الحديث ما قد يفتن بعض الناس؛ إما بتكذيب الحق، وإما بتصديق الباطل، فيعتقد اعتقاداً فاسداً، أو يردّ اعتقاداً صحيحاً، أو يُوقع تباعضاً وتعادياً، وغير ذلك من الأمور المحرّمة المتعلقة بالأموال الخيرية، والأفعال الأمرية ..

وقال: وأنكر بعض الناس على مالك إنكاره لروايته، وقال: كيف يُنكر تبليغ حديث صحيح لرسول الله ﷺ، ولا يُنكر الكلام بالرأي المخالف لحديث رسول الله ﷺ؟ ..

قال: وقد حملت طائفة ثالثة نهي مالك لرواية هذا الحديث على العموم،

وقد روي عنهم أنه كره رواية أحاديث في هذا الباب، فجعلوا هذا قدوة في المنع من رواية أحاديث النبي ﷺ الصحيحة الثابتة عنه، ثم ينزلون ذلك على رأيهم؛ فمنهم من يجعل ذلك عامًا في رواية جميع أحاديث الصفات، كما يقوله من يقوله من المعتزلة ونحوهم من الجهمية من النهي عن رواية هذه الأحاديث والتكذيب بها..

قال: وأما أهل الاقتصاد العارفون بقدر مالك فيقولون: هو كان أعلم وأبين من أن ينهى عن رواية الحديث الصحيح عن النبي ﷺ نهياً عاماً، فإن هذا أمرٌ بكتمان ما أمر الله تعالى بتبليغه، ومخالفة لما أمر به النبي ﷺ من التبليغ، حيث دعا لصاحبه بالنصرة في مقالاتها وتأييدها عنه.

قالوا: والنهي إنما يكون لسبب خاص؛ كضعف حفظ المحدث، أو لدينه، أو اشتغال المحدث به عما وجب عليه، ونحو ذلك، كما كان عمرُ ينهى عن الحديث الذي لم يضبطه صاحبه، وينهى أن يشتغل الناس عما يؤمرون به في القرآن بما لا يجب عليهم من الحديث، ونحو ذلك.

فهذا الكلام فيما نُقلَ عن مالك في هذا، وأما بقية السلف الذين كانوا قبله وبعده نظراء فقد رَوَوْه كلَّه وبلغَّوه، وحمله أكابر العللاء بعضهم عن بعض. اهـ

قلت: بيّن ابن تيمية رحمه الله أن الجهمية والمعتزلة اتخذوا كلام الإمام مالك رحمه الله في هذا الحديث حجة لترك التحديث بجميع أحاديث الصفات ونشرها، والإمام مالك رحمه الله بريء من هذا القول وهذا المذهب، كيف لا وقد روى في مؤلفه كثيراً من أحاديث الصفات، ومنها:

١- حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». «الموطأ» (٧٢٤).

٢- حديث الجارية السوداء أن النبي ﷺ قال لها: «أين الله؟» فقالت: في السماء.

فَقَالَ: «مَنْ أَنَا؟».

فقالت: أنت رَسُولُ اللَّهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْتَقَهَا». «الموطأ» (٢٨٧٥).

٣- سعيد بن يسار ؓ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا، كَانَ إِنَّمَا يَضَعُهَا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ يُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهَ...». «الموطأ» (٣٦٥١).

٤- عن أبي هريرة ؓ قال النبي ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُقَاتِلُ؛ فَيُسْتَشْهِدُ». «الموطأ» (١٦٧٣).

قلت: وتتبع أحاديث الصفات التي رواها الإمام مالك رحمه الله في «الموطأ» يطول جدًّا، فهل يمكن أن يقال بعد هذا: إن الإمام مالك رحمه الله كان ينهى ويمنع أو يمتنع هو من رواية أحاديث الصفات ومن نشرها أمام العامة والخاصة.

المبحث الثالث:

إمارة صفات الله ﷻ كما جاءت بلا كيف

أجمع السلف الصالح أهل السنة والأثر على إثبات صفات الرب عز وجل وإمرارها كما جاءت، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأما قول السلف: (أمروها بلا كيف)، فمعناه كما قال ابن القيم رحمه الله في [اجتماع الجيوش] (ص ١٩٩): مراد السلف بقولهم: (بلا كيف)، هو نفي التأويل؛ فإنه التكيف الذي يزعمه أهل التأويل؛ فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكيف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه. وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكتف ما أثبتته الله لنفسه. اهـ

ونصوص السلف الصالح وأئمة أهل السنة والجماعة في الأمر بإمرار الصفات كما جاءت كثيرة جداً، ومنها:

١ - قال الأوزاعي (١٥٧هـ) رحمه الله: كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِهَا وَرَدَّتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا.

[رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٥). وقال ابن تيمية رحمه الله في «الحموية» (ص ٣٠٤): إسناده صحيح، وقال: إنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أمر جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والثاني لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك]

٢ - قال الوليد بن مسلم (١٩٥هـ) رحمه الله: سألت الأوزاعي (١٥٧هـ)، ومالك بن أنس (١٧٩هـ)، وسفيان الثوري (١٦١هـ)، والليث بن سعد (١٧٥هـ) عن هذه الأخبار التي فيها الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت.

[رواه الآجري في «الشرعة» (٧٢٠)، والدارقطني في «الصفات» (٦٧)]

- قال يحيى بن عمار (٤٤٢هـ) رحمه الله: وهؤلاء أئمة الأمصار: فمالك، وإمام أهل الحجاز، والثوري، وإمام أهل العراق، والأوزاعي، وإمام أهل الشام، والليث، وإمام أهل مصر والمغرب. [رواه ابن قدامة في «ذم التأويل» (٢٥)]

٣ - عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس (١٧٩هـ) رحمه الله يسأله عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]

قال: فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرخضاء - يعني العرق - وأطرق، وجعلنا ننظر ما يأمر به فيه، ثم سري عن مالك فقال: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً. ثم أمر به فأخرج.

[رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤)، والصابوني في «عقيدة أصحاب الحديث» (٢٤ و ٢٥ و ٢٦)]

٤ - قال وكيع (١٩٧هـ) رحمه الله: نُسَلِّمُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نَقُولُ كَيْفَ هَذَا؟ وَلَمْ يَأْتِ هَذَا؟ [رواه الدارقطني في «الصفات» (٦٢)]

٥ - قال يحيى بن معين (٢٣٣هـ) رحمه الله: شهدت زكريّا بن عدي يسأل وكيع بن الجراح (١٩٧هـ)، فقال: يا أبا سُفيان، هذه الأحاديث يعني مثل: «الكرسي موضع القدمين»، ونحو هذا.

فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد، وسُفيان الثوري، ومُسْعَرًا، يُحدّثون بهذه الأحاديث ولا يُفسّرون شيئًا. [رواه الدارقطني في «الصفات» (٥٨)]

٦ - قال سُفيان بن عُيينة (١٩٨هـ) رحمه الله: كُلُّ شَيْءٍ وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره، لا كيف، ولا مثل.

[رواه الدارقطني في «الصفات» (٦١)، واللالكائي (٧٣٦)].

٧ - قال أحمد بن نصر: سألت سُفيان بن عُيينة (١٩٨هـ) وأنا معه في منزله بعد العتمة، فجعلت أُلح عليه في المسألة. فقال: دعني أتَنَفَّسَ.

فقلت له: يا أبا محمد، إني أريد أن أسألك عن شيء. فقال: لا تسأل.

فقلت: لأبُدَّ من أن أسألك، إذا لم أسألك فمن أسأل؟!

فقال: هَات، سَل.

فقلت: كيف حديث عبدة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ يَحْمِلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ»،

وحديث: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ».

وحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَعْجَبُ - أَوْ يَضْحَكُ - مَنْ ذَكَرَهُ فِي الْأَسْوَاقِ».

فقال سُفيان: هي كما جاءت، نُقِرْ بها، ونُحَدِّثُ بها بلا كيف.

[رواه الدارقطني في «الصفات» (٦٣)، و«العلو» للذهبي (٣٨٤)]

٨ - روى يزيد بن هارون (٢٠٤هـ) رحمه الله في مجلسه حديث: إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه في الرؤية وقول النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ كَمَا تَنْظُرُونَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

فقال له رَجُلٌ في مجلسه: يا أبا خالد! ما معنى هذا الحديث؟!

فغضب، وحرّد، وقال: ما أشبهك بصبيغ، وأحوجك إلى مثل ما فُعلَ به، وملك! ومن يدري كيف هذا؟

ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث، أو يتكلّم فيه بشيء من تلقاء نفسه إلا من سَفِهَ نفسه، واستخف بدينه؟

إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فأتبعوه، ولا تبدعوا فيه، فإنكم إن تبعتموه، ولم تماروا فيه سلّمتم، وإن لم تفعلوا هلكتم.

[رواه الصابوني في «عقيدته» (٨٢)، والحرّد: الغضب. «الصحاح» (ص ٢٢٢)]

قلت: المراد بالمعنى الذي يسأل عنه الرَّجُل هو كيفية الصّفة، ولهذا غضب يزيد بن هارون رحمه الله وقال: وملك! ومن يدري كيف هذا؟

وأما معنى النَّظَر فظاهرٌ عند أهل السُّنّة لا يحتاج إلى سؤال. والله أعلم.

٩ - قال الحميدي (٢١٩هـ) رحمه الله في كتابه [«أصول السُّنّة» (٦)]: أصول السُّنّة عندنا - فذكر أشياء - ثُمَّ قال: وما نطق به القرآن والحديث مثل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ عَلَتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة/٦٤]، ومثل قوله: ﴿وَالسَّمَكُوتَ مَطْوِيَّتُ بَيْبِيزِهِ﴾ [الزمر/٦٧]، وما أشبهه من القرآن والحديث، لا نزيد فيه، ولا نُفسّره، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسُّنّة ونقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

أَسْتَوَى [طه: ٥]، ومن زعم غير هذا فهو مُبْطَلٌ جهميٌّ.

وقال: وذكر حديث: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ»، يعني: ببديده. فقال: لا نقول غير هذا على التَّسْلِيمِ والرَّضَا بما جاء به القرآن والحديث، لا نستوحش أن نقول كما قال القرآن والحديث. [رواه ابن منده في «التوحيد» (٩٠٣)]

١٠ - قال أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) رحمه الله، وذكر الباب الذي يروى في «الرؤية»، «والكرسي موضع القدمين»، «وَضَحَكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرِبَ غَيْرُهُ»، «وَأَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ؟»، «وَلِإِنَّ جَهَنَّمَ لَا تَمْلَأُ حَتَّى يَضَعَ رَبُّكَ قَدَمَهُ فِيهَا فَيَقُولَ: قَطُّ قَطُّ»، وأشبه هذه الأحاديث.

فقال: هذه الأحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها؛

ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف ضحك؟

قلنا: لا يُفسَّرُ هذا، ولا سمعنا أحداً يُفسِّره.

[رواه الدارقطني في «الصفات» (٥٧)]

قال ابن تيمية رحمه الله في «الحموية» (ص ٣٣٣-٣٣٥): رواه البيهقي وغيره بأسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن سلام.. أحد الأئمة الأربعة الذين هم: الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يُوصَفَ، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، وقد أخبر: أنه ما أدرك أحداً من العلماء يُفسِّرها. أي: تفسير الجهمية. اهـ

قلت: وكذلك يُحملُ نهي من تقدَّم من الأئمة عن تفسير نصوص الصفات، أي: بتفسيرات وتأويلات الجهمية، وسيأتي تصريحهم بأن لنصوص الصفات

معاني معلومة تُفسَّرُ بها النصوص على مُقتضى لغة العرب التي خاطبنا الله تعالى بها، لا أنها مجهولة المعنى كما تقوله المفوضة.

١١ - قال أبو طالب: سمعت أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) سُئِلَ عن حديث هشام بن عمار أنه قرأ عليه حديث: «تَجِيءُ الرَّحْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَعْلَقُ بِالرَّحْمَنِ» فقال: أخاف أن تكون قد كفرت.

فقال: هذا شامي، ما له ولهذا؟ قلت: ما تقول أنت؟

قال: يمضي الحديث على ما جاء.

[«إبطال التأويلات» (ص ٢١٨)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٢٠٩/٦)]

١٢ - وقال المروزي سألت: أبا عبد الله: «يَضَعُ قَدَمَهُ؟»

فقال: نُمرُّها كما جاءت. [«الإبانة» لابن بطة (٣/٣٣١)]

١٣ - قال إسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) رحمه الله: قال لي عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي تروونها في النزول، ما هي؟

قال: قلت: أيها الأمير! هذه الأحاديث جاءت مجيء الأحكام، الحلال والحرام، ونقلها العلماء، ولا يجوز أن تُردَّ، هي كما جاءت بلا كيف.

فقال عبد الله بن طاهر: صدقت، ما كنت أعرف وجوها حتى الآن.

وفي رواية: قال: رواها من روى الطهارة، والغسل، والصلاة، والأحكام، وذكر أشياء، فإن يكونوا مع هذه عدولاً، ولألف قد ارتفعت الأحكام، وبطل الشرع. فقال: شَفَاكَ اللهُ كما شفيتني -أو كما قال-. [«بيان تلبيس الجهمية» (٤٣٩/١)]

١٤ - عن أبي زرعة الرازي (٢٦٤هـ) رحمه الله أنه لما سُئِلَ عن تفسير

قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فقال: تفسيره كما يُقرأ، هو على العرش، وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله.

[مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٥٠)]

١٥ - قال أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (٢٨٧هـ) رحمه الله: جميع ما في كتابنا «كتاب السنة الكبير» الذي فيه الأبواب من الأخبار التي ذكرنا أنها تُوجب العلم؛ فنحن نؤمن بها لصحتها، وعدالة ناقلها، ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كيفيتها. اهـ

ثم ذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش.

[«العلو للعلي الغفار» للذهبي (١/ ١٩٧)]

١٦ - قال ابن خزيمة (٣١٠هـ) رحمه الله: إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف، قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل الصفات لله تعالى والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله ونبأه الرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجمود وترك التمثيل والتكييف.

[«ذم التأويل» لابن قدامة (٢٠)]

١٧ - قال ابن بطة العُكْبَرِي (٣٨٧هـ) رحمه الله في [«الإبانة» (٣/ ٢٤٤)]: كل ما جاء من هذه الأحاديث وصحت عن رسول الله ﷺ ففرض على المسلمين قبولها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها وصدق بها أن لا يضرب لها المقاييس، ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير؛ لكن ثمر على ما جاءت، ولا يُقال فيها لم؟ ولا كيف؟

إيماناً بها وتصديقاً، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهى بنا كما قال المصطفى نبينا ﷺ بلا معارضة، ولا تكذيب، ولا تنقيح، ولا تفتيش، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن وأصل الشريعة، فالتطعن عليهم والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث طعن في الدين، ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك فالله حسيبه، والمتقم منه بها هو أهله. اهـ

١٨ - قال التيمي الأصبهاني (٥٣٥هـ) رحمه الله في [«الحجة في بيان المحجة» (١/ ١٢٨)]: الكلام في صفات الله عز وجل ما جاء منها في كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فمذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين: إثباتها، وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها،

وقد نفاه قوم فأبطلوا ما أثبتته الله،

وذهب قوم من المثبتين إلى البحث عن التكييف،

والطريقة المحمودة: هي الطريقة المتوسطة بين الأمرين؛

وهذا لأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الذات

إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذاك إثبات الصفات،

ولما أثبتناها لأن التوقيف ورد بها، وعلى هذا مضى السلف. اهـ

فصل

نماذج من طريقة أهل السنة في إثبات الصفات وإمرارها كما جاءت

سأورد في هذا الفصل بعض كلام أهل السنة على نصوص الصفات حتى يقف السني على طريقة عملية لمنهج أهل السنة في إمرار الصفات كما جاءت، ويحذر طريقة أهل التأويل والتحريف، وطريقة أهل التفويض والتجهيل.

إثبات صفة الوجه لله تعالى

- قال الدرامي رحمه الله في «نقضه على المريسي» (ص ٤٢٠) وهو يتكلم على إثبات صفة الوجه لله تعالى ويبطل قول المعطلة في نفيتهم لهذه الصفة لأنها تستلزم عندهم الجوارح والأعضاء !!

قال رحمه الله: وأما تكريرك وتهويلك علينا بـ (الأعضاء)، و(الجوارح) وهذا ما يقوله مسلم، غير أنا نقول كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧﴾ [الرحمن]، أنه عني به الوجه الذي هو الوجه عند المؤمنين، لا الأعمال الصالحة، ولا القبلية، ولا ما حكيت من الخرافات كاللاعب بوجهه الله ﷻ، وكذلك قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] يقول: كل وجه هالك إلا وجه نفسه الذي هو أحسن الوجوه، وأجل الوجوه، وأنور الوجوه، الموصوف بذو الجلال والإكرام،

الذي لا يستحق هذه الصفة غير وجهه، وأن الوجه منه غير اليدين، واليدين منه غير الوجه، على رغم الزنادقة والجهمية. اهـ

إثبات صفة النزول لله تعالى

قال الدرامي رحمه الله في «الرد على الجهمية» (ص ٧٩-٨٠): فهذه الأحاديث قد جاءت كلها، وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها، والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله ﷺ برد، وتشمروا لدفعها بحد، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبهه منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم؛ ولكن ينزل بقدرته، ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل، وهم يسألون؛ لأنه القادر على ما يشاء أن يفعل كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله تعالى عليه: كيف يصنع؟! وكيف قدر؟! و

ولو قد آمنتتم باستواء الرب على عرشه، وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءاً إذ خلقها، كإيمان المصلين به، لقلنا لكم: ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشد عليه، ولا بأعجب من استوائه عليها إذ خلقها بدءاً، فكما قدر على الأولى منها كيف يشاء، فكذلك يقدر على الأخرى كيف يشاء.

وليس قول رسول الله ﷺ في نزوله بأعجب من قول الله تبارك وتعالى:

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]
ومن قوله: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]

فكما يقدر على هذا يقدر على ذاك..

قال: فقال قائل منهم: معنى إتيانه في ظُللٍ من الغمام، وبحيئه والملك صَفًّا صَفًّا كمعنى كذا وكذا.

قلت: هذا التكذيب بالآية صُراحًا، تلك معناها بَيِّنٌ للأمة لا اختلاف بيننا وبينكم وبين المسلمين في معناها المفهوم المعقول عند جميع المسلمين، فأما مجيئه يوم القيامة وإتيانه في ظُللٍ من الغمام والملائكة فلا اختلاف بين الأمة أنه إنما يأتيهم يومئذٍ كذلك لمحاسبتهم، وليصدق بين خلقه ويقررهم بأعمالهم، ويجزيهم بها، ولينصف المظلوم منهم من الظالم، لا يتولى ذلك أحد غيره تبارك اسمه، وتعالى جَدُّه، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بيوم الحساب. اهـ

إثبات صفة اليد واليمين لله تعالى

- قال الترمذي رحمه الله في «السنن» (٣/٥٠): .. عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، فَيُرِيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرِي أَحَدَكُمْ مَهْرَهُ».. الحديث.

قال الترمذي: .. وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه: هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كُلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا، قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا، ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟ هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمرؤها بلا كيف، وهكذا قول

أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه، وقد ذكر الله ﷻ في غير موضع من كتابه: اليد، والسمع، والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات، ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد هنا: القوة.

وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع. فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع، فهذا التشبيه. وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد، وسمع، وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. اهـ

إثبات صفة الرجل لله تعالى

- قال ابن خزيمة رحمه الله في «التوحيد» (١/٢٠٢): باب ذكر إثبات الرجل لله ﷻ، وإن رَغِمَتْ أُنُوفُ الْمُعْطَلَةِ الْجَهْمِيَةِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِصِفَاتِ خَالِقِنَا ﷻ التي أثبتتها لنفسه في مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وعلى لسان نبيه المصطفى، قال الله ﷻ يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله: ﴿ أَلَهُمْ أَنْجُلٌ يَمْسُحُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أَيْدٍ يَبْسُحُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آعُنٌ يُمِصُّونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]

فأعلمنا ربنا جَلَّ وعلا أن من لا رَجُلَ لَهُ، ولا يَدَ، ولا عَيْنَ، ولا سَمْعَ فهو كالأنعام بل هو أضل. فالمعطلة الجهمية: الذين هم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس: كالأنعام بل أضل.

إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى

١ - قال ابن خزيمة رحمه الله في [التوحيد] (١/١٠٦):

(باب إثبات السمع، والرؤية لله جلّ وعلا الذي هو كما وصف نفسه سميعٌ بصيرٌ، ومن كان معبوده غير سميع بصير؛ فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري الذي هو سميعٌ بصير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْزَيْنِ قَالُوا إِنَّهُ فَقِيرٌ وَفَحْنُ أَغْنِيَاكَ﴾، وقال ﷺ - في قصة المجادلة -: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْيَاسِرِ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي﴾ ..

قال أبو بكر: وتدبروا أيها العلماء، ومقتبسو العلم؛ مخاطبة خليل الرحمن أباه، وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد، تعقلوا بتوفيق خالقنا جلّ وعلا صحة مذهبنا، وبطلان مذهبنا من الجهمية المعطلة.

قال خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه لأبيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]

أفليس من المحال يا ذوى الحجا: أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ ويعبده بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من المواتان لا من الحيوان أيضًا، فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة عز ربنا وجلّ عن أن يكون غير سميع، ولا بصير .. اهـ

٢ - قال محمد بن علي الكرجي القصاب في «نكت القرآن» (٤/٤٥٧):

قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] حجة على الجهمية شديدة خانقة، ألا تراه كيف أخبر عن تعجيله

الأمشاج المبثلى سميعًا بصيرًا، ووصفة به بما وصف به نفسه من السمع والبصر، إذ يقول: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، فسوى بين الصفتين، ولم يخالف بين اللفظين، فأخبر ذلك؛ لأن الله سميعٌ بسمع، وبصيرٌ غير مخلوقين، يعرف صفتها من نفسه كهيئة ما هما له سبحانه، ولا نقول نحن بكيفيتها من غير أن نتجاهلها، فنزيل عنها الحقائق ونأخذ بها طريق المجازات، فندخل في التعطيل؛ لأن من نفى على الله جلّ جلاله حقائق وصفة، أو حقائق فعله فقد عطّله، ومن عطّله فقد كفر وحلّ دمه.

وإن لم يثبت وأخذ بالسميع والبصير إلى معنى: (الإدراك) خوفًا من التشبيه؛ لم يسلم من التشبيه، بل تعجّل الخسران في ترك لفظين نازلين في كتابه، ورد اسمين له سبحانه إلى اسم واحد، وهو: (المدرك).

وكيف يسلم من التشبيه؟! أليس للمخلوق أيضًا إدراك لأشياء، وإن لم يدرك جميعها، كما يدرك الله جميعها، كما له أن علمًا بأشياء، وإن لم يحس بجميعها، كما يعلم الله جميعها، فهو يسمى: (عالمًا)، و(عليًا)، ويسمى الله: (عالمًا)، و(عليًا)، فلا يكون تشبيهًا كما يظنه الجهمي المخدوع؛ لأن علم المخلوق الذي سمي به عالمًا و(عليًا) مستفاد متعلم، وعلمه سبحانه أزلي صفة من صفاته غير متعلم، ولا مستفاد، كذلك سمع المخلوق: مصنوع فإن، وبصره مثله يفتيها الله إذا شاء، ثم يعيدها إذا أحياء كلما ابتدأها بقدرته، وكذلك بصره.

وسمع الله وبصره كائنان أزليتان فيه بلا إحداث محدث، ولا صنع صانع، حقيقيان غير مجزيان، معروفان عند نفسه، معروف حقيقتها عنده، معروف عندنا حقيقتها بغير معنى الإدراك، بل بمعنى السمع والبصر، مسكوت عن كيفيتها، كهيئة ما هما عنده سبحانه. اهـ

إثبات صفة الكلام لله تعالى

- قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله (٤٨٩هـ) في «تفسيره» (١/٥٠٢): قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] إِنَّمَا كَلَّمَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ واسطة، ولا وحي، وفيه [الرد] على مَنْ قال: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كَلَامًا فِي الشَّجَرَةِ، فسمعَهُ مُوسَى؛ وذلك لأنه قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، قال الفراء، وتعلب: إِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي مَا تَوْصِلُ إِلَى الْإِنْسَانِ: كَلَامًا بِأَيِّ طَرِيقٍ وَصَلْ إِلَيْهِ؛ ولكن لا تحقِّقه بالمصدر، فإذا حُقِّقَ الْكَلَامُ بِالْمَصْدَرِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا حَقِيقَةُ الْكَلَامِ، وهذا كالإرادة، يُقال: أَرَادَ فُلَانٌ إِرَادَةً، فَيَكُونُ حَقِيقَةُ الْإِرَادَةِ، وَلَا يُقَالُ: أَرَادَ الْجِدَارُ أَنْ يَسْقُطَ إِرَادَةً، وَإِنَّمَا يُقَالُ: أَرَادَ الْجِدَارُ، مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ الْمَصْدَرِ؛ لِأَنَّهُ مَجَازٌ، فَلَمَّا حَقَّقَ اللَّهُ كَلَامَهُ مُوسَى بِالتَّكْلِيمِ، عُرِفَ أَنَّهُ حَقِيقَةُ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ واسطة، قال ثعلب: وهذا دليلٌ من قول الفراء أَنَّهُ مَا كَانَ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

فإن قال قائل: بَأَيِّ شَيْءٍ عَرَفَ مُوسَى أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ؟ قِيلَ: بتعريف الله تعالى إِيَّاهُ، وإنزال آية عرف موسى بتلك الآية أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تعالى، وهذا مذهب أهل السنة أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ حَقِيقَةً، بَلَا كَيْفَ، وقال وائل بن داود: معنى قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ أَي: مِرَازًا، كَلَامًا بَعْدَ كَلَامٍ. اهـ

إثبات صفة التعجب لله تعالى

- قال ابن بطه رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (٣/١٣١): (باب الإيمان بالتعجب)، وقالت الجهمية: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْجَبُ.

قال الله عز وجل: (بل عجبنا ويسخرون) هكذا قرأها ابن مسعود رضي الله عنه، وقيل لإبراهيم: إِنَّ شَرِيحًا قَرَأَهَا: (عجبت)، فقال: كان شريح مُعْجِبًا بِرَأْيِهِ،

عبدالله بن مسعود أعلم من شريح.

والتعجب على وجهين:

أحدهما: المحبة بتعظيم قَدْرِ الطَّاعَةِ، وَالسَّخَطُ بِتَعْظِيمِ قَدْرِ الذَّنْبِ.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَأْبٍ لَيْسَ لَهُ صَبُوءَةٌ أَيْ: أَنَّ اللَّهَ مُحِبٌّ لَهُ، رَاضٍ عَنْهُ، عَظِيمٌ قَدْرُهُ عِنْدَهُ.

والثاني: التعجب على معنى الاستنكار للشيء، وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لِأَنَّ الْمُتَعَجِّبَ مِنَ الشَّيْءِ عَلَى مَعْنَى الْاسْتِنْكَارِ هُوَ الْجَاهِلُ بِهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ؛ فَلَمَّا عَرَفَهُ وَرَأَاهُ اسْتَنْكَرَهُ، وَعَجِبَ مِنْهُ، وَجَلَّ اللَّهُ أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ.

وقد جاءت السنة عن النبي ﷺ بما دلَّ على التعجب الأول. اهـ

قلت: تتبع كلام أهل السنة في هذا الباب يطول جدًّا، وما ذكرته ها هنا كفاية لمن أراد الله تعالى هدايته.

ثم قارن - وفقك الله لاتباع السنة - بين هذه الأقوال من كلام أهل السنة في شرحهم لنصوص الصفات، وبين ما سأورده (ص ٣٨٦) من نماذج من أقوال أهل التأويل والتحريف في شروحاتهم لنصوص الصفات حتى تقف على الفرق الظاهر بين أهل الإثبات الذين أمروا بنصوص الصفات كما جاءت مع معرفة معانيها، وإثبات حقيقتها باللائقة بالله تعالى على طريقة السلف الصالح، وبين أهل التأويل والتحريف الذين خاضوا في إبطال حقيقتها وما دلَّت عليه من الصفات اللائقة بالله تعالى.

فصل

أهل السنة يَمرون الصفات كما جاءت مع إثبات حقيقة معناها التي خاطبنا الله تعالى بها

أهل السنة كما أمروا بإمرار نصوص صفات الله تعالى كما جاءت فإثباتهم:

١- يُثبتون ما دلّت عليها من المعاني التي خاطبنا الله تعالى بها.

٢- يُثبتون حقيقة صفات الله تعالى على ما يليق به، مع نفي العلم بكيفية الصفة.

فليس أمرهم بإمرار الصفات مجرداً عن إثبات ما دلّت عليه من المعاني كما يظنه أهل التجهيل من المفوضة والمعطلة كما سيأتي في الردّ عليهم.

قال ابن تيمية رحمه الله في [«الفتوى الحموية» (ص ٣١٠)]: فقولهم: (أمروها كما جاءت) يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإثباتها جاءات ألفاظاً دالة على معاني، فلو كانت دلالتها مُنتفية لكان الواجب أن يُقال: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مُراد، أو أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلّت عليه حقيقة، وحيث فلا تكون قد أُمرّت كما جاءت، ولا يُقال حيثئذ: (بلا كيف)، إذ نفي الكيفية عما ليس بثابت لغو من القول. اهـ

وقال أيضاً في [«مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٠٧-٣٠٨)]: فالسلف من الصحابة، والتابعين، وسائر الأئمة قد تكلّموا في جميع نصوص القرآن -

آيات الصفات وغيرها - وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن، وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم .. ولو كان معاني هذه الآيات منفيّاً، أو مسكوتاً عنه، لم يكن ربّانيّوا الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاماً فيه.

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم نقلوا عن النبي ﷺ أنهم كانوا يتعلّمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنّه امتنع من تفسير آية ... وكذلك الأئمة كانوا إذا سُئلوا عن شيء من ذلك لم ينفوا معناه؛ بل يُثبتون المعنى، وينفون الكيفية .. اهـ

وأقوال السلف كثيرة في تفسير نصوص الصفات، وبيان أوجه معانيها، وهي دامغة لكل مُفترٍ عليهم من مفوض ومُعطل، وكلامهم في باب الصفات كقول الإمام مالك رحمه الله لما سُئل عن معنى الاستواء، فقال: (الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

* ومما روي عنهم في بيان معاني نصوص الصفات، وأنها تُحمل على الكلام المعهود والمعروف من كلام العرب التي خاطبنا الله تعالى بها:

١ - عن عبدالله بن أبي الهذيل العنزي قال: قلت لعبدالله بن مسعود: أبلغك أن الله عز وجل يعجب بمن يذكره؟ فقال: لا، بل يضحك. [«الإبانة» لابن بطة (٣/ ١١١)].

٢ - قال مجاهد (١٠٣ هـ) رحمه الله في تفسير ﴿أَسْتَوَى﴾: علا على العرش.

[أخرجه البخاري عنه مُعلّقاً (٤/ ٣٨٧) (باب وكان عرشه على الماء)]

٣ - قال أبو العالية رحمه الله (٩٣ هـ) في تفسير ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾:

قال: ارتفع. [أخرجه البخاري مُعلّقاً (٣٨٧/٤)، وانظر: «العرش» للذهبي (٩)]

٤ - وكذا فسره الحسن البصري (١١٠ هـ) رحمه الله.

[انظر: «الأربعين» للذهبي (ص ٣٧)]

٥ - وفسّر مجاهد، وابن المبارك رحمهما الله تعالى الاستواء بالاستقرار.

[انظر: «مختصر الصواعق» (١٤٣/٢)، و«تفسير البغوي» (١٦٥/٢)، و«مجموع

الفتاوى» لابن تيمية (٥٩١/٥)]

٦ - عن وائل بن داود رحمه الله في قول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ قال: مُشَافَهَةٌ مِرَازًا. [«السنة» لعبدالله بن أحمد (٥٣٠)]

٧ - قول ربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومالك بن أنس رحمهما الله في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: كيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً.

[«اعتقاد أهل السنة» للالكاني (٦٦٤)]

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«الدرء» (٢٦٥/٦)] بعد ذكر قول ربيعة: هذا الكلام مروى عن مالك بن أنس صاحب ربيعة من وجوه مُتَعَدِّدة يقول في بعضها: (الاستواء معلوم)، وفي بعضها: (غير مجهول)، وفي بعضها: (استواؤه غير مجهول) فيثبت العلم بالاستواء، وينفي العلم بالكيفية.

وقال: قول ربيعة، ومالك: (الاستواء غير مجهول، وكيف غير معقول، والإيمان به واجب) موافق لقول الباين: (أمروها كما جاءت بلا كيف)، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه - على ما يليق بالله - لما قالوا: (الاستواء غير مجهول،

والكيف غير معقول)، ولما قالوا: (أمروها كما جاءت بلا كيف)، فإن الاستواء حيث لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حُرُوف المعجم. اهـ

٨ - قال سُفيان بن عُيينة (١٩٨ هـ) رحمه الله: هذه الأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الصفات، والتزول، والرؤية، حقُّ نُؤمن بها، ولا نُفسرها إلا ما فُسِّر لنا من فوق. [رواه ابن منده في «التوحيد» (٨٩٧)].

٩ - قال الترمذي (٢٧٩ هـ) رحمه الله في [«السنن» (٥١/٣)]: وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في غير موضعٍ من كتابه: اليَدَ، والسَّمْعَ، والبَصَرَ، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسَّر أهل العلم، وقالوا: إنَّ الله لم يخلق آدمَ بيده، وقالوا: إنَّ معنى اليد هاهنا: القُوَّة. اهـ

١٠ - قال عبيد الله بن محمد بن بطة (٣٨٧ هـ) رحمه الله في [«الإبانة الصغرى» (ص ٢١٣-٣١٨)]: ثُمَّ الإِيَّان، والقبول، والتصديق بكُلِّ ما روته العلماء، ونقله الثقات أهل الآثار عن رسول الله ﷺ، وتلقوها بالقبول، ولا تُردُّ بالمعارض، ولا يُقال: لم؟ وكيف؟ ولا تُحمَل على المعقول، ولا تُضرب لها المقاييس، ولا يُعمَل لها التفاسير؛ إلا ما فسَّره رسول الله ﷺ، أو رَجُلٌ من علماء الأُمَّة ممن قوله شفاء وحُجَّة، مثل: أحاديث الصفات، والرؤية. اهـ

وسياقي زيادة بيان في الرّد على المفوضة في (الباب الحادي عشر).

فصل

إثبات الصفات مع الإشارة إليها

بما هو محسوس معهود

ثبت في كثير من الأحاديث الصحيحة إثبات الصفة لله تعالى مع الإشارة إليها بما هو محسوس بين؛ وذلك لبيان إثبات حقيقة الصفة لله تعالى، لا من باب التشبيه والتمثيل تعالى الله عن ذلك، ولبيان أن كلام الله تعالى إنما هو بلسان عربي مبين.

فرسول الله ﷺ كان أعلم الناس بتفاصيل الأسماء والصفات وحقائقها، وكان أفصح الناس في التعبير عنها، وإيضاحها، وكشفها بكل طريق كما يفعله بإشارته وحاله من باب تحقيق الصفة لا من باب التشبيه والتمثيل.

[انظر: «مختصر الصواعق» (٤/ ١٤٢٠)]

* ومن أمثلة ما ثبت في هذا الباب:

١ - قال عبد الله بن أحمد رحمه الله في «المسند» (٣/ ١٢٥):

حدثني أبي رحمه الله: نا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذِ الْعَنْبَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَاتِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف/ ١٤٣]

قال: قال هكذا: يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ.

قال أبي: أَرَأَيْتَ مُعَاذًا، (وفي رواية غير مُعَاذٍ: قال حماد هكذا، ووضع الإبهام على مفصل الخنصر الأيمن).

فقال له حُمَيْدُ الطَّوِيلُ: مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟

قال: فَضَرَبَ صَدْرُهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ؟ وَمَا أَنْتَ يَا حُمَيْدُ؟ يُحَدِّثُنِي بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَقُولُ أَنْتَ: مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟!

حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَدَدْتُ أَنَّهُ حَبَسَهُ شَهْرَيْنِ. - يعني حُمَيْدَ -.

[رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٦٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٩١، ٤٩٠)، والحاكم (٢/ ٣٢٠-٣٢١) وصححه، ووافقه الذهبي، قال الخلال: هذا إسناد صحيح لا علة فيه. كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٥٤-٢٥٥)]

- قال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٣٣)]: ومعلوم أن الذي أصار الجبل إلى هذا الحال: ظهور هذا القدر من نور الذات له بلا واسطة بل بتجلي ربه سبحانه له. اهـ

٢ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبرٌ من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالشَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فيقول: أَنَا الْمَلِكُ.

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَزْرِيِّ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

[رواه البخاري (٤٨١١) و (٧٤١٤)، ومسلم (٧١٤٧)]

وفي رواية عند الترمذي (٣٢٤٠): إِذَا وَضَعَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى ذِهِ، وَالْأَرْضِ عَلَى ذِهِ، وَالْمَاءِ عَلَى ذِهِ، وَالْجِبَالِ عَلَى ذِهِ، وَسَائِرِ الْخَلْقِ عَلَى ذِهِ.

وَأَشَارَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ بِخَنْصَرِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ تَابَعَ حَتَّى بَلَغَ الْإِبْهَامَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

- قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله في [«السنن» (٤٧٣)]:

قال أبي رحمه الله: جعل يحيى بن سعيد القطان يُشير بأصابعه، وأراني أبي كيف جعل يُشير بأصبعه، يضع أصبعًا أصبعًا حتى أتى على آخرها. اهـ.

قلت: وسيأتي (ص ٤٢١) طعن الخطابي في هذا الحديث ورد أهل السنة عليه.

٣ - عن أبي هريرة ؓ قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] رأيتُ رسول الله ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَتِلْكَ عَلَى عَيْنِهِ.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: رأيتُ رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعه.

قال ابن يونس - أحد رجال سند الحديث - قال المقرئ: يعني: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ يعني: أَنَّ اللَّهَ سَمِعًا وَبَصَرًا. [رواه أبو داود (٤٧٢٨) بإسناد صحيح].

قال أبو داود رحمه الله: وهذا ردٌّ على الجهمية.

قلت: وردَّ على المفوضة الذين لا يُثبتون حقيقة صفات الله تعالى.

٤ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْرِ يَقُولُ: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدِهِ، وَقَبْضُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ

يَقْبِضُهَا وَيَسْطُهَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

قال: ويتميلُ رسول الله ﷺ عن يمينه وعن يساره، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمَنْرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي أَقُولُ: أَسَاقُطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

[رواه مسلم (٢١٤٨/٤ - ٢١٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٨٩)، وابن ماجه (١٩٨)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٧/٢٤)].

- قال ابن القيم رحمه الله: ولما أخبرهم رسول الله ﷺ جعل يقبض يديه ويسطها تحقيقًا للصفة لا تشبيهًا لها كما قرأ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ووضع يديه على عينيه وأذنيه تحقيقًا لصفة السمع والبصر، وأنها حقيقة لا مجاز. اهـ.

[«مختصر الصواعق» (٩٤٨/٣)]

٥ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، أتخاف علينا وقد آمنا بك، وصدقنا بما جئت به؟

فقال: «نعم، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقْلِبُهَا». وقال رسول الله ﷺ هكذا، وأشار بأصبعه.

[رواه الدارقطني في «الصفات» (٤٢)، ورواه ابن منده في «التوحيد» (٥١٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وصححه.

وفيه: ووصف سفيان الثوري بالسبابة والوسطى يحركها].

واعلم أن هذه الأحاديث والآثار ليس فيها تشبيه ولا تمثيل إلا لمن كان في قلبه زيغٌ ومرضٌ بسبب تأثره بعلم الكلام، وأهل الكلام، والنظر في كتبهم.

فصل

حكم اقتران إثبات الصفة لله تعالى
بالإشارة إليها بالفعل المحسوس

دلّت النصوص السابقة على جواز اقتران إثبات الصفة لله تعالى بالإشارة إليها بالفعل، وقد تلقى أهل السنة هذه النصوص بالقبول والاحتجاج بها على أهل البدع من معطلة الصفات، ويتنوا أن المراد منها إثبات حقيقة الصفة، وأنه ليس فيها تمثيل لصفات الله بصفات خلقه.

وعليه فلا محذور على من اتبع الحديث، وأشار إلى ما أشار إليه النبي ﷺ عند ذكر السمع والبصر، وغيرها مما ثبت به النص كما فعل ذلك السلف.

وأما ما روي من النهي عن ذلك عن بعض أئمة السنة فلا يثبت ذلك عنهم، وعلى فرض ثبوته فقد ثبتت عن النبي ﷺ الإشارة، ولنا فيه أسوة.

* وما روي عنه المنع من الإشارة إلى الصفة عند ذكرها:

١ - ما روي عن الإمام مالك (١٧٩هـ) رحمه الله.

- قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٤٥/٧): روى حرملة بن يحيى قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: سمعت مالك يقول: من وصف شيئاً من ذات الله، مثل قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعَى اللَّهُ مَعْلُوءٌ﴾ [المائدة: ٥٦]، وأشار بيده إلى عنقه.

ومثل قوله: ﴿وَهُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأشار إلى عينيه، أو

أذنه، أو شيئاً من بدنه قطع ذلك منه؛ لأنه شبه الله بنفسه.

ثم قال مالك: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي ﷺ قال:

«لَا يُضَحَّى بِأَرْبَعٍ مِنَ الضَّحَايَا» وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ، قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ، فكره البراء أن يصف رسول الله ﷺ إجلالاً له وهو مخلوق، فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء. اهـ

قلت: لم يثبت هذا عن مالك رحمه الله:

أ - فإن ابن عبد البر لم يذكره بإسناده المتصل عن الإمام مالك، بل ذكره بإسناد منقطع عن حرملة التميمي.

ب - وقد اختلف في حرملة: فمنهم من ضعفه، حتى قال فيه أبو حاتم رحمه الله: لا يحتج بحديثه، ومنهم من وثقه. والله أعلم.

٢ - ما روي عن الإمام أحمد (٢٤١هـ) رحمه الله.

- قال أبو نصر أحمد بن يعقوب بن زاذان: بلغني أن أحمد بن حنبل قرأ عليه رجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرُوا أَزْوَاجَ كُلِّ مَنَاجِدٍ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَكُوتِ مَطْوِيَةً يَبِينُونَ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، قال: ثم أومأ بيده.

فقال له أحمد: قطعها الله، قطعها الله، قطعها الله، ثم حرّد، وقام.

[رواه اللالكائي (٤٣٢/٣) (٧٣٩)، والقاضي أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (٤٣/١)، والحرّد: الغضب، كما في «الصحاح» (ص ٢٢٢)]

قلت: وهو أثر ضعيف لا يثبت عن الإمام أحمد رحمه الله؛ فمن رواه لم يذكره عنه بإسناد متصل عنه، وهو كذلك مخالف لما صح عنه رحمه الله من الإشارة كما في الحديثين المتقدمين في (ص ٩٤ و٩٦).

فصل

في تقسيم الصفات

المتبع لطريقة السلف الصالح في إثبات صفات الله تعالى يتبين له أنهم يُثبتون كُل ما ثبت بالكتاب والسنة، ويُمسكون عما سوى ذلك.

وأما أهل الكلام فإنهم لما خاضوا في باب الأسماء والصفات بعقولهم، وحكموها على نصوص الكتاب والسنة، فأثبتوا ما أثبتته العقل، ونَقَّوا ما نفاه العقل، وخاضوا فيها: بالتحريف، والتعطيل، احتاجوا إلى تقسيم صفات الله تعالى إلى أقسام كثيرة، تتماشى مع طريقتهم المحدثه في التعطيل، فخاضوا في تلك التقاسيم، واختلفوا واضطربوا فيها اضطراباً كبيراً؛ فمنهم من يُقسمها إلى: صفات نفسية، وصفات سلبية، وصفات معاني، وصفات معنوية.

ومنهم من يُقسمها إلى: صفات ذاتية، وصفات معنوية، وصفات فعلية.

ومنهم من يقسمها إلى: صفات خبرية، وصفات عقلية.

ثم هم مُختلفون في تعريف وضابط كُل قسم من هذه الأقسام حسب اختلافهم في الصفات، فتقسيم الجهمية للصفات يختلف عن تقسيم الأشاعرة، وتقسيم الأشاعرة يختلف عن تقسيم المعتزلة، وهكذا.

فأشغلوا أنفسهم وأشغلوا غيرهم بما لا يعود عليهم بكبير فائدة؛ إلا القليل والقال، والاختلاف والاضطراب.

ثم دخل هذا التقسيم على طوائف من متأخري أهل السنة، فاشتغلوا في ضبطه بما يوافق أصول أهل السنة !!

ومن أمثلة ذلك: ما يبذله بعضهم في إضاعة كثير من الأوقات في تقرير صفة الاستواء مثلاً هل هي من الصفات الذاتية، أم الفعلية؟ أم ذاتية فعلية؟ وهل هي من الصفات الخبرية، أم العقلية؟ وكذا في باقي الصفات كالكلام، والسمع، والغضب وغيرها مما يطول حولها النقاش وليس له كبير فائدة.

والمقصود هنا أن السلف الأوائل لم يتطرقوا لهذه المباحث والتقسيمات، وإنما يثبتون ما وردت به النصوص دون أن يفرقوا بين صفة وأخرى، ولا يقولون هذه صفة خبرية، وهذه صفة معنوية، وهذه كذا وهذه كذا.

ومن قال أن هذه التقاسيم منشؤها من أهل الكلام:

١ - قال ابن تيمية رحمه الله في [درء التعارض] (٢/٣٣٨): ومعلوم أن المشهور عند أهل الكلام من عامة الطوائف أنهم يقسمون الصفات إلى صفات فعلية وغير فعلية ..

- وقال في [الدرء] (٣/٣٢٩): وكذلك الذين فرّقوا بين الصفات الذاتية وبين المعنوية اللازمة للذات - من الكلائية وأتباعهم - يعود تفريقهم إلى وضع واصطلاح وتحكم واعتبارات ذهنية، لا إلى حقيقة ثابتة في الخارج؛ ولهذا يضطربون في الفرق بين الصفات الذاتية والمعنوية. اهـ

[وقد أطال ابن تيمية رحمه الله في مناقشتهم في الفروق بين تقسيمهم للصفات، انظر: «درء التعارض» (٣/٢٥)]

٢ - قال المقرئ رحمه الله في [«الخطط والآثار» (٣٥٦/٢)]: من أمعن النَّظْرَ في دواوين الحديث النبوي، ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم من أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عدتهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصفه الرب سبحانه به نفسه إلى أن قال: ولا فرَّق أحد منهم بين كونها صفة ذات، أو صفة فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من: العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والوجود، والعز، والعظمة، وساقوا الكلام سَوْقًا واحدًا، وهكذا أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض مع ذلك أحدهم إلى شيء من هذا، ورأوا بإجماعهم إجراء الصفات كما وردت .. اهـ

قلت: وهنا تنبيه على أمر وهو: أن بعض تلك التقاسيم للصفات لها حظ من الصحة والنظر؛ ولكن أحببت أن أذكر في هذا الفصل منشأ هذا التقسيم وأنه نشأ من أهل الكلام من معطلة الصفات وغيرهم، وأن السلف الأوائل لم يتكلموا فيه، ولا ذكروه في مصنفاتهم - حسب علمي - فأراحوا أنفسهم وغيرهم من الخوض والاختلاف في ضبطه، ولهذا لم أنطرق بذكره في هذا الكتاب. والله اعلم.

المبحث الرابع:

مَا ثَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ

١ - نُصوصُ الصفات الواردة اشتملت على النفي والإنبات.

كما وصف الله تعالى نفسه في كتابه، ووصفه نبيه ﷺ في سنته بصفات الكمال، فقد جاء كذلك في القرآن والسنة نفي صفات النقص، فالقرآن والسنة اشتملتا على باب النفي والإنبات.

ومن أمثلة الصفات المثبتة:

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] وغيرها من النصوص.

ومن أمثلة الصفات المنفية:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكَ أَلْطَفَتًا وَأَلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُؤْلُؤٍ﴾ [ق/٣٨]، وقال تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه/٥٢]

- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ..» الحديث [رواه مسلم (٣٦٤)].

- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس، فقال: «إن الله تعالى ليس بأعور؛ ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنب طافئة». [رواه البخاري (٧٤٠٧)]

وغيرها من الآيات والأحاديث التي فيها نفي صفات النقص عن الله.

٢- ضابط الصفات المنفية عن الله تعالى.

ضابط النفي عند أهل السنة والجماعة ما اجتمع فيه أمران:

١- نفي النقص.

٢- ونفي مماثلة غيره له في صفات الكمال.

[انظر: «منهاج السنة» (١٨٧/٢)]

أما المعطلة من الجهمية وغيرهم فضايط النفي عندهم هو: (التشبيه).

فنفوا جميع صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة بحجة أن في إثباتها تشبيه الله تعالى بخلقه !!

٣- طريقة القرآن والسنة في صفات الله تعالى:

الإجمال في النفي، والتفصيل في الإثبات.

فهذا هو المنهج الذي جاءت به الرسل، ودل عليه القرآن والسنة، وسار عليه السلف.. حيث آمنوا بأنه الله الواحد الأحد، خالق السموات والأرضين، المستوي على عرشه، بكل شيء عليم، عزيز حكيم، غفور رحيم، سميع بصير، يحب ويرضى، ويكره ويغضب ويسخط، كلّم موسى تكليمًا،

وخلق آدم بيده.. إلى غير ذلك من الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة.

وأما النفي والتنزيه؛ فإنه جاء على طريق الإجمال، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].. ونحوها من الآيات الدالة على نفي ما لا يليق بالله عز وجل، فنفي المماثلة مطلقًا، والمشابهة مطلقًا، والمساماة مطلقًا، ولم ينف المماثلة في شيء معين، كأن يقول: لا سمي له في علمه، أو في قدرته، أو في استوائه، أو لا مثل له في رضاه، ومحبه، ونحو ذلك.

وأما الجهمية والمعتلة فخالفوا؛ فأخبروا: بإثبات مجمل، ونفي مفصل.

[انظر: كتاب «النفي في باب الصفات» (ص ١٦٦)، و«درء التعارض» (١٦٣/٥)، و«الصواعق المرسلة» (١٣٦٩/٤)]

٤ - النفي المجرد عن الإثبات ليس فيه مدح.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«التدمرية» (٣/٣٥)]: ينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض؛ والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء؛ فضلًا عن أن يكون مدحًا، أو كمالًا، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال.

فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنًا لإثبات مدح؛ كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفي السنة والنوم: يتضمن كمال الحياة

والقيام؛ فهو مبين لكمال أنه الحي القيوم.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يُؤَدُّ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يكرثه ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتماها بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته...

وكذلك قوله: ﴿لَا تَذَرِكُهُ إِلَّا بَصَرٌ﴾ [الأنعام: ١٠٣] إننا نفى الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء، ولم ينف مجرد الرؤية؛ لأن المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح؛ إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً، وإنها المدح في كونه لا يحاط به وإن رُئي؛ كما أنه لا يحاط به وإن علم، فكما أنه إذا عُلِمَ لا يحاط به علماً؛ فكذلك إذا رُئي لا يحاط به رؤية، فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحاً وصفة كمال، وكان ذلك دليلاً على إثبات الرؤية لا على نفيها؛ لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

[وانظر: «الدرء» (١٧٦/٦)، و«الصواعق المرسلة» (٤/١٣٦٩)]

٥ - النفي توقيفي يحتاج إلى دليل كالإثبات.

وهذه من الأمور المهمة التي يجب التنبه لها، فإن السلف رحمهم الله تعالى كما لا يثبتون إلا ما ثبت بالشَّرع، فكذلك لا ينفون إلا ما نفاه الشَّرع، فليس عمدتهم في النفي: عدم ورود النص، كما يتوهمه بعضهم فينفي عن الله تعالى بعض الصفات التي لم ترد في الكتب والسُّنة بحجة عدم ورودها.

١- قال عبدالغني المقدسي (٦٠٠هـ) رحمه الله في [«الاقتصاد في الاعتقاد»

(ص ٢٢٢): «فمن السُّنة اللازمة السُّكوت عما لم يرد فيه نص عن الله ورسوله، أو يتفق المسلمون على إطلاقه، وترك التعرض له بنفي أو إثبات.

فكما لا يُثبت إلا بنص شرعي، كذلك لا يُنفي إلا بدليل سمعي.

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لما يرضيه لنا من القول والعمل والنية. اهـ

٢ - ابن قدامة (٦٢٠هـ) رحمه الله في [«ذم التأويل» (٨٩)]: «ثم معرفة نفي المحتملات يقف على ورود التوقيف به، فإن صفات الله تعالى لا تثبت ولا تُنفي إلا بالتوقيف. اهـ

٣- قال ابن تيمية رحمه الله في [«التدمرية» (٣/٣)]: «الأصل في هذا الباب [يعني: الصفات]: أن يوصف الله بها وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفياً وإثباتاً؛ فيثبت لله ما أثبتته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه. اهـ

- وقال في [«مجموع الفتاوى» (٤٣٠/١٦)]: «إنه لا يجوز الاكتفاء فيما يُنزّه الرب عنه على عدم ورود السَّمع والخبر به، فيقال: كُل ما ورد به الخبر أثبتناه، وما لم يرد به لم تُثبت بل ننفيه، وتكون عمدتنا في النفي على عدم الخبر. بل هذا غلط لوجهين:

أحدهما: أن عدم الخبر هو عدم دليل معين. والدليل لا ينعكس؛ فلا يلزم إذا لم يُخبر هو بالشيء أن يكون مُتتفياً في نفس الأمر، والله أساء سَمي بها نفسه، واستأثر بها في علم الغيب عنده. فكما لا يجوز الإثبات إلا بدليل لا يجوز النفي إلا بدليل؛ ولكن إذا لم يرد به الخبر، ولم يُعلم ثبوته: يُسكت عنه، فلا يُتكلّم في الله بلا علم.

الثاني: أن أشياء لم يرد الخبر بتنزيهه عنها، ولا بآته مُنزّه عنها؛ لكن دل

الخبر على اتصافه بنقائضها، فعلم انتفاؤها. فالأصل أنه مُنزَّه عن كُلِّ مَا يُناقض صفات كماله، وهذا مما دلَّ عليه السَّمْع والعقل.

وما لم يرد به الخبر: إن عُلِمَ انتفاؤه نفينا، وإلا سكتنا عنه، فلا تُثبت إلا بعلم، ولا ننفي إلا بعلم. اهـ

- وقال أيضًا في «الدرء» (٤٤/٥): بل الثاني عليه الدليل على نفي ما نفاه، كما على المثبت الدليل على ثبوت ما أثبتته، ومن ليس عنده دليل على النفي والإثبات فعليه أن لا ينفي ولا يثبت؛ فغاية ما عنده التوقف في نفي ذلك وإثباته. اهـ

- وقال في «بيان تليس الجهمية» (٣٣٥/١): قال ابن عقيل في «الكفاية»: فصلٌ عجيبٌ يخفى على كثير من الأصوليين؛ وذلك أنه لا يجوز الإغراق في الإثبات مجاوزة لما أثبتته الشَّرْع، ودلَّ عليه، كذلك لا يجوز الإغراق في النفي، ولا الإقدام على نفي شيء عن الله إلا بدليل؛ لأن النفي أيضًا لا يؤمن معه إزالة ما وجب له سبحانه، فالتنفي يحتاج إلى دليل كما أن الإثبات يحتاج إلى دليل، كما أن إثبات ما لا يجب له كفر، فنفي ما جوز عليه خطأ وفسق، ومثال ذلك: أن يغرق هؤلاء الخطباء والقصاص في نفي النقائص ثم يدرجون فيها ما وردت به السنن، ويقولون: ليس بفوق، ولا تحت، ولا يدرك، ولا يعلم، ولا يعرف، ولا، ولا .. قُربها ساقوا في نفهم نفي صفة وردت بها السنن.

قلت [ابن تيمية]: وهذا هو الصواب عند السلف والأئمة وجهات المسلمين أنه لا يجوز النفي إلا بدليل كالإثبات، فكيف ينفي بلا دليل ما دلَّ عليه دليل إما قطعي وإما ظاهري؟ بل كيف يقال ما لم يقم دليل قطعي على ثبوته من الصفات يجب نفيه أو يجب القطع بنفيه، ثم يقال في القطعي: إنه ليس بقطعي، فهذه المقدمات الفاسدة هي وسائل الجهل والتعطيل وتكذيب المرسلين. اهـ

المبحث الخامس:

الإخبار عن الله تعالى

توحيد الأسماء والصفات يتعلق به ثلاثة مباحث:

١- الأسماء.

٢- الصفات.

٣- الإخبار عن الله تعالى.

أجمع أهل السنة على أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا تُثبت إلا ما أثبتته الله تعالى لنفسه، أو أثبتته له نبيه صلى الله عليه وسلم، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: .. لا نتجاوز القرآن والسنة.

أما باب الإخبار عن الله فهو أوسع من باب الأسماء والصفات.

فقد أطلق الله تعالى على نفسه أفعالا في كتابه ك: (الصُّنْع)، و(الصَّبْغَة)، و(الفَعَال)، و(المُرِيد)، ونحوها.

قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]

وقال تعالى: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]

فما يُشتق من هذه الصفات: كالمريد من الإرادة، والمتكلم من الكلام،

والشَّائِي من المشيئة، والصَّانِع من الصَّنْع ... ونحو ذلك؛ لا يجوز إطلاقها في حقِّ الله تعالى لا اسمًا ولا وصفًا؛ ولكن يجوز الإخبار بها عن الله تعالى إذا كانت خالصة في الدلالة على ما يُمدح الله عزَّ وجلَّ به، دون الوصف والتسمية، فتقول مُخبرًا لا مُسميًا ولا واصفًا:

الله مُريدٌ للخير، وشَّائِي البرِّ، وتُكَلِّمُ بالحقِّ، ونحو ذلك مُقيَّدة.

أما إذا استعملت هذه الألفاظ في سياق المدح والثناء؛

فيجوزُ أن يُخبر ويُوصف الله تعالى بها، فتقول مُخبرًا وواصفًا:

الله موصوفٌ بأنَّه يُريد الخير واليسر، ويشاء البرِّ، ويتكلَّم الصدق، ونحو ذلك.

وتقول مُخبرًا: الله يُريد نفع العباد، ويشاء الخير، ويتكلَّم بالصدق.

- قال ابن القيم رحمه الله في «بدائع الفوائد» (١/٢٨٤):

ما يدخل في باب الإخبار أوسع مما يدخل في باب أسماؤه وصفاته:

ك (الشيء)، و (الموجود) و (القائم بنفسه)؛ فإن هذا يُخبر به عنه، ولا

يدخل في أسماؤه الحُسنى، ولا صفاته العُلَى.

وقال: إن ما يُطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفيٌّ، وما يُطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيًّا، ك (القديم)، و (الشيء) .. فهذا فصل الخطاب في مسألة أسماؤه هل هي توقيفية؟ أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السَّمْع. اهـ

- وقال أيضًا في «المدارج» (٣/٤١٥): ودخل في أسماؤه سبحانه (الواجد) دون (الموجد)؛ فإن (الموجد) صفة فعل، وهو مُعطي الوجود، ك

(المحيي) مُعطي الحياة، وهذا الفعل لم يجيء إطلاقه في أفعال الله في الكتاب ولا في السُّنة، فلا يعرف إطلاق: (أوجد الله كذا وكذا)؛ وإنَّما الذي جاء: (خَلَقَهُ، وَبَرَّاهُ، وَصَوَّرَهُ، وَأَعْطَاهُ خَلْقَهُ) ونحو ذلك، فلمَّا لم يكن يستعمل فعله لم يجيء اسم الفاعل منه في أسماؤه الحُسنى، فإن الفعل أوسع من الاسم.

ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالًا لم يتسمَّ منها بأسماء الفاعل، ك (أراد، وشاء، وأحدث) ولم يتسمَّ ب (المريد، والشَّائِي، والمحدث)، كما لم يتسمَّ نفسه ب (الصَّانِع)، و (الفاعل)، و (المتقن) وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتقَّ له من كُلِّ فعل اسمًا، وبلغ باسمائه زيادة على الألف؛ فسماه: (الماكر) و (المخادع) و (الفاتن)، و (الكائد)، ونحو ذلك.

وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛

فإنَّه يُخبر عنه بأنَّه: (شيء)، و (موجود)، و (مذكور)، و (معلوم)، و (مراد)، ولا يُسمَّى بذلك.

فأما (الواجد) فلم يجيء تسميته به إلَّا في حديث تعدُّد الأسماء الحُسنى، والصَّحيح: أنَّه ليس من كلام النبي ﷺ، ومعناه صحيح؛ فإنَّه ذو الوجود، والغنى، فهو أولى بأن يُسمَّى به من الموجود، ومن الموجد؛

أما (الموجود) فإنَّه مُنقسم إلى كَامِل وناقص، وخيرٌ وشرٌّ، وما كان مُستماه مُنقسمًا لم يدخل اسمه في الأسماء الحُسنى ك (الشيء) و (المعلوم)؛

ولذلك لم يتسمَّ ب (المريد)، ولا ب (المتكلِّم)، وإن كان له الإرادة والكلام لانقسام مُسمَّى (المريد) و (المتكلِّم).

وأما (الموجد) فقد سَمِيَ نفسه بأكمل أنواعه، وهو (الخالق، البارئ، المصور) فالموجد كـ (المحدث، والفاعل، والصانع)، وهذا مِنْ دِقِّيقِ فقهه الأسَاءِ الحُسْنِي، فتأملْه، وبالله التوفيق. اهـ

قلت: ويُشترط فيما يُخبر به عن الله تعالى ما يلي:

- قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٤٢/٦):

لا يكون باسمِ سَيِّءٍ؛ لكن قد يكون باسمِ حسنٍ،
أو باسمِ ليسِ سَيِّئٍ، وإن لم يُحكَمْ بِحُسْنِهِ. اهـ

- وقال أيضًا في [درء التعارض] (١/٢٩٧): قد يُفَرَّق بين اللَّفْظ الذي يُدْعَى به الرَّبِّ، فَإِنَّهُ لَا يُدْعَى إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وبين ما يُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ لِإثْبَاتِ حَقِّ أَوْ نَفْيِ بَاطِلٍ، وَإِذَا كُنَّا فِي بَابِ الْعِبَارَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْنَا أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ مُحَاطَبَتِهِ وَبَيْنِ الْإِخْبَارِ عَنْهُ، فَلِذَا خَاطَبْنَاهُ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَأَدَّبَ بِأَدَابِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ لِيُنْصِتَ لَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فَلَا نَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، يَا أَحْمَدُ، كَمَا يَدْعُو بَعْضُنَا بَعْضًا، بَلْ نَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ.

والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ أَنْتَ وَرَوَّادُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿قِيلَ يَنْبُؤُا أَهْبِطْ بِسْمِ اللَّهِ مِنَّا وَرَكَّبْتَ﴾ [هود: ٤٨].. ولما خاطبه ﷺ قال: ﴿يَتَأَيَّمُوا أَنِّي﴾ [التحریم: ١] ﴿يَتَأَيَّمُوا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١].. فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه.

وأما إذا كُنَّا في مقام الإخبار عنه قلنا: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد

أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَقُلْنَا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

فَتُخْبِرُ عَنْهُ بِاسْمِهِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْهُ ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]،

وقال: ﴿يُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح/ ٢٩]

.. فالفرق بين مقام (المخاطبة) ومقام (الإخبار): فرقٌ ثابتٌ بالشَّرْع والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يُدعى الله به من الأسماء الحسنی، وبين ما يُخبر به عنه عزَّ وجلَّ مما هو حقٌّ ثابت لإثبات ما يستحقُّه سبحانه من صفات الكمال، ونفي ما تنزه عنه عزَّ وجلَّ من العيوب والنقائص، فإنه الملك القدوس السلام سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علُوًّا كبيرًا.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَتَمُّ لِلْحَسَنِ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُنْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾
[الأعراف: ١٨٠] مع قوله: ﴿قُلْ أَتَى شَوْءٌ أَجْرَ شَهْدَةٍ قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾
[الأنعام: ١٩]، ولا يُقال في الدعاء: (يا شيء). اهـ

- وقال أيضًا في «مجموع الفتاوى» (٣٠١/٩): وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: (ليس هو بقديم)، و(لا موجود)، و(لا ذات قائمة بنفسها)، ونحو ذلك. فقيل في تحقيق الإثبات بل هو سُبْحَانَهُ (قَدِيمٌ)، (مَوْجُودٌ)، وهو (ذات قائمة بنفسها)، وقيل: (ليس بشيء)، فقيل: بل (هو شيء)، فهذا سَائِغٌ؛ وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدلّ على المدح، كقول القائل: (يا شيء) إذ كان هذا لفظًا يَعْمُ كُلَّ موجود، وكذلك لفظ: (ذات)، و(موجود)، ونحو ذلك؛ إلّا إذا سُمِّيَ بالموجود الذي يجده من طلبه، كقوله: ﴿وَجَدَ اللَّهُ﴾ [النور: ٣٩]، فهذا أَخَصُّ من الموجود الذي يَعْمُ الخالق والمخلوق.

* ما روي في السنة من باب الإخبار عن الله تعالى؛

١- الإخبار عن الله تعالى بأنه: (شخص).

دلت السنة على جواز إطلاق لفظ: (شخص) على الله تعالى من باب الإخبار. وقد بوب على ذلك أهل السنة في مصنفاتهم، ومن ذلك:

أ- قال البخاري رحمه الله في [«صحيحه» في (كتاب التوحيد)]: (٢٠ / باب: قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله ..» الحديث).

ب- ونحوه في «السنة» لابن أبي عاصم (٢ / ٣٦٤).

واستدلوا بحديث سعد بن عبادة رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ: «... ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله عز وجل ..».

[رواه البخاري (٧٤١٦) بلفظ: (لا أحد)، ورواه مسلم (٣٧٥٧)، واللفظ له].

- قال عبيد الله القواريري (٢٣٥هـ) رحمه الله: ليس حديث أشد على الجهمية من هذا الحديث قوله: «لا شخص أحب إليه العذر من الله عز وجل».

[رواه أحمد في «المسند» (٤ / ٢٤٨)].

٢- الإخبار عن الله تعالى بأنه: (شيء).

دل الكتاب والسنة على جواز إطلاق لفظ: (شيء) على الله تعالى، أو على صفة من صفاته، من باب الإخبار عنه.

وعلى ذلك بوب أهل السنة في مصنفاتهم.

- قال البخاري رحمه الله في [«صحيحه» في (كتاب التوحيد)، (٢١ / باب

﴿قُلْ أَتَىٰ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَيْئًا قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام / ١٩]، فسَمَّى الله نفسه شيئًا: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾،

وسمى النبي ﷺ القرآن شيئًا، وهو صفة من صفات الله، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص / ٨٨].

ثم ذكر بسنده (٧٤١٧) حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم لرجل: «أمعك من القرآن شيء؟»، قال: نعم، سورة كذا، وسورة كذا، لسور سَمَّاها.

* ما جاء عن السلف الصالح من باب الإخبار عن الله تعالى.

من أمثلة ذلك:

١- قول أهل السنة: الله فوق العرش (بذاته).

وقد نطق بهذا القول أئمة أهل السنة في إثبات استواء الله تعالى على عرشه لما قالت المعطلة: استواءه على عرشه من باب المجاز لا الحقيقة.

قال ابن القيم رحمه الله: إن الجهمية لما قالوا: إن الاستواء مجاز، صرح أهل السنة بأنه مُستَوٍ بذاته على عرشه. [«مختصر الصواعق» (٣ / ٩٠٢)]

- قال محمد بن عثمان بن أبي شيبة (٢٩٧هـ) رحمه الله في كتابه [«العرش» (ص ٢٧٦-٢٩٢)]: ذكرُوا أَنَّ الجهميَّة يقولون: ليس بين الله وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش، وأن يكون الله تعالى فوقه وفوق السموات، وقالوا: إن الله في كل مكان .. إلى أن قال:

توافرت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش فاستوى عليه (بذاته)، ثم خلق الأرض والسموات، فصار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش، فهو فوق السموات وفوق العرش (بذاته)، مُتَخَلِّصًا من خلقه،

(بائنًا منهم)، علمه في خلقه لا يخرجون من علمه. اهـ

ومن صرح بذلك من أهل السنة: عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠هـ)، وأبو محمد بن أبي زيد القيرواني شيخ المالكية (٣٨٦هـ)، ويحيى بن عمار السجزي (٤٤٢هـ)، وأبو عمر الطلمنكي (٤٢٩هـ)، وأبو نصر السجزي (٤٤٤هـ) في كتاب «الإبانة» له فإنه قال: وأئمتنا: كالثوري، ومالك، والحماديين، وابن عيينة، وابن المبارك، والفضيل، وأحمد، وإسحاق، متفقون على أن الله فوق العرش (بذاته)، وأن علمه بكل مكان. اهـ

وأبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (٤٨١هـ)، وأبو الحسن الكرجي (٥٣٢هـ)، وإسماعيل التيمي الأصبهاني (٥٣٥هـ)، وغيرهم كثير.

تنبيهان:

١ - قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله في «الرسائل والمسائل» (٣/٣٤٧): قال ابن أبي زيد القيرواني في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: أي (بذاته).

وقد أنكر عليه من لا علم له، ولا اطلاع على مذهب السلف والأئمة [المُتَقَدِّمِينَ] رضي الله عنهم أجمعين، وخبط في هذا المقام بما لا طائل تحته من فضول الكلام الدال على فساد القصد، وعدم رُسوخ الأفهام، فنعودُ بالله من معرة الجهل والأوهام، ونستجير به من مزلة الأقدام. اهـ

قلت: ومن أنكر لفظة (بذاته):

١ - ابن الجوزي (٥٩٧هـ).

فقد شنع على أهل السنة في إطلاقهم هذه اللفظة، فقال في كتابه الآثم «دفع شبه التشبيه بألف التنزيه» (ص ١٢): وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس، فقالوا: استوى على العرش (بذاته)، وهي زيادة لم تُنقل، إنما فهموها من إحساسهم، وهو أن المستوي على الشيء إنما استوى عليه. اهـ

٢ - ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

قال في «الفتح» (١/٥٠٨): وهو يتكلم عن حديث النّهي عن البُزاق جهة القبلة، قال: (وفيه الرّدُّ على مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ على العرشِ بذاتِهِ). اهـ

وقد تعقّبهُ الشَّيْخُ ابن باز رحمه الله بقوله: ليس في الحديث المذكور ردٌّ على من أثبت استواء الرَّبِّ سبحانه على العرشِ بذاتِهِ؛ لأنَّ النُّصوص من الآيات والأحاديث في إثبات استواء الرَّبِّ سبحانه على العرشِ بذاتِهِ مُحْكَمَةٌ قطعية واضحة لا تحتمل أدنى تأويل... اهـ

قلت: أما قول الدّهبيّ في «السير» (١٩/٦٠٧): قد ذكرنا أن لفظة: (بذاتِهِ) لا حاجة إليها، وهي تشغِبُ النفوسَ، وتركها أولى، والله أعلم!! اهـ

فتشغِبُ نفوس أهل البدع من المعطلة وغيرهم، ولا عبرة بهم.

٢ - الحَدِّ لَهِ تَعَالَى.

٣ - البينونة.

- قال عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) رحمه الله: نعرف ربنا عز وجل فوق سبع سموات، على العرش، بائنًا من خلقه (بحدِّ)، ولا نقول كما قالت الجهمية: هاهنا، وأشار بيده إلى الأرض.

[«السنة» لعبد الله بن أحمد (٢٠٢)، و«النقض» للدارمي (٣٣)]

- قال ابن تيمية رحمه الله في [بيان تلبس الجهمية] (٣/٤٩١):

ثبت عن أئمة السلف أنهم قالوا: (الله حد)، وأن ذلك لا يعلمه غيره، وأنه مبين لخلقه وفي ذلك لأهل السنة مصنفات. اهـ

وسبب ذكر أئمة السلف الصالح الحد لله تعالى:

- قال ابن تيمية في [بيان تلبس الجهمية] (١/٤٤٣): .. لما كان الجهمية يقولون ما مضمونه: إن الخالق لا يتميز عن الخلق، فيجحدون صفاته التي تتميز بها، ويجحدون قدره، حتى يقول المعتزلة - إذا عرفوا: أنه حي، عالم، قدير - قد عرفنا حقيقة وماهيته، ويقولون: إنه لا يباين غيره، بل إما أن يصفوه بصفة المعدم فيقولوا: لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا كذا، ولا كذا، أو يجعلوه حالاً في المخلوقات، أو وجود المخلوقات.

فبين ابن المبارك أن الرب سبحانه وتعالى على عرشه، مبين لخلقه، منفصل عنه، وذكر الحد؛ لأن الجهمية كانوا يقولون: ليس له حد، وما لا حد له لا يباين المخلوقات، ولا يكون فوق العالم، لأن ذلك مستلزم للحد.

فلما سألوا أمير المؤمنين في كل شيء عبد الله بن المبارك: بماذا نعرفه؟

قال: بأنه فوق سواهاته على عرشه، بائن من خلقه.

فذكروا لازم ذلك الذي تنفيه الجهمية، وينفهم له ينفون ملزومه الذي هو موجود فوق العرش، ومباينته للمخلوقات، فقالوا له: بحد؟ قال: بحد.

وهذا يفهمه كل من عرف ما بين قول المؤمنين أهل السنة والجماعة، وبين الجهمية الملاحدة من الفرق. اهـ

قلت: ومن أثبت البينونة والحد من أئمة أهل السنة وغيرهم:

ابن المبارك، والحميدي، وأحمد، وإسحاق، والكرماني، وعبد الله بن أحمد، والخلال، والدارمي، وابن بطة، وابن منده، وأبو إسحاق الأنصاري، وغيرهم ممن يطول ذكرهم هنا. وقد بينت ذلك في مقدمة «إثبات الحد لله ﷻ» للدشتي.

وقد أنكر أهل السنة على من أنكر البينونة والحد، ومن ذلك:

- روى ابن أبي حاتم رحمه الله أن هشام بن عبيد الله الرزازي القاضي صاحب محمد بن الحسن حبس رجلاً في التجهم، فتأب، فجسيء به إلى هشام ليمتحنه، فقال: الحمد لله على التوبة، أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ قال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه.

فقال: رُدَّوه إلى الحبس فإنه لم يتب. [بيان تلبس الجهمية] (١/٤٤٠)

- قال أبو إسحاق الأنصاري الهروي رحمه الله في [ذم الكلام] (٤/٤٠٢):

سألت يحيى بن عمار عن أبي حاتم بن حبان البستي، قلت: رأيته؟

قال: كيف لم أره ونحن أخرجنه من سجستان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا، فأنكر الحد لله فأخرجناه من سجستان. اهـ

قلت: وابن حبان البستي سار في كتابه «الصحيح» على تأويل جميع الصفات.

ومن أنكر الحد لله تعالى كذلك، وأنكر على أهل السنة إثباتهم له: الخطابي.

وقد تعقبه ابن تيمية رحمه الله في [بيان تلبس الجهمية] (١/٤٤٢): فقال: أهل الإثبات المنازعون للخطابي وذويه ينجبون عن هذا بوجوه:

أحدها: أن هذا الكلام الذي ذكره؛ إنما يتوجه لو قالوا: إن له صفة هي «الحد» كما توهمه هذا الراد عليهم؛ وهذا لم يقله أحد، ولا يقوله عاقل؛ فإن هذا

الكلام لا حقيقة له؛ إذ ليس في الصفات التي توصف بها شيء من الموصوفات - كما وصف: باليد، والعلم - صفة معينة يُقال لها: «الحدّ»، وإنّما الحدّ ما يميّز به الشيء عن غيره من صفته وقدره، كما هو المعروف في لفظ الحدّ في الموجودات .

قلت: أطال في الردّ عليه في هذه المسألة، وقد نقلته بتمامه في ذيل تحقيق كتاب: «إثبات الحدّ لله تعالى» للدّشتي رحمه الله (ص ٢٠٥-٢٤١).

تنبيه:

المتعين على السنّي ترك التّوسع في باب الإخبار، وأن يكون متّبعا لمن كان قبله من علماء أهل السنّة والأثر؛ فينطق بما نطقوا به، ويسكت عما سكّتوا عنه، أو تمّوا عن الخوض في الكلام فيه.

- قال البرهاري رحمه الله في [«شرح السنّة» (٨٦)]: واعلم أن النّاس لو وقفوا عند محدثات الأمور، ولم يجاوزوها بشيء، ولم يولدوا كلاما مما لم يجيء فيه أثر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أصحابه: لم تكن بدعة. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله [«درء التعارض» (١/٢٧١)]: والمقصود هنا أنّ الأئمة الكبار كانوا يمتنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملّة المشبهة، لما فيها من لبس الحقّ بالباطل، مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة، بخلاف الألفاظ المأثورة، والألفاظ التي يثبت معانيها، فإنّ ما كان مأثورا حصلت به الألفة، وما كان معروفا حصلت به المعرفة، كما يروى عن مالك رحمه الله أنّه قال: إذا قلّ العلم ظهر الجفاء، وإذا قلّت الآثار كثرت الأهواء.

فإذا لم يكن اللفظ منقولا، ولا معناه معقولا ظهر الجفاء والأهواء. اهـ

وسياقي زيادة بيان في المبحث (١٥) (الألفاظ المحدثّة التي يستخدمها أهل الكلام ويريدون منها: نفي حقيقة صفات الله تعالى).

المبحث السادس:

لا اختلاف بين السلف في مسائل الاعتقاد
ومنها: إثبات الصفات وإمرارها كما جاءت

نقل غير واحد من أهل العلم اتفاق السلف الصّالح على مسائل الاعتقاد، وأنّه لم يخالفهم فيها إلّا أهل الأهواء والبدع ممن اتبع غير سبيل المؤمنين. ومن ذلك:

١ - قال محمد بن إسحاق البخاري (٢٥٦هـ) رحمه الله: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم، أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة .. لقيتهم كرات قرنا بعد قرن .. أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة .. ثم ذكر أسماء أهل العلم الذين التقى بهم في تلك الأمصار، ثم قال: واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختصرا .. فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء: .. وذكر عقيدة أهل السنّة ومنها قوله: وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ الظَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ كَانَتِ الْآيَةُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

[رواه اللالكائي (١٧٢)]

٢ - قال أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم رحمهما الله: سألت أبي (٢٧٧هـ)، وأبا زرعة (٢٦٤هـ) عن مذاهب أهل السنّة في أصول الدّين،

وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك.

فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازاً، وعراقاً، وشاماً، ويمناً، فكان من مذهبهم .. وذكرنا اعتقاد أهل السنة في أكثر أبواب الاعتقاد، ومنها:

وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأنه تبارك وتعالى يرى في الآخرة .. ويسمعون كلامه كيف شاء، وكما شاء ... إلى آخر العقيدة. [رواه اللالكائي (٣٢١)]

٣ - قال محمد بن خفيف (٣٧١هـ) في كتابه الذي سماه: «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات» قال في آخر خطبته: فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولاً واحداً، وشرعاً ظاهراً، وهم الذين نقلوا عن الرسول الله ﷺ ذلك حتى قال: «عليكم بسنتي ..» وذكر الحديث. وحديث: «لعن الله من أحدث خدثاً».

قال: فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف - وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد، وأصول الدين من «الأسماء والصفات» كما اختلفوا في الفروع.

ولو كان منهم في ذلك اختلاف لُنُقِلَ إلينا كما نُقِلَ سائر الاختلاف، فاستقرَّ صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم؛ حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقرَّ صحة ذلك عند العلماء المعروفين؛ حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن؛ لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفراً. والله المنة. اهـ

[مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧١/٥)]

٤ - قال ابن بطه (٣٨٧هـ) رحمه الله في «الإبانة الكبرى» (١٠/٢): أهل الإثبات من أهل السنة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة بأن الإيان قول وعمل ونية، وبأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وجمعون على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، وعلى أن الله خالق الخير والشر ومقدرهما، وعلى أن الله يرى يوم القيامة، وعلى أن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان بقاء الله، وأن الله على عرشه بائن من خلقه، وعلمه محيط بالأشياء، وأن الله قديم لا بداية له ولا نهاية، ولا غاية، بصفاته التامة لم يزل عالماً، ناطقاً، سميعاً، بصيراً، حياً، خليفاً، قد علم ما يكون قبل أن يكون .. إلى أن قال: فهذا وأشباهه مما يطول شرحه لم يزل الناس منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا يجمعون عليه في شرق الأرض وغربها، وبرها وبحرها، وسهلها وجبلها، يرويه العلماء، رواة الآثار، وأصحاب الأخبار، ويعرفه الأدباء والعقلاء، ويجمع على الأقرار به الرجال، والنسوان والشيب والشبان والأحداث، والصبيان في الحاضرة والبادية، والعرب والعجم، لا يخالف ذلك ولا ينكره، ولا يشذ عن الإجماع مع الناس فيه إلا: رجُلٌ خبيث، زائغ، مُبتدع، محقور، مهجور، مدحور، يهجره العلماء، ويقطعه العقلاء، إن مرض لم يعودوه، وإن مات لم يشهدوه. اهـ

٥ - قال أبو المظفر السمعاني (٤٨٩هـ) رحمه الله في «الانتصار لأصحاب الحديث» ص ٤٥-٤٩: ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق: أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة .. قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم .. وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة .. يجرون فيه على طريقة لا يحدون عنها، ولا يميلون فيها .. لا ترى بينهم اختلافًا، ولا تفرقًا في شيء ما، وإن قلَّ. بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه

جاء من قلب واحد .. وهل على الحق دليل أبين من هذا؟ قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَقَ أَنْ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين، وشيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يُبدع بعضهم بعضاً، بل يرتقون إلى التكفير .. وكان السبب في انشقاق أهل الحديث: أنهم أخذوا الدين من: الكتاب، والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الانشقاق والاختلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من: المعقولات والآراء؛ فأورثهم الافتراق والاختلاف .. وهذا بين والحمد لله. اهـ

٦- قال ابن البناء الحنبلي (٤٧١هـ) رحمه الله في [المختار] (٦٦): وهو يتكلم عن اعتقاد أهل السنة: لا يختلفون في شيء من هذه الأصول، ومن فارقهم في شيء منها: نابذوه، وبأغضوه، وبدعوه، وهجره. اهـ

٧- قال ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) رحمه الله في [تحرير النظر في كتب الكلام] (ص ٣٦): فإن قال [يعني: المعارض]: تركتم تأويل الآيات والأخبار الواردة في الصفات، وادّعى أن السلف تأولوها وفسروها.

فقد أفك وافترى وجاء بالطامة الكبرى، فإنه لا خلاف في أن مذهب السلف الإقرار والتسليم، وترك التعرض للتأويل والتمثيل، ثم إن الأصل عدم تأويلهم، فمن ادّعى أنهم تأولوها فليأت ببرهان على قوله: وهذا لا سبيل إلى معرفته إلا بالنقل والرواية، فليقل لنا ذلك عن رسول الله ﷺ، أو عن صحابته، أو عن أحد من التابعين .. ثم المدّعي لذلك من أهل الكلام، وهم أجهل الناس بالآثار .. وأتركهم للنقل، فمن أين لهم علم بهذه، ومن نقل منهم شيئاً لم يقبل

نقله .. وإنما لهم الوضع، والكذب، وزور الكلام ..

قلت: وقوله: (وترك التعرض لتفسيرها) أي بتفسيرات الجهمية المعطلة لنصوص الصفات، كما تقدم بيانه.

٨- قال ابن تيمية (٧٢٨هـ) رحمه الله في [الفتاوى] (٦/ ٣٩٤):

وأما الذي أقوله الآن وأكتبه - وإن كنت لم أكتبه فيما تقدم من أجوبتي، وإنما أقوله في كثير من المجالس: إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها.

وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما روه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار، والصغار، أكثر من مائة تفسير فلم أجد - إلى ساعتها هذه - عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات، أو أحاديث الصفات، بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف؛ بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيتته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصى إلا الله ... الخ

- وقال أيضاً في [مجموع الفتاوى] (٦/ ١٥): ولهذا لما اجتمعنا في المجلس المعقود، وكنت قد قلت: أمهلت كل من خالفني ثلاث سنين إن جاء بحرف واحد عن السلف يخالف شيئاً مما ذكرته، كانت له الحجة، وفعلت وفعلت، وجعل المعارضون يفتشون الكتب، فظفروا بما ذكره البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] فإنه ذكر عن مجاهد، والشافعي، أن المراد: قبله الله.

فقال أحد كبرائهم في المجلس الثاني: قد أحضرت نقلاً عن السلف

بالتأويل. فوقع في قلبي ما أعدت، فقلت: لعلك قد ذكرت ما روى في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

قال: نعم. قلت: المراد بها قبلة الله.

فقال: قد تأولها مجاهد والشافعي، وهما من السلف.. الخ

قلت: أطال ابن تيمية رحمه الله في الجواب عن هذا الشبهة بما ملخصه: أن هذه الآية ليست من آيات الصفات، ثم قرر ذلك بالبراهين الدامغة على كل مبتدع ومؤول حتى لم يجدوا الكلامه جواباً.

[وانظر: «جواب الاعتراضات المصرية» (ص ١٠٧-١٠٩)]

٩ - قال ابن القيم (٧٥١هـ) رحمه الله في [«إعلام الموقعين» (١/٨٣)]:

أهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان، وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام...

ولكن - بحمد الله - لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا شيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالا.. ولم يقل أحد منهم: يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم.. وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عِصِينَ، وأقروا ببعضها، وأنكروا بعضها من غير فرقان مُبين، مع أن اللازم لهم فيها أنكروه كاللازم فيها أقرؤا به

وأثبتوه. اهـ [وانظر: «الصواعق المرسلة» (١/٢١٠)]

تنبيه:

يستدل بعضهم على وقوع الاختلاف في مسائل الاعتقاد؛ ببعض المسائل الفرعية الاعتقادية؛ كاختلاف بعض أصحاب النبي ﷺ في رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل في الدنيا، فمنهم من أثبتها، ومنهم من نفاها.

وكالاختلاف الذي حدث بين طوائف من أهل السنة في مسألة خلوص العرش بعد إثبات حقيقة نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا.

وغير هذه من المسائل الفرعية المندرجة تحت الأصول العامة الكبيرة، وهي: إثبات رؤية الله في الآخرة، وإثبات استواء الله تعالى على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر.

- قال الإمام أحمد رحمه الله: في رؤية الدنيا: قد اختلفوا فيها، وأما رؤية الآخرة فلم يختلف فيها إلا هؤلاء الجهمية.

[«السنة» للخلال كما في «بيان تلبس الجهمية» (٧/١٧١)]

- وقال ابن خزيمة (٣١١هـ) رحمه الله في [«التوحيد» (٢/٥٤٨)]:

باب ذكر أخبار رويت عن عائشة رضي الله عنها في إنكار رؤية النبي ﷺ قبل نزول المنية بالنبي ﷺ، إذ أهل قبلتنا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا لم يختلفوا ولم يشكوا ولم يرتابوا: أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عياناً، وإنما اختلف العلماء: هل رأى النبي ﷺ خالقه عز وجل قبل نزول المنية بالنبي ﷺ؟ لا أنهم قد اختلفوا في رؤية المؤمنين خالقهم يوم القيامة، ففهموا المسألتين، لا

تغالطوا فتصدوا عن سواء السبيل. اهـ

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [«بيان تلبيس الجهمية» (١٥٦/٧)] وهو يتكلم عن مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لرَبِّه عزَّ وجلَّ: تنازع السلف في هذه المسألة، ولم يتنازعوا في رؤية الله تعالى في الآخرة. اهـ
[وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» (١٨٧/٧)، و«اجتماع الجيوش» (ص ١١)]

قلت: وكذا يُقال في المسائل الأخرى التي يستدل بها بعضهم على اختلاف السلف في المسائل الاعتقادية: إن هذه المسائل التي وقع الخلاف بينهم فيها تعتبر مسائل فرعية، وهي مُتفرعة عن أصول المسائل الكبرى، ولم يكن السلف يُعاملون المخالف فيها مُعاملة المخالف في مسائل الأصول المستفيضة؛ كإثبات الرؤية، والعلو، والاستواء التي دلَّ عليها الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة.

- قال ابن تيمية رحمه الله [«مجموع الفتاوى» (١٧٢/٢٤)]: وكانوا - يعني السلف - يتناظرون في المسألة مُناظرة مُشاورة ومُناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة، وأخوة الدين؛
نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يُعذر فيه، فهذا يُعامل بما يُعامل به أهل البدع. اهـ
ثم ذكر خلاف الصحابة في رؤية النبي ﷺ لرَبِّه، ومسألة سماع الأموات لدُعاء الأحياء، والإسراء والمعراج، ونحو ذلك.

المبحث السابع:

لا اجتهد في مسائل الاعتقاد

كما أجمع أهل السنة على أنه لا خلاف في مسائل الاعتقاد كما تقدم، فقد أجمعوا كذلك على أنه لا اجتهد فيها، وأنه لا مجال للرأي وإعمال العقل في المسائل الاعتقادية التي أجمع عليها السلف الصالح، وأنه لا يسع المسلم فيها إلا التسليم والاتباع لهم، وأنه من لم يسعه ما وسعهم فلا وسع الله عليه كما قال الأوزاعي رحمه الله (١٥٧هـ): اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقُل بما قالوا، وكُف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم. [رواه اللالكائي (٣١٥)].

واعلم أن من الأقوال المردولة المخدولة:

القول بالاجتهاد في مسائل الاعتقاد، وأن المجتهد فيها على خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة مغفور له، ولم يقتصر على ذلك حتى جعلوه مأجوراً أجزاً واحداً على اجتهاده ذاك الذي خالف به إجماع أهل السنة !!

وإذا فُتح باب الاجتهاد في مسائل الاعتقاد:

فلا تكاد تجد مُبتدعاً على وجه الأرض؛

لأن الكلُّ مُجتهد، والكلُّ يريد الحقَّ والأجر.

فمن اجتهد في مسألة العلو مثلاً وأداه اجتهاده إلى القول بنفي العلو، فلا

يُسمى مُبتدعاً على قولهم بل مُجتهداً مغفوراً له، بل ومأجوراً على اجتهاده هذا الذي نفى به علو الله تعالى على خلقه !!

ولا يخفى فساد هذا القول، ومخالفته لإجماع أهل السنة؛ لأن حقيقة تعطيل باب الولاء والبراء، والأسماء والأحكام، والرد على المخالف، فليس هناك مُبتدع بل ولا كافر؛ لأن الكل مُجتهد مأجور كما زعموا !!

فأئمة الجهمية، والمعتزلة، والخوارج؛ كالجهم بن صفوان، والجعد بن درهم، وعمرو بن عبيد، ومعبد الجهنّي، والكرابيسي، وابن الثلجي، وغيلان القدري، والحسن بن صالح وغيرهم ممن يطول ذكرهم ممن صرح أهل السنة بتكفيرهم وتبديعهم: كلهم كانوا مُجتهدين مأجورين !!

هذا لازم قولهم، وليت الأمر اقتصر على إلزامهم بذلك لقلنا لازم المذهب ليس يلزم!

ولكن الأمر تعدى عند بعضهم فصّح باجتهادهم !! وأن لهم أجراً على ذلك الاجتهاد، فلا تعجب !! وسل ربك العافية.

فهذا جمال الدين القاسمي في كتابه «تاريخ الجهمية والمعتزلة» يصرّح بأن إمام الجهمية: (الجهم بن صفوان !!) الذي أجمع السلف على كفره وضلاله، صرح بأنه كان مُجتهداً في مسائل الصفات !! فقال (ص ١٧):

(وجهه كان داعية للكتاب والسنة !! ناقماً على من انحرف عنها !! مُجتهداً في أبواب مسائل الصفات ..) !! اهـ

وهل تعلم فيما اجتهد فيه هذا الهالك ؟!

قد ذكر القاسمي الأشياء التي اجتهد فيها، فقال: (وخلاصة مذهبه: هو

تأويل الصفات !! والجنوح إلى تنزيه البحث، وبه نفى أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته !! وأن يكون مرئياً في الآخرة !! وأن يتكلم حقيقة !! وأثبت أن القرآن مخلوق !! هذا أشهر مسائل جهم التي يقال لها: مقالة الجهمية، وله من الآراء سوى ذلك كالقول بنفي جهة العلو ..) !!

قلت: ومع ما وقع فيه الجهم بن صفوان من هذه الكفريات يقول عنه القاسمي: (كان داعياً إلى الكتاب والسنة مُجتهداً) !!

فهل سمعت باجتهاد كهذا الاجتهاد !!؟

ولم يقتصر الأمر عنده على القول بأن الجهم كان مُجتهداً !! بل تعدى إلى القول باجتهاد الجهمية والمعتزلة وجميع أهل البدع في مسائل الاعتقاد !! فقد عقد القاسمي فصلاً في كتابه «تاريخ الجهمية والمعتزلة» فقال (ص ٧٧): (بيان أن الجهمية والمعتزلة لهم ما للمُجتهدين) !!

قال: (كما أن اسم الاجتهاد يتناول في عرفهم فروع الفقه، فكذلك مسائل الكلام !! ..)، إلى أن قال: (فكانوا لذلك مُجتهدين، وفي اجتهادهم مأجورين !!، وإن كانوا في القرب من الحق مُتفاوتين).

قلت: سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولما رأى القاسمي هذا القول لا يتوافق مع موقف السلف الصالح من أهل البدع، وهجرهم، ووصفهم بالبدعة والضلال؛ ذهب إلى إطلاق تسمية جديدة لم يسبق إليها على المبتدعة تتوافق مع القول باجتهادهم في مسائل الاعتقاد؛ فسماهم بـ (المبتدعين) !! وعلل ذلك بقوله كما في كتابه «الجرح والتعديل» (ص ٣):

(لأنني لا أرى أنهم تعمّدوا البدعة؛ لأنهم مجتهدون !!، يبحثون عن الحق، فلو أخطأه بعد بذل الجهد كانوا مأجورين غير مَلُومين !!، فلا يليق تسميتهم: (مُبتدعة)، بل: (مُبدعة). اهـ

قلتُ: هكذا الحدث والبدعة تحبُرُ إلى الإحداث في الدين، وإلى إحداث أقوال لم يقلها السلف الصالح.

واعلم أن كتاب «تاريخ الجهمية والمعتزلة» للقاسمي مَلِيءٌ بالبلايا والمخالفات التي تنقض أصول أهل السنة في الولاء والبراء، والأسماء والأحكام، والرّد على المخالف، وفيه كثير من الافتراءات على السلف الصالح وموقفهم من أهل البدع في عصرهم.

وفيه دفاعه المريب على أئمة الجهمية؛ كالجهم، والجعد بن درهم، وطعنه في خالد القسري الذي غاضه منه قتله للجعد يوم الأضحى.

وفيه الرّد على السلف الصالح فيما اتفقوا عليه من دَمِ المبتدعة وهجرهم، ووَصَفَهُمْ في معاملتهم للمُبتدعة: بالغُلُوّ والفتون. وغيرها من البلايا !!

ومن العجيب أن يشيد بهذا الكتاب ويثني عليه: (محمد رشيد رضا) !!، بل قام بنشره في «مجلته المنار» !! فيقول مادحاً له: (إن رسالة «تاريخ الجهمية والمعتزلة» لم يكتب أحدٌ في هذا العصر كتابة أعدل منها في التآليف بين فريق المسلمين الكُبرى - وهم أهل السنة الأثرية، والأشاعرة، والمعتزلة، والشيعة، والخوارج - !! اهـ

ثم طُبِعَ هذا الكتاب مُفرداً أكثر من مرّة في «مؤسسة الرسالة» !! وأصبح هذا الكتاب عمدة كثير من المتأخرين ممن اشتغل بالتحقيق

والتخريج في الدِّفاع عن أئمة الجهمية والمعتزلة.

فلا تكاد تمر بهم مُناسبة فيها دَمُ السلف الصالح للفرق الضّالة أو لأئمتها إلّا وتعقبوه بالرّد والطّعن، ثم أحالوا القارئ إلى كتاب القاسمي «تاريخ الجهمية والمعتزلة».

ومن أمثلة ذلك ما علّق به شُعيب الأرنؤوط على قول البخاري رحمه الله في تكفيره للجهمية: (نظرت في كلام اليهود، والنصارى، والمجوس، فما رأيت قوماً أضلّ في كُفْرِهِمْ من الجهمية، وإنّي لأستجمل مَنْ لا يُكفرهم إلّا مَنْ لا يعرف كُفْرَهُمْ، وقال: ما أبالي، صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى. انتهى قول البخاري رحمه الله، وهو الخبير بهم وبحالهم.

فما رَضِي شُعيب بهذا القول وغاضه، ووَصَفَ قائله بالغُلُوّ والإفراط !! فقال مُعلّقاً عليه كما في حاشية كتاب «شرح السنة» للبغوي (١/٢٢٨): (وهو من الغُلُوّ والإفراط الذي لا يوافق عليه جمهور العلماء سَلَفاً وخَلَفاً (!!)) .. ثم قال: وانظر: كتاب «تاريخ الجهمية والمعتزلة» للعلامة جمال الدين القاسمي ففيه تحقيق جيد في هذا الموضوع. اهـ

قلت: تشابهت قلوبهم في مدح أئمة البدع والدِّفاع عنهم، ووَصَفَ أهل السنة أئمة الحديث والأثر بالغُلُوّ والإفراط. ولكن حُسبنا الله ونعم الوكيل.

وإن أردت زيادة بيان في نقد كتاب القاسمي هذا فانظر كتاب: «الصواعق المرسلة على تاريخ الجهمية والمعتزلة».

قلت: والأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم،

وأهل السنة من المتقدمين والمتأخرين في الرد على من قال بالاجتهاد في مسائل الاعتقاد، وبيان فساد هذا القول كثيرة جدًا، وأقتصر هنا على بعضها خشية الإطالة؛ فمنها:

١ - قال النبي ﷺ في الخوارج: «يخرج فيكم قوم يحرقون صلواتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم...». الحديث. رواه البخاري (٣٦١)، ومسلم (٢٤١٩).

فمع ما هم فيه من كثرة الصلاة والصيام وقراءة القرآن لم يعذرهم النبي ﷺ فيما تأولوه واجتهدوا فيه من مخالفة السنة والاعتقاد، بل وصفهم ﷺ بأنهم: «شر الخلق والخليقة». رواه مسلم (٢٤٣٥).

بل وأمر بقتالهم، ورغب فيه؛ فقال ﷺ: «إذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة». رواه مسلم (٢٤٢٧).

وقد كان قتال الخوارج للصحابة رضي الله عنهم وخروجهم عليهم من باب الاجتهاد، وطلب الأجر، والمطالبة بتحكيم كتاب الله تعالى فيما يزعمون، فهل أحد من الصحابة رضي الله عنهم امتنع من قتالهم بسبب اجتهادهم، أو قال: لا تقتلوهم فإن لهم أجراً على اجتهادهم هذا؟

فدل هذا على أنه ليس كل مجتهد مضيب في اجتهاده. ويوضحه ما بعده.

٢ - عن الحسن رحمه الله قال: مرّ بي أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد بعثه زياد إلى أبي بكر رضي الله عنه، فأنطلقت معه، فدخلنا على الشيخ وهو مريض، فأبلغه عنه.

فقال: إنه يقول: ألم أستعمل عبيد الله على فارس؟ ألم أستعمل رواداً

على دار الرزق؟! ألم أستعمل عبدالرحمن على الديوان وبيت المال؟

فقال أبو بكر رضي الله عنه: هل زاد على أن أدخلهم النار؟

فقال أنس رضي الله عنه: إني لا أعلمه إلا مجتهداً.

قال الشيخ: أقعدوني. فقال: قلت: إني لا أعلمه إلا مجتهداً! وأهل

خروء [يعني: الخوارج] قد اجتهدوا؛ أفأصابوا، أم أخطأوا؟

قال الحسن: فرجعنا محضومين.

[«مسائل» صالح بن أحمد (٨٧٤)، و«تهذيب الكمال» (٧/٣٠)]

٣ - فعل عمر رضي الله عنه مع صبيغ بن عسل العراقي.

وصيغ هذا كان طالباً للعلم، مولعاً بجمع المتشابه من القرآن وسؤال الناس عنها. قال فيه عمر رضي الله عنه: (إن صبيغاً طلب العلم فأخطأه).

- عن سليمان بن يسار: أن رجلاً من بني تميم، يقال له: صبيغ بن عسل قدم المدينة، وكان عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه، وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه، قال: من أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ. قال عمر: وأنا عبدالله عمر، وأوماً إليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجّه، وجعل الدم يسيل على وجهه.

فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي.

ثم أمر بإخراجه إلى البصرة، وكتب إلى المسلمين: ألا تجالسوه.

[«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١١٣٨)]

فهل عذرة عمر رضي الله عنه وجعله مأجوراً على اجتهاده وخطئه؟

٤ - قول ابن عمر رضي الله عنه في أهل القدر.

فقد قيل له: ظهر قومٌ يقرؤون القرآن، ويتبعون العلم، يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف.

فأخبر ابن عمر رضي الله عنهما أن هؤلاء الذين صدّر منهم هذا القول ممن يتبعون العلم، ويحرصون عليه.

فماذا قال ابن عمر رضي الله عنهما فيهم؟ وهل عدّهم من المجتهدين المأجورين المعذورين؟ أم طعن فيهم، وتبرأ منهم لمخالفتهم للسنة والاعتقاد؟

قال ابن عمر رضي الله عنهما: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني برىء منهم، وأنهم برء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. رواه مسلم.

٥ - قال المزني رحمه الله: سألت الشافعي عن مسألة في الكلام، فقال: سلني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت فيه: أخطأت، ولا تسألني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت: كفرت! [«ذم الكلام» للأصمعي (١١٣١)]

- وقال الشافعي رحمه الله: والله لأن يفتي العالم، فيقال: أخطأ العالم، خير له من أن يتكلم فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إلي من الكلام وأهله.

قال الذهبي في [«السير» (١٩/١٠)]: هذا دال على أن مذهب أبي عبد الله أن الخطأ في الأصول ليس كالخطأ في الاجتهاد في الفروع. اهـ

٦ - قال عثمان الدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله في [«التقصر» (٥٤)]: وأما ما ذكرت من اجتهاد الرأي في تكيف صفات الله؛ فإننا لا نجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والأحكام التي نراها بأعيننا، ونسمع في آذاننا، فكيف في

صفات الله التي لم ترها العيون، وقصرت عنها الظنون؟ اهـ

- وقال أيضاً رحمه الله: ما خاض في هذا الباب أحد من كانوا يُذكرون إلا سقط، فذكر الكرابيسي، فسقط حتى لا يذكر، وكان معنا رجل حافظ بصير، وكان سليمان بن حرب والمشائخ بالبصرة يُكرّمونه، وكان صاحبي ورفيقي - يعني: فتكلم فيه - فسقط. [«ذم الكلام» للأصمعي (١٢١٥)]

٧ - قال ابن جرير (٣١٠هـ) رحمه الله في [«التبصير في معالم الدين» (ص ١١٣)]: قال رسول الله ﷺ: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر»، وذلك الخطأ فيما كانت الأدلة على الصحيح من القول فيه مختلفة غير مؤلفة، والأصول في الدلالة عليه مفترقة غير متفقة، وإن كان لا يخلو من دليل على الصحيح من القول فيه، فميز بينه وبين السقيم منه، غير أنه يغمض بعضه غموضاً يخفى على كثير من طلابه، ويلتبس على كثير من بغائه.

والآخر منهما غير معذور بالخطأ فيه مكلف قد بلغ حد الأمر والنهي، ومكفر بالجهل به الجاهل، وذلك ما كانت الأدلة الدالة على صحته متفقة غير مفترقة، ومؤلفة غير مختلفة، وهي مع ذلك ظاهرة للحواس. اهـ

٨ - قال ابن منده (٣٩٥هـ) رحمه الله في [«التوحيد» (٣١٤/١)]: ذكر الدليل على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله عز وجل ووجدانيته كالمعانيد. اهـ

٩ - قال ابن أبي زيد القيرواني (٣٨٦هـ) رحمه الله في [«كتاب الجامع» (ص ١٢١)]: ومن قول أهل السنة: إنه لا يُعذر من أداه اجتهاده إلى بدعة؛ لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يُعذروا، إذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة، فسأهم عليه الصلاة والسلام: (مارقين من الدين)، وجعل

المجتهد في الأحكام مأجورًا وإن أخطأ. اهـ

١٠ - قال ابن بطّة العكبري (٣٨٧هـ) رحمه الله في [الإبانة] (٢/٥٥٧ - ٥٦٦): أهل الإنبات من أهل السنة يُجمعون على الإقرار بالتوحيد ..

وذكر جملة مما أجمع عليه أهل السنة وقد تقدم نقله في المبحث السابق:

قال: فهذا وأشباهه مما يطول شرحه لم يزل الناس مُدْبِعُ الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا مُجْمَعِينَ .. يرويه العلماء رواة الآثار .. لا يُخالف ذلك ولا يُنكره ولا يشذ عن الإجماع مع الناس فيه إلا رجلٌ خبيثٌ زائغٌ مُبْتَدِعٌ مُحَقِّقٌ مهجورٌ مدحورٌ، يهجره العلماء، ويقطعه العقلاء ...

.. ثم اختلفوا بعد إجماعهم على أصل الدين .. اختلافًا لم يصير بهم إلى فُرقة ولا شتات .. فاختلفوا في فُرُوعِ الأحكام والنوافل .. فكان لهم وللمسلمين فيه مندوحة .. ولم يعب بعضهم على بعض ذلك .. ولقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في الأحكام اختلافًا ظاهرًا ... اختلفوا في أبواب من العدة والطلاق .. وفي المسائل التي المصيب فيها محمودٌ مأجورٌ، والمجتهد فيها برأيه المعتمد للحقُّ إذا أخطأ فمأجورٌ أيضًا غير مذموم؛ لأنَّ خطأه لا يُخرجه من الملة .. وبذلك جاءت السنة عن المصطفى ﷺ ...

قال الشيخ [ابن بطّة]: اختلاف الفقهاء .. في فُرُوعِ الأحكام، وفضائل السنن رحمة من الله بعباده، والموقف منهم مأجورٌ، والمجتهد في طلب الحقِّ إن أخطأه غير مأزور، وهو يحسن نيته، وكونه في جملة الجماعة في أصل الاعتقاد والشرعية مأجور .. وإن تأوَّل متأوَّل من الفقهاء مذهبًا في مسألة من الأحكام خالف فيها الإجماع، وقعد عنه فيها الاتباع، كان منتهى القول

بالمجتهد عليه: أخطأت لا يقال له: كفرت، ولا جحدت، ولا أحدث، لأنَّ أصله موافق للشرعية، وغير خارج عن الجماعة في الديانة.

قال الشيخ: فالإصابة في الجماعة توفيق ورضوان، والخطأ في الاجتهاد عفوٌ وغفران، وأهل الأهواء اختلفوا في الله، وفي الكيفية، وفي الأنبياء، وفي الصفات، وفي الأسماء، وفي القرآن .. تعالى الله عما يقول الملحدون علوًا كبيرًا.

١١ - قال عبيد الله بن سعيد السجزي (٤٤٤هـ) رحمه الله في [رسائله في الرد على من أنكر الحرف والصوت] (ص ٩٢): وقال عمر، وسهل بن حنيف رضي الله عنهما: اتهموا الرأي على الدين.

ولا تخالف لهما في الصحابة، وقد كانا يجتهدان في الفروع، فعلم أنهما أرادا بذلك المنع من الرجوع إلى العقل في المعتقدات. اهـ

١٢ - قال أبو المظفر السمعاني (٤٨٩هـ) رحمه الله في [الانتصار لأصحاب الحديث] (ص ٣٢-٣٣): إن الحوادث للناس والفتاوى في المعاملات ليس لها حصرٌ ولا نهاية، وبالناس إليها حاجة عامة، فلو لم يجز الاجتهاد في الفروع، وطلب الأئمة بالنظر والاعتبار، ورد المسكوت عنه إلى المنصوص عليه بالأكيسة؛ لتعطلت الأحكام، وفسدت على الناس أمورهم .. ولا بُدَّ للعامة من مُفْتٍ، فإذا لم يجد حكم الحادثة في الكتاب والسنة؛ فلا بد من الرجوع إلى المستنبطات منها، فوسَّعَ الله هذا الأمر .. وجوز الاجتهاد، ورد الفروع إلى الأصول لهذا النوع من الضرورة، ومثل هذا لا يوجد في المعتقدات لأنها محصورة محدودة، قد وردت النصوص فيها من الكتاب والسنة؛ فإنَّ الله تعالى أمر في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ باعتقاد أشياء معلومة، لا مزيد عليها ولا

نقصان عنها، وقد أكملها بقوله: ﴿أَيُّومَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإذا كان قد أكمله وأتمه .. فيماذا يحتاج إلى الرجوع إلى دلائل العقل .. والله أغناه عنه بفضله، وجعل له المندوحة عنه، ولم يدخل في أمر يدخل عليه منه الشبهة والإشكالات، ويوقعه في المهالك والورطات ! اهـ

١٣ - يَبْنِ ابن قدامة (٦٢٠هـ) في كتابه «تحريم النظر في كتب علم الكلام» (ص ٤٩) فساد القول بالاجتهاد في مسائل الاعتقاد، وردّ فيها على ابن عقيل الحنبلي القول بذلك، فكان مما قال:

ثم إن اغتر مُغْتَرٌّ بقول ابن عقيل هذا، ولم يقنع باتباع سلفه، ولا رَضِيَ باتباع أئمّته، ولم يجوز تقليدهم في مثل السُّكُوتِ عن تأويل الصِّفَاتِ التي وقع الكلام فيها، فكيف يصنع ؟ فهل له سبيل إلى معرفة الصَّحِيحِ من ذلك باجتهادٍ نَفْسِيٍّ، ونظر عقليٍّ، ومتى ينتهي إلى حدٍّ يُمكنه التَّمْيِيزُ بين صحيح الدَّلِيلِ وفاسده، فهذا ابن عقيل الذي زعم أنه استفرغ وسَّعَه في علم الكلام، مع الذِّكَاءِ والفطنة في طول زمانه، ما أفلح ولا وُقِفَ لِرُشْدٍ، بل أفضى أمره إلى ارتكاب البدع المضلات .. حتّى استُثِيبَ مِنْ مَقَالَتِهِ، وأقَرَّ على نَفْسِهِ ببدعته وضلالته، فأنت أيها المغترّ بقوله هذا، متى تبلغ إلى درجته ؟ فإذا بلغتها، فما الذي أعجبك من حالته حتّى تقتدي به ؟

وقد ذكرنا ما قاله الأئمة في ذمّ الكلام وأهله، نسأل الله السلامة.

١٤ - قال يوسف بن عبد الهادي الشهير بابن المبرد (٩٠٩هـ) في «جمع الجيوش والداكر»: فإن باب الصِّفَاتِ موقوف على الثقل والتقليد لا على الاجتهاد، وكلّ العلم يسوغ فيها الاجتهاد إلّا هذا. اهـ

١٥ - قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (١٢٩٣هـ) رحمه الله في [«منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات ابن جرجيس» (ص ١٨)]:

المسائل التي يسقط الذّم عن المخطئ فيها إذا اجتهد واتقى الله ما استطاع هي: المسائل الاجتهادية؛ أي التي يسوغ الاجتهاد فيها، أو ما يخفى دليله في نفسه، ولا يعرفه إلّا الأحاد؛ بخلاف ما علِمَ بالضرورة من دين الإسلام: كمعرفة الله بصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وربوبيته، ومعرفة ألوهيته، وكتوحيده بأفعال العبد، وعبادته.

فأيّ اجتهاد يسوغ هنا ؟ وأي خفاء ولبس فيه ؟

وليس يصحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النّهار إلى دليل !

وجميع الكفار - إلّا من عاند منهم - قد أخطأوا في هذا الباب، واشتبه عليهم، أفبقال بغيرهم وعدم تأنيهم، أو أجرهم ؟

سبحان الله ! ما أقبح الجهل وما أبشعه. اهـ

١٦ - قال الشيخ سليمان بن سحمان (١٣٤٩هـ) رحمه الله في [«إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية» (ص ١٤٨-١٤٩)]: فالشخص المعين إذا صدّر منه ما يوجب كفره من الأمور التي هي معلومة بالضرورة، مثل: عبادة غير الله سبحانه، ومثل: جحد علو الله على خلقه، ونفي صفات كماله، ونعوت جلاله الذاتية والفعلية، ومسألة علمه بالحوادث، والكائنات قبل كونها.

فإن المنع من التكفير، والتأنيم بالخطأ، والجهل في هذا كلّه ردّ على من كفر معطلة الذات، ومعطلة الربوبية، ومعطلة الأسماء والصفات، ومعطلة أفراده تعالى بالإلهية، والقائلين بأن الله لا يعلم الكائنات قبل كونها، كغلاة القدريّة،

ومن قال بإسناد الحوادث إلى الكواكب العلوية، ومن قال بالأصلين الثور والظلمة، فإن من التزم هذا كله فهو أكفر وأضلّ من اليهود والنصارى.

وهل أوقع الاتحادية والحلولية فيما هم عليه من الكفر البواح، والشرك العظيم، والتعطيل لحقيقة وجود رب العالمين إلا خطأهم في هذا الباب الذي اجتهدوا فيه فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل؟..

وهل كفّر القرامطة، وانتحلوا ما انتحلوه من الفضائح الشنيعة، وخلع ربة الشريعة إلا باجتهادهم فيما زعموا؟

وهل قالت الرافضة ما قالت، واستباححت ما استباححت من الكفر، والشرك، وعبادة الأئمة الاثني عشر وغيرهم، ومسبة أصحاب رسول الله ﷺ، وأم المؤمنين، إلا باجتهادهم فيما زعموا؟

فليس كل اجتهاد، وخطأ، وجهل مغفوراً لا يكفر ولا يؤثم فاعله، هذا على سبيل التنبيه، وإلا فالمقام يحتمل بسطاً أكثر من هذا. اهـ

١٧ - قال الشيخ ابن باز رحمه الله في [مجموع الفتاوى] (١/١٣١) دار الوطن: - في ردّه على من يدعي ترك التكفير بدعوى الاجتهاد!! -: ثم يقال - أيضاً - لهذا الرجل وأمثاله: قد أجمع علماء المسلمين من عهد الصحابة رضي الله عنهم، إلى يومنا هذا على أن الاجتهاد محلّه المسائل الفرعية التي لا نصّ فيها،

أما العقيدة، والأحكام التي فيها نصّ صريح من الكتاب، أو السنة الصحيحة؛ فليست محلّاً للاجتهاد، بل الواجب على الجميع الأخذ بالنصّ، وترك ما خالفه،

وقد نصّ العلماء على ذلك في كلّ مذهب من المذاهب المتبعة. اهـ

المبحث الثامن:

**إنكار أهل السنة على معطلات الصفات
والتصريح بأسمائهم
والتحذير من مصنفاتهم**

من الأبواب المهجورة عند بعض أهل العلم التحذير من معطلات الصفات ومن تأثر بهم، ومن مصنفاتهم التي بثوا فيها تأويل وتعطيل الصفات.

وفي هذا المبحث سنتقف على بعض تحذيرات أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين من معطلات الصفات، ومن مصنفاتهم.

واعلم قبل ذلك؛

١ - أن الأصل الذي كان يؤزن به الرجال عند المتقدمين من أهل السنة والأثر هو اتباعهم للسنة والعقيدة السلفية الصحيحة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وليس الميزان عندهم بكثرة الرواية، والعلم، والحفظ، وتصنيف الكتب والشروحات، كما هو الحال عند كثير من المتأخرين !!

- قال عبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ) رحمه الله:

الجاهل: صغير وإن كان شيخاً، والعالم: كبير وإن كان جَدّاً.

[«الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب (٧٢٥)، و«الجامع في بيان العلم» لابن عبد البر (١٠٦١)] ولم ينسبه لأحد. وفي «فتح المغني» (٢٣٣/٣) نسبته للبخاري رحمه الله

- وقال السجزي (٤٤٤ هـ) رحمه الله في «رسائله في الحرف» (ص ٢٢٠):

فالمُتَّبِعُ لِلْأَثَرِ: يَجِبُ تَقْدِيمُهُ وَإِكْرَامُهُ؛ وَإِنْ كَانَ صَغِيرَ السَّنِّ غَيْرَ نَسِيبٍ،
وَالْمُخَالَفُ لَهُ: يَلْزَمُ اجْتِنَابُهُ وَإِنْ كَانَ مُسِنَّةً شَرِيفًا. اهـ

وقال (ص ٢١٦): وَمَنْ زَاغَ عَنِ الطَّرِيقِ، وَفَاوَضَ أَهْلَ الْبَدْعِ وَالْكَلامِ، وَجَانَبَ الْحَدِيثَ وَأَهْلَهُ؛ اسْتَحَقَّ الْمُتَجَرِّانَ وَالتَّرْكَ، وَإِنْ كَانَ مُتَقَدِّمًا فِي تِلْكَ الْعُلُومِ.

وقال (ص ١٣٠): وَإِنْ زَمَانًا يُقْبَلُ فِيهِ قَوْلٌ مِّنْ يَرُدُّ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَعَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُخَالَفُ الْعَقْلَ، وَيُعَدُّ مَعَ ذَلِكَ إِمَامًا؛ لَزِمَانُ صَغَبٍ [أي: لا خَيْرَ فِيهِ]، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. اهـ

- وقال البرهاري (٣٢٩ هـ) رحمه الله: اعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب؛ ولكن العالم: مَنْ اتَّبَعَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ، وَمَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَهُوَ صَاحِبُ بَدْعٍ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الرِّوَايَةِ وَالْكِتَابِ. اهـ [«طبقات الحنابلة» (٢/٣٠)]

قلتُ: وأما مَنْ وَقَعَ فِي الْبَدْعِ، وَقَالَ بِهَا، وَدَعَا إِلَيْهَا؛ فَلَا يُعَدُّ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْهُمْ الْعِلْمُ.

- قال السجزي (٤٤٤ هـ) رحمه الله في «رسائله في الحرف والصوت» (ص ٢١٤): [«وكان في وقتهم علماء لهم تقدم في علوم، وأتباع على مذهبهم؛ لكنهم وقعوا في شيء من البدع: إما القدر، وإما التشيع، أو الإرجاء، عرفوا بذلك؛ فانحطت منزلتهم عند أهل الحق. اهـ

- وقال عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠ هـ) رحمه الله: ما خَاصَّ فِي هَذَا الْبَابِ أَحَدٌ مِّنْ كَانُوا يُذَكِّرُونَ إِلَّا سَقَطَ؛ فَذَكَرَ الْكَرَابِيسِيَّ، فَسَقَطَ حَتَّى لَا يُذَكَّرَ، وَكَانَ مَعَنَا رَجُلٌ حَافِظٌ بَصِيرٌ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ وَالْمَشَايخُ بِالْبَصْرَةِ يُكْرِمُونَهُ، وَكَانَ صَاحِبِي وَرَفِيقِي - يَعْنِي فَتَكَلَّمْتُ فِيهِ - فَسَقَطَ. [«ذم الكلام» (١٢١٥)]

- قال الإمام أحمد رحمه الله: مَا زَالَ إِسْمَاعِيلُ وَضِيعًا مِّنَ الْكَلَامِ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ. فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ رَجَعَ وَتَابَ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ؟ فَقَالَ: بَلَى؛ وَلَكِنْ مَا زَالَ مُبْغِضًا لِأَهْلِ الْحَدِيثِ بَعْدَ كَلَامِهِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ. «مسائل» ابن هانئ (١٨٩٢)، واللالكائي (٤٣٥)، و«طبقات الحنابلة» (١/٢٦٤).

- قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي: سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنْ: أَبِي ثَوْرٍ، وَحُسَيْنِ الْكَرَابِيسِيِّ؟ فَقَالَ: مَتَى كَانَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؟ مَتَى كَانَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ؟ مَتَى كَانَ هَؤُلَاءِ يَضْعُونَ لِلنَّاسِ الْكُتُبَ. [«طبقات الحنابلة» (٢/٥٥٣)]

- قال رافع بن أشرس: كَانَ يُقَالُ: (إِنْ مِنْ عُقُوبَةِ الْكَذَّابِ: أَنْ لَا يُقْبَلَ صِدْقُهُ) قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ: وَمِنْ عُقُوبَةِ الْفَاسِقِ الْمُبْتَدِعِ: أَنْ لَا تُذَكَّرَ مُحَاسَنُهُ. [«الصمت وآداب اللسان» لابن أبي الدنيا (٥٤٩)]

- قال عنبسة بن سعيد الكلاعي: مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بَدْعًا إِلَّا غَلَّ صَدْرُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَاخْتَلَجَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ.

قال نعيم: فَسَمِعَهُ مِنْهُ الْأَوْزَاعِي فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ عَنْبَسَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.

قال: صَدَقَ، لَقَدْ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بَدْعًا إِلَّا سَلِبَ وَرَعَهُ. [«ذم الكلام» (٩٣٢)]

- وقال ابن البناء الحنبلي (٤٧١هـ) رحمه الله في [«المختار» (٦٦)]: وهو يتكلم عن اعتقاد أهل السنة: لا يختلفون في شيء من هذه الأصول، ومن فارقهم في شيء منها: نابذوه، وبأغضبوه، وبدعوه، وهجره. اهـ

- وقال الصّابوني (٤٤٩هـ) رحمه الله في [«عقيدة أصحاب الحديث» (١٧٦)]: ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين وظهرت وانتشرت، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجره، وبدعوه، ولكذبوه، وأصابوه بكل سوء ومكروه.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«منهاج السنة» (١/٦٣)]: مَنْ أظهر بدعته وجب الإنكار عليه، بخلاف مَنْ أخفاها وكتمها، وإذا وجب الإنكار عليه كان من ذلك أن يُهجر حتى ينتهي عن إظهار بدعته، ومن هجره: أن لا يؤخذ عنه العلم، ولا يستشهد. اهـ

ويبين في «مجموع الفتاوى» (٣٨٥/٧) أن هذا هو مذهب الفقهاء من أهل الحديث كأحمد ومالك في حكم الدّاعية للبدعة، وأن أقل العقوبة له: (أن يُهجر فلا يكون له مرتبة في الدين، لا يؤخذ عنه العلم، ولا يستقضى، ولا تقبل شهادته، ونحو ذلك).

- وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن في «عيون الرسائل» (٥٩٣/٢): مَنْ ابتغى معرفة الله سبحانه وتعالى مما نصبه مشايخ اليونان والفلاسفة، من الأدلة العقلية، والموازن الكلامية، وأخذ عن تلامذتهم الذين نشأوا على ملتهم، ودانوا ببدعتهم، ولم يتلفت إلى ما جاء به الوحي من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، زاعماً منه بأنها ظواهر لفظية،

ومجازات لغوية، وأن قانون المنطق هو القواطع العقلية، والبراهين الجليّة، وأنّ ما جاءت به الكتب، وأخبرت به الرُّسل من صفات الله معدودٌ من متشابه الكلام، مصروف عن حقيقته عند ذوي البصائر والأفهام، فنفى لذلك صفات الكمال، وأغرب في سلب نعوت الجلال، وأضاف إلى ذلك تقليد مشايخه في الأحكام، فلم يأخذ من هدي الرسل العلم المتبوع.

فهذا ونحوه من أضلّ النَّاسِ وأبعدهم عن هدي المرسلين، فضلاً عن أن يكون من علماء المسلمين .. اهـ

قُلْتُ: وستأتي أمثلة كثيرة في موقف السلف من خالف في مسائل الصفات. ٢ - ثم أعلم أن التحذير من البدع وأهلها، والنهي عنها من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي أمر الله تعالى به، وأمر به رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِمُ مِمَّا كَلِمَاتُ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران)

- قال عيسى بن يونس (١٨٨هـ) رحمه الله: لا تجالسوا الجهمية، وبيّنوا للناس أمرهم؛ كي يعرفوهم فيحذروهم. [«النقض» (١٤٣)]

- وقال الأوزاعي (١٥٧هـ) رحمه الله: إذا جهر أهل البدع ببدعهم، وكثرت دعوتهم ودعاتهم إليها، فنشر العلم حياة، والبلاغ عن رسول الله ﷺ رحمة يُعْتَصَمُ بها على كُلِّ مُضَيِّرٍ مُلْحِدٍ. [«البدع» لابن وضاح (٥٢٤)]

- وقال عاصم الأحول (١٤٢هـ) رحمه الله: جلست إلى قتادة (١١٧هـ) فذكر عمرو بن عبّيد [إمام المعتزلة] فوقع فيه، ونال منه.

فقلت له: أبا الخطاب، ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض.

فقال: يا أحو، ألا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة، فينبغي لها أن تُذكر حتى تحذر. [«الضعفاء» لابن عدي (٩٧/٥)، و«تاريخ بغداد» (٧٨/١٤)].

- قال يحيى بن سعيد: سألتُ شعبة، وسفيان بن سعيد، وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس عن الرجل لا يحفظ، أو يُتهم في الحديث.

فقالوا لي جميعاً: بين أمره. [«العلل ومعرفة الرجال» (٤٦٨٤)].

- قال المروزي: قلتُ لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل (٢٤٢هـ) - ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة، ويسكت عن الكلام في أهل البدع؟ فكلّح وجهه، وقال: إذا هو صام وصلّى واعتزل الناس أليس إنشأ هو لنفسه؟ قلتُ: بلى.

قال: فإذا تكلم كان له ولغيره، يتكلم أفضل.

[«طبقات الحنابلة» (٤٠٠/٣)]

- وقال محمد بن بNDAR السباك الجرجاني: قلت لأحمد: إني ليشدد علي أن أقول فلان ضعيف، فلان كذاب!

قال أحمد: إذا سكت أنت، وسكت أنا، فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟ [«طبقات الحنابلة» (٢٧٨/٢)]

- قال الفضل بن نوح قلت لأحمد: أريد الخروج إلى الثغر، وإني أسأل عن هذين الرجلين: عن الكرابيسي، وأبي ثور؟ فقال: حذر عنهما.

[«طبقات الحنابلة» (٢٠٠/٢)]

- قال أبو جعفر الخذاء: قلت لسفيان بن عيينة: إن هذا يتكلم في القدر، - أعني إبراهيم بن أبي يحيى -.

قال: عرفوا الناس بدعته، وسلوا ربكم العافية.

[«تاريخ بغداد» (٥/٤١٤)، «ذم الكلام» (٧٠١)]

- البرهاري رحمه الله في [«شرح السنة» (٩)]: واعلم أن الخروج عن الطريق على وجهين:

أما أحدهما: فرجل قد زلّ عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقتدى بزلته؛ فإنه هالك.

وآخر عائد الحق، وخالف من كان قبله من المتقين؛ فهو ضالّ مضلّ شيطان مريد في هذه الأمة، حقيق على من عرفه أن يحذر الناس منه، ويبتين لهم قصته لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك. اهـ

وقد أجمع أهل السنة على هجر أهل البدع وإذلالهم كما قال الصّابوني في [«عقيدته» (١٧٥)]: واتفقوا.. على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم، وإخزائهم، وإبعادهم، وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن مصاحبهم، ومعاشرتهم، والتّقرب إلى الله عزّ وجلّ بمجانبتهم ومهاجرتهم. اهـ

وأهل السنة على ترك مدحهم، بل وهجر من يمدحهم ويثنى عليهم.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ وَقَرَّ صَاحِبَ بَدْعٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ». وهو حديث حسن.

وقد روي أيضاً هذا القول عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين كما خرجته في تعليقي على كتاب «الرّد على المبتدعة» (١٣) لابن البناء.

- قال ابن المبارك رحمه الله: ذكرت أبا حنيفة عند الأوزاعي، وذكرت علمه، وفقهه، فكره ذلك الأوزاعي، وظهر لي منه الغضب، وقال: تدري ما تكلمت به؟! تطري رجلاً يرى السيف على أهل الإسلام؟! فقلت: إني لست على رأي، ولا مذهبه. فقال: قد نصحتك، فلا تكره.

فقلت: قد قبلت. [«السنة» عبدالله بن أحمد (٣٦٣)]

- قال الإمام أحمد: بلغني أن المثني الأنباطي قعد بواسط فأثنى على بشر المريسي، فقام يزيد بن هارون فقال: لا والله أو ينفي منها. فأخرجه من واسط. «مسائل» صالح (٣٣٣)، و«السنة» للخلال (١٧٢٤) وزاد فيه: وكان من أهل واسط. - قال بشر بن السري: ترحمت يوماً على زُفر وأنا مع سُفيان الثوري، فأعرض بوجهه عني. [«الضعفاء» للعقيلي (٢٠٤٣)]

- قال البرهاري رحمه الله في [«شرح السنة» (١٥١)]: إذا رأيت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد، والمريسي، أو ثمامة، وأبا الهذيل، وهشام الفوطي، أو واحداً من أتباعهم، وأشياهم فاحذره؛ فإنه صاحب بدعة، وإن هؤلاء كانوا على الردة، وارك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله [«مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٣١)]:

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين؛ حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف، أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟

فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فيين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيم الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساد أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء. اهـ

- وقال في [«مجموع الفتاوى» (٣٥/٤١٤)]:

والداعي إلى البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين، وعقوبته تكون تارة بالقتل، وتارة بما دونه؛ كما قتل السلف: جهنم بن صفوان، والجعد بن درهم، وغيلان القدري، وغيرهم ولو قدر أنه لا يستحق العقوبة، أو لا يمكن عقوبته، فلا بد من بيان بدعته، والتحذير منها، فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر الله به ورسوله ﷺ.

والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة؛ كبدعة الخوارج، والرؤايف، والقدرية، والمرجئة.. والجهمية ثفاة الصفات الذين يقولون: القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأن محمداً لم يعرج به إلى الله، وأن الله لا علم له، ولا قدرة، ولا حياة، ونحو ذلك، كما يقوله المعتزلة والمتفلسفة ومن اتبعهم. اهـ

٣- لا بُدَّ من معرفة علامات أهل السنة والآثر حتى يُقتدى بهم،

وعلامات أهل الرأي والبدع حتى يُجتنَبوا؛

فإنه ليس كُلُّ مَنْ اشتهر بالعلم والحفظ والتصنيف فهو صاحبُ
سُنَّةٍ سَلَفِيَّةٍ، وإمامًا من أئمة المسلمين، كما رَاجَ ذلك عند كثيرٍ من
المتأخرين، فتراهم لا يذكرون أحدًا ممن اشتهر بالتصنيف إلَّا ووصفوه
بـ (الإمام)!! وإن كان من كبار الجهمية، أو الأشاعرة، أو غيرها من
الفرق.

وفي المقابل فإن هؤلاء المؤولة لا يذكرون أهل السنة مُثبتة الصفات إلَّا
ووصفوههم بالمجسمة الحشوية، وحذروا اتباعهم منهم!!

- قال السَّجْزِي رحمه الله في [رسالته في الحرف والصوت] (ص ٢٠٦):

فلَمَّا عُلِمَ أن الأئمة على ضربين:

١- أئمة حقٌّ ممدوحون،

٢- وأئمة ضلال مذمومون،

احتجنا أن نبيِّن الضَّريْن لِيَتَّبِعَ المحقُّ، ويُهْجَرَ المَبْطُلُ.

فأئمة الحقِّ: هم التابعون لكتاب ربهم شُبْحَانَهُ، المقتضون سُنَّةَ نبيهم ﷺ،
المتمسكون بآثار سلفهم الذين أمروا بالاعتداء بهم...

ثُمَّ سَمَّى علماء أهل السنة في كُلِّ بلدٍ من التابعين وغيرهم، ثُمَّ قال:

وأما أئمة الضَّلال: فالْمُشْرِكُونَ، والمدعون الرُّبُوبِيَّة، والمنافقون، ثُمَّ كُلُّ
من أحدث في الإسلام حدثًا، وأسس بخلاف الحديث طريقًا، وردَّ أمر

المعتقدات إلى العقليات، ولم يُعرف شيوخُه باتِّباع الأثر، ولم يأخذ السُّنَّةَ عن
أهلها، أو أخذ عنهم ثُمَّ خالفهم.

وهم فرِق، والأصول أربعة: القدريَّة، والمرجئة، والرَّافضة، والخوارج،
ثُمَّ تشعبت المذاهب من هذه الأربعة، والكُلُّ ضلال.

وقال: والذي يُلي كثير من أهل العلم بهم: المعتزلة، وهم أعداء الأثر
وأهله... ثُمَّ ذكر أسماءهم.

ثُمَّ بُلِيَ أهل السُّنَّةَ بعد هؤلاء بقوم يدَّعون أنهم من أهل الانبعاث،
وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم، وهم: أبو محمد بن كُلاب، وأبو
العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري.. اهـ

- وقال ابن عبد البر في [جامع بيان العلم وفضله] (٢/٩٤٢):

أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار؛ أن أهل الكلام أهلُ بدعٍ وزيغٍ،
ولا يُعَدُّون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنَّما العلماء أهل الأثر، والتَّفَقُّه فيه.

- وقال قوام السُّنَّة الأصبهاني (٥٣٦) رحمه الله في [الحجة في بيان المحجة]

(١/٣٠٦): بيان الأمور التي يكون بها الرُّجل إمامًا في الدِّين، وأن أهل
الكلام ليسوا من العلماء. اهـ

٤- أن في مدح أهل التأويل والتَّعطيل، والثناء عليهم أمام الخاصَّة والعامة؛
ضررًا وبلاءً وفتنةً على: المادح، والمددوح.

١- أما ضرره على المادح:

أ- في نفسه.

إذ يُتهم بأنه على مثل بدعيته، وقد قال عمر رضي الله عنه: مَنْ عَرَّضَ نفسه للتهمة فلا يلو مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ. [«الصمت» لابن أبي الدنيا (٧٤٧)]
ب- في الناس.

فإنه بمدحه للمبتدع يدل الناس على بدعيته، ويروجها لهم، وبذلك سيحمل وزر كل مَنْ اتَّبَعَ هذا الممدوح الذي مدحه على ما فيه من مخالفات للعقيدة ولم يحذرهم منها.

وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». [رواه مسلم (٤٨٣١)]

- قال سُفيان الثوري رحمه الله: مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِتْنَةً لغيره .. وذكر الباقي.

[«البدع والنهي عنها» لابن وضاح (١٢٧)]

- قال الفضيل بن عياض رحمه الله: مَنْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَاوَرَهُ فَدَلَّهُ عَلَى مُبْتَدِعٍ فَقَدْ غَشَّ الْإِسْلَامَ. [«اللالكائي» (٢٦١)]

- وقال الإمام أحمد رحمه الله: مَنْ دَلَّ عَلَى صَاحِبٍ رَأَى أَوْ بَدْعَةٍ؛ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ. [«طبقات الحنابلة» (١٣٣/١)]

- قال البرهاري رحمه الله في [«شرح السنة» (١٤٤)]: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ جَالِسًا مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ؛ فَاحْذَرُهُ، وَعَرِّفْهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَ مَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبٌ هَوًى.

قلت: هذا فيمن جالسَهُ، أو دَلَّ عليه فقط، فكيف بمن مَدَحَهُ وأثنى عليه،

وأوصى بقراءة كتبه على ما فيها من مخالفات عقديّة ولم ينبّه ويُحذّر مما فيها؟! وإذا أثنى عليه ومدحه أمام العامة فمتى يَعْرِفُ النَّاسُ بدعته ومُخَالَفَتَهُ لأهل السنة فيحذروها؟

- قال أبو طالب: سألتُ أحمد بن حنبل: عمن أمسك، فقال: (لا أقول: ليس هو مخلوقاً)؛ إذ لقيني في الطريق وسلَّم عليّ؛ أسلَّم عليه؟

قال: لا تُسَلِّم عليه، ولا تكلمه، كيف يعرفه الناس إذا سلَّمت عليه؟ وكيف يعرف هو أنك مُنكِرٌ عليه؟ فإذا لم تُسَلِّم عليه عَرَفَ الذَّلَّ، وَعَرَفَ أَنَّكَ أَنْكَرْتَ عَلَيْهِ، وَعَرَفَهُ النَّاسُ. [«الشرية» (١٩١)].

فإذا لم يتكلم علماء أهل السنة فيمن خالف السنة، ووقع في بدع التعطيل والتأويل وغيرها من البدع، وحذروا الناس من بدعهم، ومن كتبهم التي نقلوا وبثوا فيها بدعهم، أو نقلوا فيها البدع عن غيرهم، فسيقول العامة: لو كان هؤلاء مخالفات لأهل السنة في اعتقادهم لما سكّتهم العلماء، ولحذروا الناس من مخالفتهم، ومن قراءة كتبهم.

أقول: كيف والأمر لم يقتصر على السكوت عن بدعهم فقط!! بل زاد إلى مدحهم، والوصية بقراءة كتبهم دون التحذير مما فيها من العقائد المخالفة لأهل السنة!! بل زاد الأمر إلى الإنكار على مَنْ حَذَرَ منهم، أو مَنْ كَتَبَهم، ووصفهم له بأبشع الأوصاف!! والله المستعان.

- عن أبي قلابة رحمه الله قال: أن مُسلم بن يسار صَحَبَهُ إِلَى مَكَّةَ، قَالَ: فَقَالَ لِي - وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ -: إِنِّي أَحْمَدُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَنِّي لَمْ أَرِمْ فِيهَا بِسَهْمٍ، وَلَمْ أَطْعَنْ فِيهَا بِرُمَحٍ، وَلَمْ أَضْرِبْ فِيهَا بِسَيْفٍ.

قال: قلتُ له: يا أبا عبد الله، فكيف بمن رَأَى واقفًا في الصَّفِّ، فقال: هذا مُسلم بن يسار، والله ما وقف هذا الموقف إلا وهو على الحقِّ، فتقدَّم فقاتلَ حتى قُتِلَ. قال: فبكى، وبكى حتَّى تمنيت أني لم أكن قلتُ له شيئًا.

قلت: سيقندي به مَنْ رَأَاه واقفًا في الصَّفِّ مع المقاتلين، ويقول: لو كان هذا القتال شرَّ وفتنة لما وقف مسلم بن يسار هذا الموقف، ولاعتزل الطائفتين فلم يقاتل. فقاتل الناس اقتداء به، مع أنه لم يحثهم على القتال، ولم يأمرهم به. ومع ذلك كله لم يسلم من التبعة.

وانظر إلى هذه القِصَّة، وسَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ، وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ.

- قال أبو علي الحسن بن إبراهيم بن بقي الجذامي المالقي: سمعت بعض الشُّيوخ يقول: قيل لأبي ذر الهروي: أنت من هراة، فيمن أين تمذهبت للمالك والأشعري؟

فقال: سبب ذلك؛ أني قدمتُ بغداد أطلب الحديث، فلزمتُ الدَّارِ قُطَني، فلما كان في بعض الأيام، كُنت معه فاجتاز به القاضي أبو بكر ابن الطَّيِّب [الأشعري] فأظهر الدَّارِ قُطَني من إكرامِهِ ما تعجَّبْتُ منه، فلما فارقه، قلتُ له: أيُّها الشَّيخ الإمام، مَنْ هذا الذي أظهرتَ مِنْ إكرامِهِ ما رأيتُ؟

فقال: أوَمَا تعرفه؟

قلتُ: لا.

فقال: هذا سيف السُّنَّة أبو بكر الأشعري (!!)،

فلزمت القاضي مُنذُ ذلك، واقتديت به في مذهبه.

[«تاريخ دمشق» (٣٧/٣٩٢)]

قلت: تبعه وتأثَّرَ به، وأصبح من كبار الأشاعرة بسبب ثناء الدَّارِ قُطَني لهذا الأشعري؛ ولكن انظر ما الأثر الذي خلَّفه أبو ذر الهروي في المسلمين.

- قال ابن أبي أسامة: أبو ذر أول من أدخل مذهب الأشعري الحرام.

[«تاريخ دمشق» (٣٧/٣٩٤)]

- وقال الذهبي في [«السير» (١٧/٥٥٧)]: قلت: أخذ الكلام ورأي أي الحسن عن القاضي أبي بكر بن الطَّيِّب، وبثَّ ذلك بمكة، وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس، وقَبِلَ ذلك كانت علماء المغرب لا يدخلون في الكلام بل يُتَّقِنون الفقه، أو الحديث، أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات. اهـ.

٢- وأما ضرره على الممدوح:

فإن ثناء المادح على الممدوح سبب في نشر بدعِهِ التي خالفَ بها أهل السُّنَّة، وبالتالي سَيَحْمِلُ هذا الممدوح وزرَ كُلِّ مَنْ اتبعه وتأثَّرَ به، كما قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيلُونَ﴾ [النحل: ٢٥]

- قال أبو صالح الفراء: حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئًا مِنْ أمرِ الفِتنِ، فقال: ذلك يشبه أستاذَه يعنى الحسن بن حيي [الخارجي].

قلتُ ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟

فقال: لم يا أحمق؟ أنا خيرٌ لهؤلاءِ من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى النَّاسَ أن يعملوا بها أحدثوا فتبتعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضَرَّ عليهم.

[«الضعفاء» للعقيلي (١/٢٣٢)]

- قال بشر بن الحارث: كُنْ خَيْرًا لِأَهْلِ الْبِدْعِ مِنْهُمْ لأنفسهم، تمنع النَّاسَ

عنهم لا تكثر آثامهم . [مختصر الحجة على بيان المحجة] (٣٥٣)

* والآن نذكر بعض كلام أهل السنة في التحذير من معطلة الصفات، ومن مصنفاتهم:

١ - قال أبو بكر بن خلاد الباهلي: كنت عند ابن عيينة، إذ أقبل بشر المريسي فتكلم بذلك الكلام الرديء. فقال ابن عيينة: اقتلوه.

قال ابن خلاد: فأنا فيمن ضربته بيدي. [تاريخ بغداد] (٦٥/٧).

٢ - عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس (١٧٩هـ) رحمه الله يسأله عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]

قال: فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرخصاء - يعني: العرق - وأطرق، وجعلنا ننظر ما يأمر به فيه، ثم سري عن مالك فقال: كيف غير معقول .. الأثر. وفيه: ثم أمر به فأخرج. [تقدم تخريجه (ص ٥٧)]

٣ - قال علي بن عاصم (٢٠١هـ) رحمه الله: تكلم داود الجواربي في التشبيه، فاجتمع فقهاء واسط، منهم: محمد بن يزيد، وخالد الطحان، وهشيم، وغيرهم، فأتوا الأمير، وأخبروه بمقالته، فأجمعوا على سفك دمه.

فمات في أيامه، فلم يصل عليه علماء أهل واسط.

[الرد على الجهمية لابن أبي حاتم (بيان تلبيس الجهمية ٥٠٢/٦)، واعتقاد أهل

السنة (لالكائي) (٩٣٣)]

٤ - روى يزيد بن هارون (٢٠٤هـ) رحمه الله في مجلسه حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه في الرؤية وقول النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ كَمَا تَنْظُرُونَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

فقال له رجل في مجلسه: يا أبا خالد! ما معنى هذا الحديث!؟

فغضب وحرّد، وقال: ما أشبهك بصبيغ، وأحوجك إلى مثل ما فعل به، ويلك! ومن يدري كيف هذا؟

[رواه الصابوني في «عقيدته» (٨٢)، والحرّد: الغضب. [تقدم بتامه (ص ٧٧)]

٥ - قال صالح بن الضريس: جعل عبد الله بن أبي جعفر الرّازي (٢٩٨هـ) يضرب رأس قاربة له يرمى برأي جهم، فرأيته يضرب النعل على رأسه، ويقول: لا، حتى تقول: الرحمن على العرش استوى، بائن من خلقه. [العلو] (٤٠٢)]

٦ - قال إبراهيم بن موسى رحمه الله: كنت عند بكير بن جعفر (٣١٨هـ) فجاء رجل فقال: الله على عرشه كيف؟

فقال بكير: جئوا برجله؛ فجزّوه. [العلو] للذهبي (٣٧٥)]

٧ - عن أبي الحسن محمد بن العباس بن القرات قال: كان أبو الحسن الكرخي مبتدعاً رأساً في الاعتزال، مهجوراً على قديم الزمان.

[تاريخ بغداد] (٣٥٣/١٠)]

٨ - قال أبو نعيم الفضل بن دكين: .. هؤلاء أبناء المهاجرين يُحدثون أن الله عز وجل يرى في الآخرة، حتى جاءنا ابن يهودي صبّاغ فزعم أن الله لا يرى - يعني: بشرًا المريسي. [الصفات] للدارقطني (٦٨)]

٩ - قال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] قيل له: أي شيء أنكر على بشر بن السري؟ وأي شيء كانت قصته بمكة؟

قال: تكلم بشيء من كلام الجهمية، فقال: إن قومًا يحدّثون.

قيل: التشبيه؟ فأومأ برأسه: نعم، قال: فقام به مؤمل [يعني: ابن إسماعيل]

حتى خنس، فتكلم ابن عيينة في أمره حتى أخرج، قال: إنه صاحب كلام.
[رواه الحلال في «السنة»، انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٤١٨/٦)، و«جواب
الاعتراضات المصرية» (ص ١٦٧)]

١٠ - قال أحمد بن حنبل رحمه الله: كان بشر بن السري رجلاً من أهل
البصرة، ثم صار بمكة، سمع من سفيان نحو ألف، وسمعنا منه، ثم ذكر
حديث: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ نَافِثَةُ﴾ [القيامة]، فقال: ما أدري ما هذا،
أيش هذا؟ فوثب به الحميدي وأهل مكة، وأسمعوه كلاماً شديداً، فاعتذر
بعد، فلم يقبل منه، وزهد الناس فيه بعد، فلما قدمت مكة المرة الثانية كان
يجمع إلينا فلا يكتب عنه، فجعل يتلطف فلا يكتب عنه.

[«الضعفاء» لابن عدي (١٧/٢)]

١١ - قال أبو الحارث الصائغ: قلت لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل -:
إن أصحاب ابن التلاج نلنا منهم، ومن أعراضهم، فنستحلهم من ذلك؟
فقال: لا، هؤلاء جهميّة، من أي شيء يستحلون؟
[«الإبانة» لابن بطة (٤٠٨)]

١٢ - قال المروزي رحمه الله: إن أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - ذكر
حارثاً المحاسبى (٢٤٣هـ)، فقال: حارث أصل البلية، - يعني حوادث كلام
جهم - ما الآفة إلا حارث.. حذروا عن حارث أشد التحذير.
قلت: إن قوماً يختلفون إليه.

قال: نتقدم إليهم لعلهم لا يعرفون بدعته، فإن قبلوا وإلا هجرنا، ليس
للحارث توبة، يشهد عليه ويحذو، إنما التوبة لمن اعترف.

[«طبقات الحنابلة» (١٠٥٠/١)]

١٣ - قال المروزي رحمه الله: سألت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - عن
عبد الله التيمي قال: هو صدوق، وقد كتبت عنه شيئاً من الرقائق؛ ولكن
حكى عنه أنه ذكر حديث الضحك، فقال: مثل الزرع إذا صَحِكَ، وهذا
كلام الجهمية. [رواه ابن بطة في «الإبانة» (الرد على الجهمية) (١١١/٣) (٨٣)].

١٤ - قال إبراهيم بن أبان الموصلي: سمعت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل -
وجاءه رجل فقال: إني سمعت أبا ثور يقول: إن الله خلق آدم على صورة نفسه.
فأطرق طويلاً، ثم ضرب يده على وجهه، ثم قال: هذا كلام سوء. هذا
كلام جهم. هذا جهمي؛ لا تقربوه.

[«طبقات الحنابلة» (٢٣٦/١)، و«ميزان الاعتدال» (٦٠٣/١)]

١٥ - قال أبو بكر المروزي رحمه الله: سألت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - عن
الأحاديث التي تردّها الجهمية في الصفات، والرؤية، والإسراء، وقصة العرش.
فصحّحها أبو عبد الله وقال: قد تلقّتها العلماء بالقبول، نسلم الأخبار كما جاءت.
قال: فقلت له: إن رجلاً اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت.

فقال: يُجفَى. وقال: ما اعترضه في هذا الموضع؟ يُسَلَّم الأخبار كما
جاءت. [«السنة» للحلال (٢٨٣)]

١٦ - قال المروزي: قلت لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل - إن رجلاً قال:
أنا أقول: إن الله يرى في الآخرة، ولا أقول: إن محمداً رأى ربه في الدنيا،
وقد أنكر عليه قوم، واعتزلوا أن يصلوا خلفه - وهو إمام - فغضب، وقال:
أهل أن يُجفَى، ما اعترضه في هذا الموضع؟ يُسَلَّم كما جاء.

[«بيان تلبيس الجهمية» (١٨٠/٧)]

١٧ - قال أبو بكر المروزي رحمه الله: قلت لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل - ونحن بالعسكر: جاءني كتاب من بغداد، أن رجلاً قد تابع الحسين الكرابيسي على القول، فقال لي: هذا قد تجهم وأظهر الجهمية، ينبغي أن نحذر عنه، وعن كل من تبعه، قال: مات بشر المريسي وخلف حسيناً الكرابيسي.

[«الإنبات» (الرد على الجهمية) (٤٠٣)]

١٨ - قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله تعالى لا يرى في الآخرة، فغضب غضباً شديداً ثم قال: من قال بأن الله تعالى لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، من كان من الناس، أليس الله ﷻ قال: ﴿يَوْمَ يُنَادِي تَارَةً ۙ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ .
[«الشرعة» للأجري (٥٧٧)]

١٩ - قال أبو داود السجستاني: سمعت أحمد بن حنبل - وقيل له في رجل حدث بحديث عن رجل عن أبي العطوف - يعني [حديث]: «أن الله عز وجل لا يرى في الآخرة» -، فقال: لعن الله من حدث بهذا الحديث، ثم قال: أخزى الله هذا. [«الشرعة» (٦٢٨)]

٢٠ - قال المروزي رحمه الله: قلت لأحمد: استعرت من صاحب حديث كتاباً، يعني: فيه أحاديث رديّة، ترى أن أحرقه، أو أخرقه؟ قال: نعم. [«الأداب الشرعية» (٢٢٩/١)]

٢١ - قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - ودفع إليه رجلاً كتاباً فيه أحاديث مجتمعة، ما ينكر في أصحاب رسول الله ﷺ ونحوه، فنظر فيه ثم قال: ما يجمع هذه إلا رجل سوء، وسمعت أبا عبد الله يقول: بلغني عن سلام بن أبي مطيع أنه جاء إلى أبي عوانة فاستعار منه كتاباً كان عنده

فيه بلايا مما رواه الأعمش، فدفعه على أبي عوانة، فذهب سلام به فأحرقه، فقال رجل لأبي عبد الله: أرجو أن لا يضره ذلك شيئاً إن شاء الله؟ فقال أبو عبد الله: يضره؟! بل يؤجر عليه إن شاء الله.

[«السنة» للخلال (٨٢٢)]

٢٢ - وقال الإمام أحمد: أخزى الله الكرابيسي، لا يجالس، ولا يكلم، ولا تكتب كتبه، ولا يجالس من يجالسه.

وقال: الكرابيسي جهمي. [«طبقات الخنابلة» (٨٨/١)، و(٢٨٦/١)]

٢٣ - قال حرب بن إسماعيل الكرماني: سألت إسحاق - يعني: ابن راهويه (٢٣٨هـ) - قلت: رجل سرق كتاباً من رجل فيه رأي جهم، أو رأي القدر؟ قال: يرمي به.

قلت: إنه أخذ قبل أن يحرقه، أو يرمي به هل عليه قطع؟

قال: لا قطع عليه.

قلت لإسحاق: رجل عنده كتاب فيه رأي الإرجاء، أو القدر، أو بدعة فاستعرت منه فلما صار في يدي أحرقته، أو مزقته؟

قال: ليس عليك شيء. [«السنة» للخلال (٨٢٣)]

٢٤ - عن أحمد بن سعيد بن أبي مریم قال: قال لي نعيم بن حماد: أنفقت على كتب إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى خمسين ديناراً، ثم أخرج إلينا يوماً كتاباً فيه القدر، وكتاباً فيه رأي جهم، فدفع إلي كتاب جهم، فقرأته، فعرفته فقلت له: هذا رأيك؟

قال: نعم. فمزقت كتبه، وطرحتها. [«الكامل» لابن عدي (٢١٩/١)]

٢٥ - قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرّازي: سمعت أبي وأبا زُرعة: يأمران بهجران أهل الزّيف والبدع، ويغلظان في ذلك أشدّ التّغلّيط، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار، وينهيان عن مُجالسة أهل الكلام، والنّظر في كُتب المتكلّمين، ويقولان: لا يُفلح صاحب كلامٍ أبدًا. [اللائكاني (١/١٧٩)]

٢٦ - قال أبو حاتم الرّازي: مذهبنا واختيارنا .. ترك النّظر في كُتب الكرابيسي، ومُجانبة من يتناضل عنه من أصحابه، مثل: داود الأصبهاني وأشكاله، ومتبعيه، وترك كلام المتكلمين، وترك مُجالستهم، وهجرانهم، وترك مُجالسة من وضع الكتب بالرّأي بلا آثار. [اللائكاني (١/١٨٠)]

٢٧ - قال الدّارميّ (٢٨٠هـ) رحمه الله في [النقض على المريسي] (ص ٢٣٦):

فيقال لهذا المعارض المعجب بضلالات هذين الضّالّين: فرغت من كلام بشر بسخط الرّحمن، وابتدأت في كلام ابن التّلعجي بعون الشّيطان، ومثّل فراغك من كلام بشر وشروعك في كلام ابن التّلعجي كمثّل المستجير من الرّمضاء بالنّار، فرغت من احتجاج كافٍ إلى احتجاج جهميّ خاسر، فعلى أيّ جنبيك وقعت منهما لم تنجبر، وبأيها استعنت لم تظفر، وبأيها استنصرت لم تنصر، وكذلك قال الأوزاعي لبعض أهل البدع إذا انتقلوا من رأي إلى رأي: (إنكم لا ترجعون عن بدعةٍ إلّا تعلقتم بأخرى، هي أضّر عليكم منها).

٢٨ - وقال الدّارميّ رحمه الله في [النقض] (ص ٢٤٩):

ادعى المعارض أن بعض النّاس قال في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، قال: استولى، قال: وقال بعضهم: استولى عليه، أي هو عالٍ عليه، يُقال للرّجل: على الشّيء، أي ملكه، وصار في سلطانه، كما يُقال: غلب فلان على مدينة كذا ثم

استوى على أمرها، يريد استولى، ولا يريد الجلوس، وهذه تأويلات محتملة.

فيقال لهذا المعارض العامّه الثّائمه المأبون الذي يهذي ولا يدري: هذه تأويلات مُحتملة لمعانٍ هي أقبح الضّلال، وأفحش المحال، ولا يتأولها من النّاس إلّا الجُهاال، وكُلّ راسخ في الضّلال .. لو ولدتك أمك أصم أخرس كان خيرًا لك من أن تتأول هذا وما أشبهه في الله تعالى وفي عرشه. اهـ

٢٩ - قال ابن بطة (٣٨٧هـ) رحمه الله في [الإبانة] (الرد على الجهمية (٨٣/٢)): تفهموا رحمكم الله ما جاءت به الأخبار، وما روينا من الآثار عن السّلف الصّالحين .. الذين من تقياً بظلمهم لا يضحى .. وسوءة لمن عدل عنهم وكان تابعاً ومؤتمّاً بجهم الملعون وشيعته؛ مثل: ضَرّار، وأبي بكر الأصم، وبشر المريسي، وابن أبي دؤاد، والكرايسي، وشُعيب الحَجّام، وبرغوث، والنّظام، ونظرائهم من رؤساء الكُفّر، وأئمة الضّلال الذين جَحّدوا القرآن، وأنكروا السّنة، وردوا كتاب الله وسّنة رسوله، وكفروا جَهاراً وعمداً، وعناداً وحسداً، وبغيّاً وكفراً، وسأبتك من أخبارهم وسوء مناهجهم، وأقوالهم ما فيه مُعتبر لمن غفل. اهـ

٣٠ - قال السّجزي (٤٤٤هـ) رحمه الله في رسالته في الحرف والصوت (ص ٣٦):

ولأبي بكر بن فورك الأصبهاني كتابان في تفسير ما ورد في القرآن من الصّفات، ومعنى ما جاء في الحديث الصّحيح منها ما يخالف [فيه] أهل السّنة، ومن أتقن السّنة ثم تأمل كتابيه؛ بان له خلاف أبي بكر بن فورك وأصحابه للحق.

والمعتزلة مع سوء مذهبهم أقلّ ضرراً على عوام أهل السّنة من هؤلاء؛ لأنّ المعتزلة قد أظهرت مذهبها ولم تستقف ولم تُموّه. اهـ

وقال (ص ٢٠٠) في الفصل التاسع: (في ذكر شيء من أقوالهم ليقف العامة عليها فينفروا عنهم، ولا يقعو في شباكهم) قال: ومنها: أن المخالف من أصحاب الحديث وأهل الأثر لا يبلغ عقل كثير منهم معرفة العقليات، ولا يفهمونها، فإن كل واحد منهم ينبغي أن يُخاطب على قدر عقله.

وفي ضمن هذا إخفاء المذهب عن قوم وإظهاره لآخرين، وهذا شبيه بالزندقة، وبهذا الفعل منهم دخل كثير من العوام والمبتدئين في مذهبهم؛ لأنهم يُظهرون له الموافقة في الأول، ويكذبون بما ينسب إليهم حتى يصطادوه، فإذا وقع جروهم قليلاً قليلاً حتى ينسلخ من السنة.

وكان أبو بكر الباقلاني من أكثرهم استعمالاً لهذه الطريقة، وقد وشح كتبه بمدح أصحاب الحديث، واستدل على الأقاويل بالأحاديث في الظاهر، وأكثر الثناء على أحمد بن حنبل رحمه الله عليه، وأشار في رسائل له إلى أنه كان يعرف الكلام، وأنه لا خلاف بين أحمد والأشعري، وهذا من رقة الدين، وقلة الحياء.

وقال (ص ٢٢٢) بعد أن ذكر أسماء أئمة المعتزلة قال: ثم يلي أهل السنة بعد هؤلاء بقوم يدعون أنهم من أهل الاتباع، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة، وغيرهم، وهم: أبو محمد بن كلاب، وأبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري. وبعدهم محمد بن أبي ترديد بسجستان، وأبو عبدالله بن مجاهد بالبصرة.

وفي وقتنا: أبو بكر بن الباقلاني ببغداد، وأبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو بكر ابن فورك بخراسان، فهؤلاء يردون على المعتزلة بعض أقاويلهم، ويردّون على أهل الأثر أكثر مما ردوه على المعتزلة... وكلهم أئمة ضلالة، يدعون الناس إلى مخالفة السنة وترك الحديث، وإذا خاطبهم من له هبة وحشمة من أهل الاتباع

قالوا: الاعتقاد ما تقولونه، وإنما نتعلم الكلام لمناظرة الخصوم. والذي يقولونه: كذب، وإنما يستترون بهذا لئلا يشنع عليهم أصحاب الحديث. اهـ

٣١ - قال أبو إسماعيل الهروي (٤٨١ هـ) رحمه الله في [«ذم الكلام» (٤/٤٠٢)]: سألت يحيى بن عمار عن أبي حاتم بن حبان البستي، قلت: رأيته؟

قال: كيف لم أراه ونحن أخرجنه من سجستان؟! كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدّم علينا، فأنكر الحدّ الله، فأخرجناه من سجستان.

٣٢ - وقال الهروي أيضاً في [«ذم الكلام» (٥/١١٠)] وهو يتكلم عن إمام المعتزلة قال: وأما عمر بن عبّيد.. فإنه أول من بسط أساسه، فأصبح رأسه.. وهو إمام الكلام، وداعية الزندقة الأولى، ورأس المعتزلة، سموّاه لا عزّاله حلقة الحسن البصري، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر: مالك بن أنس.. فسلب الله عليه.. أبو بكر أبو السخّيان من أهل البصرة، فهتك أستاره، وأظهر عواره..

٣٣ - قال أبو بكر الزاذقاني: كنت في درس الشيخ أبي حامد الإسفرائيني وكان ينهي أصحابه عن الكلام، وعن الدخول على الباقلاني؛ فبلغه أن نفراً من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام، فظنّ أنّي معهم ومنهم، - وذكر قصة - قال في آخرها: إن الشيخ أبا حامد قال لي: يا بُني قد بلغني أنّك تدخل على هذا الرجل [يعني: الباقلاني] فيأياك وإياه، فإنه مُبتدع، يدعو الناس إلى الضلالة، ولأ فلا تحضر مجلسي.

فقلت: أنا عائذ بالله مما قيل، وتائب إليه، واشهدوا عليّ أنّي لا أدخل إليه.

[«درء التعارض» (٢/٩٧)]

٣٤ - قال إسحاق بن أحمد العَلَشِي (٦٣٤ هـ) رحمه الله في نصيحته المطولة لابن الجوزي، قال: .. ولا بُدَّ من الجريان في ميدان النصيح:

إما لتتفع إن هداك الله، وإما لتركيب حُجَّة الله عليك، ويحذرُ الناسُ قولك الفاسد، ولا يغُرُّكَ كثرةُ اطلاعك على العلوم «قُرْبُ مُبْلَغٍ أَوْ عَمَى مَنْ سَامِعٍ»، و«رُبَّ حَامِلٍ فِيهِ لَا فِقْهَ لَهُ» .. واعلم أنه قد كثر التَّكْيِيرُ عَلَيْكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ، وَالْأَخْيَارِ فِي الْأَفَاقِ بِمَقَالَتِكَ الْفَاسِدَةِ فِي الصِّفَاتِ، وَقَدْ أَبَانُوا وَهَاءَ مَقَالَتِكَ، وَحَكُوا عَنْكَ أَنَّكَ أَبَيْتَ النَّصِيحَةَ، فَعِنْدَكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِالسُّنَّةِ مَا يَضِيقُ الْوَقْتُ عَنْ ذِكْرِهَا ..

وتدعي أن الأصحاب خلطوا في الصِّفَاتِ، فَقَدْ قَبَحْتَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ، وَمَا وَسَعَتْكَ السُّنَّةُ. فَأَتَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَلَا تَتَكَلَّمْ فِيهِ بِرَأْيِكَ؛ فَهَذَا خَبْرٌ غَيْبٍ، لَا يُسْمَعُ إِلَّا مِنَ الرَّسُولِ الْمُعْصُومِ، فَقَدْ نُصِبْتُمْ حَرْبًا لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

لقد آذيت عباد الله وأضللتهم، وصارَ شغلك نقل الأقوال فحسب، وأنا وإفدة الناس والعلماء والحفاظ إليك، فإمّا أن تنتهي عن هذه المقالات، وتتوب التوبة النصوح، كما تاب غيرك، وإلا كشفوا للناس أمرك، وسيروا ذلك في البلاد وبينوا وجه الأقوال الغثّة، وهذا أمرٌ تُشَوُّورَ فِيهِ، وَقُضِيَ بَلِيلٌ، وَالْأَرْضُ لَا تَخْلُو مِنْ قَائِمٍ لَهِ بِحُجَّةٍ، وَالْجُرْحُ لَا شَكَّ مُقَدِّمٌ عَلَى التَّعْدِيلِ، وَالله على ما نقول وكيل، وقد أعذر من أنذر...

وقال: ولقد سوّدت وجوهنا بمقاتلتك الفاسدة، وانفرادك بنفسك، كأنك جبارٌ من الجابرة، ولا كرامة لك ولا نعمى، ولا تُمَكِّنُكَ مِنَ الْجَهْرِ بِمُخَالَفَةِ السُّنَّةِ، وَلَوْ اسْتَقْبَلَ مِنَ الرَّأْيِ مَا اسْتَدْبَرَ: لَمْ يُحَكِّمْكَ عَنْكَ كَلَامٌ فِي السَّهْلِ، وَلَا فِي

الجليل؛ ولكن قَدَّرَ الله وما شاءَ فعل، بيننا وبينك كتاب الله، وسُنَّةُ رسوله، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ولم يقل: إلى ابن الجوزي.

وترى كل من أنكر عليك نسبته إلى الجهل، ففضل الله أوتيته وحدك؟! وإذا جَهَلَتِ النَّاسُ فَمَنْ يَشْهَدُ لَكَ أَنَّكَ عَالِمٌ؟ ... الخ النصيحة.

[«ذيل طبقات الحنابلة» (٤٤٦/٣)]

٣٥ - قال ابن تيمية رحمه الله في [«الدرة» (٢٤٩/٥)]: وكذلك أبو محمد بن حزم ... قد بالغ في نفي الصِّفَاتِ، وَرَدَّهَا إِلَى الْعِلْمِ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ عِلْمًا هُوَ صِفَةٌ، وَيَزْعَمُ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ كَالْعِلْمِ وَالْقَدِيرِ وَنَحْوَهُمَا لَا تَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَيَتَسَبَّبُ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَمْثَالِهِ مِنْ أَثَمَةِ السُّنَّةِ وَيَدْعِي أَنْ قَوْلَهُ هُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ ... الخ

٣٦ - وقال في [«درة التعارض» (٣٢/٧)]: وأهل العلم بالحديث أخصّ الناس بمعرفة ما جاء به الرسول، ومعرفة أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإليهم المرجع في هذا الباب، لا إلى من هو أجنب عن معرفته...

فإن قيل: قلت: إن أكثر أئمة الثّقة من الجهميّة والمعتزلة كانوا قليلي المعرفة بما جاء عن الرسول ﷺ وأقوال السلف في تفسير القرآن، وأصول الدين، وما بلغوه عن الرسول ﷺ ففي الثّقة كثيرٌ من له معرفة بذلك.

قيل هؤلاء أنواع:

نوع ليس لهم خبرة بالعقليات، بل هم يأخذون ما قاله الثّقة عن الحكم والدليل ويعتقدونها براهين قطعية، وليس لهم قوّة على الاستقلال بها، بل هم في الحقيقة مُقَلِّدون فيها، وقد اعتقد أقوال أولئك، فجميع ما يسمعون

من القرآن، والحديث، وأقوال السلف، لا يحملونه على ما يخالف ذلك، بل إما أن يظنوه موافقاً لهم، وإما أن يعرضوا عنه مفضّين لمعناه، وهذه حال مثل: أبي حاتم البستي، وأبي سعد السمان المعتزلي، ومثل: أبي ذر الهروي، وأبي بكر البيهقي، والقاضي عياض، وأبي الفرج ابن الجوزي، وأبي الحسن علي بن المفضل المقدسي، وأمثالهم.

والثاني: من يسلك في العقليات مسلك الاجتهاد، ويغلط فيها كما غلط غيره، فيشارك الجهمية في بعض أصولهم الفاسدة، مع أنه لا يكون له من الخبرة بكلام السلف، والأئمة في هذا الباب ما كان لأئمة السنة، وإن كان يعرف متون الصحيحين وغيرهما، وهذه حال: أبي محمد بن حزم، وأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي وأمثالهم، ومن هذا النوع بشر المريسي، ومحمد بن شجاع الثلجي، وأمثالهم.. اهـ

٣٧ - وقال في «بيان تلبس الجهمية» (١٥٥/٧): الرّازي هو في الحقيقة يجمع البدعتين [إنكار الصفات، وتأويلها]، فلا يتبع الحقّ لا في إسنادها، ولا في دلائلها، بل لا يفعل ذلك في دلالة القرآن، ولذلك كانت طريقته صدّاً عن سبيل الله، ومنعاً للناس عن اتباع ما جاء به الرسول ﷺ، فإن ذلك لا يثبت إلا بالنقل وبدلالة الألفاظ، وهو دائماً يطعن في الطريقتين. اهـ

٣٨ - وقال رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٣٨٦/١٣): وأما الرّبخشري فتفسيره محشو بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات، والرؤية، والقول بخلق القرآن، وإنكار أن الله مُريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة. اهـ

٣٩ - وقال في «الدرء» (٣١/٧): فأبو الحسين وأمثاله من المعتزلة، وكذلك الغزالي، والرّازي وأمثالهما من فروع الجهمية هم من أقلّ الناس علماً بالأحاديث النبوية، وأقوال السلف في أصول الدين. اهـ

٤٠ - وقال أيضاً في «الرد على المنطقيين» (ص ١٣٠) وهو يتكلم على العزّ ابن عبدالسلام: فيقال لهؤلاء الجهمية الكلابية - كصاحب هذا الكلام أبي محمد وأمثاله .. الخ

ويقول أيضاً وهو يتكلم عن العزّ بن عبدالسلام (ص ١٣١): وأبو محمد وأمثاله سلّكوا مسلك الملاحدة الذين يقولون: إن الرّسول لم يُبيّن الحقّ في باب التوحيد، ولا بيّن للناس ما هو الأمر عليه في نفسه. اهـ

٤١ - قال ابن القيم رحمه الله وهو يتكلم على ابن جني التّحوي: هذا الرّجل وشيخه أبا علي [الفارسي الفسوي] من كبار أهل البدع والاعتزال المنكرين لكلام الله تعالى وتكليمه. [مختصر الصواعق] (٨٢١/٢)

٤٢ - وقال ابن القيم رحمه الله في «الطّرق الحكيمة» (٧١٠/٢): لا ضمان في تحريق الكتب المضلّة وإتلافها.

قال المروذي: قلت لأحمد: استعرت كتاباً فيه أشياء رديئة، ترى أن أخرقه، أو أحرقه؟ قال: نعم، فأحرقه.

وقد: رأى النبي ﷺ بيد عُمر ؓ كتاباً اكتتب من التّوراة، وأعجبه موافقته للقرآن. فتمعّر وجه النبي ﷺ حتّى ذهب به عُمر إلى التّنور فألقاه فيه.

فكيف لو رأى النبي ﷺ ما صُنّف بعده من الكتُب التي يعارض بها ما في القرآن والسّنة؟ والله المستعان.

وكل هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة: غير مأذون فيها، بل مأذون في محققها وإتلافها، وما على الأمة أضر منها. وقد حرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان، لما خافوا على الأمة من الاختلاف. فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت الخلاف والتفرق بين الأمة ؟ ..

قال أحمد: أهلكهم وضع الكتب، تركوا آثار رسول ﷺ، وأقبلوا على الكلام.

قال حماد بن زيد: قال لي ابن عون: يا حماد، هذه الكتب تُضلل.

قال أبو عبد الله: يضعون البدع في كتبهم، إننا أحذر عنها أشد التحذير.

.. والمقصود: أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها، وهي أولى بذلك من إتلاف آيات اللهو والمعازف، وإتلاف آنية الخمر، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه، ولا ضمان فيها. اهـ

٤٣ - قال ابن عبد الهادي رحمه الله في [طبقات علماء الحديث] (٣/٣٥٠): وقد طالعت أكثر كتاب «الملل والنحل» لابن حزم، فرأيت قد ذكر فيه عجائب كثيرة، ونقول غريبة، وهو يدل على قوة ذكاء مؤلفه، وكثرة اطلاعه؛ لكن تبين لي أنه جهمي جلد، لا يثبت من معاني أسماء الله الحسنى إلا القليل: كالخالق، والحق، وسائر الأسماء عنده لا تدل على معنى أصلاً: كالرحيم، والعليم، والقدير، ونحوها، بل العلم عنده هو: القدرة، والقدرة هي: العلم، وهما عين الذات، ولا يدل العلم على معنى زائد على الذات المجردة أصلاً، وهذا عين السفسطة والمكابرة. اهـ

٤٤ - قال الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابنا الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله: فإياك أن تغتر بما أحدثه المتأخرون وابتدعوه كابن حجر

الهيتمي. اهـ [مجموعة الرسائل] (٥/٥٣٢)، و«الدرر السنية» (٢/١٥٦).

٤٥ - وسُئِلَ عن السنوسي المغربي «مُصنّف السنوسية»:

فقال: السنوسي المذكور، صنّف كتابه: «أم البراهين»، على مذهب الأشاعرة، وفيها أشياء كثيرة مخالفة لما عليه أهل السنة، فإن الأشاعرة قد خالفوا ما عليه السلف الصالح في مسائل، منها: مسألة العلو، ومسألة الصفات، ومسألة الحرف والصوت .. الخ

٤٦ - قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في [فتح المجيد] (باب: من جحد شيئاً من الأسماء والصفات) (ص ٥٨٤): ولقد كان شيخنا المصنّف رحمه الله [يقصد جده الإمام محمد بن عبد الوهاب] لا يحب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم، وعبادتهم، ومعاملاتهم التي لا غنى لهم عن معرفتها، وينهاهم عن قراءة مثل كتب ابن الجوزي كـ: «المنعش»، و«المرعش»، و«التبصرة»؛ لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغي اعتقاده والمعصوم من عصمه الله. اهـ

٤٧ - وقال أيضاً: والأمر الخامس: معارضة أولئك للآيات المحكمات البينات التي في غاية البيان والبرهان، وبيان ما ينافي التوحيد من الشرك والتّنديد فعارضوا بقول أناس من المتأخرين لا يجوز الاعتماد عليهم في أصول الدين، فيقولون: (قال ابن حجر الهيتمي)، (قال البيضاوي)، قال فلان، ولا ريب أن: الزّخشي وأمثاله من المعطلة: أعلم من هؤلاء، وأدري في فنون العلم؛ لكنهم أخطؤوا كخطأ هؤلاء، وفي تفسير الزّخشي من دسائس الاعتزال ما لا يخفى وليسوا بأعلم منه.

وعلى كُلِّ حالٍ: فليسوا بِحُجَّةٍ يعارض بها نُصوص الكتاب والسُّنة وما عليه سلف الأمة. اهـ

[الدرر السنية] (٢: ٢٤٢)، «تيسير العزيز الحميد» (ص ٣٥٦)، الباب (٣٠).

٤٨ - وقال أيضًا في [الدرر السنية] (٣/ ٢٠٩) وهو يتكلم عن الجهمية:

فهم خصوم أهل التوحيد، والسُّنة، إلى اليوم؛ فإياكم أن تغتروا بمن هذه حاله، ولو كان له صورة ودعوى في العلم ممن امتلأ قلبه من فرث التعطيل، وحال بينه وبين فهم الأدلة الصحيحة الصريحة شبهات التأويل.

قال الإمام أحمد رحمه الله: أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل والقياس.

فصنف المتأخرون من هؤلاء على مذهبهم الفاسد مُصنِّفات؛ كالأرجوزة التي يسمونها: «جوهرة التوحيد»؛ وهي إلحاد وتعطيل، لا يجوز النظر إليها، ولهم مُصنِّفات أُخرى، نفوا فيها علوَّ الربِّ تعالى؛ وأكثر صفات كماله نفوها، ونفوا حكمة الربِّ تعالى. اهـ

٤٩ - وقال أيضًا رحمه الله: والسَّنوسي، وأمثاله من المتأخرين، ليسوا من السلف، ولا من الخلف المعروفين بالنظر والبحث، بل هو من جهلة المتأخرين، المُقلِّدين لأهل البدع، وهؤلاء ليسوا من أهل العلم.

أما ابن حجر الهيثمي فهو من متأخري الشافعية، وعقيدته عقيدة الأشاعرة النُفاة للصفات. اهـ [مجموعة الرسائل] (٤/ ٣٧١)، [الدرر السنية] (٣/ ٢٢٥).

٥٠ - قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله في [الدرر السنية] (٣/ ٢٧٠) وهو يتكلم عن البيضاوي: وكلامه على قواعد الجهمية ونحوهم من نفي محبة المؤمنين لربهم. والحق خلاف ذلك. اهـ

٥١ - قال الشيخ سليمان بن سحان رحمه الله في [البيان المبدي لشناعة القول المجدي] (ص ٦٧) وهو يتكلم عن ابن حجر الهيثمي:

إن هذا الرجل ممن أعمى الله بصيرته، وأضلَّه على علم، قد انقذت في قلبه الشُّبهات وصادف قلبًا خاليًا، فهو لا يقبل إلا ما لفقوا من التُّرَّهات، وما فاض من غيظ ذوي الحسد والحقد والتمويهات.... الخ.

٥٢ - وقال أيضًا رحمه الله في [الصواعق المرسلة الشهابية] (ص ٢١٤):

فإذا تحققت مما ذكره أهل العلم في شيخ الإسلام تبين لك أن الشُّبكي هو الذي خرج عن الصُّراط المستقيم، وخالف ما عليه الأئمة من علماء المسلمين، وآته هو الذي ابتدع ما لم يقله عالم قبله، فصار بافترائه وعدوانه مثلةً بين أهل الإسلام ممن له معرفة بالعلوم ومدارك الأحكام، فلا يلتفت إلى مُفترياته عاقل ولا ينظر في أساطيل أساطيرها فاضل. اهـ

٥٣ - وقال في تعليقه على رشيد رضا في تعليقاته على رسائل أئمة الدعوة (ص ١٤١-١٤٢): قوله في صفحة (٨٨) على قوله في الحديث القدسي: «كنت سمعه الذي يسمع به..» الحديث. فذكر كلام النووي وهو كلام باطل، من التأويلات المبتدعة، فلا يُعول عليه. اهـ

٥٤ - قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله [الفتاوى] (١/ ٢٠١): (في تعليقه على قول البهوتي في «الروض المربع شرح زاد المستنقع» (الرحمن الرحيم) قال: الموصوف بكمال الإنعام أو بإرادة ذلك). هذا جرى فيه الشَّارح على آثار الشُّراح، وهذا من اعتقاد الأشاعرة، ومن المعلوم أنه شُعبة من المذهب الجهمي الوبي.

وقد اشتهر في النفي مذاهب أربعة: المعتزلة، والأشاعرة، والجهمية، والماتريدية. والماتريدية: قريبة من الأشعرية إلا أن بينها فروق مذكورة في مواضعها. اهـ

٥٥ - قال الشيخ حمد بن عتيق (١٣٠١هـ) رحمه الله في نصيحته لصديق حسن خان: .. واعلم - أرشدك الله - أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير، أو شرح حديث، اختبرناه، واعتبرناه معتقده في العلو، والصفات، والأفعال، فوجدنا الغالب على كثير من المتأخرين، أو أكثرهم، مذهب الأشاعرة الذي حاصله: نفي العلو، وتأويل الآيات في هذا الباب بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي، وأضرابه من أهل البدع والضلال، ومن نظر في شروح البخاري ومسلم ونحوهما، وجد ذلك فيها، وأما ما صنف في الأصول والعقائد فالأمر فيه ظاهر لذوي الأبواب، فمن رزقه الله بصيرة ونورا، وأمعن النظر فيها قالوه، وعرضه على ما جاء عن الله، ورسوله ﷺ، وما عليه أهل السنة المحضة، تبين له المنافا بينهما، وعرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار.

فأعرض عما قالوه، وأقبل على الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة وأئمتها، ففيه الشفاء والمقنع.

[وانظر تمام الرسالة في «هداية الطريق من رسائل الشيخ حمد بن عتيق» (ص ١٦٩)]

٥٦ - قال الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله: كنت أظن أن ابن الأثير سلفي العقيدة، بريء من التعطيل والتجهم؛ لأنني رأيت المتأخرين من المشتغلين ينقلون من كتابه: «شرح غريب الحديث»، ولما رأيت شرحه لأسماء الله الحسنى، وجدته من شرار الجهمية المعطلة. اهـ [«سبيل الرشاد» (١/١٩)]

٥٧ - قال الشيخ محمود الألوسي رحمه الله في «رده على النبهاني» (١/٣٢٧) بعد ذكره للعقيدة الواسطية لابن تيمية رحمه الله وما فيها من إثبات الصفات، قال: وغرضنا من نقله أن يتبين للنظر في هذا الكتاب أن من ينقل عنهم الغبي النبهاني من مطاعن الشيخ؛ كصدر الدين ابن الوكيل، وابن الزملكاني، وصفي الدين الهندي، والعز بن جماعة، والسبكي، ونحوهم من غلاة الشافعية كلهم خصوصاً الداء للشيخ، فلا تلتفت إلى قدحهم وجرحهم، والشيخ قد كابد منهم ما كابد، وهؤلاء وأضرابهم الذين شيدوا أركان البدع، ونفثوا سم ضلالهم في أفواه متبعيهم، قاتلهم الله أجمعين. اهـ

قلت: فهذا بعض أقوال أهل السنة والجماعة في التحذير من أهل التأويل والتعطيل، أو ممن تأثر بهم، والتصريح بأسائهم، والتحذير من مصنفاتهم، فتأمل، وانظر إلى حال كثير من المتأخرين ممن ينشئ على هؤلاء، ويجعلهم أئمة للمسلمين، ويوصي العامة والخاصة بقراءة كتبهم!! دون التنبيه على ما فيها من التحريف والتعطيل!! فيضلون بذلك كثيراً من اتباعهم، ومن يسمعون لهم. والله المستعان.

فصل

(الحذر من التركون إلى كل أحد، والأخذ من كل كتاب؛ لأن التلبس قد كثر، والكذب على المذاهب قد انتشر)

كذا بَوَّبَ السَّجْزِي (ت ٤٤٤ هـ) رحمه الله في [رساليته إلى أهل زَيد في الرَّدِّ على من أنكر الحرف والصوت] (ص ٢٣١) وقال:

اعلموا رحمنا وإياكم الله سبحانه، أن هذا الفصل من أوَّلَى هذه الفُصول بالضبط لعموم البلاء، وما يدخل على النَّاسِ بِإِهْمَالِهِ، وذلك أن أحوال أهل الزَّمان قد اضطربت، والمُعْتَمِدُ فِيهِمْ قد عَزَّ، ومن يبيع دينه بعرض يسير، أو تحبباً إلى من يراه قد كثر، والكذب على المذاهب قد انتشر.

فالواجب على كلِّ مُسلمٍ بحب الخلاص ألا يركن إلى كلِّ أحدٍ،

ولا يعتمد على كلِّ كتابٍ، ولا يُسَلِّمُ عنانه إلى من أظهر له الموافقة.

فلقد وقفتُ على رسالة عملها رجلٌ من أهل أصبهان، يُعرف بابن اللَّبان، وهو حيٌّ بَعْدُ فيها بلغني، وسماها: «شرح مقالة الإمام الأوحَد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل»، وذكر فيها مذهب الأشعري المخالف لأحمد، وأعطى منها نُسْخاً إلى جماعة يطوفون بها فيها البلاد، ويقولون: هذا إمامٌ من أئمة أصحاب أحمد - رحمة الله عليه -، قد شرح مقالته ليكتبها العوام، ويطنوا صدق النَّاقل في الضَّلالة!

وأخرج هذا الرجل من بغداد بهذا السَّبب، وعاد إلى أصبهان، وهو من أصحاب أبي بكر ابن الباقلاني!

وها هنا بمكة معنا مَنْ شَغَلَهُ برواية الحديث أكثر وقته، ويصيح: أنه ليس بأشعري، ثُمَّ يقول: رأيت منهم أفاضل، وَمَنْ التُّرابُ تحت رجله أفضل من خَلْقِي، وإذا قَدِمَ البلدَ رَجُلٌ منهم قصده قاضياً لحقه، وإذا دخله رَجُلٌ من أصحابنا: جانبه، وحذَر منه، وكلما ذُكر بين يديه شيخٌ من شيوخ الحنابلة وقع فيه، وقال: أحمد نبيلٌ؛ لكنَّهُ بُلي بمن يكذب!

وهذا مَكْرٌ منه لا يحيق إلَّا به، ولو جاز أن يُقال: إن أصحاب أحمد كذبوا عليه في الظَّاهر من مذهبه والمنصوص له، لساغ أن يقال: إن أصحاب مالك، والشافعي، وغيرهما، كذبوا عليهم فيما نقلوه عنهم، وهذا لا يقوله إلَّا جاهلٌ رقيق الدِّين، قَليل الحياء.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُظْهَرُ الرَّدُّ على الأشعرية ويقول: ما أتكلم في الحرف والصوت. وَمَنْ كان هكذا لم يَحُلْ أمره من أحد وجهين:

إمَّا أن يكون غير خبير بمذهب أهل الأثر، وهو يريد التَّظاهر به تكسباً أو تحبباً.

وإما أن يكون من القوم فيتظاهر بمخالفتهم، ليدلَّس قولهم فيما يقولونه، فيقبَل منه، أو يحسِّن قبيحهم فيتابع عليه، ظناً أنه مُحالِفٌ لهم، وكثيراً ما يَتَمُّ على أهل السُّنَّة مثل هذا.

فمن رام النَّجاة من هؤلاء، والسَّلامة من الأهواء، فليكن ميزانه الكتاب والأثر - في كلِّ ما يسمع ويرى، فإن كان عالماً بها عرضه عليهما - واتباعه للسلف.

ولا يقبل من أحد قولاً إلَّا وطالبه على صحته بأية مُحكمة، أو سُنَّة ثابتة،

أو قول صحابيٍّ من طريقٍ صحيح.

وليكثر النَّظَرُ في كِتَابِ السُّنَنِ لِمَنْ تَقْدُمُ مِثْلُ: أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِي، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَأَبِي بَكْرٍ الْأَثَرَمَ، وَحَرْبَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ السَّيْرَجَانِي، وَخُشَيْشَ بْنِ أَصْرَمَ النَّسَائِي، وَعُرْوَةَ بْنَ مَرْوَانَ الرَّقِي، وَعُثْمَانَ ابْنَ سَعِيدٍ الدَّارِمِيَّ السَّجِسْتَانِي.

وليحذر تصانيف مَنْ تَغَيَّرَ حَالُهُمْ، فَإِنْ فِيهَا الْعَقَارِبُ، وَرُبَّمَا تَعَذَّرَ التَّرْيَاقُ، وَلَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: سَمِعْتُ مَنْ مَبْتَدِعٍ قَوْلًا أَجْتَهِدُ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ قَلْبِي وَسَمْعِي، وَلَا يَتِمُّ لِي ذَلِكَ.

وكان ابن طاووس يُسَدُّ أذنه إذا سمع مبتدعاً يتكلم ويقول: القلب ضعيف. وليكن من قَصْدِ مَنْ تَكَلَّمَ فِي السُّنَّةِ اتِّبَاعُهَا، وَقَبُولُهَا، لَا مَغَالِبَةُ الْخُصُومِ، فَإِنَّهُ يُعَانِ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ الْمَغَالِبَةَ رَبِّمَا غَلِبَ.

وقال الحسن: المؤمنُ يَنْشُرُ حِكْمَةَ اللَّهِ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنْهُ حَمْدُ اللَّهِ، وَإِنْ رُدَّتْ عَلَيْهِ حَمْدُ اللَّهِ. وموضع الحمد في الرَّدِّ أَنَّهُ قَدْ وُفِّقَ لِأَدَاءِ مَا عَلَيْهِ.

وقال الهيثم بن جميل: قلت لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الرَّجُلُ يَكُونُ عَالِمًا بِالسُّنَّةِ، يُجَادِلُ عَلَيْهَا؟

قال: لا، يُجَبِّرُ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنْهُ، وَإِلَّا أَمْسَكَ.

وقال العباس بن غالب الهمداني الورَّاق: قلت لأحمد بن حنبل رحمه الله: يا أبا عبد الله: أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السُّنَّةَ غَيْرِي، فيتكلَّم مبتدعٌ فيه، أَرَدَ عَلَيْهِ؟

فقال: لَا تُنْصَبْ نَفْسُكَ لِهَذَا. قال: أَخْبِرْ بِالسُّنَّةِ، وَلَا تُخَاصِم.

فأعدت عليه القول، فقال: مَا أَرَاكَ إِلَّا مُحَاصِمًا.

وروي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا أَلْقَى بَيْنَهُمُ الْجِدَلَ، وَخَزَنَ الْعَمَلَ».

وقيل للحسن بن أبي الحسن البصري: نجادلك؟ فقال: لست في شكٍّ من ديني.

وقال مالك بن أنس: أَكَلَّمْنَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ، تَرَكْنَا مَا نَزَلَ بِهِ جَبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجْدَالِهِ. وقال حسان بن عطية لغيلان: إِنَّكَ وَإِنْ أُعْطِيتَ لِسَانًا، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَا عَلَى حَقٍّ، وَأَنْتَ عَلَى بَاطِلٍ.

وقال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِنَّا كُمْ وَالْمُحَدَّثَاتِ، فَإِنْ كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ».

فليحذر كُلُّ مُسْلِمٍ مَسْئُولٍ وَمُنَظَّرٍ مِنَ الدُّخُولِ فِيهَا يَنْكَرُهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَلِيَجْتَهِدَ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَاجْتِنَابِ الْمُحَدَّثَاتِ كَمَا أُمِرَ.

وليعلم أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَكِلَ الْأَمْرَ إِلَى النَّاسِ، وَيَأْمُرَهُمْ بِالْاجْتِهَادِ فِيهِ بِرَأْيِهِمْ لَفَعَلَ؛ لَكِنَّهُ أَبَى ذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ، وَنَهَاهُمْ، ثُمَّ أَلْزَمَهُمُ الْاجْتِهَادَ فِي الْقِيَامِ بِمَا أَمَرُوا بِهِ، وَاجْتِنَابَ مَا نَهَا عَنْهُ.

وَأَنَا أَرْجُو أَنْ مَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ حَقَّ التَّأَمُّلِ، وَجَدَ فِيهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ شِفَاءً غَلِيلَهُ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ قِيَامِي بِهَا لَوَجْهَهُ خَالِصًا، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهَا مَنْ نَظَرَ فِيهَا، إِنَّهُ وَلِي ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. انْتَهَى كَلَامُ السَّجْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

المبحث التاسع:

التحذير من الكلام وأهله

علمُ الكلام: «هو مزيج من القوانين المنطقية، والأصول الفلسفية، ألبست لباس الإسلام، وقُدِّمت في صورة ظاهرها الدِّفاع عن الدِّين، وباطنها زرع الحيرة والشُّك والإلحاد في القلوب».

وأهل هذا العلم يستخدمون في تقرير هذه المسائل الألفاظ والعبارات المولدة التي اصطلح عليها أهل الباطل لتعطيل صفات الله تعالى كلفظ: (الجوهر)، (والعَرَض)، و(الجسم)، وغيرها من الألفاظ، كما قال الإمام أحمد رحمه الله في وصفه لأهل البدع: (هم المُخْتَلِفُونَ في الكتاب، مُخَالِفُونَ للكتاب، مُتَّفِقُونَ على مُخَالَفَةِ الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويُلَبِّسون على جُفْهال النَّاسِ بما يتكلمون من المتشابه).

[«الرد على الزنادقة والجهمية» (ص ١٧٠)]

ومن موضوعات علم الكلام التي تُدرَّس لأبناء المسلمين في كثير من الجامعات: «تعريف العلم، وتقسيمه إلى تصوُّر وتصديقات، والكلام حول تلك التعريفات للعلم، وتعريف التَّصَوُّر، وتعريف التَّصَدِيق.

والكلام في العلوم الصَّورية، وفي النَّظَر ووجوبه، وهل أوَّل الواجبات معرفة الله، أو النَّظَر فيها، أو القصد إليها؟ والكلام في أحوال الوجود،

وأحوال العدم، وفي تصوُّر الوجود أهو بديهي أم غير بديهي؟ .. والكلام في أحكام الواجب، والممكن، والممتنع، والكلام في الجوهر، والأعراض، وفي الكمِّ والخلاء والملا والمجرى والجوهر والفرد .. الخ

[نقلًا من كتاب «الصفات الإلهية» لعبد الرحمن الوكيل]

ولقد علِمَ أئمة الإسلام وأئمة السُّنة خطر علم الكلام على أهل الإسلام فأجمعوا على التَّهْيِ عن النَّظَر فيه؛ أو تعلُّمه أو تعليمه؛ لأنَّه لا يأتي بخير، ولا يُفْلِح صاحبه أبدًا وإن أراد بذلك نصر السُّنة، فالسُّنة لا تُنصر بهذا العلم، إنَّما تنصر بالآيات والأحاديث والآثار، كما قال ذلك أهل السُّنة، ولا يُسمَّى الرَّجُلُ عالمًا إلَّا بتعلُّم كتاب الله تعالى وسُنَّة النبي ﷺ وما كان عليه السَّلف الصَّالح، ولو تعلَّم الرَّجُل علم الكلام والمنطق حتَّى وصل فيه إلى غايته لم يُعدَّ عالمًا كما:

- قال أبو حاتم الرَّازي (٢٧٧هـ) رحمه الله: قِيلَ لهشام بن عبيد الله حين أُدخل على المأمون: كَلِّمْ بشر المُرْسِي. فقال: أصْلَح الله الخليفة لا أحسن كلامه، والعالم بكلامه عندنا جَاهِل. [«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٦٦٩)]

- وقال قوام السُّنة الأصبهاني (٥٣٦هـ) رحمه الله في [«الحجة في بيان المحجة» (٣٠٦/١)]: بيان الأمور التي يكون بها الرَّجُل إمامًا في الدِّين، وأن أهل الكلام ليسوا من العلماء. اهـ

- وقال ابن عبد البر (٤٦٣هـ) رحمه الله في [«جامع بيان العلم» (٢/٩٤٢)]: أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار؛ أن أهل الكلام أهل بدع وزيف، ولا يُعَدُّون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنَّما العلماء أهل الأثر، والتَّفَقُّه فيه. اهـ

- وقال السَّجْزِي (٤٤٤هـ) رحمه الله في [«الرسالة في الحرف والصوت»

(ص ٢١٦): [وَأَمَّا أَئِمَّةُ الضَّلَالَةِ: فالْمُشْرِكُونَ والمُدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ والمُنافِقُونَ ثُمَّ كُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ حَدَّثًا، وَأُسِّسَ بِخِلَافِ الْحَدِيثِ طَرِيقًا، وَرَدَّ أَمْرَ الْمُعْتَقَدَاتِ إِلَى الْعُقُلِيَّاتِ، وَلَمْ يُعْرِفْ شُيُوخَهُ بِاتِّبَاعِ الْآثَارِ، وَلَمْ يَأْخُذِ السُّنَّةَ عَنْ أَهْلِهَا، أَوْ أَخَذَ عَنْهُمْ ثُمَّ خَالَفَهُمْ. اهـ]

* وما روى عن أئمة السُّنَّةِ ومن بعدهم في باب التَّهْيِ عن الخوضِ في عِلْمِ الْكَلَامِ:

١ - قال محمد بن عقيل بن الأزهر الفقيه (٣١٦هـ) رحمه الله: جاء رجلٌ إلى المُرْزِي - إسماعيل بن يحيى (٢٦٤هـ) - فسأله عن شيءٍ من الْكَلَامِ في التَّوْحِيدِ، فقال: إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشَّافِعِيُّ، ولقد سمعت الشَّافِعِي (٢٠٤هـ) يقول: سئل مالكٌ عن الْكَلَامِ في التَّوْحِيدِ؛ قال مالك (١٧٩هـ): محالٌ أن يظنَّ بالنبي ﷺ أَنَّهُ عَلِمَ أُمَّتَهُ الاستنجااءَ ولم يُعَلِّمَهُمُ التَّوْحِيدَ، فالتَّوْحِيدُ ما قاله النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فإِذَا قَالُوهَا؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»، فما عُصِمَ بِهِ الدَّمُ وَالْمَالُ فَهُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ.

[«ذم الْكَلَامِ» للهِرَوِي (١١٢٨)، والهِكَّارِي في «اعتقاد الشافعي» (١٩)]

٢ - قال عبد الرحمن بن مهدي (١٩٨هـ) رحمه الله: دخلتُ على مالك، وعنده رجلٌ يسأله عن القرآن والقدر؟

فقال: لعلك من أصحابِ عَمْرٍو بن عُبيد، لعن الله عَمْرًا؛ فَإِنَّهُ ابْتَدَعَ هَذِهِ الْبِدْعَةَ مِنَ الْكَلَامِ، وَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ عِلْمًا لَتَكَلَّمَ فِيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كَمَا تَكَلَّمُوا فِي الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ؛ وَلَكِنَّهُ بَاطِلٌ يَدُلُّ عَلَى بَاطِلٍ.

[«مختصر الحجة على تارك المحجة» (٢١٢)]

قال ابن تيمية رحمه الله في [«الفتاوى الكبرى» (٥/٢٤٥)]: وهذا صريحٌ في ردِّ الْكَلَامِ وَالتَّوْحِيدِ الَّذِي كَانَ يَقُولُهُ الْمُعْتَزَلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ وَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، بخلاف ما رُوي من الآثارِ الصَّحِيحَةِ في الصفاتِ وَالتَّوْحِيدِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْكُرُوهُ، إِنَّمَا أَنْكَرُوا الْكَلَامَ وَالتَّوْحِيدَ الْمُبْتَدَعَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ. اهـ

٣ - قال عبد الله بن داود الحُرَيْبِيُّ (٢١٣هـ): سألتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ (١٦١هـ) عَنِ الْكَلَامِ، فقال: دَعِ الْبَاطِلَ، أَيْنَ أَنْتَ عَنِ الْحَقِّ؟ اتَّبِعِ السُّنَّةَ وَدَعِ الْبِدْعَةَ. [«مختصر الحجة» (٢٢٣)]

٤ - قال محمد بن يحيى بن منده: سمعت رسته يقول: قيل لعبد الرحمن ابن مهدي (١٩٨هـ): إِنْ فُلَانًا قَدْ صَنَّفَ كِتَابًا فِي السُّنَّةِ رَدًّا عَلَى فُلَانٍ.

فقال عبد الرحمن: رَدًّا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قيل: بَكَلَامٍ. قال: رَدًّا بِبَاطِلٍ بِبَاطِلٍ. [«حلية الأولياء» (٩/١٠-١١)]

٥ - سئل أبو جعفر الباهلي عن الخوض في الْكَلَامِ: فقال: سُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ (١٥٧هـ) عَنْهُ فَقَالَ: اجْتَنِبْ عِلْمًا إِذَا بَلَغْتَ فِيهِ الْمُتَهَيَّ نَسْبُوكَ إِلَى الزُّنْدَقَةِ، وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِدَاءِ وَالتَّقْلِيدِ. [«مختصر الحجة» (٢٢٤)]

٦ - قال الشَّافِعِيُّ (٢٠٤هـ) رحمه الله: لو أَنَّ رَجُلًا وَصَّى بِكُتْبِهِ مِنَ الْعِلْمِ لِآخَرٍ، وَكَانَ فِيهَا كُتُبُ الْكَلَامِ، لَا تَدْخُلُ فِي الْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ. [«مختصر الحجة على تارك المحجة» (٢١١)]

٧ - وقال أيضًا رحمه الله: لو يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْكَلَامِ وَالْأَهْوَاءِ، لَفَرَّوْا مِنْهُ كَمَا يَفَرُّونَ مِنَ الْأَسَدِ. [«الحلية» (٩/١١١)].

٨ - وقال رحمه الله: ما رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح، ولأن يبتلى المرء بكل ذنب نهى الله عنه ما خلا الشرك، خير له من أن يبتلى بالكلام. [«الإبانة» لابن بطة (٦٦١) و(٦٦٤)، «مختصر الحجة» (٢١٥)]

٩ - وقال رحمه الله: حُكِمَ في أهل الكلام حُكْمُ عُمَرَ رضي الله عنه في صَبِيح: أن يُضْرَبُوا بالجريد، ويُحْمَلُوا على الإبل، ويُطَافَ بهم في العشائر والقبائل، ويُنادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على عِلْمِ الكلام. [«ذم الكلام» (٧٠٨) للأنصاري، و«الدر المثور» (١٥٣/٢)]

١٠ - قال المزني: كنتُ أنظر في الكلام قبل أن يَقْدُم الشَّافِعِيُّ، فلما قَدِمَ الشَّافِعِيُّ؛ أتيتُه فسألته في الكلام؛ فقال لي: تدري أين أنت؟ قال: قلتُ: نعم، أنا في المسجد الجامع بالفسطاط. فقال: أنت في تاران.

قال أبو القاسم: و(تاران): موضع في بحر القلزم لا يكاد تسلم منه سفينة. قال: ثم ألقى عليّ مسألة في الفقه، فأجبت فيها، فأدخل شيئا أفسد جوابي، فأجبت بغير ذلك، فأدخل شيئا أفسد جوابي، فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده، قال: ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا؛ فكيف الكلام في رب العالمين الذي الزلزل فيه كفر؟! فتركت الكلام، وأقبلت على الفقه. [«ذم الكلام» (١١٢٥)].

١١ - وقال: لو أردت أن أضع على كل مخالف لي كتابا لفعلت؛ ولكن ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن يُنسب إليّ منه شيء. [«مختصر الحجة» (٢١٨)]

قلت: فهذه بعض أقوال الإمام الشَّافِعِيِّ رحمه الله في ذم الكلام وأهله، ولقد كان أئمة الشَّافعية على ذلك كما قال الشيخ أبو الحسن الكرجي

الشَّافِعِيُّ (٥٣٢هـ) رحمه الله في كتابه «الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول»: ولم يزل الأئمة الشَّافعية يأنفون ويستكفون أن يُنسبوا إلى الأشعري، ويتبرَّون بما بنى الأشعري مذهبه عليه، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه. اهـ [«درء التعارض» (٩٦/٢)]

قال ابن تيمية رحمه الله في [«الاستقامة» (١٥/١)]: الشَّافِعِيُّ من أعظم الناس ذمًا لأهل الكلام ولأهل التَّغْيِير، ونهيا عن ذلك، وجعلًا له من البدعة الخارجة عن السنة.

ثم إن كثيرًا من أصحابه عكسوا الأمر حتى جعلوا الكلام الذي ذمَّه الشَّافِعِيُّ هو السنة وأصول الدين الذي يجب اعتقاده وموالاته أهله، وجعلوا موجب الكتاب والسنة الذي مدحه الشَّافِعِيُّ هو البدعة التي يعاقب أهلها. اهـ

١٢ - قال أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رحمه الله: لا يُفْلَح صاحب الكلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلَّا وفي قلبه دغل.

[«جامع بيان العلم وفضله» (١٧٩٦)]

١٣ - وقال رحمه الله: صاحبُ الكلام لا يُفْلَح، مَنْ تَعَاطَى الكلام لم يَخْلُ من أن يَتَجَهَّم. [«الإبانة» لابن بطة (الرد على الجهمية) (٤٠٣)]

١٤ - وقال رحمه الله: .. من تَعَاطَى الكلام لا يَخْلُو من بدعة.

[«طبقات الحنابلة» (١٤٩/١)]

١٥ - وقال: لا تُجَالِسُوا أصحابَ الكلام وإن ذُوبُوا عن السنة، لا يؤول أمرهم إلى خير. [«ذم الكلام» للهرابي (١٢٧٣)، و«طبقات الحنابلة» (٤٠٥/٢)]

١٦ - وقال: وذكر أهل البدع فقال: لا أحب لأحد أن يُجالسهم، ولا يُحاطبهم، ولا يأنس بهم، فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى البدعة؛ لأن الكلام لا يدعو إلى خير، فلا أحب الكلام، ولا الخوض، ولا الجدال، عليكم بالسُّنن، والفقه الذي تتفجعون به، ودعوا الجدال، وكلام أهل الزَّيغ والمراء، أدركنا النَّاسَ وما يعرفون هذا، ويُجانِبون أهل الكلام، ومن أحب الكلام لم يُفلح عاقبته، الكلام لا يوصل إلى الخير، أعادنا الله وإياكم من الفتن، وسلَّمنا وإياكم من كُلِّ هَلَكَةٍ بِرَحْمَتِهِ.

[«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٦٧٦)، «مختصر الحجة» (٢٢٧)]

١٧ - وقال رحمه الله: ما رأيت أحدا طلب الكلام واشتواه إلا أخرجه على أمر عظيم، لقد تكلموا بكلام واحتجوا بشيء ما يقوى قلبي، ولا ينطق لساني أن أحكيه. [«الإبانة» (الرد على الجهمية) (٤٣٣)]

١٨ - وقال رحمه الله: من أحب الكلام لم يخرج من قلبه.

[«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٦٧٥)، «طبقات الحنابلة» (١/١٧٨)]

١٩ - قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الكرابيسي وما أظهر، فكلح وجهه، ثم قال: إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها وتركوا أثر رسول الله ﷺ، وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وأقبلوا على هذه الكتب. [«مختصر الحجة» (٥٩٨)]

٢٠ - وقال رحمه الله: علماء الكلام زنادقة. [«تلييس إبليس» (ص ٨٣)]

٢١ - قال أبو الحارث: سألت أبا عبد الله فقلت: إن هاهنا رجلاً يُناظر الجهمية، ويبيِّن خطأهم، ويُدَقِّق عليهم المسائل فما ترى؟

فقال: لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء، ولا أرى لأحد أن يُناظرهم، أليس قال معاوية بن قرة: الخصومة تُحبط الأعمال، والكلام الرديء لا يدعو إلى خير، لا يُفلح صاحب كلام، تُجنَّبوا أصحاب الجدال والكلام، عليكم بالسُّنن، وما كان عليه أهل العلم قبلكم، فإثمهم كانوا يكرهون الكلام، والخوض في أهل البدع، والجلوس معهم، وإثبات السلامة في ترك هذا، لم نؤمر بالجدال والخصومات مع أهل الضلالة، فإنه سلامة له منه.

[«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٦٧٧)]

٢٢ - قال المروزي رحمه الله: أنكر أبو عبد الله على من ردَّ بشيء من جنس الكلام إذا لم يكن فيها إمام يُقدَّم. [«السنن» للخلال (٢١٤٧)]

٢٣ - وقال المروزي رحمه الله: قيل لأبي عبد الله: إن رجلاً تكلم بكلام فردَّ عليه رجل من أهل السنَّة بعد ذلك بكلام مُحدث؛ فغضب أبو عبد الله، وأنكر عليهما جميعاً، وقال: يستغفر ربَّه الذي ردَّ بمُحدثة.

وقال: كلُّما ابتدَّع رجلُ بدعة اتسعوا في جوابها. [«السنن» للخلال (٢١٤٨)]

٢٤ - قال عبد الله بن داود الحريبي (٢١٣هـ) رحمه الله: ليس الدِّين بالكلام؛ إنما الدِّين بالآثار. [«ذم الكلام» (١٠٦٧)، و«الطيوريات» (١٠٤٢)]

٢٥ - قال هلال بن العلاء الرقي (٢٨٠هـ) رحمه الله: لما خرجت إلى البصرة في طلب الحديث كتَّبتُ إلى أبي: يا بُني اكتب الحديث، وإياك والنظر في الكلام، فإن هُسيًا حدثني أن معاوية بن قرة (١١٣هـ) أوصى بإسأ ابنه فقال: يا بُني، إياك والنظر في الكلام، فإن النَّاظر في الكلام كالنَّاظر في عَيْنِ الشَّمْسِ كلُّما ازداد بصيرة ازداد تحيُّراً. [«أحاديث في ذم الكلام وأهله» (ص ١٠١)]

٢٦ - قال رَجُلٌ لأبي عُبَيْد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) رحمه الله: ما ترى في رأي أصحاب الكلام؟

فقال أبو عُبَيْد: لقد دَلَّكَ اللهُ ﷻ على سبيل الرُّشد، وطريق الحقِّ فقال: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ قُرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، أما لك فيما دَلَّكَ عليه ربك عزَّ وجلَّ من كلامه وسُنَّةِ نبيه ﷺ ما يُغْنِيكَ عن الرُّجوعِ إلى رأيك وعقلك؟ وقد هناك اللهُ ﷻ عن الكلام في ذاته وصفاته إلَّا حسب ما أطلقه لك، قال اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءَ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ فِيءَ آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِصْحٍ﴾ [الشورى: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيءَ آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]. [«مختصر الحجة» (٦٩٣)]

٢٧ - قال إبراهيم بن أدهم (١٦٢هـ) رحمه الله: كثرة النَّظَرِ إلى الباطل تذهب بمعرفة الحقِّ من القلب. [«الحلية» (٢٢/٨)]

٢٨ - قال أبو محمد بن أبي حاتم (٣٢٧هـ) رحمه الله: سمعت أبي (٢٧٧هـ)، وأبا زُرْعَةَ (٢٦٤هـ): يأمران بهجران أهل الزَّيغ والبدع، ويُغْلَظَانِ في ذلك أشدَّ تغليظٍ، ويُنكرانِ وضع الكتبِ برأي في غير آثار، وينهيان عن مُجَالَسَةِ أهل الكلام والنَّظَرِ في كُتُبِ المتكلمين، ويقولان: لا يُفْلح صاحب كلام أبدًا. [«شرح اعتقاد أهل السنة» للالكافي (٣٢٢)]

٢٩ - عن يَشْر بن أحمد أبي سهل الإسفرائيني: وقيل له: إننا نَتَعَلَّمُ الكلام لأعرف به الدِّين، فغضب، وقال: أو كان السَّلف من علماؤنا كُفَّارًا؟ [«ذم الكلام» للأنصاري (١٢٧٣)]

٣٠ - قال أحمد بن الوزير القاضي لأبي عُمَر الضَّرير: الرَّجُلُ يتعلم شيئًا

من الكلام يردِّبه على أهل الجهل؟!

فقال: الكلام كُلُّهُ جَهْلٌ، لا تتعلم الجهل؛ فَإِنَّكَ كُلَّمَا كُنْتَ بالجهلِ أَعْلَمَ، كنت بالعلم أَجْهَلَ. [«مختصر الحجة» (٢٣٤)]

٣١ - قال سَهْل بن عبد الله: الكلام في الدِّينِ لأهل السُّنَّةِ بدعة، وأدنى البدعة أن يقف عن طَلَبِ العلم، وعُقُوبَةُ الكلام في الدِّينِ ثلاثة أشياء عاجلة: أوَّلُ ذلك: أَنَّهُ يُرَقِّقُ الإِيَّانَ.

والثَّاني: لا يرى لأمرِ الله ونبيه في قلبه مَوْضِعًا.

والثَّالث: يشهد بالكفرِ على مَنْ تَعَلَّمَ يَقِينًا أَنَّهُ أَتَقَى اللهُ عزَّ وجلَّ منه، وأورع، وأخير عند الله عزَّ وجلَّ. [«مختصر الحجة» (٢٤١)]

٣٢ - قال البربهاري (٣٢٩هـ) رحمه الله في [«شرح السنة» (١٥٣)]:

وإذا أردت الاستقامة على الحقِّ وطريق أهل السُّنَّةِ قبلك؛ فاحذر الكلام، وأصحاب الكلام، والجِدال، والمراء، والقياس .. فإن استماعك منهم - وإن لم تقبل منهم - يقدح الشَّكَّ في القلب، وكفى به قبولًا؛ فتَهْلِكُ، وما كانت زَنْدَقَةٌ قَطُّ، ولا بدعة، ولا هوى، ولا ضلالة، إلَّا من الكلام والجِدال والمراء والقياس، وهي أبواب البدع والشُّكوك والزَّنَدَقَة.

٣٣ - قال أبو منصور معمر بن أحمد (٤١٨هـ) رحمه الله: .. مِنَ السُّنَّةِ ترك الرَّاْي والقياس في الدِّين، وترك الجِدال والحُصومات، وترك مفاتحة القدرية، والقياس، وأصحاب الكلام، وترك النَّظَرِ في كُتُبِ الكلام، وكُتُبِ النُّجُوم، فهذه السُّنَّةُ التي أجمعت عليها الأئمة. [«الحجة» (٢٣٦/١)]

٣٤ - قال أبو المظفر السَّمْعَانِي (٤٨٩هـ) رحمه الله في [«الانتصار لأصحاب الحديث» (ص ٢٤-٢٦)]: واعلم أن الأئمة الماضين، وأولي العلم من المتقدمين؛ لم يتركوا هذا النمط من الكلام، وهذا النوع من النظر عجزاً عنه .. وقد كانوا ذوي عقول وإفرة، وأفهام ثاقبة، وقد كانت هذه الفتن قد وقعت في زمانهم وظهرت؛ وإنها تركوا هذه الطريقة، وأضربوا عنها لما تحوّلوه من فتنها، وعلموه من سوء عاقبتها .. وقد كانوا على بينة من أمورهم .. لما هداهم الله بنوره .. فرأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته، وتوقيف السنة وبيانها، غناء ومندوحة عما سواها، وأن الحجة قد وقعت وتمت بها .. فلما تأخّر الزمان بأهله، وفترت عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسنة، وقلّت عنايتهم بها .. حسبوا أنهم إن لم يردّوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام، ودلائل العقل لم يقووا عليهم، ولم يظهروا في الحجج عليهم فكان ذلك ضلّة من الرّأي، وخدعة من الشيطان، فلو سلكوا سبيل القصد، ووقفوا عند ما انتهى بهم التوقيف؛ لوجدوا بردّ اليقين، وروح القلوب. اهـ

٣٥ - قال البغوي (٥١٦هـ) رحمه الله في [«شرح السنة» (١/٢١٦)]:

اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلّمه. اهـ

٣٦ - قال أبو زيد الفقيه المروزي: أتيت أبا الحسن الأشعري بالبصرة، فأخذت عنه شيئاً من الكلام، فرأيت من ليلتي في المنام كأني قد عميت، فقصصتها على المعبر؛ فقال: إنك تأخذ علماً تضلّ به، فأمسكت عن

الأشعري، فرآني بعد يوم في الطريق، فقال لي: يا أبا زيد، أما تأنف أن ترجع إلى خُرسان عالماً بالفروع، جاهلاً بالأصول.

فقصصتُ عليه الرؤيا، فقال: اكتهما عليّ هاهنا. [«ذم الكلام» (١٢٧١)]

٣٧ - قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (١٢٩٣هـ) رحمه الله في [«الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٤٥)]: لما خاض النَّاسُ في علم الكلام، وعُزِّيتْ كُتُبُ اليونان، وقُدِّمَاءُ الفلاسفة الذين هم أجهل خلق الله وأضلهم في النظريات والضروريات، فضلاً عن السَّمْعِيَّاتِ مما جاءت به الثُّبُوتَاتِ، حَدَّثَ بسبب ذلك من الخوض والجدال في صفات الله ونعوت الجلالَةِ التي جاءت بها الكتب، وأخبرت بها الرُّسُلُ ما أوجب لكثير من النَّاسِ تعطيل وجود ذاته وربوبيته، كما جرى للاتحادية والحولية، فمن باب الكلام والمنطق دخلوا في الكُفْرِ الشَّنيع، والإفك الفظيع. اهـ

قلت: تتبّع كلام أهل السنة في ذمهم لعلم الكلام وأهله، وتحذيرهم منه يطول جداً، فهو إجماع من العلماء.

فصل

فيمن يحتج بابن تيمية على
تعلم علم الكلام المذموم والنظر فيه

يَحْتَجُّ بعضهم على جواز دراسة وتعلُّم الكلام والخوض فيه بفعل ابن تيمية رحمه الله في ردوده على أهل الكلام، ومناقشاته معهم، فقد كان يخوض معهم في كثير من المباحث الأصولية المنطقية بعباراتهم ومُصطلحاتهم الفلسفية الكلامية.

ولا حُجَّة لهم في ذلك لما يلي:

١- أن أهل السُّنة والحديث في عصر ابن تيمية قد كرهوا منه توغُّله مع أهل الكلام والفلاسفة في مباحثهم الكلامية.

فقد جاء في ترجمة ابن تيمية في [ذيل طبقات الحنابلة] لابن رجب (٥٠٥/٤): «وطوائف من أئمة أهل الحديث وحُفَظَهم وفقهائهم: كانوا يُحِبُّون السُّنَّيخ، ويعظُمُونه، ولم يكونوا يُحِبُّون له التَّوَعُّلُ مع أهل الكلام، ولا الفلاسفة، كما هو طريق أئمة أهل الحديث المتقدمين؛ كالشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عُبَيْد ونحوهم. اهـ»

ومن أمثلة كراهة الأئمة لاستخدام الكلام في الردِّ على أهل الكلام: ما كتبه إمام أهل السُّنة والجماعة الإمام أحمد رحمه الله إلى مَنْ أُرِدَ أن يجادل أهل الكلام ويرد عليهم باطلهم بالكلام.

- قال صالح ابن الإمام أحمد في «مسائله» (٥٨٨): كتب رجلٌ إلى أبي يسأله عن مُناظرة أهل الكلام، والجلوس معهم، فأُملي عليَّ جوابه:

أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك كُلَّ مَكْرُوهِ ومَحْذُورٍ؛ الذي كُنَّا نسمع، وأدركنا عليه مِن أدركنا مِن أهل العلم؛ أتهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزَّيغ، وإنَّما الأمر في التَّسليم والانتهاة إلى ما في كتاب الله جَلَّ وعزَّ، لا يَعْدُ ذلك.

ولم يزل النَّاس يكرهون كُلَّ مُحدثٍ مِن وضع كتاب، أو جلوس مع مُبتدع ليورد عليه بعض ما يلبس عليه في دينه، فالسَّلامة إن شاء الله في تَرْكِ مُجَالستهم، والخوض معهم في بدعتهم وضلالَتهم، فليتنق الله رَجُلٌ، وليصر إلى ما يعود عليه نفعه غَدًا مِن عملٍ صالحٍ يقدمه لنفسه، ولا يكون ممن يحدث أمرًا فإذا هو خَرَجَ منه أراد الحُجَّةَ له، فيحمل نفسه على المحال فيه، وطَلَب الحُجَّةَ لما خرج منه بحقٍّ أو باطلٍ؛ لِيُزَيِّنَ به بدعته، وما أحدث، وأشدَّ ذلك أن يكون قد وضعه في كتابٍ، فأخذ عنه، فهو يريد يزين ذلك بالحقِّ والباطل، وإن وضح له الحقُّ في غيره.

نسأل الله التوفيق لنا ولك، ولجميع المسلمين، والسَّلام عليك.

- وقال أبو الحارث: سألت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - فقلت: إن هاهنا رَجُلًا يناظر الجهمية ويُبَيِّن خطأهم، ويدقق عليهم المسائل، فما ترى؟ قال: لست أرى الكلام في شيءٍ مِن هذه الأهواء، ولا أرى لأحدٍ أن يُناظرهم، أليس قال مُعاوية بن قُرَّة: الخصومة تحبط الأعمال.

والكلام الرَّدِيء لا يدعو إلى خير، لا يُفلح صاحب كلام، تجنبوا

أصحاب الجدال والكلام، عليكم بالسُّنن، وما كان عليه أهل العلم قبلكم، فإنهم كانوا يكرهون الكلام، والخوض في أهل البدع، والجلوس معهم، وإنما السَّلامة في ترك هذا، لم نؤمر بالجدال والخصومات مع أهل الضلالة، فإنه سلامة له منه. [الإبانة الكبرى] (٦٧٧)

٢- أن ابن تيمية لم يخالف السلف في التحذير من الكلام والخوض فيه. فهو كثيرًا ما يُحذّر منه في كتبه ورسائله، ويُبيّن مخالفته للشرع والعقل، ويحكي اتفاق السلف على ذمّه كما قال في [درء التعارض] (١٧٣/٨):

والسلف والأئمة كلهم ذموا الكلام المحدث وأهله، وأخبروا أنهم يتكلمون بالجهل، ويُخالِفون الكتاب، والسُّنة، وإجماع السلف مع أن كلامهم جهل وضلال مُخالف للعقل كما هو مُخالف للشرع. اهـ

- وقال في [الدرء] (٣٠٦/٢): فليتدبر المؤمن العالم كيف فرّق هذا الكلام المحدث المبتدع بين الأئمة وألقى بينها العداوة والبغضاء. اهـ

وقال: والكلام الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمّه، وذم أصحابه، والنهي عنه، وتجهيل أربابه، وتبديعهم وتضليلهم؛ وهو هذه الطرق الباطلة التي بنا عليها نفي الصفات والعلو والاستواء على العرش، وجعلوا بها القرآن مخلوقًا، ونفوا بها رؤية الله في الدار الآخرة.. فإنهم سلكوا فيه طرقًا غير مُستقيمة، واستدلوا بقضايا مُتضمّنة للكذب، فلزمهم بها مسائل خالفوا بها نصوص الكتاب والسُّنة، وصريح المعقول، وكانوا جاهلين كاذبين ظالمين في كثير من مسائلهم، ورسائلهم... وكلام السلف والأئمة في ذلك مشهور... وقد أفرد الناس في ذلك مُصنّفات؛ مثل: أبي

عبد الرحمن السُّلمي، ومثل شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري، وسمى كتابه: «ذم الكلام وأهله». اهـ
[نقلًا من كتاب «الصواعق المرسلة» (١٢٦٧/٤)]

٣- أنّه اضطر إلى الردّ على أهل الكلام بلسانهم لما كان لأهل الكلام من الشُّوكة والتأثير على الخاصّة والعامة، فرأى أن الحاجة مُلحة في كشف ضلالهم ومقالاتهم، فخطبهم بلسانهم الذي يفهمونه من باب الاضطرار.

- قال في [درء التعارض] (٢٠٦/٢): ولهذا قيل: إن حقيقة ما صنفه هؤلاء في كتبهم من الكلام الباطل المحدث المخالف للشرع والعقل: (هو ترتيب الأصول في تكذيب الرُّسول، ومُخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول). ولولا أن هؤلاء القوم جعلوا هذا [يعني: علم الكلام] علمًا مقولًا، ودينًا مقبولًا يردّون به نصوص الكتاب والسُّنة، ويقولون: إن هذا هو الحق الذي يجب قبوله دون ما عارضه من النصوص الإلهية، والأخبار النبوية، ويتبعهم على ذلك من طوائف أهل العلم والدين مالا يحصيه إلّا الله، لاعتقادهم أن هؤلاء أحذق منهم، وأعظم تحقيقًا؛ لم يكن بنا حاجة إلى كشف هذه المقالات.

وقال (٢٧/١): وأما مُخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم؛ فليس بمكروه إذا احتجج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة؛ كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه.

ولهذا قال النبي ﷺ لأُمّ خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، وكانت

صغيرة فَوُلِدَتْ بأرض الحبشة .. فقال لها: «يا أم خالد هذا سنا».

والسَّنا بلسان الحبشة الحسن؛ لأنَّها كانت من أهل هذه اللغة.

ولذلك يترجم القرآن والحديث لمن يحتاج إلى تفهمه إيَّاه بالترجمة، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ويطرحها بالعربية، كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلَّم كتاب اليهود ليقراً له، ويكتب له ذلك حيث لم يأتمن اليهود عليه.

فالسَّلف والأئمَّة لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة؛ كلفظ: (الجوهر)، و(العرض)، و(الجسم) وغير ذلك؛ بل لأن المعاني التي يُعبَّرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب التَّهْي عن اشتغال هذه الألفاظ على معانٍ مُجملة في النَّقي والإثبات، كما قال الإمام أحمد في وصفه لأهل البدع، فقال: (هم مُختلفون في الكتاب، مُختلفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب، يتكلَّمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جُهال النَّاس بما يُلبَّسون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين). اهـ

٤ - أنه رأى أن أهل الكلام لن ينتفعوا بها عنده من الحقِّ إلَّا بعد أن يُبيِّن فساد أصولهم، ومناقضتها للدين والعقل.

- فقال في [مجموع الفتاوى] (١٧/١٥٩): إن المبتدع الذي بنى مذهبه على أصلٍ فاسدٍ متى ذكرت له الحقُّ الذي عندك ابتداءً، أخذ يعارضك فيه لما قام في نفسه من الشُّبهة، فينبغي إذا كان المناظر مُدَّعيًا أنَّ الحقَّ معه أن يبدأ بهدم ما عنده، فإذا انكسر، وطلب الحقَّ فأعطه إيَّاه، وإلَّا فما دام مُعتقداً

نقيض الحقِّ لم يدخل الحقَّ إلى قلبه؛ كاللوح الذي كُتِبَ فيه كلام باطل؛ أحبه أولاً، ثُمَّ اكتب فيه الحقَّ. اهـ

قال بعض أهل العلم: فلو سلَّمنا هذا فلا يجوز لغير أهل الكلام قراءة مثل هذه الرُّدود، ولا يجوز لمن لم يتلوَّث بالكلام أن يدرسه ليرُدَّ على أهله، ويكفيه ردُّ غيره على أن فيه نزاعاً كما سبق من كلام عبدالرحمن بن مهدي الإمام شيخ الإمام أحمد، وكلام الأئمة أحمد والشافعي وغيرهم، وهذا الكتاب وما سبق ولحق من الفصول فيه بيان. والله أعلم.

فصل

اعتراف الخائضين في علم الكلام بضاده،
وأَنَّهُ ما زادهم إلا حيرة وشكاً
وفدّمهم في آخر حياتهم على الخوض فيه

قال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٤/١٢٥٩)]: إن نهاية أمر هؤلاء المعارضين لنصوص الوحي بالرأي انتهاؤهم إلى الشك والتشكيك والحيرة في أمرهم؛ فتجدهم يشكّون في أوضح الواضحات، وفيما يجزم عوام الناس به، ويتعجبون ممن يشك فيه، ولا تعطيك كتبهم وبحوثهم إلا الشك والتشكيك والحيرة والإشكالات، وكلما ازدادت فيها إمعاناً؛ ازدادت حيرة وشكاً حتّى يؤول بك الأمر إلى الشك في الواضحات... وقد أقرّوا على أنفسهم بالشك وعدم اليقين في كتبهم، وعند موتهم... اهـ

ومن أمثلة ذلك:

١ - الوليد الكرايسي.

- قال أحمد بن سنان: كان الوليد الكرايسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام منّي؟ قالوا: لا. قال: فتعلموني؟ قالوا: لا. قال: فإني أوصيكم، أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث، فإني رأيت الحقّ معهم، لست أعني الرؤساء؛ ولكن

هؤلاء الممزقين، ألم تر أحدهم يجيء إلى الرئيس منهم فيخطئه ويهجنه.

قال أبو بكر بن الأشعث: كان أعرف الناس بالكلام بعد حفص الفرد: الكرايسي، وكان حسين الكرايسيّ منه تعلم الكلام.

[«شرف أصحاب الحديث» (١٠٥)]

٢ - أبو المعالي الجويني (٤٧٨هـ).

- قال في آخر عمره: خليت أهل الإسلام وعلومهم، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهوا عنه، والآن قد رجعت عن الكلّ إلى كلمة الحق؛ عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق ببرّه فأموت على دين العجائز، وإلا فالويل لابن الجويني.

وكان يقول: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو أنّي عرفت أنّ الكلام يبلغني إلى ما بلغ ما اشتغلت به. [«الدرء» (٤/١٢٧)]

٣ - علي بن عقيل أبو الوفاء (٥١٣هـ).

سأل رجل ابن عقيل فقال له: هل ترى لي أن أقرأ الكلام فإني أحسن من نفسي بذلك؟

فقال له: إن الدين النصيحة، فأنت الآن على ما بك مُسلم سليم، وإن لم تنظر في (الجزء)، يعني: الجوهر الفرد، وتعرف الطفرة، يعني طفرة النظام، ولم تخطر ببالك الأحوال، ولا عرفت الخلاء، والملاء، والجوهر، والعرض، وهل يبقى العرض زمانين؟ وهل القدرة مع الفعل، أو قبله؟ وهل الصفات زوائد على الذات؟ وهل الاسم المسمى، أو غيره؟ وهل الروح جسم، أو عرض؟ فإني أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا ذلك،

ولا تذاكره، فإن رضيت أن تكون مثلهم بإيمان ليس فيه معرفة هذا؛ فكن، وإن رأيت طريقة المتكلمين اليوم أجود من طريقة أبي بكر وعمر [رضي الله عنهما] والجماعة؛ فبئس الاعتقاد والرأي. [«الدرء» (٤/١٢٧)]

٤ - الرّازي ويعرف بابن الخطيب (٦٠٦ هـ).

قال في كتابه «أقسام اللذات»:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سغي العالمين ضلالاً
وأرواحنا في وحشة من جُسومنا وحاصل دُنيانا أذى ووبالاً
ولم نستفد من بحثنا طول عُمرنا سوى أن جعنا فيه قِيلَ وقالوا
وكم من جبالٍ قد علّت شرفاتها رجالاً فماتوا والجبال جبال

وقال: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ الطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ومن جَرَّبَ مِثْلَ تَجَرُّبِي عرف مثل معرفتي.

[«مجموع الفتاوى» (١١/٥)، «نفع الطيب» (٢٣٢/٥)]

٥ - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨ هـ)

أخبر أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، وكان ينشد:
لعمرى لقد طُفَّت المعاهد كُلُّها وسَيرت طُرُقِي بينَ تلكَ المعالمِ
فلم أَرِ إلَّا واضعاً كَفَّ حائِرٍ على دَقْنِي أو قارعاً سِنَّ نادمٍ
[«الصواعق المرسلة» (٢/٦٦٤)]

- قال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٢/٦٦٩)]: فهذا اعتراف هؤلاء الفضلاء في آخر سيرهم بما أفادتهم الأدلة العقلية من ضدّ اليقين، ومن الحيرة والشك؛ فمن الذي شكّا من القرآن والسنة والأدلة اللفظية هذه الشكاية؟ ومن الذي ذكر أنها حيرته ولم تهده؟ أو ليس بها هدى الله أنبياءه ورُسُله وخير خلقه، قال تعالى لأكمل خلقه وأوفرهم عقلاً: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُرِيدُ إِلَى رَبِّتِ﴾ [سبا: ٥٠]

فهذا أكمل الخلق عقلاً صلوات الله وسلامه عليه يُخبر أن اهتدائه بالأدلة اللفظية التي أوحاها الله إليه، وهؤلاء المتهوكون المتحيرون يقولون: إنهم لا تفيد يقيناً، ولا علماً، ولا هدىً !! اهـ

وهنا تنبيه: فإن من يذكر توبة أمثال هؤلاء ويصححها كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما لا نراهم يمدحونهم ويثنون عليهم، ولا يدلون الناس على كتبهم، بل كتبها طافحة بالرد عليهم، وتحذير الناس منها، ومن بدعهم التي خلفوها للأمة.

فهؤلاء الذين نُقِلَتْ توبتهم من أئمة أهل البدع لا تزال كتبهم ومباحثهم الكلامية مُنتشرة بين الناس، ولا تزال بدعهم يتلقفها أصحابهم واتباعهم إلى اليوم، ويُشككون في توبتهم، ففي مدح أمثال هؤلاء، والثناء عليهم ترويج لباطلهم الذي خلفوه للأمة، فإنهم لم يكتبوا في بيان بطلانه والكشف عن ضلاله بعد توبتهم ورجوعهم إلى السنة كما كتبوا في نشره.

وانظر إلى فعل عمر رضي الله عنه مع صبيغ لما تاب، وذهب عنه ما يجد من سؤال الناس عن متشابه القرآن.

فقد قام إليه عمر رضي الله عنه، وحَسَرَ عن ذِراعِيهِ، فلم يزل يجلده حتَّى سقطت عِمامَتُهُ، فقال: والذي نفسُ عُمَرُ بيده لو وجدتكَ مخلوقًا لضربت رأسك، ألبسوه ثيابًا، واحملوه على قتب، ثُمَّ أخرجوه حتَّى تقدموا به بلاده، ثُمَّ ليقيمَ خَطِييًّا، ثُمَّ يقول: إِنَّ صَبِيغًا ابتغى العلم فأخطأه.

فلم يزلَ وضيغًا في قومِهِ حتَّى هلك، وكان سيد قومِهِ.

[رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٧١٧)، والآجري في «الشرعية» (٢٠٦٤)،

واللالكائي (١١٣٦)].

- قال الحسن بن شقيق: كُنَّا عند ابن المبارك إذ جاءه رَجُلٌ فقال له:

أنت ذاك الجهمي؟

قال: نعم.

قال: إذا خرجت من عِنْدِي فلا تعد إلي.

قال الرَّجُلُ: فأنا تائبٌ.

قال ابن المبارك: لا حتَّى تظهرَ مِن توبتكِ مِثْلَ الذي ظهرَ مِن بدعتِكَ.

[«الإبانة الصغرى» (١٤٩)]

والمقصود من هذا أن هؤلاء وأمثالهم مِن أئمة أهل البدع ممن روي عنهم التوبة؛ أمرهم إلى الله تعالى فهو يقبل التوبة عن عباده؛ ولكن الكلام عن آثارهم التي بقيت في الأُمَّة مِن الكتب البدع التي نشروا فيها العقائد الفاسدة، والأهواء المضلّة، ولم ينقضوها ويبيّنوا فسادها بعد توبتهم، أن نَحْذَرَ النَّاسَ منها، ونكشف عن ضلالها وبدعها.

فصل

**من أسباب التخليط في مسائل الاعتقاد عند
كثير من المتأخرين: النظر في
كُتُبِ أهل الكلام والنقل من مصنّفاتهم**

لما توسّع كثيرٌ مِنَ المتأخّرين ممن يدّعي اتباع السلفِ في أبواب الاعتقادِ مِنَ النظرِ في كُتُبِ أهل التّأويل، والنّقلِ عنها، وحُسن الظّنِّ بهم؛ راجت عليهم كثيرٌ من بدعهم وضلالاتهم، ولم يتفطنوا لها كما:

- قال الإمام أحمد رحمه الله: إنّما جاء بلاؤهم مِن هذه الكُتُبِ التي وضعوها وتركوا آثار رسول الله ﷺ، وأصحابه، وأقبلوا على هذه الكتب.

[«تاريخ بغداد» (٦٦/٨)]

- وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: كثرة النظرِ إلى الباطلِ تذهبُ بمعرفةِ الحقِّ مِنَ القلبِ. [«الحلية» (٢٢/٨)]

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [«مجموع الفتاوى» (١٢/٥)]: .. إن الضلال والتّهوك إنّما استولى على كثيرٍ مِنَ المتأخّرين بنزّهم كتابَ الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عمّا بعث الله به محمدًا ﷺ من البينات والهدى، وتركهم البحث عن طريقَةِ السّابقين والتّابعين والتماسهم علمَ معرفةِ الله ممن لم يعرف الله بإقرارِهِ على نفسه، وبشهادة الأُمَّة على ذلك، وبدلالات كثيرة. اهـ

- وسئل ابن تيمية رحمه الله عن سبب وقوع بعض من له علم وعقل في بعض البدع والضلال ؟

فقال: طلب الأمور العلية من غير الطرق النبوية؛ فقادته قسرا إلى المناهج الفلسفية. [«الصواعق» (٣/٩٩٦)]

قلت: ولهذا تجد بعض من كان على السنة وقع في البدعة بسبب:

تعظيمه لأهل البدع، ومجالسته إياهم، وأخذه العلم عنهم، واغتراره بحسن سمعتهم وخشوعهم.

- قال علي بن أبي خالد: قلت لأحمد بن حنبل: إن هذا الشيخ - لشيخ حضر معنا - هو جاري، وقد نهته عن رجل، ويحب أن يسمع قولك فيه: حارث القصير - يعني حارثا المحاسبي - وكنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة، فقلت لي: لا تجالس، ولا تكلمه. فلم أكلمه حتى الساعة، وهذا الشيخ يجالسه، فما تقول فيه ؟

فأريت أحمد قد احمر لونه، وانتفخت أوداجه وعينه، وما رأيت هكذا قط، وجعل يتفص ويقول: ذاك فعل الله به وفعل، ليس يعرف ذاك إلا من خبره، وعرفه، أويه، أويه، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه، ذاك جالسه: المغازلي، ويعقوب، وفلان، فأخرجهم إلى رأي جهنم، هلكوا بسببه.

فقال له الشيخ: يا أبا عبد الله، يروي الحديث، ساكن خاشع، من قصته، ومن قصته... !!

فغضب أبو عبد الله، وجعل يقول: لا يغرك خشوعه ولينه، ويقول: لا

تغترؤا ينجس رأسه، فإنه رجل سوء، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره، لا تكلمه، ولا كرامة له، كل من حدث بأحاديث رسول الله ﷺ وكان مبتدعا تجلس إليه؟! لا، ولا كرامة، ولا نعمة عين، وجعل يقول: ذاك، ذاك.

[«طبقات الحنابلة» (٢/١٤٩-١٥٠)]

- قال عبد الواحد بن زيد: قال لي أيوب: قل للثوري: لا تصحب عمرو ابن عبيد.

قال: فقلت ذلك له، فقال: إني أجد عنده أشياء لا أجدها عند غيره.

فقلت ذلك لأيوب، فقال لي أيوب: من تلك الأشياء أخاف عليه.

[«الحلية» لأبي نعيم (٧/٣٣)]

- قال محمد بن السائب الكلبي (١٤٦هـ): قوموا بنا إلى المرجئة. فسمع كلامهم. قال: فما رجع حتى علقه. [«الإبانة» لابن بطة (٤٨٠)]

- قال البتي: كان عمران بن حطان (٢٦٤هـ) من أهل السنة فقدم رجل من أهل عمان - مثل البغل - فقلبه في مقعد. [«الإبانة» (٤٧٧)]

- قال أبو الفضل محمد بن ناصر: كنت أسمع الفقهاء في النظامية يقولون في القرآن: (معنى قائم بالذات، والحروف والأصوات عبارات ودلالات على الكلام القديم القائم بالذات)، فحصل في قلبي شيء من ذلك حتى صرت أقول بقولهم موافقة. [«ذيل طبقات الحنابلة» (١/٢٢٣)]

- قال هشام بن حسان: قال رجل لابن سيرين (١١٠هـ): إن فلانا يريد أن يأتيك، ولا يتكلم بشيء.

قال: قُلْ لِفُلَانٍ: لا، ما يأتيني، فَإِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ ضَعِيفٌ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ كَلِمَةً، فَلَا يَرْجِعُ قَلْبِي إِلَى مَا كَانَ. [«الإبانة» (٣٩٩)]

- قال عبد الرزاق (٢١١هـ): قال لي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى: أرى المعتزلة عندكم كثيرًا؟

قلت: نعم؛ وهم يزعمون أنك منهم.

قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك؟

قلت: لا، قال: لم؟

قلت: لأن القلب ضعيف، والذين ليس لمن غلب.

[«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٤٠١)]

- قال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٣/١١٤٩)]:

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ الْعُظْمَى أَنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ: عِلْمٌ، وَفِقَةٌ، وَعِبَادَةٌ، وَزُهْدٌ، وَلِسَانٌ صَدَقَ فِي الْعَامَّةِ، وَقَدْ ضَرَبَ فِي الْعِلْمِ وَالَّذِينَ يَسْهَمُ؛ قَدْ التَّبَسَّ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِّنْ كَلَامِهِمْ؛ فَقِيلَ مُتَعَقِّدًا أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنْ أَصْحَابَهُ مُحَقِّقُونَ، فَسَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ، وَكَلَامَ رَسُولِهِ، وَكَلَامَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَكَلَامَ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِلْحَادِ، فَيُؤْمِنُ بِهَذَا وَهَذَا إِيْمَانًا مُّجْمَلًا، وَيُصَدِّقُ الطَّائِفَتَيْنِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي تَحْقِيقِ طَرِيقِ هَؤُلَاءِ، وَلَا هَؤُلَاءِ، فَإِذَا سَمِعَ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، قَالَ: هَذَا كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُ رَسُولِهِ ﷺ.

وإذا سمع كلام الملاحدة والمعتلة الذين حسن ظنه بهم قال:

هذا كلام العارفين المحققين والنظار أصحاب العقول والبراهين.

وإذا سمع كلام الاتحادية الملاحدة الذين هم أكفر طوائف بني آدم قال:

هذا كلام أولياء الله، أو كلام خاتم الأولياء، ومرتبنا تقصّر عن فهمه فضلًا عن الاعتراض عليه.

وبالجُملة فلرسول الله ﷺ أتباع خاصّة وعامة، ولمسيلمة الكذاب أتباع خاصّة وعامة، والله تعالى جعل للهدى أئمة وأتباعًا إلى آخر الدهر، وللضلال أئمة وأتباعًا إلى آخر الدهر. اهـ

* وأمثلة تأثّر بعض المتأخرين بعلم الكلام وأهله، ووقوعهم في تليساتهم وبدعهم كثيرة جدًّا، ومنها:

١ - أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي (٥١٣هـ).

فقد نشأ على مُعتقد أهل السُنّة، وَخَالَطَ الحَنَابِلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ، ثُمَّ خَالَطَ أَهْلَ الْكَلَامِ وَجَالَسَهُمْ، وَأَخَذَ مِنْ عِلْمِهِمْ، حَتَّى تَأَثَّرَ بِهِمْ.

وكان أهل السُنّة من الحنابلة في وقته يُنكرون عليه مُحالطته لأهل الكلام، والجلوس إليهم .. فكان يأبى عليهم ذلك، وكان يذهب إليهم ويُجالسهم خُفية .. وكان يقول: كان أصحابنا الحنابلة يُريدون مني هُجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يجرّمني علمًا نافعًا !!

- قال ابن رجب رحمه الله في [«ذيل الطبقات» (١/٣٢٢) مُعلقًا على قوله هذا: (تركه لمُجالسة مثل هؤلاء - يعني أهل السُنّة في وقته - هو الذي حرّمه علمًا نافعًا في الحقيقة، ولكن الكمال لله).

- وقال أيضًا في [«الذيل» (١/٣٢٢)]: كان أصحابنا - الحنابلة - يقيمون على ابن عقيل تردّدًا إلى ابن الوليد، وابن التّبّان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في

السُّرَّ (علم الكلام)، ويظهرُ منه في بعض الأحيان نوعُ انحرافٍ على السُّنَّةِ، وتأوَّلَ لبعضِ الصِّفَات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات. اهـ

قلت: ذكر ابن عقيل في بعض كتبه الدعوة إلى مذهب المعتزلة، والثناء على الحلاج، فأنكر عليه أهل السُّنَّة من الحنابلة في وقته، واستتيب على ذلك، وكتب كتاباً قرأه على الملا فيه إعلان توبته.

- قال ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) رحمه الله في [تحريم النظر في كتب الكلام] (ص ٢٩-٣٤): أما بعد، فإنني وقفت على فضيحة ابن عقيل التي سبهاها «نصيحة» وتاملت ما اشتملت عليه من البدع القبيحة.. فوجدتها فضيحة لقاتلها، قد هتك الله تعالى بها ستره.. ولولا أنه قد تاب إلى الله عز وجل منها.. واستغفر الله تعالى من جميع ما تكلم به من البدع، أو كتبه بخطه، أو صنفه... لعدناه في جملة الزنادقة، وألقناه بالمتدعة المارقة؛ ولكنه لما تاب وأناب، وجب أن نحمل منه هذه البدعة والضلالة على أنها كانت قبل توبته في حال بدعيته وزندقته، ثم قد عاد بعد توبته إلى نص السُّنَّة، والرد على من قال بمقالته الأولى بأحسن كلام.. فلعل إحسانه يمحو إساءته، وتوبته تمحو بدعته.. وبلغني أن سبب توبته أنه لما ظهرت منه هذه «الفضيحة» أهدر الشريف أبو جعفر رحمه الله تعالى دمه، وأتى هو وأصحابه بإباحة قتله، وكان ابن عقيل يخفى مخافة القتل؛ فبينما هو يوماً راكب في سفينة، فإذا في السفينة شاب يقول: تمنيت لو لقيت هذا الزنديق ابن عقيل حتى أتقرب إلى الله تعالى بقتله، وإرافة دمه.

ففرغ، وخرج من السفينة وجاء إلى الشريف أبي جعفر، فتاب، واستغفر. وها أنا أذكر توبته وصفته بالإسناد ليُعلم أن ما وجد من تصانيفه مخالفاً

للسُّنَّة فهو مما تاب منه ...

يقول علي بن عقيل: إني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب مبتدعة الاعتزال وغيره، ومن ضحية أربابه، وتعظيم أصحابه، والترحم على أسلافهم، والتكثير بأخلاقهم، وما كنت علقتُه، ووجدت بخطي من مذاهبهم وضلالاتهم فأنا تائب إلى الله تعالى من كتابتيه، وقراءتيه، وإنه لا يحل لي كتابته، ولا قراءته، ولا اعتقاده.. وقد كان الشريف أبو جعفر، ومن كان معه من الشيوخ والأتباع سادتي وإخواني - حرسهم الله تعالى - مُصيين في الإنكار عليّ، لما شاهدوه بخطي في الكتب التي أبرأ إلى الله تعالى منها.. وشهد عليه جماعة كثيرة من الشهود والعلماء. [وانظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (١/٣٢٢-٣٢٤)]

٢ - صديق حسن خان (١٣٠٧هـ).

ومن أمثلة تأثر المتأخرين بكلام أهل البدع والوقوع في تلبساتهم؛ ما وقع لصديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان»، وشرحه لصحيح البخاري الذي سَمَّاه: «عون الباري» من التأويلات الأشعرية وغيرها بسبب الإكثار من النقل عنهم في أبواب الاعتقاد.

فكتب إليه الشيخ حمد بن عتيق (١٣٠١هـ) رحمه الله نصيحة مطوّلة بين له فيها ما وقع فيه من مخالفات لاعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، وما ذكّر فيها:

.. أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظنّ ببعض المتكلمة، وأخذت من عباراتهم بعضاً بلفظه، وبعضاً بمعناه، فدخل عليك شيء من ذلك، ولم تمنع النظر، وفيها لهم عبارات مُزخرفة فيها الداء العضال.. وقد سلكتكم في هذا التفسير في مواضع منه مسلك أهل التأويل، مع أنه قد وصل إلينا لكم

رسالة في ذم التأويل محتصرة !! وهي كافية، ومطلعة على أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل، وأنه مع ذلك قليل.

وكذلك في التفسير من مخالفة أهل التأويل ما يدل على ذلك ... واعلم - أرشدك الله - أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير، أو شرح حديث، اخترناه، واعتبرنا معتقده في العلو، والصفات، والأفعال، فوجدنا الغالب على كثير من المتأخرين، أو أكثرهم، مذهب الأشاعرة الذي حاصله: نفي العلو، وتأويل الآيات في هذا الباب بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي، وأضرابه من أهل البدع والضلال، ومن نظر في شروح البخاري، ومسلم، ونحوهما، وجد ذلك فيها، وأما ما صنف في الأصول والعقائد فالأمر فيه ظاهر لذوي الأبصار، فمن رزقه الله بصيرة ونورا، وأمعن النظر فيما قالوه، وعرضه على ما جاء عن الله، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وما عليه أهل السنة المحضة، تبين له المنافا بينهما، وعرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار.

فأعرض عما قالوه، وأقبل على الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة وأئمتها، ففيه الشفاء والمقنع.

وبعض المصنفين يذكر ما عليه السلف وما عليه المتكلمون ويختاره ويقره !!! فلما اعتبرنا هذا التفسير، وجدناك وافقتهم في ذكر المذهبين، وخالفتهم في اختيار ما عليه السلف وتقرره، وليتك اقتصرنا على ذلك، ولم تكبر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع، فإنه لا خير في أكثره، وما فيه من شيء صحيح؛ فقد وجد في كلام السلف وأئمة السنة ما يعني عنه بعبارات

تنشرح لها الصدور ... والمقصود أن في هذا التفسير مواضع تحتاج إلى تحقيق، ولندكر لك بعض ذلك؛ فمنه أني نظرت في الكلام على آية الاستواء فرأيتك قد أطلت الكلام في بعض المواضع بذكر كلام المبتدعة النفاة كما تقدم، ومنه أن في الكلام تعارضا .. فانظر من أين دخلت عليك هذه العبارات، وقد رأيت للرازي عبارة في التفسير تفهم ذلك، فلعلك بنيت على قوله. وهذا الرجل وإن كان يلقب بالفخر فله كلام في العقائد قد زل فيه زلات عظيمة، وآخر أمره الحيرة، نرجو أنه تاب من ذلك، ومات على السنة، فلا تغتر بأمثال هؤلاء ... الخ. [وانظر تمام الرسالة في «هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق» (ص ١٦٩)]

٣ - المباركفوري.

وقد اضطرب في شرحه لسنن الترمذي الذي سماه: «تحفة الأحوذى» عند شرحه لأحاديث الصفات بين الإثبات والتأويل. فكان في بعض المواطن يدعو إلى عقيدة السلف والتمسك بها، ويرد على أرباب التأويل ويبين فساد اعتقادهم.

وفي موطن آخر ينقل تأويلات الأشاعرة بعضا بلفظه، وبعضا بمعناه، ولا يتعقبهم بشيء، كما بينت ذلك في كتابي: «التنبيهات الجلية على المخالفات العقدية في كتاب: «تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي».

واعلم أن تتبع تحبب المتأخرين في هذا الباب يطول جدا، والمقصود هنا بيان أن من أعظم أسباب الوقوع في هذه المخالفات لعقيدة أهل السنة في الصفات هو: النظر في كتب أهل التأويل، والنقل منها، وحسن الظن بأهلها.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«الحموية» (ص ٥٥٤)] وهو يصف هؤلاء الحيارى من علماء أهل الكلام: أتوا ذكاء، وما أتوا زكاء، وأعطوا فهمًا، وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعًا، وأبصارًا، وأفئدة، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَتَمُّهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفِيدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦] ومن كان عليًا بهذه الأمور: تبين له بذلك حذق السلف، وعلمهم، وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام، ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزد من الله إلا بُعدًا. اهـ

- قال الشيخ حمد بن عتيق (١٣٠١هـ) رحمه الله في [«الدرر السنية» (٣/٣٥٧)]: وليحذر طالب الحق، من كتب أهل البدع: كالأشاعرة، والمعتزلة، ونحوهم، فإن فيها من التشكيك والإيهام ومخالفة نصوص الكتاب والسنة، ما أخرج كثيرًا من الناس عن الصراط المستقيم، نعوذ بالله من الخذلان. اهـ

فصل

كراهية أهل السنة لسماع كلام أهل البدع، وذكره أمام العامة

١- عن مجاهد رحمه الله قال: قيل لابن عمر رضي الله عنه: إن نجدة يقول كذا وكذا، فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيء. [اللالكائي (١٩٩)] ونجدة: هو ابن عامر الحنفي من رؤوس الخوارج.

٢- قال سفيان الثوري (١٦١هـ) رحمه الله: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم. [«الحلية» (٣٤/٧)، «شرح السنة» (١/٢٢٧)] قال الذهبي في [«السير» (٧/٢٦١)] مُعلقًا على هذا الأثر: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير؛ يرون أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة. اهـ

٣- قال بعض أصحاب البهلول بن راشد كنت يومًا جالسًا عنده ومعه رجلٌ عليه لباس حسن وهيئة، فقال له البهلول: أحبُّ أن تذكر لي ما تحتج به القدريّة، فسكت الرجلُ حتّى تفرّق النَّاسُ، ثُمَّ قال له: يا أبا عمرو إنك سألتني عمّا تحتج به القدريّة، وهو كلام تصحبه الشياطين؛ لأنه سلاح من سلاحهم، فتزينه في قلوب العامة، وفي مجلسك من لا يفهم ما أتكلّم به من ذلك، فلا آمن أن يحلو بقلبه منه شيء، فيقول: سمعت هذا الكلام في مجلس البهلول.

فقال له: والله لأقبلنَّ رأسك أحييتني أحيالك الله.

[«رياض النفوس» (١/٢٠٤)]

٤- قال عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله: ذهبت يوماً أحكي ليحيى بن يحيى بعض كلام الجهمية لاستخرج منه نقضاً عليهم وفي مجلسه يومئذ: الحسين بن عيسى البسطامي، وأحمد بن الحريش القاضي، ومحمد بن رافع، وأبو قدامة السرخسي فبأ أحسب وغيرهم من المشايخ.

فزبرني يحيى بغضب؛ وقال: اسكت، وأنكر عليّ أولئك الذين في مجلسه استعظماً أن أحكي كلامهم وإنكاراً. [«ذم الكلام» (١٠٨٨)]

٥- قال حماد بن إبراهيم: قال رجل لحفص بن غياث (١٩٥هـ): يا أبا عمر عندنا قومًا يزعمون أن القرآن مخلوق.

قال: لا جزاك الله خيراً، أوردت على قلبي شيئاً لم أسمعه قطّ.

[«الإبانة» (الرد على الجهمية) (٢٢٢)]

٦- قال هشام بن حسان: قال رجل لابن سيرين (١١٠هـ): إن فلاناً يريد أن يأتيك ولا يتكلم بشيء.

قال: قل لفلان: لا، ما يأتيني؛ فإن قلب ابن آدم ضعيف، وإني أخاف أن أسمع منه كلمة فلا يرجع قلبي إلى ما كان. [«الإبانة» (٤٤٦/٢)]

٧- وقال يزيد بن هارون (٢٠٦هـ) رحمه الله: لقد حرضت أهل بغداد على قتله جهدي [يعني: المرسي]، ولقد أخبرت من كلامه بشيء مرة وجدت وجعه في صُلبي بعد ثلاث. [«خلق أفعال العباد» (٤٤)]

٨- قال عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) رحمه الله: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

[«خلق أفعال العباد» (١٦)]

٩- قال حرب الكرماني (٢٨٠هـ) رحمه الله في «مسائله» (ص ٤٢٧): ذكرت عند علي بن عبد الله بعض كلامهم [يعني: الجهمية] قلت: قوم يقولون كذا ثم كذا أترون هؤلاء مسلمين؟

فقال: لو ذكر هذا رجل عند حماد وغيره من المشايخ لطرده، وما حدثوا بشيء، يكره أن يحكي كلامهم أشد الكراهية.

قلت لعلي: ويكره أن يذكر رجل كلام أهل البدع؟

قال: نعم، لأنني أخاف أن يذكره عند رجل ضعيف القلب فيقع في قلبه.

١٠- قال أحمد (٢٤١هـ) رحمه الله: لقد احتجوا بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطق لساني أن أحكيه. [«الإبانة» (٢٥٥/٢)]

١١- قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي (٢٠٤هـ) يوم ناظره حفص الفرد، قال لي: يا أبا موسى، لأن يلقى الله العبد بكلّ ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام، لقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه. [«درء التعارض» (١٤٦/٧)]

١٢- قال الحسن البصري: لا تجالس أصحاب الأهواء وإن ظننت أن عندك الجواب. «ذم الكلام» (٧٦٥).

١٣- قال معمر: كان ابن طاووس جالساً فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم، قال: فأدخل ابن طاووس أصبعيه في أذنيه، وقال لابنه: أي بني أدخل أصبعيك في أذنيك واشدّد، لا تسمع من كلامه شيئاً.

قال معمر: يعني: أن القلب ضعيف. «ذم الكلام» (٧٧٢).

١٤- مُصعب بن سعد: لا تجالس مفتوناً فإنه لن يخطئك منه إحدى

خصلتين؛ إمّا يمرض قلبك فتابعه، وإما يؤذك قبل أن تفارقه.

[«ذم الكلام» (٨١٢)]

١٥ - قال ابن بطة في [«الإبانة الكبرى» (٤٨٢)] مُعلقاً على قول النبي ﷺ: «مَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ بِخُرُوجِ الدِّجَالِ فَلْيُنْأِ عَنْهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَمَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ لِمَا يَرَى مِنَ الشَّبَهَاتِ».

قال: هذا قول الرسول ﷺ وهو الصادق المصودق، فالله الله معشر المسلمين؛ لا يحملنَّ أحدًا منكم حسنُ ظنِّه بنفسه، وما عهدهُ ممن معرفته بصحة مذهبه، على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره، أو لاستخرج منه مذهباً؛ فإنهم أشدُّ فتنةً من الدِّجَالِ، وكلاؤهمُ الصُّقُوفَ مِنَ الْجَرْبِ، وأحرقُ للقلوبِ مِنَ اللَّهَبِ، ولقد رأيتُ جماعة من النَّاسِ كانوا يلعنونهم، ويسبُّونهم، فجالسُوهم على سبيل الإنكار والرَّدِّ عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخفيُّ المكرِّ، ودقيقُ الكُفْرِ حَتَّى صَبَوْا إِلَيْهِمْ. اهـ

١٦ - قال مغيرة: خرج محمد بن السائب، وما كان له هوى، فقال: ذاهبوا بنا حتى نسع قوهم. فما رجع حتى أخذ بها، وعلقت قلبه.

[«الإبانة الكبرى» (٤٨١)].

١٧ - قال معتمر: عن البتِّي قال: كان عمران بن حطان من أهل السنة قديمَ غلامٍ من أهل عمان مثل البغل، فقلبه في مقعد. [«الإبانة الكبرى» (٤٨٢)]. وأما سبب ردِّ أهل السنة على أهل البدع فسيأتي بيانه في الفصل القادم.

فصل

سَبَبُ رَدِّ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى النِّهْيِ عَنْ مُجَادَلَتِهِمْ وَسَمَاعِ كَلَامِهِمْ

ما ذَكَرَهُ بعض أهل السُّنَّةِ في مُصَنَّفَاتِهِمْ مِنْ أَقْوَالٍ وَحُجَجٍ أَهْلُ الْبِدْعِ، فَإِنَّمَا ذَكَرُوهُ لَغَرَضٍ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُعْطَلَةَ قَدْ نَشَرُوا مَذْهَبَهُمْ، وَتَكَلَّمُوا بِشَبْهِهِمْ أَمَامَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، فَلَبَّسُوا عَلَى النَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ، فَلَمْ يَجِدْ عُلَمَاءُ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ بُدْأً مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَكَشَفَ ضَلَالَهُمْ.

١ - عن حنبل قال: قلتُ لأبي عبد الله إن يعقوب بن شيبه، وزكريا الشركي بن عمار إيتيها أخذا عنك هذا الوقف.

قال أبو عبد الله: كُنَّا نَأْمُرُ بِالشُّكُوتِ، وَتَرَكْنَا الْخَوْضَ فِي الْكَلَامِ، وَفِي الْقُرْآنِ، فَلَمَّا دُعِينَا إِلَى أَمْرِ مَا كَانَ بُدْأً لَنَا مِنْ أَنْ نَدْفَعَ ذَاكَ، وَنُبَيِّنَ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَنْبَغِي.

[«السنة» للخلال (١٧٩٧)]

٢ - قال أبو داود السجستاني رحمه الله: سمعتُ أحمد يُسأل: هل لهم رخصة أن يقول الرَّجُلُ الْقُرْآنَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَسْكُتُ؟

فقال: ولم يسكت، لولا ما وقع فيه النَّاسُ كان يسعه الشُّكُوتُ؛ وَلَكِنْ حَيْثُ تَكَلَّمُوا فِيمَا تَكَلَّمُوا لِأَيِّ شَيْءٍ لَا يَتَكَلَّمُونَ. [«الشرعة» (١٨٧)]

٣ - وقال الإمام أحمد: قد كُنَّا نَهَابُ الْكَلَامَ فِي هَذَا حَتَّى أَحْدَثَ هَؤُلَاءِ

ما أحدثوا، وقالوا ما قالوا، ودعوا الناس إلى ما دعوهم إليه، فبان لنا أمرهم وهو الكفر بالله العظيم. [«السنة» للخلال (١٨٥٨)].

٤ - قال أبو النضر هاشم بن القاسم رحمه الله: دعانا إبراهيم بن شكلة، وأحضر المريسي، وأراد ضرب عنقه، فقال لنا: ما تقولون في القرآن؟ قال: فقلتُ: القرآن كلام الله غير مخلوق.

فقال: لما لم نُقل: كلام الله ونسكت؟

قال: قلتُ: لأن هذا العدو لله قال: مخلوق؛ فلم نجد بُدًّا من أن نقول غير مخلوق. [«السنة» للخلال (١٧٩٨)].

٥ - قال بلال بن سعد رحمه الله: إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت فلم تُغَيَّرْ ضَرَّتْ العامة. [«شعب الإيمان» (٩٩/٦)].

٦ - قال الدارمي رحمه الله في [«النقض» (ص ٣٠٦)]: إِنَّمَا كَرِهَ السَّلَفُ الخوض فيه مخافة أن يتأول أهل البدع والضلال، وأغمار الجهال، ما تأولت فيه أنت وإمامك المريسي، فحين تأولتم فيه خلاف ما أراد الله، وعطلتم صفات الله، وجب على كل مسلم عنده بيان أن ينقض عليكم دعواكم فيه، ولم يكره السلف الخوض في القرآن جهالة بأن كلام الخالق غير مخلوق، ولا جهالة أنه صفة من صفاته حتى لو قد ادعى مُدَّعٍ في زمانهم أنه مخلوق ما كان سبيله عندهم إلا القتل. اهـ

- وقال أيضًا (ص ٣٢٤): ولو لم يُدَّعَ هذا المعارض هذا الكلام، ولم ينشره في الناس؛ لم نتعرض لمناقضته، والإدخال عليه، مع أننا لم نقصد بالنقض إليه؛ ولكن إلى ضعفاء من بين ظهريه الذين لا علم لهم بهذا المذهب سمعوا

به منه، ولم يسمعوا ضد كلامه من كلام أهل السنة واحتجاجهم، فيضلون به، إذ لا يهتدون بضده، وما ينقضه عليه. اهـ

- وقال (ص ٥٧٥): واعلموا أنني لم أر كتاباً أجمع لحجج الجهمية من هذا الكتاب الذي تُسبب إلى هذا المعارض، ولا أنقض لُغرى الإسلام منه، ولو وسعني لاقتديت من الجواب فيه بمحال؛ ولكن خفت ألا يسع أحدًا عنده شيء من البيان يكون بيلد ينشر فيه هذا الكلام ثم لا ينقضه على ناشره ذبًا عن الله تعالى، ومُحَاماة عن أهل الغفلة من ضعفاء الرجال والنساء والصبيان أن يضلوا به، ويفتنوا، أو يشكوا في الله وفي صفاته، ولم نالكم فيه الإسلام نصحاء إن قبلتم، ومن لم يقبله فليُنصَحْ نفسه وأهله وإخوانه من أهل الإسلام فليعرضه على مَنْ بقي من علماء الحجاز والعراق ومن غير من علماء خراسان حتى يستقر عنده نُصَحنا، وخيانة هذا المعارض للإسلام وأهله، فإنه أحدث أشنع المحدثات، وجاء بأنكر المنكرات، ولا آمن على مَنْ أحدث هذا بين ظهريهم فأغضوا له عنه ولم ينكروه عليه بجِدِّ أن يصيبهم الله بعقاب من عنده، أو مسخ، أو خسف، أو حذف، فإن الخطب فيه أعظم مما يذهب إليه العوام؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «سيكون في أمتي مسخٌ، وذلك في قدرية وزندقية». اهـ

- وقال أيضًا رحمه الله في [«ص ٣١٠»]: وهو يتكلم عمن كره الكلام في مسألة القرآن مخلوق هو أو غير مخلوق؟

فقال: فكَرِهَ القوم الخوض فيه إذ لم يكن يُخَاض فيه علانية، وقد أصابوا في ترك الخوض فيه إذ لم يُعلن، فلما أعلنوه بقوة السلطان، ودعوا العامة إليه بالسُّيوف والسِّياط، وادعوا أن كلام الله مخلوق؛ أنكر ذلك عليهم من غير

من العلماء وبقي من الفقهاء، فكذبوهم، وكفروهم، وحذروا الناس أمرهم، وفسروا مرادهم من ذلك، فكان هذا من الجهمية خوفاً فيما نهوا عنه، ومن أصحابنا إنكاراً للكفر البين، ومنافحةً عن الله عز وجل كيلا يسب، وتُعطل صفاته، وذنباً عن ضعفاء الناس كيلا يضلوا بمحتتهم هذه من غير أن يعرفوا ضدها من الحجج التي تنقض دعواهم وتبطل حُججهم، فقد كتب إلي علي بن خشرم، أنه سمع عيسى بن يونس يقول: لا تُجالسوا الجهمية، وبيتوا للناس أمرهم كي يعرفوهم فيحذروهم.

وقال ابن المبارك: لأن أحكي كلام اليهود والنصارى أحب إلي من أن أحكي كلام الجهمية.

فحين خاضت الجهمية في شيء منه، وأظهروه، وادعوا أن كلام الله مخلوق؛ أنكر ذلك ابن المبارك وزعم أنه غير مخلوق.

فإن من قال: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا مخلوق)؛ فهو كافر.

حدثني يحيى الجُماني، عن الحسن بن الربيع، عن ابن المبارك،

فكرة ابن المبارك حكاية كلامهم قبل أن يعلنوه، فلما أعلنوه أنكر عليهم وعابهم على ذلك.

وكذلك قال ابن حنبل: كُنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نجد بداً من مخالفتهم والرد عليهم. اهـ

[وانظر كذلك قوله في: ص ٣٠٦ و ٣٢٤ و ٥٧٥)، و«الرد على الجهمية» (ص ١٨)]

٧- قال الآجري رحمه الله في «الشرعة» (١/ ٤٥٤) بعد أن ذكر نهى السلف عن السماع من أهل البدع ومجادلتهم قال: قيل له: الاضطراب إننا يكون مع

إمام له مذهب شوء، فيمتحن الناس ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل، ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس، ودعواهم إلى مذهبهم الشوء، فلم يجد العلماء بداً من الذب عن الدين، وأرادوا بذلك معرفة العامة الحق من الباطل، فناظروهم ضرورة لا اختياراً، فأثبت الله تعالى الحق مع أحمد بن حنبل، ومن كان على طريقته، وأذل الله تعالى المعتزلة وفضحهم، وعرفت العامة أن الحق ما كان عليه أحمد ومن تابعه إلى يوم القيامة، وأرجو أن يعيد الله الكريم أهل العلم من أهل السنة والجماعة من محنة تكون أبداً. اهـ

٨- قال ابن بطة رحمه الله [«الإبانة الصغرى» (ص ٣٤٨)] في بيان سبب الرد على أهل البدع، وكشف ضلالهم:

(لأن لهم كتباً قد انتشرت ومقالات قد ظهرت لا يعرفها الغريم من الناس، ولا النشء من الأحداث تخفى معانيها على أكثر من يقرأها، فلعل الحدث يقع إليه الكتاب لرجل من أهل هذه المقالات قد ابتدأ الكتاب بحمد الله والثناء عليه، والإطنا ب في الصلاة على النبي ﷺ، ثم اتبع ذلك بدقيق كفره، وخفي اختراعه وشره، فيظن الحدث الذي لا علم له، والأعجمي الغمر من الناس أن الواضع لذلك الكتاب عالم من العلماء، أو فقيه من الفقهاء، ولعله يعتقد في هذه الأمة ما يراه فيها عبدة الأوثان، ومن بارز الله وإلى الشيطان. اهـ

٩- قال مثنى بن جامع: سمعت بشر بن الحارث، سُئل عن الرجل يكون مع هؤلاء أهل الأهواء في مواضع جنازة أو مقبرة فيتكلمون ويعرضون فترى لنا أن نجيبهم؟

فقال: إن كان معك من لا يعلم فردوا عليه لئلا يرى أولئك أن القول

كما يقولون.

وإن كنتم أنتم وهم فلا تكملوهم، ولا تُجيبوهم.

[«الإبانة الكبرى» (٦٨٣)]

١٠ - قال السجزي رحمه الله في [«الحرف والصوت» (ص ١٩٥):

(الفصل التاسع: في ذكر شيء من أقوالهم ليقف العامة عليها؛ فينفروا عنهم، ولا يقعوا في شباكهم).

المبحث المباشر:

أهم أصول المعطلة التي بنوا عليها
مذهبهم في تعطيل الصفات

اعلم أولاً أن أصل مقالات أهل التعطيل في نفي الصفات وتعطيلها
وصرفها عن حقيقتها اللائقة بالله تعالى مُستمدّة من اليهود والصّابئة
المُشركين، والفلاسفة الضّالّين.

فإن أئمة مذهب أهل النّفي والتّعطيل هما:

١ - «الجعد بن درهم»،

٢ - «الجهم بن صفوان».

فالجعد بن درهم هو أوّل من قال بخلق القرآن، ونفي صفات الله، ولما
شاعت منه هذه المقالة ضحّى به خالد بن عبدالله القسري بواسط، وقال
للناس: ارجعوا فضحّوا تقبّل الله منكم، فإنّي مضحّ بالجعد بن درهم، إنّه
زعم أن الله تعالى لم يُكلّم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله
عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً. ثم نزل فذبّحه.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«الفتوى الحموية» (ص ٢٤٣-٢٥٣)]: أصل
هذه المقالة - مقالة التّعطيل للصفات -؛ إنّها هو مأخوذة عن تلامذة اليهود،

والمشركين، وضلال الصّابئين، فإنّ أوّل من حُفِظَ عنه أنّه قال هذه المقالة في الإسلام - أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقةً، وأن معنى استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك -، هو: الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها فنسبة مقالة «الجهمية» إليه.

وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن «أبان بن سمعان»،

وأخذها أبان: عن (طالوت) ابن أخت لبيد بن الأعصم،

وأخذها طالوت من: (لبيد بن الأعصم) اليهودي السّاحر الذي سَحَرَ النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل: من أهل حرّان، وكان فيهم خلق كثير من الصّابئة والفلاسفة، بقايا أهل دين النمرود، والكنعانيين الذين صنّف بعض المتأخرين في سحرهم، والنمرود هو: ملك الصّابئة الكلدانيين المشركين، كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك مصر.. فهو اسم جنس لا اسم علم.

فكانت الصّابئة إلّا قليلاً منهم إذ ذاك على الشّرك وعُلماؤهم الفلاسفة.. فيكون الجعد قد أخذها عن الصّابئة الفلاسفة.

وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حرّان وأخذ عن فلاسفة الصّابئين تمام فلسفته، وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الإمام أحمد وغيره لما ناظر السّمنيّة بعض فلاسفة الهند، وهم الذين يمجّدون من العلوم ما سوى الحسيّات.

فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود، والصّابئين، والمشركين، والفلاسفة

الصّالين: هم إمّا من الصّابئين، وإمّا من المشركين.

ثمّ لما عُرِبت الكتب الرّومية واليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقي الشّيطان في قلوب الضّلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم.

ولما كان في حدود المائة الثالثة: انتشرت هذه المقالة التي كان السّلف يُسمونها مقالة: (الجهمية) بسبب بشر بن غياث المريسي، وطبقته، وكلام الأئمة مثل: مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك.. والشّافعي، وأحمد، وإسحاق.. وغيرهم كثير في ذمّهم، وتضليلهم...

فإذا كان أصل هذه المقالة - مقالة التّعطيل والتأويل - مأخوذاً عن تلامذة المشركين، والصّابئين، واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن - بل نفس عاقل - أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم، أو الصّالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النّبيين والصّديقين والشّهداء والصّالحين؟.. اهـ

فهذه أسانيد المعطّلة في نفي الصّفات والحمد لله على العافية، ورجم الله شريك بن عبدالله إذ يقول: أمّا نحن فقد أخذنا ديننا عن التّابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟ [رواه عبدالله في «السّنة» (٤٩٤)]

واعلم أن أصول أهل التّعطيل من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الأشاعرة في نفي حقيقة صفات الرّبّ عزّ وجلّ وصرفها عن ظاهرها كثيرة جدّاً، وسأقتصر هنا على ما أراه من أهمّها، وهي التي يكثر ذكرها في مُصنّفاتهم في التفسير وشروح الحديث.

ومنها:

١ - تقديم العقل على النقل.

٢ - الطعن في ثبوت أخبار الصفات، بأنها أخبار آحاد لا تفيد العلم.

٣ - الطعن في دلالة نصوص الصفات، بأنها أدلة لفظية، لا تفيد علمًا - ولا يحصل منها يقين.

٤ - حمل نصوص الصفات على المجاز.

- قال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٢/٦٣٢)]:

فهذه الطواغيت الأربع هي التي فعلت بالإسلام ما فعلت، وهي التي محت رسومه، وأزالت معالمه، وهدمت قواعده، وأسقطت حرمة النصوص من القلوب، ونهجت طريق الطعن فيها لكل زنديق ومُلحدٍ، فلا يحتج عليه المحتج بحجة من كتاب الله، أو سنة رسوله إلا لجأ إلى طاغوت من هذه الطواغيت، واعتصم به، واتخذ جنة يصد به عن سبيل الله، والله تعالى بحوله وقوته ومنه وفضله قد كسر هذه الطواغيت طاغوتًا طاغوتًا على ألسنة خلفاء رُسله، وورثة أنبيائه، فلم يزل أنصار الله ورسوله يصيرون بأهلها من أقطار الأرض، ويرجمونهم بشبه الوحي، وأدلة المعقول. اهـ

الأصل الأول:

تقديم العقل على النقل

من أعظم أصول مُعطلة الصفات نبذهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، واحتكامهم إلى أهوائهم وعقولهم الفاسدة، فجعلوها مصدر هدايتهم، وأصلًا يُصار إليه عند الاختلاف، وادَّعوا أن نصوص الوحيين تبع لها.

- فما سوَّغت عقولهم اتصاف الله تعالى به من الصفات أثبتوه، مدَّعين أن هذه الصفة من صفات الكمال، التي يجب إثباتها لله تعالى، غاضين النظر عن ثبوتها في الشرع، أو عدمه.

- وما لم تُسوَّغ عقولهم نفوه، زاعمين أن تلك الصفة من صفات النقص، فيجب نفيها عن الله تعالى، ولو كانت ثابتة بنص القرآن والسنة.

فمدار الإثبات والنفي عندهم ما توجيه عليه عقولهم الفاسدة لا على النقل الصحيح الصريح.

وقد صرَّحوا بذلك في كلامهم ومُصنفاتهم، ومن ذلك:

١ - ابن فورك الأشعري (٤٠٦هـ) فقد ألف كتابه: «مُشكل الحديث وبيان» فأول فيه أحاديث الصفات، لزعمه أنها تُعارض العقل. وقد نصَّ على ذلك في مقدمة كتابه هذا.

٢ - قال أبو المعالي الجويني (٤٧٨هـ): إنه إذا ورد الدليل السمعي مُخالفًا

لقضية العقل، فهو مردود قطعاً. اهـ

٣ - قال الزمخشري المعتزلي (٥٣٨هـ) وكان يُلقب العقل: بالسلطان.

قال: امش في دينك تحت راية السلطان، ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان.
وقال في تفسيره: القانون الذي يُستند إليه السُّنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل!!

٤ - الغزالي (الملقب بحجة الإسلام!!) (٥٠٥هـ).

ألف كتابه «قانون التأويل»، ويُن فيهِ أن الفرقة الحق في أبواب التأويل: هم الذين يُقدّمون عقولهم عند تصادمها مع النقل.

ويقول: وأما ما قضى العقل باستحالته: فيجب في تأويله ما ورد السَّمع به، ولا يُتصور أن يشمل السَّمع على قاطع مُخالف للمعقول، وظواهر أحاديث التشبيه أكثرها غير صحيحة، والصحيح منها ليس بقاطع، بل هو قابل للتأويل.

٥ - ابن العربي المالكي (٥٤٣هـ) تلميذ الغزالي.

وقد ألف كتاباً في التأويل سَمّاه كذلك: «قانون التأويل»، صنع فيه كصنيع شيخه، وما أثبتته من بعض الصفات في بعض مُصنّفاته فمن طريق العقل لا النقل.

٦ - الرّازي (الملقب بفخر الدين!!) (٦٠٦هـ).

وهو إمامهم الذي قدّم لهم هذا الأصل وجعل له قانوناً، وصنّف فيه المصنّفات، وأدخل على مذهبه كثيراً من آراء الجهمية والفلاسفة.

- قال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٢/٦٤٠)]: لا يُعرف

أحد من فرق الإسلام قبل ابن الخطيب [يعني: الرّازي] وضع هذا الطّاغوت، وقرّره، وشيّد بنيانه، وأحكمه مثله. اهـ
قال الرّازي: (إن نُصوص الكتاب والسُّنة أدلة لفظيّة، لا تفيد اليقين).
وقال: (إن العقل أصل النقل، فإذا جاء النقل بما يُخالف مقتضى العقل؛ قدّمنا العقل).

قلت: بل وصل الحال ببعضهم أن عدّ من أسباب الضلال: التمسك بظواهر الكتاب والسُّنة وترك العقل!! كما في قول السنوسي فيما سيأتي.
٧ - السنوسي (٨٩٥هـ).

قال في «شرح الكبرى»: أصول الكُفْرِ ستة .. السادس: .. التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسُّنة من غير بصيرة في العقل: هو أصل ضلال الحشوية!! فقالوا بالتشبيه، والجهة، عملاً بظاهر قوله تعالى: ﴿مَآئِنُهُمْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِدَنَى﴾ [ص: ٧٥]، ونحو ذلك. اهـ

٨ - محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ).

قال: الدليل العقلي القطعي إذا جاء في ظاهر الشّرع ما يُخالفه، فالعمل بالدليل العقلي مُتعين، ولنا في النقل التأويل، أو التفويض، وهذه المسألة المذكورة في كُتب العقائد التي تُدرس في الأزهر وغيره!! اهـ.

ثمّ استشهد لصحة كلامه بقانون الرّازي.

قلت: فلما كانت عقولهم مُقدّمة عندهم على النصوص سلكوا فيها مسلكين:

١- التأويل.

٢- والتفويض.

«ومن العجب أن هؤلاء المقدمين عقولهم على الوحي خاضعون لأئمتهم وسلفهم، مُستسلمون لهم في أمور كثيرة، يقولون: هم أعلم بها منا، وعقولهم أكمل من عقولنا، فليس لنا أن نعرض عليهم، فكيف يعترض على الوحي بعقله من نسبته إليه أدق وأقل من نسبة عقل الطفل إلى عقله.

وجماع الأمر أن قضايا المعقول مشتملة على: العلم، والظن، والوهم، وقضايا الوحي كلها حق، فأين قضايا مأخوذة عن عقل قاصر عاجز عرضة للخطأ من قضايا مأخوذة عن خالق العقول وواهبها هي كلامه وصفاته!!

[«الصواعق المرسلة» (٣/ ٨٩٤)]

* رد أهل السنة والأثر على هذا الأصل الفاسد:

طعن أهل السنة في هذا الأصل، وبيّنوا ضلال القائلين به؛ ومن ذلك:

١ - قال الدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله في [«الرد على الجهمية» (٢١١)]:

فقال قائل منهم: (لا، بل نقول بالمعقول).

قلنا: ها هنا ضللتكم عن سواء السبيل، ووقعتم في تيه لا مخرج لكم منه؛ لأن المعقول ليس لشيء واحد موصوف بحدود عند جميع الناس فيقتصر عليه.

ولو كان كذلك كان راحة للناس، ولقلنا به ولم نعد، ولم يكن الله تبارك وتعالى قال: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] فوجدنا المعقول عند كل حزب ما هم عليه، والمجهول عندهم ما خالفهم، فوجدنا فرقة منكم تدّعي أن المعقول معشر الجهمية - في المعقول مختلفين، كل فرقة منكم تدّعي أن المعقول

عندها ما تدعو إليه، والمجهول ما خالفها. فحين رأينا المعقول اختلف منا ومنكم ومن جميع أهل الأهواء، ولم نقف له على حدّ يبين في كل شيء، رأينا أرشد الوجوه وأهداها أن نردّ المعقولات كلّها إلى أمر رسول الله ﷺ، وإلى المعقول عند أصحابه المستفيض بين أظهرهم؛ لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم، فكانوا أعلم بتأويله منا ومنكم، وكانوا مؤلفين في أصول الدين لم يفتروا فيه، ولم يظهر فيهم البدع والأهواء الحائذة عن الطريق.

فالمعقول عندنا ما وافق هديهم، والمجهول ما خالفهم، ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار، وقد انسلختم منها، وانتفيتم منها بزعمكم فأنى تهتدون؟ اهـ

٢- قال البرهاري (٣٢٩هـ) رحمه الله في [«شرح السنة» (٩٩)]: واعلم أنّه إنّما جاء هلاك الجهمية من أنّهم فكروا في الربّ ﷻ فأدخلوا: لم؟ وكيف؟ وتركوا الأثر، ووضعوا القياس، وقاسوا الدين على رأيهم، فجاءوا بالكفر عياناً، لا يخفي أنّه كفر، وكفروا الخلق، واضطربهم الأمر حتّى قالوا بالتعطيل. اهـ

٣- قال السجزي (٤٤٤هـ) رحمه الله في [«رسالته في الحرف والصوت» (٢١٦)]: وأما أئمة الضلال: فالمشركون، والمدّعون الربوبية، والمنافقون، ثم كل من أحدث في الإسلام حدثاً، وأسّس بخلاف الحديث طريقاً، وردّ أمر المعتقادات إلى العقليات، ولم يُعرف شيوخه باتباع الآثار، ولم يأخذ السنة عن أهلها، أو أخذ عنهم ثم خالفهم. اهـ

وقال (ص ١٩٩): في باب: (في ذكر شيء من أقوالهم ليقف العامة عليها فينفروا عنهم ولا يقعوا في شباكهم)

ومنها: أن كُلَّ حديث ورد مخالفاً للعقل لا يمكن الجمع بينه وبين العقل فهو زور، وإن رواه من لا يُشكَّ في عدالته قبل ذلك، وأن من رواه مع العلم بحاله مُثبتاً له تسقط عدالته، ولا يجوز قبول خبر في باب الاعتقاد إلا ما وافق قضية العقل فيه، وهذا يؤدي إلى ردِّ الأخبار الواردة في الصِّفات، وإلى تفسيق أئمة المسلمين. اهـ

٤- قال أبو المظفر السَّمعاني (٤٨٩هـ) رحمه الله في [الانتصار لأصحاب الحديث] (ص ٨١-٨٢): واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة:

هو مسألة العقل؛ فإنهم أسَّسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول.

وأما أهل السُّنة قالوا: الأصل الاتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدِّين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء..

- وقال (ص ٤٤): غير أن الله تعالى أبى أن يكون الحقُّ والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف.. وأما سائر الفرق فطلبوا الدِّين لا بطريقه؛ لأنهم رجعوا إلى معقولهم، وخواطروهم، وآرائهم، فطلبوا الدِّين من قبَلِهِ، فإذا سَمِعُوا شيئاً من الكتاب والسُّنة عرَضوه على معيارِ عقولهم، فإن استقام قَبْلوه، وإن لم يستقم في ميزانِ عقولهم ردَّوه، فإن اضطروا إلى قبوله حَرَفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المُستَكْرَة، فحادوا عن الحقِّ، وزاغوا عنه، ونبذوا الدِّين وراء ظهورهم، وجعلوا السُّنة تحت أقدامهم تعالى الله عما يصفون.

وقال: وأما الكلام في أمور الدِّين، وما يرجع إلى الاعتقاد من طريق المعقول، فلم يُنقل عن أحد منهم، بل عدَّوه من البدع والمُحدثات، وزَجروا عنه غاية الزجر ونهوا عنه. اهـ

٥- قال ابن تيمية رحمه الله في [درء التعارض] (٥/ ٣٢٠): القول بتقديم غير النصوص النبوية عليها؛ من: عقل، أو كشف، أو غير ذلك يُوجب أن لا يُستدلَّ بكلام الله ورسوله على شيء من المسائل العلمية، ولا يُصدَّق بشيء من أخبار الرسول لكون الرسول أخبر به، ولا يُستفاد من أخبار الله ورسوله هُدى، ولا معرفة بشيء من الحقائق، بل ذلك مُستلزم لعدم الإيمان بالله ورسوله، وذلك مُتضمَّنٌ للكُفر، والنِّفاق، والزُّندقة، والإلحاد، وهو معلوم الفساد بالضرورة من دين الإسلام، كما أنه في نفسه قول فاسد مُتناقض في صريح العقل. اهـ

- وقال في [درء التعارض] (٥/ ٢٥٧): ولا ريب أن موجب الشَّرع أن مَنْ سَلَكَ هذه السَّبِيلَ فإنه بعد قيام الحُجَّة عليه كافر بما جاء به الرسول؛ ولهذا كان السَّلف والأئمة يتكلَّمون في تكفير الجهمية النُّفاة بما لا يتكلَّمون به في تكفير غيرهم من أهل الأهواء والبدع. اهـ

وقال في [الحموية] (ص ٢٣٧): يا سُبْحان الله! كيف لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً من الدَّهر ولا أحد من سَلَفِ الأُمَّة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلَّت عليه؛ لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا فإنه الحقُّ، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، أو انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه، وما لا فتوقفوا

فيه، أو انفوه؟!

وقال في [«الحموية» (ص ٢٧٦)]: ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء: أن ليس لواحد منهم قاعدة مُستمرّة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جَوّز أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله.

فيا ليت شعري بأيّ عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء. اهـ.

قلت: وقد صنّف ابن تيمية رحمه الله كتابه الكبير «درء تعارض العقل والنقل» لدحض هذا الأصل، وكسر هذا الطّاغوت.

٦ - قال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٣/ ٨٩٨)]:

وقال أيضاً معارضة أمر الرّسل وخبرهم بالمعقولات إنّما هي طريقة الكُفار، فهم سلف للخلف بعدهم، فبئس السلف، وبئس الخلف، ومن تأمل معارضة المشركين والكفار للرّسل بالعقول وجدها أقوى من معارضة الجهمية والنُّفاة لخبرهم عن الله وصفاته وعلوّه على خلقه وتكليمه لملائكته ورسله بعقولهم... [وانظر كذلك (٣/ ٨٢١) وغيرها]

الأصل الثاني:

الطّعن في ثبوت أخبار الصفات بدعوى أنها

أخبار آحاد لا تفيد اليقين

من طواغيت أهل التّعطيل لردّ نُصوص الصفات:

ردّ أحاديث الآحاد؛ لأنّها ظنية الثبوت، وترك الاستدلال بها في المسائل العقديّة التي لا يُحتجّ فيها إلّا بالقطعيّات.

فردّ أهل البدع بهذه الشبهة الشيطانية كثيراً من السُّنن والآثار الصّحيحة المثبتة لصفات الرّبّ عزّ وجلّ وغيرها من مسائل الدّين؛ كأحاديث الشّفاة، وأحاديث الرّؤية وغيرها مما يطول ذكره.

وهم مع ذلك يُعظّمون الكلام ويجعلون مسائله قطعيّة، ويستدلّون عليه بأقوال أهل الكتاب وغيرهم من المشركين، كما استدلّوا على أن معنى الاستواء بالاستيلاء ببيت منسوب إلى نصراني، وكما استدلّوا بأقوال أبي معشر أحد دُعاة الشُّرك وعبادة الكواكب، كما فعل الرّازي في كتابه «التأسيس».

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٨٢)]: ومن العجب العجيب أنّ هذا الرّجل [يعني: الرّازي] المحادّ لله ولرسوله عمّد إلى الأخبار المستفيضة عن رسول الله ﷺ التي توارثها عنه أئمة الدّين، وورثة الأنبياء والمرسلين، واتفق على صحتها جميع العارفين، فقدح فيها قدحاً يشبه الزّنادقة المنافقين، ثمّ يحتجّ في أصول الدّين بنقل أبي معشر أحد

المؤمنين بالجلبت والطَّاغوت، أئمة الشُّرك والضَّلَال !! نعوذُ بالله من شرورهم وأقوالهم، والله المستعان على ما يصفون. اهـ
ومن أقوالهم في ردِّ أحاديث الآحاد:

١- قال الجُويني في «الشَّامل في أصول الدين»: وقد قدمنا أن أخبار الآحاد لا يجب انقضاؤها في القطعيات. اهـ

٢- قال الرَّازي في «أساس التقديس»: أما التَّمسُّك بخبر الواحد في معرفة الله فغير جائز. اهـ

٣- قال الخطابي: ما لم يكن له في الكتاب ذِكْرٌ، ولا في التَّواتر أصلٌ، ولا له بمعاني الكتاب تعلُّقٌ، وكان حُجَّتُهُ من طريق الآحاد وأفضى بنا القول إذا أجريناه على ظاهره إلى التَّشبيهِ؛ فإنَّا نتأولُهُ على معنى يحتملُهُ الكلامُ ويُرْوَى معه معنى التَّشبيهِ !! [«الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/١٩٥)]

٤- قال البيهقي في [«الأسماء والصفات» (٣/٩١٩)]: ترك أهل النَّظر من أصحابنا الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفاتِ الله تعالى إذا لم يكن لما انفرد منها أصل في الكتاب أو الإجماع، واشتغلوا بتأويله. اهـ

ولا شك أن شبهتهم في طعنهم في أحاديث الصفات بأنها أخبار آحاد شُبِّهَ شيطانية داحضة؛ فإنَّه لم يُنقل التَّفريق بين مسائل العقيدة وغيرها من مسائل الدِّين - من حيث الأخذ بالنصوص الشرعية - لا عن الرَّسول ﷺ، ولا عن صحابته رضي الله عنهم، ولا التابعين، ولا عن أحدٍ من سلفِ هذه الأُمَّة.

وإجماع السَّلفِ أهل السُّنة والأثر من المتقدِّمين والمتأخِّرين على الأخذ بهذه

الأحاديث في باب الصفات، وعدم التَّفريق بين المتواتر والآحاد.

* والأدلة على قبول خبر الواحد العدل وأنها تفيد العلم كثيرة، ومنها:

١ - عن عباد بن العوام قال: قَدِمَ علينا شريك، فسألناه عن الحديث:

«إنَّ الله ينزلُ ليلة النُّصف من شعبان»، قلنا: إن قومًا يُنكرون هذه الأحاديث.

قال: فما يقولون؟ قلنا: يطعنون فيها.

فقال: إن الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرآن، وبأن الصَّلوات خمس، وبحجِّ البيت، وبصوم رمضان، فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث.

- وفي لفظٍ قال: فحدَّثني بنحوٍ من عشرة أحاديث في هذا، وقال: أمَّا نحن فقد أخذنا ديننا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟!

[«السنة» لعبد الله بن أحمد (٤٩٣ و٤٩٤)]

٢ - قال الشَّافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله في [«الرسالة» (١/٤٥٧)]: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين اختلفوا في تثبيت خبر الواحد. اهـ

٣ - قال أبو بكر المروزي رحمه الله: قلتُ لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل -: هاهنا إنسان يقول: إن الخبر يُوجب عملاً، ولا يُوجب علماً.

فعابه، وقال: ما أدري ما هذا. [«المسودة» (ص ٢١٨)]

٤ - قال أبو المظفر السَّمْعاني (٤٨٩هـ) رحمه الله في [«الانتصار لأصحاب الحديث» (ص ٣٤-٣٧)]: (حُجَّة خبر الواحد) ونشغل الآن بالجواب عن قولهم فيما سبق: (إن أخبار الآحاد لا تُقبل فيها طريقه العلم)، وهذا رأس شُغْب المبتدعة في ردِّ الأخبار، وطلب الدَّلِيل من النظر والاعتبار.

فنقول وبالله التوفيق: إنَّ الخبرَ إذا صحَّ عن رسول الله ﷺ، ورواه الثقات والأئمة، وأسندَه خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول؛ فإنه يُوجب العلم فيها سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث، والمتقين من القائمين على السنة.

ولمّا هذا القول الذي يُذكر: إن خبر الواحد لا يُفيد العلم بحالٍ، ولا بُد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به؛ شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه: ردّ الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قَدَم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول.

ولو أنصفت الفرق من الأمة لأقروا بأنَّ خبر الواحد يُوجب العلم؛

فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد.. ومشهور معلوم استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها، فهذا إجماعٌ منهم على القول بأخبار الأحاد.

وكذلك أجمع أهل الإسلام مُتقدموهم ومُتأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله عز وجل، وفي مسائل القدر، والرؤية.. وما أشبه ذلك مما يكثر عدّه وذكره.

وهذه الأشياء كلّها علمية لا عملية، وإنما تروى لوقوع علم السامع بها، فإذا قلنا: (إن خبر الواحد بها لا يجوز أن يُوجب العلم)، حملنا أمر الأمة في نقل هذه الأخبار على الخطأ، وجعلناها لاغين هاذين مُشتغلين بما لا يفيد أحدًا شيئاً ولا ينفعه... ورُبّما يترقى هذا القول إلى أعظم من هذا؛ فإن النبي ﷺ أدّى هذا الدين إلى الواحد، فالواحد من أصحابه ليؤدّوه إلى الأمة، وينقلوا

عنه، فإذا لم يقبل قول الراوي لأنّه واحد رجع هذا العيب إلى المؤدّي، نعوذ بالله من هذا القول الشنيع، والاعتقاد القبيح. اهـ

٥ - قال ابن عبد البر (٤٦٣ هـ) في [«التمهيد» (١/٨)]: وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر، وكلّهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويُعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وديناً في مُعتقدِه على ذلك جماعة أهل السنة. اهـ

٦ - قال ابن تيمية رحمه الله في [«جواب الاعتراضات المصرية» (ص ٥٠)]:

مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمة الإسلام: أن الخبر الصحيح مقبول مصدّق به في جميع أبواب العلم، لا يُفرّق بين المسائل العلمية والخبرية، ولا يُردّ الخبر في باب من الأبواب سواء كانت أصولاً أو فروعاً بكونه خبراً واحداً، فإن هذا من مُحدثات أهل البدع المخالفة للسنة والجماعة. اهـ

٧ - قال ابن القيم رحمه الله وهو يتكلّم عن التفريق بين قبول الأخبار بين المعتقدات والعمليات قال: وهذا التفريق باطلٌ بإجماع الأمة؛ فإنّها لا تزل تحتجّ بها في الطلبيات والعمليات.. ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجّون بهذه الأخبار في مسائل الصفات، والقدر، والأسماء، والأحكام.. اهـ

والكلام في الرّدّ على هذا الأصل الفاسد يطول، كما فعل ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٤/١٥٣٠)] حيث بين فسادَه من خمسة وسبعين وجهاً، وقال: إن هذا القول لا يجامع دين الإسلام بل مناقضته للدين معلومة بالضرورة بعد التأمل لحقيقته ولازمه. اهـ

[وانظر: «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (١/١٢٩)]

الأصل الثالث:

الطعن في دلالة نصوص الصفات بأنها أدلة لفظية

لا تفيد علماً، ولا يحصل منها يقين

وذلك أن كثيراً من الصفات ورد ذكرها في كتاب الله تعالى، وثبتت بطريق التواتر من أحاديث النبي ﷺ، وهذان لا يشك أحد في قطع ثبوتها، فلم يستطيعوا ردّها من حيث القبول، فقبلوها في الظاهر؛ ولكن أبطلوا حقيقتها بالطعن في دلالتها بدعوى أنها أدلة لفظية لا تفيد علماً، ولا يحصل منها يقين.

فحيثُ أوجبوا معها أحد أمرين:

١- إمّا التأويل.

٢- وإمّا التفويض.

وهذان الطريقتان استقرّ عليهما المذهب الأشعري كما قال اللقاني (١٠٤١هـ):

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْ هَمَّ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرُمَ تَنْزِيهِهَا

والذي أوقعهم في ذلك إقحام عقولهم الفاسدة على نصوص الصفات، وتقديمها على النص كما تقدم في أصلهم الأول.

فقالوا: إن ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه،

وإن ظاهرها غير مراد لله تعالى، بل المراد منها شيء آخر غير ظاهرها!! ولا بد من صرفها عن ذلك، وتأويلها لتنزیه الله عما سَمَّوه تشبيهاً.

ففرّوا من هذه الشبهة بسلوك طريقين: التأويل، والتفويض.

- قال ابن تيمية رحمه الله في «درء التعارض» (١/٢٠١):

غاية ما ينتهي إليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بأرائهم من المشهورين بالإسلام؛ هو: ١- التأويل، ٢- أو التفويض. اهـ

قلت: ومن أمثله سلوك متأخري الأشاعرة وغيرهم هذين المسلكين في مصنفاتهم:

١- الرازي (٦٠٦هـ).

قال: الظواهر النقلية إذا عارضت الدلائل العقلية لم يمكن تصديقها ولا تكذيبها؛ لا متناع اجتماع النقيضين وارتفاعها، ولا تصديق النقل وتكذيب العقل؛ لأن العقل أصل النقل!! فتكذيبه لتصديقه يوجب تكذيبها، فتعين تصديق العقل:

أ- وتفويض علم النقل إلى الله،

ب- أو الاشتغال بتأويل الظواهر. [انظر: «درء التعارض» (٧/٢٦)]

٢- البيهقي (٤٥٨هـ).

- قال في كتابه «الاعتقاد» (ص ١٢٠): وهو يتكلم عن موقف الأشاعرة من آيات وأحاديث الصفات:

أ- منهم من قبله، وآمن به، ولم يؤوله، ووكل علمه إلى الله، ونفى الكيفية والتشبيه عنه.

قلت: وهذا هو التفويض.

ب- ومنهم من قبله، وآمن به، وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة، ولا يناقض التوحيد.

قلت: وهذا هو التأويل.

٣ - النووي (٦٧٦هـ).

قال في مقدمة كتابه [المجموع شرح المذهب] (٢٥/١):

(فرع) اختلفوا [يعني أهل الكلام] في آيات الصفات وأخبارها هل يُحاض فيها بالتأويل أم لا ؟

فقال قائلون: تُتأول على ما يليق بها، وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين.

وقال آخرون: لا تُتأول، بل يُمسك الكلام في معناها، ويوكل علمها إلى الله تعالى .. وهي أسلم .. فإن دعت الحاجة إلى التأويل لردّ مبتدع ونحوه تأولوا حيثئذ، وعلى هذا يُحمل ما جاء عن العلماء في هذا.

قلت: وكثر هذا كثيرًا في شرح صحيح مسلم .

٤ - ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

قال في آخر [شرح الصحيح] (٤٥٨/١٣): وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة؛ وجب الإيمان به، ثم:

١ - إمام التفويض،

٢ - وإمام التأويل. اهـ

* ردّ أهل السنة والأثر على هذا الأصل:

١ - قال ابن تيمية رحمه الله في [بيان تلييس الجهمية] (٨/٤٩٠):

إن هذا القول [أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين] مضمونه:

جحد الرسالة في الحقيقة، وإن أقرّ بها بلسانه، بل مضمونه أن ترك الناس بلا رسول يرسل إليهم خيرٌ من أن يرسل إليهم الرسول، وأن الرسول ﷺ لم يهتد به أحدٌ في أصول الدين، بل ضلّ به الناس، وإنما اهتدوا بعقلهم الذي لم يحتاجوا فيه إلى الرسول، وذلك أن القرآن على ما زعم هؤلاء: لا يستفاد منه علم، ولا حجة، بل إذا علم بالعقل شيء اعتقد، ثم القرآن إن كان موافقًا لذلك أقرّ لكونه معلومًا بذلك الدليل الذي استنبطناه، لا لكون الرسول أخبر به، ولا لكونه أرشد إلى دليل عقلي يدلّ عليه.

وإن كان الظاهر مخالفًا للعقل اتبعنا العقل، وكان ذلك الظاهر وجوده كعدمه، إمامًا نصًّا، وإمامًا ظاهرًا، فاحتاجوا:

١ - إمامًا إلى التأويل

٢ - وإمامًا إلى التفويض

لثلاث يضلوا، وغيرهم ضلّ باتباع ما جاء به الرسول ﷺ، وكان مقتضى لضلّال قوم، وشفاء قوم، فكانت الطائفتان بسببه في ضلالٍ وسُعرٍ، وإنما اهتدوا بعقلهم الذي لم يحتاجوا فيه إلى الرسول،

فهذا حقيقة قول هؤلاء الملحدين. اهـ

٢ - قال ابن القيم رحمه الله: قالوا: الأخبار قسمان:

١- متواتر

٢- وآحاد

فالمتواتر وإن كان قطعي السند؛ لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تُفيد اليقين، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات.

والآحاد لا تُفيد العلم، فسدّوا على القلوب معرفة الرّبّ وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ﷺ، وأحالوا الناس إلى قضايا وهمية، ومُقدّمات خيالية، سمّوها قواطع عقلية، وبراهين نقلية، وهي في التحقيق: ﴿كَلِمَاتٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّنَّ أَنْ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، ومن العجب أنهم قدّموها على نصوص الوحي، وعزلوا لأجلها النصوص!!
[«مختصر الصواعق» (٤/١٤٠١)]

- وقال أيضًا رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٢/٦٤٦)]: ومن تدبّر هذا أو تصوّره تبين له أن قول القائل: (الأدلة اللفظية التي جاء بها الرسول لا تفيدنا علمًا، ولا يقينًا) من أعظم أنواع السفسطة، وأكثر أسباب الزندقة، وأن هؤلاء شرّ من اللاأدرية، وشرّ من الباطنية. اهـ

- وقال أيضًا في (٢/٧٥٩): والقائلون بأن اليقين والعلم إنما يحصل من الأدلة العقلية لا من الأدلة السَّمعية هم هؤلاء [الفلاسفة]، وعنهم تلقى هذا الأصل، ومنهم أُخذ، فهو أحد أصول الفلسفة، والإلحاد، والزندقة الذي يتضمن عزل النبوات وما جاءت به الرُّسل عن الله من الأدلة السَّمعية، وتولية القواعد المنطقية، والآراء الفلسفية، فأخذ منهم مُتأخروا الجهمية فصالوا به على أهل

الكتاب والسنة، ولقد كان قداماؤهم لا يصرحون بذلك، ولا يتجاسرون عليه، فكشف المتأخرون القناع، وألقوا جلباب الدين، وصرّحوا بعزل الوحي عن درجة والمسلمون.. فدعوى هؤلاء المخدوعين المخادعين أن ما جاءت به الأنبياء لا يفيد اليقين، وأن تلك الهذيان التي بنو عليها، واستدلوا بها هي المفيدة لليقين من جنس دعوى فرعون وقوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، وقال عن موسى وما جاء به: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

فدعوى هؤلاء من جنس دعواه سواء، وبالله التوفيق. اهـ

قلت: ولقد أطال ابن القيم رحمه الله في كتابه «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» الرّد عليهم في هذا الطاغوت، فذكر في نقضه ثلاثة وسبعون وجهًا، من (ص ٦٣٢ إلى ص ٧٩٥).

الأصل الرابع:

حمل نصوص الصفات على المجاز

من أصول أهل التعطيل من الجهمية والأشاعرة وغيرهم في نفي حقيقة صفات الله تعالى: دعوى أن نصوص الصفات محمولة على المجاز لا على الحقيقة، فأدخلوا المجاز فيها.

وهو من طواغيتهم التي ينفون بها حقيقة صفات الله تعالى، حاولوا من خلاله إبطال دلالة نصوص الكتاب والسنة على قيام صفات الله تعالى، وهذه الدعوى يلجؤون إليها إذا أعيتهم الحيل في الطعن في أصل ثبوت تلك النصوص عن طريق التكذيب أو التشكيك في الأسانيد التي نقلت بها.

ومن أمثلة كلامهم في ذلك:

١ - قال ابن الأثير في [«النهاية في غريب الحديث» (٥/٣٠٠)]: «كُلُّ ما جاء في القرآن والحديث من إضافة: اليد، والأيدي، واليمين، وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله تعالى فإنها هي على سبيل (المجاز والاستعارة)، والله مُنَزَّهٌ عن التشبيه والتجسيم. اهـ»

٢ - قول القرطبي في نفيه لعلو الله تعالى عند شرحه لحديث الجارية، قال في [«المفهم» (٢/١٤٣)]: «وإذا ثبت ذلك، ثبت أن النبي ﷺ إنما أطلقه على الله بالتوسعة والمجاز لضرورة إفهام المخاطبة القاصرة الفهم. اهـ»

٣ - قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن) (٧٩٢): قوله ﷺ: «ما أذنَ اللهَ لشيءٍ ما أذنَ لنبي يتغنى بالقرآن»: قال العلماء معنى: (أذنَ) في اللغة: الاستماع .. قالوا: ولا يجوز أن تحمل هنا على الاستماع بمعنى الإصغاء؛ فإنه يستحيل على الله تعالى (!!) بل هو مجاز، ومعناه الكناية عن تقريبه القارئ وإجزال ثوابه. اهـ

وكذا أول هذا الحديث في كتابه «رياض الصالحين» !! ولم يتفطن لهذا لتأويل كثير ممن يقرأ هذا الكتاب على العامة في المساجد !!

٤ - قال العز بن عبد السلام في «الإشارات في المجاز»: فإذا وصف الباري بشيء من ذلك لم يجوز أن يكون موصوفاً بحقيقة لأنه نقص (!)، وإنها يتصف بمجازه. اهـ

* رد أهل السنة والأثر على هذا الأصل:

١ - قال الدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله في [«النقض» (ص ٥٥٠)]: «قد عرفنا بحمد الله تعالى من لغات العرب هذه المجازات التي اتخذتموها دلالة وأغلوطة على الجهال، تنفون بها عن الله تعالى حقائق الصفات بعلل المجازات، غير أنا نقول: لا يحكم للأعرب من كلام العرب على الأغلب؛ ولكن نصرف معانيها إلى الأغلب حتى تأتوا ببرهان أنه عنى بها الأعرب، وهذا هو المذهب الذي إلى الإنصاف والعدل أقرب، لا أن تُعترض صفات الله المعروفة المقبولة عند أهل البصر فنصرف معانيها بعلّة المجازات إلى ما هو أنكر، ونزّد على الله تعالى بداحض الحجج وبالتالي هي أعوج، وكذلك ظاهر القرآن، وجميع ألفاظ الروايات تصرف معانيها إلى العموم، حتى

يأتي مُتَأَوِّل بَرَهَان يَبَيِّن: أَنَّهُ أُرِيدَ بِهَا الْخُصُوصُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَيْسَانِ عَرَبِيَّيْنِ﴾، فَأُثْبِتَهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَعْمَهُ وَأَشَدَّهُ اسْتِفَاضَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَمَنْ أَدْخَلَ مِنْهَا الْخَاصَّ عَلَى الْعَامِّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَ فِيهَا غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ. اهـ

٢ - قال أبو أحمد محمد بن علي المعروف بالقصّاب (٣٦٠هـ):

كُلُّ صِفَةٍ وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ فَلَيْسَتْ صِفَةً مَجَازٍ، وَلَوْ كَانَتْ صِفَةً مَجَازٍ لَتَحْتَمَّ تَأْوِيلُهَا، وَلَقِيلَ: مَعْنَى الْبَصَرِ كَذَا، وَمَعْنَى السَّمْعِ كَذَا، وَلَقُسِّرَتْ بِغَيْرِ السَّابِقِ إِلَى الْأَفْهَامِ، فَلَمَّا كَانَ مَذْهَبُ السَّلَفِ إِقْرَارَهَا بِلا تَأْوِيلٍ، عَلِمَ أَنَّهَا غَيْرُ مَحْمُولَةٍ عَلَى الْمَجَازِ، وَإِنَّمَا هِيَ حَقٌّ بَيِّنٌ. اهـ

[«السيرة» (١٦/٢١٣-٢١٤)]

٣ - قال السَّجْزِي (٤٤٤هـ) رحمه الله في [«رسائله في الحرف والصوت» (١٥٢)]: الْوَاجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَةٍ مَعْقُولَةٍ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَالْخُطَابِ وَرَدَ بِهَا عَلَيْهِمْ بِمَا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَمْ يُبَيِّنْ سُبْحَانَهُ أَنَّهَا بِخِلَافِ مَا يَعْقِلُونَهُ، وَلَا فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أَذَاهَا بِتَفْسِيرِ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ، فَهِيَ عَلَى مَا يَعْقِلُونَهُ وَيَتَعَارَفُونَهُ. اهـ

٤ - قال التيمي (٥٣٥هـ) رحمه الله في [«الحجة» (١/٤٨٢)]:

ودليل آخر: أن من حمل اللفظ على ظاهره، وعلى مقتضى اللغة: حمله على حقيقته، ومن تأويله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفات الله تعالى. اهـ

٥ - قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ) رحمه الله في [«التمهيد» (٧/١٤٥)]:

أَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَالْإِيَّانِ بِهَا، وَحَمَلُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يُخَدِّدُونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً. اهـ

٦ - قال محمد ابن القاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي (٥٢٦هـ) في كتابه [«الاعتقاد» (ص ٣١)] وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، قَالَ:

وإن تأولها على مُقْتَضَى اللَّغَةِ، وَعَلَى الْمَجَازِ: فَهُوَ جَهْمِيٌّ. اهـ

٧ - قال ابن تيمية في [«الفتاوى الكبرى» (٦/٣٧٠)]:

وكذلك الجهمية على ثلاث درجات: فشرُّها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته، وإن سمّوه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا: (هو مجاز)، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحقي، ولا عالم، ولا قادر، ولا سميع، ولا بصير...

٨ - قال ابن رجب في [«فتح الباري» (٧/٢٣٠)]: وَزَعَمُوا [أَيِ الْجَهْمِيَّةِ] أَنَّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَثَرَتِهِ وَانْتِشَارِهِ مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ وَالتَّجَوُّزِ، وَأَنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى مَجَازَاتِ اللَّغَةِ الْمُسْتَبْعَدَةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْقَدَحِ فِي الشَّرِيعَةِ الْمَحْكَمَةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَهُوَ مِنْ جَنْسِ حَمْلِ الْبَاطِنِيَّةِ نُصُوصِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ كَالْمَعَادِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ عَلَى التَّوَسُّعِ وَالْمَجَازِ دُونَ الْحَقِيقَةِ، وَحَمْلِهِمْ نُصُوصِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ.

وهذا كله مُرْوَقٌ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَنْهَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَأُئِمَّةُ الْإِسْلَامِ: كَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَغَيْرَهُمَا عَنِ الْكَلَامِ، وَحَذَرُوا عَنْهُ إِلَّا خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَلَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ الْأُئِمَّةُ أَنَّ حَمْلَ النُّصُوصِ عَلَى ظَاهِرِهَا كَفَرٌ لَوْجَبَ تَبَيُّنُ ذَلِكَ، وَتَحْذِيرُ الْأُمَّةِ مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ نَصِيحَةِ الْمُسْلِمِينَ،

فكيف كانوا ينصحون الأمة فيما يتعلّق بالأحكام العملية، ويدعون نصيحتهم فيما يتعلّق بأصول الاعتقادات، هذا من أبطال الباطل. اهـ

وانظر كذلك كلام ابن تيمية رحمه الله المطوّل في الردّ على من أدخل المجاز في صفات الله تعالى في كتابه «الإيمان».

وما تقدم كذلك من آثار السلف في (المبحث الثالث) من الأمر بإمرار الصفات والنهي عن تعطيلها ردّ على القائلين بالمجاز في صفات الله تعالى.

ولقد بين أهل السُنّة في كُتب العقائد ضلال من أدخل المجاز في صفات الله تعالى، ومنهم ابن القيم رحمه الله في كتابه «الصّواعق المرسلة» وقد سمّى فيه المجاز: طاغوتاً، فقال: (فصل في كسر الطّاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفّات: وهو طاغوت المجاز).

وقال: هذا الطّاغوت لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطلون، جعلوه جنة يتترسون بها من سهام الرّاشقين، ويصدّون به عن حقائق الوحي المبين..

وقال: تقسيم الألفاظ: إلى حقيقية، ومجاز، ليس تقسيماً شرعياً، ولا عقلياً، ولا لغوياً، فهو اصطلاح محض، وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضّلة بالنص، وكان منشؤه من جهة: المعتزلة، والجهمية، ومن سلّك طريقهم من المتكلمين. اهـ

ثم شرع في إبطاله في أكثر من خمسين وجهاً، وفيه الغنية والكفاية.

[انظر: «مختصر الصواعق» (٢/٦٩٠-٧٠٠)]

فصل

موقف المعطلّة من أحاديث الصفات وتحريفهم لها، وكراحتهم لسماعها وروايتها

لما كانت أصول الجهمية مُنصبة لمعادة نصوص صفات الله تعالى وتعطيلها عن حقيقتها اللاتقة بالله تعالى، فقد سلكوا فيها مسالك أخرى لإبطالها، وصرف الناس عنها؛ فنهوا عن نشرها وقراءتها، وأخفوها وبدلوها، وحرفوا ألفاظها، وزادوا فيها وأنقصوا منها كلّ ذلك لإبطال ما دلت عليه من إثبات حقيقة صفات الله تعالى اللاتقة به، ولقد علم السلف حقيقة مذهبهم وما يبتنونونه فسّموهم: زنادقة، وقالوا: إنّها يدورون على التّعطيل.

* ومن أمثلة تحريف الجهمية المعطلة لنصوص الصفات:

١- قال حنبل رحمه الله: حججت في سنة إحدى وعشرين، فرأيت في المسجد الحرام كسوة البيت من الديباج، وهي تُخاط في صحن المسجد، وقد كتّب في الدّارات: (ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير)!!

فلما قدّمتُ سألتني أبو عبد الله [يعني: الإمام أحمد] عن بعض الأخبار، فأخبرته بذلك.

فقال أبو عبد الله: قاتله الله، الخبيث، عمّد إلى كتاب الله فغيره - يعني: ابن أبي دؤاد - يعني: أزال: ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. [طبقات الحنابلة» (١/٣٨٦)]

٢- قال أبو نعيم البلخي شجاع بن أبي نصر: سمعت رجلاً من أصحاب جهم كان يقول بقوله، وكان خاصاً به، ثم تركه، وجعل يهتف بكفره، قال: رأيت جهما يوماً افتتح (سورة: طه)، فلما أتى على هذه الآية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، قال: لو وجدت السبيل إلى حَكْمِهَا لحَكَمْتُهَا.

[«السنة» لعبدالله (١٧٥)]

٣- قال زرزر بن صالح السدوسي: قلت لجهم بن صفوان: هل نطق الرب؟

قال: لا.

قلت: فينطق؟

قال: لا.

فقلت: فمن يقول: ﴿لَيْسَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾؟ ومن يردّ عليه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾؟

فقال: لا أدري، زادوا في القرآن ونقصوا. [«ذم الكلام» (١٤٥٣)].

٤- قال عمرو بن عبيد المعتزلي لابي عمرو بن العلاء - وهو أحد أئمة اللغة، وأحد القراء السبعة -: أحبُّ أن تقرأ هذا الحرف: (وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) ليكون موسى هو الذي كَلَّمَ اللهُ، ولا يكون في الكلام دلالة على أن الله كَلَّمَ أحداً.

فقال له أبو عمرو: فكيف تصنع بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾؟ [الأعراف: ١٤٣]

قال ابن القيم في [«الصواعق المرسلة» (٢١٨/١)]: ومن تحريف اللفظ: تحريف إعراب قوله: (وكَلَّمَ اللهُ) في الرفع إلى النصب، وقال: (وكَلَّمَ اللهُ) أي: موسى كَلَّمَ اللهُ ولم يكلمه

الله، وهذا من جنس تحريف اليهود بل أقبح منه. واليهود في هذا الموضع أولى بالحق منهم.

٥- عن يزيد بن هارون وسأله رجل من أهل بغداد، فقال: يا أبا خالد سمعت بشر المريسي يقول في سجوده: (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَسْفَلِ)!!

فقال يزيد: إن كنت صادقاً؛ فإنَّ بشرًا المريسي كافر بالله العظيم.

[«مسائل» حرب الكرمان (ص ٤٢٥)، و«العرش» للذهبي (٢١٢)]

٦- قال محمد بن أحمد بن أحمد بن النضر الأزدي: سمعت ابن الأعرابي يقول:

أرادني أحمد بن أبي دؤاد أن أطلب في بعض لغات العرب ومعانيها: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ بمعنى: استولى.

فقلت: والله لا يكون هذا ولا أصبته.

[«الإبانة الكبرى» (تممة الرد على الجهمية) (١٢٤)].

٧- عن عبيدالله بن معاذ العنبري قال: سمعت أبي يقول: سمعت عمرو ابن عبيد يقول - وذكر حديث الصادق المصدق - فقال: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته، ولو سمعت عبدالله بن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا. [«تاريخ بغداد» (١٢/١٧٠)].

٨- عن ابن عون، عن ثابت البناني، قال: رأيت عمرو بن عبيد وهو يحك المصحف، فقلت: ما تصنع؟

قال: أثبت مكانه خيراً منه. [«السنة لعبدالله» (٩٤١)]

٩- قال الخلال في [«منتخب العلل» (١٧٣)]: أخبرنا المروذي، قال: قيل لأبي عبدالله: أتعرف عن يزيد بن هارون، عن أبي العطف، عن أبي الزبير، عن جابر: «إن استقر مكانه فسوف تراني، وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة»؟

فغضب أبو عبدالله غضباً شديداً، حتى تبين في وجهه، وكان قاعداً والناس حوله، فأخذ نعله وانتعل. وقال: أخزى الله هذا! لا ينبغي أن يكتب هذا، ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه، أو حدث به.

وقال: هذا جهمي، هذا كافر، أخزى الله هذا الخبيث، من قال: إن الله لا يرى في الآخرة، فهو كافر.

وقال مهنا: سألت أحمد عن أبي العطف؟

فقال: جَزَرِي، متروك الحديث.

١٠- ومن تحريف الجهمية والأشاعرة وغيرهم:

تحريفهم استوى إلى استولى، فإن شيخهم الجهم كما تقدم عنه أراد حكها من المصحف فما استطاع، فعمدوا اتباعه الجهمية إلى حك معناها من قلوب العامة فزادوا فيها حرفاً واحداً فحرفوا معناها، فقالوا: (استولى)، فوافقوا شيخهم فيما أرد من عدم الإيمان بما دلت عليه.

وهذا الحرف كحرف أشياخهم اليهود أهل التحريف، فإنهم زادوا حرفاً أبطلوا به ما أمرهم الله بقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، فقالوا: (حنطة).

قال ابن القيم في «النونية» (٥١٦/٢):

أمر اليهود بأن يقولوا: (حِطَّة) .. فأبوا وقالوا: (حِنطة) هو أن وكذلك الجهمي قيل له: (استوى) .. فأبى وزاد الحرف للنقصان قال: استوى (استولى) وذا من جهله .. لغة وعقلاً ما هما سيان

نؤمن اليهود ولائم الجهمي هما .. في وحي رب العرش زائدتان

وقال في [«مختصر الصواعق» (٩٣٧/٣)]: وأما تحريف المعنى فهذا الذي جالوا فيه وصالوا وسموه: (تأويلاً)، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة، وهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر لقدر ما مشترك بينهما، وأصحاب التحريف الألفاظ شر من هؤلاء من وجه، وهؤلاء شر من وجه، فإن أولئك عدلوا باللفظ والمعنى جميعاً عما هما عليه، فأفسدوا اللفظ والمعنى، وهؤلاء أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله، فكانوا خيراً من أولئك من هذا الوجه؛ ولكن أولئك لما أرادوا المعنى الباطل حرفوا له لفظاً يصلح له لئلا يتنافر اللفظ والمعنى، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فهم منه المعنى المحرف، فإثمهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدؤوا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمه على المعنى الذي قصدوا. اهـ

١١- ومن تحريف اتباع الجهمية من الأشاعرة والكلائية في تحقيقاتهم للكتب وهي كثيرة لا يمكن حصرها، ومن ذلك:

ما صنعه مصطفى البغا مُحَقِّق صحيح البخاري من إسقاط حديث مُعَلَّق في الصحيح لا يوافق مذهبه الأشعري وهو حديث: «لا شخص أغير من الله تعالى» تحت (باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله ..»)، فقد

ذكر البخاري رحمه الله تحته حديثين: الأول: مُعلّق، ولفظه: «لا شخص أُغَيِّرُ مِنْ اللَّهِ..»، وهو الموافق لما ترجم له في هذا الباب.

والآخر: مُسند، ولفظه: «لا أحد أُغَيِّرُ مِنْ اللَّهِ..».

فاسقط الحديث الأول، ولما لم يستطع إسقاط الباب علّق عليه بقوله:

«لا شخص» الأصح أن يُقال: «لا أحد» كما في الحديث (!!).

انظر: كتاب «الصواعق المرسلة على تاريخ الجهمية والمعتزلة» (ص ١٠٩).

قلتُ: ولفظة: «لا شخص» في صحيح مسلم كما تقدم (ص ١١٤).

١٢- قال القرطبي في «التذكرة» وهو يتكلم عن حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في صعود روح الميت إلى السماء وفيه: «أنه ينتهي به إلى السماء التي فيها الله».

قال: وقد كنت تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة ممن له علم ونظر!! ومعنا جماعة من أهل النظر فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر من قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فذكرتُ له هذا الحديث، فما كان منه إلا أن بادر إلى عَدَمِ صحّته، ولعن روايته!!

قلت: فهذا هو موقف أئمة أهل التعطيل من نصوص الصفات لما كانت لهم الشوكة والقوة، أمّا المتأخرون منهم فإتهم لما جبنوا عن إظهار بدعتهم، والتصريح بما صرّح به أئمتهم من التبديل والتحريف، وخافوا من الافتضاح والقتل، ذهبوا إلى إبقاء ظواهرها كما هي، وتسلطوا على معانيها بالتحريف والتأويل المبتدع الذي هو نوع من التكذيب، كما قال ابن منده رحمه الله في كتابه «الردّ على الجهمية»: التأويل عند أصحاب الحديث: نوعٌ من التّكذيب. اهـ

وهذه هي وصيّة إمامهم الأكبر المريسي أخزاه الله الذي أخذوا عنه دينهم.

- قال عثمان الدارمي رحمه الله في «النفص» (ص ٥٥٨): وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قالوا له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجون بها علينا في ردّ مذهبنا بما لا يمكن التكذيب بها؟ مثل: سُفيان عن منصور عن الزُّهري. والزُّهري عن سالم. وأيوب وابن عون عن ابن سيرين. وعَمرو بن دينار عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وما أشبهها؟

قال: فقال المريسي: لا تردّوه فتفتضحوا؛ ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قد ردّدتموها بلطفٍ إذ لم يمكنكم ردّها بعنفٍ.

- وعن الحسن بن البزار قال: جاء رجل إلى المريسي، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أذاكر أصحاب الحديث، فكلّمنا ذكروا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ردّدته، قال: يقولون: أنت كافر.

قال: صدقوا!! إذا ذكروا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فردّدته يقولون: أنت كافر.

قال: فكيف أصنع؟

قال: إذا ذكروا حديث النبي صلى الله عليه وسلم قل: صدقت، ثم اضربه بعلّة، فقل: له علّة. [«السنة» لخلال (١٧٣٤)].

قلت: وسيأتي زيادة بيان في (المبحث الثاني عشر) (ذم التأويل).

- قال ابن القيم رحمه الله في «الصواعق المرسلة» (١/٢١٦): والجهمية فإتهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود، ولما لم يتمكّنوا من تحريف نصوص القرآن حرّفوا معانيه، وسطوا

عليها، وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد الدين. اهـ

- وقال أيضًا في [«الصواعق المرسلة» (٣/١٠٣٦-١٠٣٩)] وهو يتكلم عن بغض المعطلة لنصوص الصفات:

إِنَّ كُلَّ مَنْ عَارَضَ بَيْنَ الْوَحْيِ وَالْعَقْلِ وَرَدَّ نصوص الكتاب والسُّنَّةَ بِالرَّأْيِ الَّذِي يسميه عقلاً لا بُدَّ أَنْ ينقض تلك النصوص المخالفة لعقله ويعاديا، ويودّ أنها لم تكن جاءت، وإذا سمعها وجد لها على قلبه مِنَ الثَّقَلِ والكرامة بحسب حاله، واشمأز لها قلبه، والله يعلم ذلك من قلوبهم، وهم يعلمونه أيضًا، حتّى حمل جهماً الإنكار والبغض لقوله: ﴿الرَّجْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَنْتَوْنَ﴾ على أن قال: لو أمكنني كشطها من المصحف كشطها.

وحمل آخر بغض قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] على أن حرّفها وقرأها بالنصب، (وكلّم الله موسى تكلّياً) أي أن موسى هو الذي كلّم الله وخاطبه، والله لم يكلمه. فقال له أبو عمرو بن العلاء: فكيف تصنع بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فبهت المعطل.

وجرى بيني وبين بعض رؤساء هؤلاء مُناظرة في مسألة الكلام، فقال: نحن وسائر الأمة نقول: القرآن كلام الله، لا ينازع في هذه الإضافة أحد؛ ولكن لا يلزم منها أن يكون الله بنفسه مُتكلمًا، ولا أنّه يتكلّم، فمن أين لكم ذلك؟ فقال له بعض من كان معي من أصحابنا: قد قال النبي ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي»، وقالت عائشة: (ولشأنى كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحى يتلى). فرأيت الجهمي قد عبّس، وبسّر، وكلّح، وزوى وجهه عنه كالذي شمّ رائحة كريهة، أعرض عنها بوجهه، أو ذاق طعامًا كريها مُرًا

مذاقه، وهذا أمر لم يزل عليه كُتْلُ مُبطل إذا واجهته بالحقّ المخالف له وصدّمته به، وقُلّ من يتبصر منهم عند الصدمة الأولى، ولهذا قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا خرجت حلاوة الحديث من قلبه.

وقال بعض رؤساء الجهمية إمّا بشر المريسي، أو غيره: ليس شيء أبغض لقولنا من القرآن، فأقروا به، ثم أوّلوه.

وقال بشر أيضًا: إذا احتجوا عليكم بالقرآن، فغالطوهم بالتأويل، وإذا احتجّوا بالأخبار فادفعوها بالتكذيب.

وقال الإمام أحمد: قلّ من نظر في الكلام إلا وفي قلبه غلّ على الإسلام.

وجاء أفضل متأخريهم فنصب على حصون الوحي أربعة مجانيق:

الأول: أنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين.

الثاني: أنها مجازات واستعارات لا حقيقة لها.

الثالث: أن العقل عارضها فيجب تقديمه عليها.

الرابع: أنها أخبار آحاد، وهذه المسائل علمية، فلا يجوز أن يُحتجّ فيها بالأخبار، ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية، أو إظهارها وإشاعتها، وقد يشترطون في أماكن يقفونها أن لا يقرأ فيها أحاديث الصفات، وكان بعض متأخريهم وهو أفضلهم عندهم كلف بإعدام كُتُبِ السُّنَّةِ المصنّفة في الصفات، وكتباها، وإخفائها، وبلغني عن كثير منهم أنّه كان يهم بالقيام والانصراف عند ختم صحيح البخاري وما فيه من التوحيد، والرّد على الجهمية، وسمِع منه الطعن في محمد بن إسماعيل.

وما ذنب البخاري وقد بَلَّغَ ما قاله رسول الله ﷺ. وقال آخر من هؤلاء:
لقد شان البخاري صحيحه بهذا الذي أتى به في آخره !!

ومعلوم أن هذه مُضادة صريحة لما يحبه الله ورسوله من التبليغ عنه، حيث يقول: «ليبلغ الشاهد الغائب».. وقد ذمَّ الله في كتابه الذين يكتُمون ما أنزله من البينات والهدى، وهؤلاء يختارون كتمان ما أنزل الله؛ لأنَّه يُخالف ما يقولونه، ويعارض ما حكمت به عقولهم وآراؤهم، وهؤلاء الذين قال فيهم عُمر رضي الله عنه: إثمهم أعداء السنن. اهـ

المبحث الحادي عشر:

بُطلان مذهب أهل التفويض لصفات الرب ﷻ

١ - التفويض عند أهل البدع.

«هو صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرُّض لبيان المعنى المراد منه، بل يُترك ويُفوض علمه إلى الله تعالى بأن يُقال: الله أعلم بِمُراده».

[«النظام الفريد بتحقيق جوهر التوحيد» (ص ١٢٨)، «مذهب التفويض» (ص ١٥٢)]
فهؤلاء هم «أهل التَّجهيل الذين يقولون: نُصوص الصِّفات ألفاظ لا تُعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها؛ ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله، وهي عندنا بمتزلة: ﴿كَهَيْعَصَ﴾، و﴿حَمْدٌ﴾ ① عَسَقَ ﴿﴾، و﴿النَّصَّ﴾ فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً، ولا تشبيهاً، ولم نعرف معناه، ونكر على من تأوله، ونكل علمه إلى الله». [«الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٢٢)]

فالتفويض عند المتكلمين من أهل البدع ما جمع:

- ١- أن ظاهر النصوص الواردة في الصفات غير مُراد.
- ٢- أن النصوص مجهولة المعنى بالتسوية لنا، فيكون الإيمان بِمُجرّد الألفاظ الواردة، من غير اعتقاد ما دلّت عليه.

وقد بنى المفوضة مذهبهم الباطل على أصليين:

١- أن هذه النصوص من المُشابه.

٢- أن للمُتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله تعالى.

[[الصواعق (٢/٤٢٣)]]

* تنبيه:

يطلق بعض أهل السُّنة لفظ (التفويض)، ويريدون به:

تفويض كيفية الصِّفة التي لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى؛ كقول البرهاري رحمه الله تعالى في [«شرح السُّنة» (٥٠)] بعد ذكر أحاديث الصفات: فعليك بالتسليم، والتصديق، والتفويض، ولا تُفسِّر شيئاً من هذه بهواك... اهـ.

وكذا نحوه قول التيمي رحمه الله في: «الحجة في بيان المحجة» (٢/٤٣٥).

٢ - نسبة التفويض إلى مذهب السلف.

ادَّعى كثيرٌ من متأخري الأشاعرة نسبة تفويض معاني نصوص الصفات إلى السلف من القرون الثلاثة المفضلة، وسيأتي نقل بعض أقوالهم، والرد عليهم، وبيان كذب هذه النسبة إلى السلف الصالح في الفصول القادمة.

٣ - حقيقة مذهب المفوضة.

اعلم أن حقيقة مذهب المفوضة لمعاني نصوص الصفات:

هو تعطيلُ الرَّبِّ ﷻ عن صفات الكمال، ونُعوت الجلال، فالتفويض أخو التأويل الباطل الذي يتضمن تعطيل الصفات، وتحريف النصوص كما سيأتي.

فالمفوض «لا يُثبت لله الصفات، بل ينفيها؛ لأنّه يقول: ظاهرُ نصوص الصفات غير مُراد، فهو ينفي: العُلُو، والاستواء، والنُّزول، واليدين، والغضب، والرِّضا، ونحوها من الصفات؛ ويقول: إنّ النصوص لا تدلّ على هذه، وهي غير مُرادٍ منها، وأن المراد غير معلوم، فقد وقع المفوض في التعطيل من هذه الجهة من حيث لا يشعر، كما وقع في الجهل بصفات الله وتجهيل السلف».

[[الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات] (٢/١٩٦)].

قلت: فساد قول المفوضة ولوازمه الباطلة كثيرة لا تحصى على من وفقه الله تعالى لاتباع السُّنة.

٤- ذُكر الحُجج والأدلة على فسَاد قولِ المفوضة وضلاله.

لأهل السُّنة في ردّ مذهب أهل التفويض حُجج كثيرة يَبْنُون فيها بطلان مذهبهم، ومن أشهرها:

الحجة الأولى:

استدل أهل السُّنة والجماعة على بيان بطلان وفساد مذهب أهل التفويض والتَّجهيل بالأحاديث وآثارِ السلف الصالح التي فيها إثبات الصِّفة لله تعالى مع الإشارة إليها بما هو محسوس بَيِّن؛ وذلك لبيان إثبات حقيقة الصِّفة لله تعالى، لا من باب التَّشبيه والتَّمثيل تعالى الله عن ذلك، وليبان أن كلام الله تعالى إنّما هو بلسان عربي مُبين.

وقد تقدم ذكر الأحاديث الدالة على ذلك وتقدم تخريجها (ص ٩٤)، ومنها:

١ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبرٌ من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ والأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالْثَرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فيقول: أَنَا الْمَلِكُ.

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبِيرِ.

- قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله في [«السنن» (٤٨٩)]:
قال أبي رحمه الله: جعل يحيى بن سعيد القطان يُشير بأصابعه، وأراني أبي كيف جعل يُشير بأصبعه، يضع أصبعًا أصبعًا حتى أتى على آخرها. اهـ

٢ - عن أبي هريرة ؓ قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِيهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرُؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعِيهِ.

قال ابنُ يونس - أحد رجال سند الحديث -: قال المقرئ: يعني ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ يعني: أَنَّ اللَّهَ سَمِعًا وَبَصِيرًا. [رواه أبو داود (٤٧٢٨) بإسناد صحيح].

قال أبو داود رحمه الله: وهذا ردٌّ على الجهمية.

قلت: وردَّ على المفوضة الذين لا يثبتون حقيقة صفات الله تعالى.

٣ - عن عبد الله بن عمر ؓ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنِيرِ يَقُولُ: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدِهِ، وَقَبْضُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيُسْطُهَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

قال: ويتميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن يساره، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمَنِيرِ

يتحرك من أسفل شيء منه حَتَّى إِنِّي أَقُولُ: أساقطُ هو برَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

- قال ابن القيم رحمه الله: ولما أخبرهم رسول الله ﷺ جعل يقبض يديه ويسطهما تحقيقًا للصفة لا تشبيهًا لها كما قرأ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ووضع يديه على عينيه وأذنيه تحقيقًا لصفة السمع والبصر، وأنها حقيقة لا مجاز. اهـ

[«مختصر الصواعق» (٣/٩٤٨)]

قلت: فهذه وغيرها مما تقدم ذكره (ص ٩٤) بعض النصوص التي استدلل بها أهل السنة والجماعة على بطلان مذهب المفوضة لصفات الله ﷻ، وأنها تحمل على حقيقتها المعهودة في كلام العرب التي خاطبان الله بها.

وقد تقدم (ص ٩٨) بيان حكم اقتران إثبات الصفة لله تعالى بالإشارة إليها بالفعل المحسوس.

الحجة الثانية :

ادَّعى المفوضة أن نصوص الصفات لا يعلم معناها إلا الله تعالى، ونسبوا هذا القول الكاذب للسلف الصالح.

ولكن أقوال السلف الكثيرة في تفسير نصوص الصفات وبيان أوجه معانيها دامغة لكل مُفْتَرٍ عليهم، وقد تقدم في (ص ٩٠) تفسيرات كثير من السلف لنصوص الصفات، ومنها:

١ - عن عبد الله بن أبي الهذيل العنزي قال: قلت لعبد الله بن مسعود: أبلغك أن الله عز وجل يعجبُ عن يذكره؟ فقال: لا، بل يضحك.

٢ - قال مجاهد (١٠٣ هـ) رحمه الله في تفسير ﴿أَسْتَوَى﴾: علا على العرش.

٣ - قال أبو العالية رحمه الله في تفسير ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: قال: ارتفع.

٤ - وكذا فسره الحسن البصري (١١٠هـ) رحمه الله.

٥ - وفسر مجاهد، وابن المبارك رحمهما الله تعالى الاستواء: بالاستقرار.

٦ - عن وائل بن داود رحمه الله في قول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ قال: مُشَافَهَةً مِرَازًا.

٧ - قول ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس رحمهما الله في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾: كيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالًا.

وانظر كذلك: (ص ٨٢) (فصل في نماذج من طريقة أهل السنة في إثبات الصفات وإمرارها كما جاءت) وسيأتي قريباً زيادة بيان.

فصل

المراد بمنع السلف من تفسير نصوص الصفات

رُوي عن بعض السلف النّهي عن تفسير نصوص الصفات كقول أبي عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله لما سئل عن أحاديث الصفات قال: (لا يُفسّر هذا، ولا سمعنا أحداً يُفسّره)، وغيره من الأقوال كما في (المبحث الثالث)؛ فاستغلها أهل التّجهيل من المفوّضة وغيرهم من أهل الأهواء عن يتبعون المتشابه من كلام الأئمة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله؛ فزعموا أن السلف الصّالح كانوا يُفوّضون معاني نصوص الصفات، ولا يعلمون معانيها، وينهون عن الكلام فيها. ولا يخفى بطلان هذه النسبة للسلف الصّالح، وبراءتهم منها كما تقدم بيان شيء من ذلك.

وأما ما رُوي عن بعض السلف من ترك التعرّض لتفسير نصوص الصفات فهو من كلامهم المُجمل الذي يوضحه ويبيّنه كلامهم الآخر المتواتر المستفيض عنهم في إثبات حقيقة معاني الصفات لله تعالى.

فلهذا حمل المحقّقون من أهل السُنّة هذا المُجمل من كلام السلف على المُبين الظاهر من كلامهم، وأن هذه النصوص المروية عن بعض السلف في النّهي عن تفسير نصوص الصفات تُحمل على معنيين:

١ - أن المراد بالنّهي عن تفسير نصوص الصفات عند السلف هو:

تفسيرها بالتفسيرات المحدثّة المولدة المأخوذة من الجهمية وأفراخهم من مُعطلة الصفات.

٢ - أن المراد بنهي السلف عن تفسير نصوص الصفات: ذكر كيفيتها، وتشبيهها بصفات المخلوقين.

فأما المعنى الأول:

وهو أن المراد بالنهي عن تفسيرها بتفسيرات الجهمية؛

فهذا ظاهر في كلامهم؛ ومن ذلك قول الإمام أحمد رحمه الله للرجل الذي حدث بحديث: «يضع الربُّ عزَّ وجلَّ قدمه».

فقال الرجل: إنَّ لهذا تفسيرًا.

فقال أبو عبد الله: انظر إليه كما تقول الجهمية سواء.

[رواه ابن بطة في «الإبانة» قسم (الرد على الجهمية) (٢٥٩)]

- قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٥١/٥): «معلقًا على قول أبي عبيد: (لا يُفسَّرُ هذا، ولا سَمِعنا أحدًا يُفسره) قال: أبو عبيد أحدُ الأئمة الأربعة الذين هم: الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وله من المعرفة بالفقه، واللغة، والتأويل ما هو أشهر من أن يُوصف، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، وقد أخبر أنه ما أدرك أحدًا من العلماء يُفسرها، أي: تفسير الجهمية. اهـ

فهذه حكاية إجماع منه عن أهل ذلك العصر من العلماء.

ومما يدلُّ على أن مراد السلف بالنهي عن تفسير هذه النصوص بالتفسير المحدثّة المذمومة الصارفة للنص عن ظاهره وحقيقته؛ أنهم قالوا كذلك في

أحاديث الوعيد: (أمرُّوها كما جاءت من غير تفسير)، كما قال أحمد رحمه الله في رسالة عبدوس: (هذه الأحاديث التي جاءت: «ثلاثٌ من كنَّ فيه فهو مُنافِقٌ»

قال: هذا على التغليظ، نرويهما كما جاءت ولا تُفسرها.

وقوله: «لا تَرَجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

ومثل: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

ومثل: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»... ونحوه من الأحاديث مما قد صحَّ وحُفظ، فإنَّا نُسَلِّمُ له، وإن لم يُعلم تفسيرها، ولا يُتكلَّم فيه، ولا يُجادل فيه، ولا تُفسر هذه الأحاديث إلَّا مثل ما جاءت، ولا نردّها إلَّا بالحقِّ منها.

[رواه اللالكائي (١/١٦٢-١٦٤)]

- وروى اللالكائي (١/١٧٠) نحوه عن علي بن المديني رحمه الله.

قلت: ولا شكَّ أن السلفَ فهموا معاني نصوص الوعيد السابقة، وأنهم لم يفوضوا معانيها إلى الله تفويض أهل البدع لمعاني نصوص الصفات، وإنما قصدوا بترك تفسيرها بتفسيرات أهل الأهواء من المرجئة والخوارج لنصوص الوعيد. والله أعلم.

ومما يبيِّن بطلان ما استدلَّ به المفوضة على مذهبهم الباطل من أقوال السلف في ترك تفسير نصوص الصفات، تصريح كثير من السلف وأئمة أهل السنة بتفسير نصوص الصفات، وأن لها تفسيرًا ومعنى معروفًا لا يُحتاج فيه إلى صرفه عن ظاهره المتبادر للأذهان.

ومن ذلك:

١ - قال سُفيان بن عُيينة (١٩٨هـ) رحمه الله: هذه الأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الصفات، والتزول، والرؤية، حقٌّ نُؤمن بها، ولا نُفسرها إلَّا ما فُسر لنا من فوق. [رواه ابن منده في «التوحيد» (٨٩٧)].

٢ - قال أحمد بن حنبل (٢٢٤هـ) رحمه الله في رسالة عبدوس: ومن لم يعرف تفسير الحديث، ويبلغه عقله، فقد كُفي ذلك، وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق، وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كُلِّها، وإن تَبَتَّ عن الأسعاع، واستوحش منها المستمع، فإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها جزءًا واحدًا .. [رواه اللالكائي (٣١٧)].

٣ - قال الترمذي (٢٧٩هـ) رحمه الله في «السنن» (٥١/٣): وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في غير موضع من كتابه: اليد، والسمع، والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسَّروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدمَ بيده، وقالوا: إن معنى اليد هاهنا: القوة. اهـ

٤ - وقال عثمان الدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله في «النقض» (ص ٥٢): ثُمَّ أجمل المعارض ما ينكر الجهمية من صفات الله وذاته، المسماة في كتابه، وفي آثار رسول الله ﷺ، فعَدَّ منها بضعةً وثلاثين صفة، نسقًا واحدًا، يحكم عليها ويُفسرها بما حكم المريسي وفسَّرها وتأولها حرفًا حرفًا، خلافَ مَا عَنَى الله، وخلافَ ما تأولها الفقهاء الصالحون، لا يعتمد في أكثرها إلَّا على المريسي .. الخ

قلت: والمراد بقوله: (ما تأولها الفقهاء) أي فسَّروها به، فالتأويل في كلام السلف الصالح: التفسير لا تأويل أهل البدع من صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا التأويل هو الذي أنكره الدرامي رحمه الله في كتابه «النقض» على المريسي .

وقال (ص ١٢٤): فإذا ادَّعيت أن اليد عُرِفَتْ في كلام العرب أنها نعمة وقوة؛ قلنا لك: أجل، ولسنا بتفسيرها منك أجهل، غير أن تفسير ذلك يستبين في سياق كلام المتكلم حتى لا يحتاج له من مثلك إلى تفسير. اهـ

٥ - وقال البرهاري (٣٢٩هـ) رحمه الله في «شرح السنة» (ص ٥٠) بعد أن ساق آيات وأحاديث الصفات قال: ولا تُفسَّر شيئًا من هذا بهواك، فإنَّ الإيمان بهذا واجب، فمن فسَّر شيئًا من هذا بهواه ورده: فهو جهمي.

٦ - قال عُبيد الله بن محمد بن بطة (٣٨٧هـ) رحمه الله في «الإبانة الصغرى» (ص ٢١٣-٣١٨): ثم الإيمان، والقبول، والتصديق بكُلِّ ما روته العلماء، ونقله الثقات أهل الآثار عن رسول الله ﷺ، وتلقوها بالقبول، ولا تُردُّ بالمعارض، ولا يُقال: لم؟ وكيف؟ ولا تُحمَّل على المعقول، ولا تُضرب لها المقاييس، ولا يُعمل لها التفاسير؛ إلَّا ما فسَّره رسول الله ﷺ، أو رجل من علماء الأمة ممن قوله شفاء وحجة، مثل أحاديث الصفات، والرؤية. اهـ

[وانظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥١/٥)].

وأما المعنى الثاني لنهي السلف عن تفسير نصوص الصفات:

وهو أن المراد به: ذكر كیفيتها وتشبيهها بصفات المخلوقين. ويشهد لذلك أثر القاسم بن سلام رحمه الله في الصفات: (ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف ضحك؟ قلنا: لا يُفسَّر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسره). وقول سُفيان بن عُيينة رحمه الله: كُلُّ شيءٍ وصفَ الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره، لا كيف، ولا مثل.

فإنهم نهوا عن تفسيرها في مقابل السؤال عنها بالكيف، والله اعلم.

فصل

المراد بنفي معاني الصفات عند السلف

يستدلّ المفوّضة كذلك على مذهبهم الباطل بما جاء عن بعض السلف من نفي معاني الصفات في معرض كلامهم عنها.

كرواية حنبل قال: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تُروى: «إنَّ الله تبارك وتعالى ينزلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّاءِ الدُّنْيَا»، و«أَنَّ الله يُرَى»، و«إنَّ الله يَضَعُ قَدَمَهُ»، وما أشبهه؟ فقال أبو عبد الله: نُؤْمِنُ بِهَا، وَنُصَدِّقُ بِهَا، وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى..

[رواه الخلال في «السنة»، انظر «طبقات الحنابلة» (١/١٤٣)]

- وقد أجاب ابن تيمية رحمه الله عن هذه الشبهة فقال في [مجموع الفتاوى] (١٧/٣٦٣):

والمتسبون إلى الشئ من الحنابلة وغيرهم الذين جعلوا لفظ (التأويل) يعمُّ القسمين، يتمسكون بما يجدونه في كلام الأئمة في التشابه، مثل قول أحمد في رواية حنبل: (ولا كيف، ولا معنى)، ظنوا أن مُرادنا لا نعرف معناها.

وكلام أحمد صريحٌ بخلاف هذا في غير موضع، وقد بيّن أنه إنّما يُنكر تأويلات الجهمية ونحوهم الذين يتأولون القرآن على غير تأويله، وصنّف كتابه في «الرد على الزنادقة والجهمية فيما أنكرته من مُتشابه القرآن وتأويلته

على غير تأويله»، فأنكر عليهم تأويل القرآن على غير مُراد الله ورسوله، وهم إذا تأولوه يقولون: معنى هذه الآية كذا.

والمكيّفون يُثبتون كيفية، يقولون: إنهم علّموا كيفية ما أخبر به من صفات الرّب.

فنفي أحمد قول هؤلاء، وقول هؤلاء؛

قول المكيّة الذين يدّعون أنّهم علّموا الكيفية،

وقول المحرّفة الذين يُعرفون الكلّم عن مواضعه، ويقولون معناه كذا وكذا. اهـ

فصل

في بطلان قولهم: (إن أسماء الله تعالى وصفاته من
المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى)

«كُلُّ طائفة من أهل الكلام والأهواء والبدع يجعلون ما خالف مذهبهم
من القرآن والحديث مُشابهًا، وما وافقه مُحْكَمًا.

والجهمية والمعتزلة عندهم ما دَلَّ على أن الله يُرى، وأن الله عِلْمًا، أو قُدْرَة،
أو مشيئة، أو وجهًا، أو سَمْعًا، أو بَصَرًا، أو أنه يتكلم بنفسه، أو غير ذلك،
فهو عندهم من المتشابه؛

وغرضهم بذكر لفظ المتشابه: أن لا يؤمن بها دَلَّ عليه اللفظ، بل

١- إما أن يعرض عنه،

٢- وإما أن يُحال إلى معنى آخر بعيد عن دلالة اللفظ.

[بيان تلبس الجهمية] (٤٤٨/٥) بتصرف يسير، وانظر «درء التعارض» (١٦/١)

فهم ينزلون قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] على آيات وأحاديث الصفات.

ومن أقوالهم في ذلك:

١- قال الرّازي في [«التفسير الكبير» (٩٤/١٤)]: ﴿تَرْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾:
من المتشابهات التي يجب تأويلها. اهـ

٢- قال العيني في [«عمدة القاري» (٢٧٣/٨)]: قوله: «بين يدي الله»: هو
من المتشابهات.

٣- قال السيوطي في [«الإتقان» (٦/٢)]: من المتشابه: آيات الصفات، ولابن
اللبان فيها تصنيف مُفرد نحو: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، و﴿وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَبُّكَ﴾.

٤- قال ابن حجر العسقلاني في [«شرح الصحيح» (٤٣٢/١٣)]: «على وجهه»:
قال الكرمانى: هذا الحديث من المتشابهات، فإمّا مُفَوَّض، وإمّا مُتَأَوَّل !! اهـ

٥- قال مرعي بن يوسف الكرّمي الحنبلي (١٠٣٣هـ) في [«أقاويل
الثقات» (ص ٦٠)]: اعلم أن من المتشابهات: آيات الصفات التي التأويل
فيها بعيد فلا تؤوّل، ولا تُفسّر. اهـ

قلت: وتتبع أقوالهم في هذا يطول؛ ولا يخفى بطلان هذا القول وضلاله؛
لأن معاني الصفات ظاهرة لِكُلِّ من يعرف لسان العرب، وأمّا حقيقتها
وكنهها فعلمها عند الله تعالى.

وأما فائدة كونها عندهم من المتشابه، فقد:

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«درء التعارض» (٣٦٥/٥)]: كثير من الجهمية
النفاة يقولون: فائدة إنزال هذه النصوص المثبتة للصفات، وأمثالها من الأمور
الخبرية التي يسمونها هم: (المشكل)، و (المتشابه)، فائدتها عندهم: اجتهد
أهل العلم في صرفها عن مقتضاها بالأدلة المعارضة لها حتّى تنال النفوس كد

الاجتهاد، وحتى تنهض إلى التفكير والاستدلال بالأدلة العقلية المعارضة لها الموصلة إلى الحق.. اهـ وسيأتي بقية كلامه.

وقد أبطل ابن تيمية رحمه الله تعالى إدخال أسماء الله تعالى وصفاته في التشابه، أو اعتقاد أنه متشابه بأمرين:

الأول: براءة السلف قاطبة من هذا الاعتقاد، بل الثابت المنقول عنهم هو إثبات المعاني.

فقال في [مجموع الفتاوى] (٢٩٥/١٣): فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة، ولا من الأئمة، لا أحمد بن حنبل ولا غيره، أنه جعل ذلك من التشابه الدّاخِل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم. اهـ

- وقال ابن القيم رحمه الله في [الصواعق المرسلة] (٢١٣/١):

تنازع الناس في المحكم والتشابه تنازعاً كثيراً، ولم يعرف عن أحد من الصحابة قط أن التشابهات آيات الصفات، بل المنقول عنهم يدل على خلاف ذلك، فكيف تكون آيات الصفات متشابهة عندهم وهم لا يتنازعون في شيء منها، وآيات الأحكام هي المحكمة وقد وقع بينهم النزاع في بعضها؛ وإنما هذا قول بعض المتأخرين. اهـ

الثاني: أن التشابه الذي يُطلقه بعض السلف على بعض ما يستدل به الجهمية إنما هو تشابه المعاني الذي لا يختص بآيات الصفات، والعلم بالمعنى المراد ممكن بل مُتحقق، والمنفي العلم بتأويله لا العلم بمعناه.

فقال: الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله؛ إمّا التشابه، وإمّا الكتاب كُله كما تقدّم، ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدّمناه في القيامة وأمور القيامة.. ويُؤيده أيضاً أنه قد ثبت أن في القرآن مُتشابهاً، وهو ما يحتمل معنيين وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب، كما أن ذلك في مسائل المعاد أولى، فإن نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موعود الجنة، وموجود الدنيا.

وإنما نكتة الجواب هو ما قدّمناه أولاً أن نفي علم التأويل ليس نفيًا لعلم المعنى. اهـ

والخلاصة؛ أن إطلاق القول بأن معاني أسماء الله وصفاته من التشابه، أو هي التشابه باطل لم يصدر عن أحد من السلف؛ لكن قد يقع تشابه نسبي إضافي خاص لبعض الناس في هذا الباب فيزول بالإحكام الخاص الذي يعلمه الرّاسخون في العلم، أما حقائق هذه المعاني، وكيفياتها؛ فلا ريب أنه بما استأثر الله بعلمه، وحجب إدراك كنهه عن خلقه، فلا سبيل لأحد إلى العلم به.

[انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٩٤-٢٩٥)، و«الصواعق المرسلة» (٢١٢)، و«مذهب أهل التفويض» (ص ٣١٢)]

فصل

في الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾

من شبه المفوضة ما زعموه من أن آيات الصفات من التشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله ومعناه، مُستندين في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ الآية [آل عمران: ٧].

وهذا منهم مبني على تعين الوقف التام عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وقد ترتب على القول بأن آيات الصفات من التشابه، القول بتفويض نصوص الصفات، وأنها مجهولة المعنى.

وقد تقدم بطلان المقدمة الأولى في الفصل السابق؛ وهي أن نصوص الصفات من التشابه، وأنه قول مُحْدَث لم يقله أحد من السلف.

وعليه فإن المقدمة الثانية؛ وهي أن نصوص الصفات لا يعلم معناها إلا الله تعالى قول باطل مردود بكلام السلف أنفسهم، فإن كلامهم في تفسير نصوص الصفات لا يخص كما تقدم جمع بعض كلامهم في ذلك.

- قال ابن تيمية في [«الحموية» (ص ٢٩٠)]: وهو يتكلم عن أهل التجهيل ومراده بهم أهل التفويض: فهم كثير من المتسبين إلى السنة واتباع السلف، يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات.. وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، فإنه وقف

أكثر السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، وهو وقف صحيح؛

لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه؛ وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.

فإن لفظ «التأويل» يراد به ثلاث معان:

فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الرجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء؛ وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلاً يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه المتأولون.

ثم كثير من هؤلاء يقولون: نُجْرَى على ظاهرها، فظاهرها مُراد، مع قولهم: (إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله)، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المتسبين إلى السنة !! ...

والمعنى الثاني: أن التأويل: هو تفسير الكلام، سواء وافق ظاهره، أو لم يوافق، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم.

وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السلف عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، كما نُقِلَ ذلك عن: ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة، وغيرهم، وكلا القولين حق باعتبار كما قد بسطناه في موضع آخر؛ ولهذا نُقِلَ عن ابن عباس هذا وهذا وكلاهما حق.

والمعنى الثالث: أن التأويل: هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من: الأكل والشرب واللباس والنكاح، وقيام الساعة، وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها؛ لا ما يتصور من معانيها في الأذهان ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن .. قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله.

وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول)؛ فالاستواء معلوم، يعلم معناه، ويُفسر، ويُترجم بلغة أخرى، وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأمّا كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد روي عن ابن عباس ما ذكره عبدالرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: - تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل؛ فمن ادعى علمه فهو كاذب. وهذا كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَقْلُمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيفَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

وكذلك علم وقت الساعة، ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى؛ وإن كنا نفهم معاني ما خُوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إيّاه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾، وقال: فأمر بتدبر القرآن لا بتدبر بعضه. اهـ

[وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٢٧٧/٨) «الصواعق المرسلة» (٩٢١/٣)]

فصل

**في بطلان ما ادّعاه بعض المتأخرين من نسبة مذهب
التفويض إلى السلف الصالح**

ادّعى كثير من متأخري الأشاعرة وغيرهم نسبة تفويض معاني نصوص الصفات إلى السلف من القرون الثلاثة المفضلة، حتى قالوا مقالتهم الفاسدة المشهورة: (مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم)، والتي مضمونها: «استجهاّل السابقين الأولين، واستبلاهم، واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي. وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله».

[«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٩/١٢-٥) وسيأتي الكلام عن هذه المقولة الفاسدة]

والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها:

١ - النووي (٦٧٦هـ).

قال في [«شرح لصحيح مسلم» (٣/١٩)]: (اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين: أحدهما: مذهب معظم السلف أو كلهم: أنه لا يتكلم في معناها ..) !!

قلت: ثم ذكر المذهب الآخر وهو مذهب أهل التأويل والتعطيل الذي

انتهجه في شرحه لأكثر آيات وأحاديث الصفات.

وأما حقيقة ما عليه السلف الصالح من إثبات حقيقة الصفات وإمرارها كما جاءت فلم يُعرج عليه، ولم يذكره إلا في مقام الذم والتحذير من مذهب المجسمة!! كما سيأتي. والله المستعان.

٢ - الجويني المشهور بأبي المعالي! (٤٧٨هـ).

وقد سار في أول أمره على مذهب أهل التأويل والتحريف ثم انتقل عنه إلى مذهب أهل التفويض والتجهيل، واعتقد أنه مذهب السلف الذي يجب اتباعه، فقال: (وذهب أئمة السلف إلى الانكشاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب سبحانه)

ثم ذكر أن هذا هو المذهب الحق الذي يجب سلوكه!!

قلت: ولقد ذهب بعض المتأخرين إلى اعتبار الجويني ممن رجع من التأويل إلى مذهب السلف في الصفات؛ ومن ذلك قول الذهبي في «السير» (٤٧٢/١٨): كما أنه في الآخر رجح مذهب السلف في الصفات وأقره!! اهـ

ولكن في الحقيقة أنه رجع عن التأويل إلى التفويض كما هو واضح جلياً في كلامه، وصرح به ذاك الشبكي في «طبقاته»!

وقال ابن تيمية رحمه الله في «درء التعارض» (٤١/٥): وهو يتكلم عن موقف أبي المعالي من الصفات قال: ..

والثاني: تفويض معانيها إلى الرب، وهو آخر قول أبي المعالي، كما ذكره في «الرسالة النظامية». اهـ

٣ - ابن خلدون (٨٠٨هـ).

قال وهو يتكلم عن مذهب السلف الصالح في الصفات في «مقدمته» (ص ٣٤٣): (وردت في القرآن آي أخرى قليلة تُوهم التشبيه، مرة في الذات وأخرى في الصفات، فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها.. ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل..).

وقال (ص ٣٥٣): وإنا مذهب السلف ما قررناه أولاً من تفويض المراد بها إلى الله، والسكوت عن فهمها. اهـ

٤ - السيوطي (٩١١هـ).

قال في «الإتقان» (٦/٢): وهو يتكلم عن آيات الصفات: وجهور أهل السنة [يعني الأشاعرة] منهم السلف.. على الإيذان بها، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها، مع تنزيها له عن حقيقتها. اهـ

٥ - محمد بن أحمد السقاريني الحنبلي (١١٨٨هـ).

قال في كتابه «لوامع الأنوار البهية» (٩٧/١): ومذهب السلف عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه، وتفويض علمه إلى الله تعالى. اهـ

قلت: وقد تعقبه ابن سحمان رحمه الله في حاشية الكتاب بكلام طويل نقله عن ابن تيمية رحمه الله، بين فيه بطلان نسبة التفويض إلى السلف.

٦ - محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ).

قال في تعليقه على «لمعة الاعتقاد» (ص ٣١): لا نقول كيف هي، ولا نقول معناها كذا وكذا، بل نقول: صفة أثبتها الله تعالى لنفسه، فنحن نثبتها

له، ونكل كفيّتها ومعناها إليه تعالى، واعلم أن هذا ما كان عليه السلف الصّالح كلهم!!، والأئمة المقتدى بهم، وذهب إليه المحقّقون من الخلف، ومن كبار علماء الأشاعرة!!

٧ - حسن البنا (١٣٦٨هـ).

قال في كتابه [«العقائد» (ص ٦٦)] في مبحث الصفات: أما السلف رضوان الله عليهم فقالوا: نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت، ونترك بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى، فهم يثبتون: اليد، والعين، والأعين، والاستواء، والضّحك، والتعجب.. الخ، وكلّ ذلك بمعانٍ لا ندرُكها، ونترك لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها....

قلت: وتبيح كلام المتأخّرين في نسبة مذهب أهل التّفويض إلى السلف الصّالح يطول، والمراد هاهنا هو بيان بطلان هذه النسبة، وأن السلف الصّالح رحمهم الله بريئون منها لأمرين:

١ - قال ابن تيمية رحمه الله في [«بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٥٣٦)]: إن مذهب السلف يُعرف بنقل أقوالهم، أو نقل من هو خير بأقوالهم، وما ذكره من العبارة - [يعني: الرّازي من نسبة التّفويض إلى السلف] - لم ينقله عن أحد من السلف، ولا نقله من يحكي إجماع السلف.. ولكن ما ذكره هذا من مذهب السلف والتّفويض إنّما يعرض في كلام أبي حامد [الغزالي] ونحوه من ليس لهم خبرة بكلام السلف، بل ولا بكلام الرّسول ﷺ فلا يُميّزون بين صحيح هذا وبين ضعيفه؛ ولكن ينقلون مذهب السلف بحسب اعتقادهم، لا بأقوال السلف وما بينوه وقالوه في هذا الباب.

وأقوال السلف كثيرة مشهورة في كتب أهل الحديث والآثار الذين يروونها عنهم بالأسانيد المعروفة، وكذلك في كتب التفسير. اهـ

٢ - أن نسبة التّفويض إلى السلف يستلزم لوازم فاسدة، ومنها:

أ - «الجهل بالله تعالى، وصفاته العُلا.

ب - كما يستلزم الجهل بمذهب السلف، والتّقول عليهم.

ج - ويستلزم أيضًا تجهيل السلف الصّالح من الصّحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة هذا الدّين بالله وصفاته الكمالية، كما يستلزم استبلاذهم، وأنهم كانوا يتلون كتاب الله ويقرؤون أحاديث رسول الله ﷺ ولا يفهمون معاني ذلك!

د - ويستلزم تفضيل الخلف أهل الكلام والبدع على خيار هذه الأئمة بحجة أن طريق السلف أسلم وطريق الخلف أحكم، وغيرها من اللوازم الفاسدة. [من كتاب «الماتريديّة» (٢/ ١٦٠)]

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«درء التعارض» (١/ ٢٠٤)]: (فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السّابقون الأولون، وحيثُذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثيرٌ مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه.. ومعلوم أن هذا قدحٌ في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنّه جعله هُدىً وبيانًا للنّاس، وأمر الرّسول ﷺ أن يبلغ البلاغ المبين.. وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه - وهو ما أخبر به الرّبّ عن صفاته، أو عن كونه خالقًا لكلّ شيء، وهو بكلّ شيء عليم، أو عن كونه أمرٌ ونهى، ووعد وتوعّد.. - لا يعلم أحد معناه، فلا يُعقل ولا

يُتدبر، ولا يكون الرسول ﷺ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، ولا بَلَّغَ الْبَلَاغِ الْمُبِين.

وعلى هذا التقدير فيقول كلُّ مُلْحِدٍ ومبتدع: الحقُّ في نفس الأمر ما علمته برأبي وعقلي، وليس في النُّصوص ما يناقض ذلك؛ لأنَّ تلك النُّصوص مُشْكَلَةٌ مُتَشَابِهَةٌ لا يَعْلَمُ أَحَدٌ معناها، وما لا يعلم أَحَدٌ معناها لا يجوز أن يُستدلَّ به.

فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول: إنَّ الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنَّا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلاً عن أن يبينوا مرادهم.

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنَّهم مُتَّبِعُونَ لِلسُّنَّةِ وَالسَّلَفِ من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد. اهـ

فصل

**في بطلان قولهم: (طريقة السلف أسلم،
وطريقة الخلف أعلم وأحكم)**

يزعم كثيرٌ من المعطَّلة أن خوض الخلف في التَّأويلات المحدثَّة لُنصوص الصفات: أعلم وأحكم من طريقة السلف الذين اختاروا السُّكوت عن الكلام فيها، وأمروا بإمرارها كما جاءت، فقالوا:

(طريقة السلف أسلم، وطريق الخلف أعلم وأحكم).

وذلك «لأن طريقة أهل التَّأويل فيها مخاطرةٌ بالإخبار عن مُراد الله بِالظَّنِّ الذي يجوز أن يكون صواباً ويجوز أن يكون خطأ، وذلك قولٌ عليه بما لا يعلم، والأصلُ تحريم القول عليه بِالظَّنِّ، وكان تركُّها أسلم.

وفي طريقة أهل التَّأويل حَسْمُ موادِّ الاعتقادات الفاسدة، والشبهات الواردة، فكانت أحرَمَ وأحكم». [جامع المسائل لابن تيمية (٩٠/٩)]

ومن أقوالهم في ذلك:

١ - قول ابن حجر الهيتمي في [الفتاوى الحديثية] (ص ٣٨٥) وهو يتكلم عن حديث: «خلق الله آدم على صورته» قال: إن أُعيد الضمير فيه لله وجب تأويله على ما هو معروف من مذهب الخلف الذي هو أحكم وأعلم. اهـ

٢ - قول ملا علي قاري الحنفي في [مرقاة المفاتيح] (١٠/١٨٢) وهو يتكلم عن تأويل حديث: «يضع السموات على أصبع ..».

فقال: إِمَّا التَّأْوِيل وهو مذهب الخلف، وهو أعلم، أو التَّسْلِيم والتَّفْوِيز مع الاتفاق على التَّنْزِيهِ وهو مذهب السَّلَف وهو أسلم. اهـ

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بطلان هذه المقولة وفسادها في كثير من مُصنّفاته، ومن ذلك قوله في «مجموع الفتاوى» (٥/٨-١٢):

ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السَّالِفِينَ كما يقول بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السَّلَف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن: (طريقة السَّلَف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعِينَ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ الْخَلْفِ مِنَ الْمُتَفَلِّسَةِ وَمَنْ حَذَا خَذْوَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ: إِنَّمَا أَتَوْا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ الْإِيمَانِ بِالْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ فَقِهِ لَذَلِكَ، بِمَنْزِلَةِ الْأَمِينِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَمَنْهُمْ أَمِيْنٌ لَا يَعْلَمُونَكَ أَلَيْكَ كِتَابٌ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، وَأَنَّ طَرِيقَةَ الْخَلْفِ هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ الْمُصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللَّغَاتِ.

فهذا الظَّنُّ الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها: نبذ الإسلام وراء الظَّهَر، وقد كَذَّبُوا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السَّلَف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضَّلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك: اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلّت عليها هذه النُّصُوصُ للشُّبُهَاتِ الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصِّفَاتِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا بُدَّ لِلنُّصُوصِ مِنْ

معنى، بقوا مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ:

١ - الإِيمَانُ بِاللَّفْظِ، وَتَفْوِيزُ الْمَعْنَى، وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ السَّلَفِ !!

٢ - وَيَنْ صَرَفَ اللَّفْظَ إِلَى مَعَانٍ بِنَوْعِ تَكْلُفٍ، وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ الْخَلْفِ. فصار هذا الباطل مُرَكَّبًا مِنْ فُسَادِ الْعَقْلِ، وَالْكَفْرِ بِالسَّمْعِ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا اعْتَمَدُوا فِيهِ عَلَى أُمُورٍ عَقْلِيَّةٍ ظَنُّوْهَا بَيِّنَاتٌ، وَهِيَ شُبُهَاتٌ، وَالسَّمْعُ حُرُوفٌ فِيهِ الْكَلِمُ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

فَلَمَّا ابْنَى أَمْرَهُمْ عَلَى هَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ الْكُفْرِيَّتَيْنِ الْكَاذِبَتَيْنِ كَانَتِ النَّتِيجَةُ: اسْتِجْهَالُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَاسْتِبْلَاهُهُمْ، وَاعْتِقَادُ أَتَمِّهِمْ كَانُوا قَوْمًا أَمِيْنِينَ بِمَنْزِلَةِ الصَّالِحِينَ مِنَ الْعَامَّةِ، لَمْ يَتَبَحَّرُوا فِي حَقَائِقِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَتَفَطَّنُوا لِدَقَائِقِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ. وَأَنَّ الْخَلْفَ الْفُضْلَاءَ حَازُوا قُصْبَ السَّبْقِ فِي هَذَا كُلِّهِ.

ثُمَّ هَذَا الْقَوْلُ إِذَا تَدَبَّرَهُ الْإِنْسَانُ وَجَدَهُ فِي غَايَةِ الْجَهَالَةِ، بَلْ فِي غَايَةِ الضَّلَالَةِ... كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلَاءِ الْمَحْجُوبُونَ الْمُفْضَلُونَ الْمُنْقُصُونَ الْمُسْتَوْقُونَ الْحَيَارَى الْمُتَهَوِّكُونَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ، وَأَسْمَاءَهُ، وَصِفَاتِهِ، وَأَحْكَمَ فِي بَابِ ذَاتِهِ وَأَيَاتِهِ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ...؟!

ثم كيف يكون خيرُ قرونٍ الأُمَّةِ أَنْقَصَ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ - لَا سِيَّامَا الْعِلْمَ بِاللَّهِ، وَأَحْكَامَ أَسْمَاءِهِ، وَأَيَاتِهِ - مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ؟

أَمْ كَيْفَ يَكُونُ أَفْرَاحُ الْمُتَفَلِّسَةِ، وَاتِّبَاعُ الْهِنْدِ وَالْيُونَانِ، وَوَرِثَةُ الْمَجُوسِ وَالْمَشْرِكِينَ، وَضَلَالُ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالصَّابِئِينَ، وَأَشْكَالِهِمْ، وَأَشْبَاهِهِمْ، أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْ وَرِثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ؟!.. اهـ

قلت: فلهذا كُلُّهُ يَعْلَمُ أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ: (أَعْلَمُ)، وَ(أَحْكَمُ)، وَ(أَسْلَمُ) (وأهدى). [وانظر: «الصواعق المرسلة» (٣/١١٣٤)]

فصل

في بعض الأمثلة للقائلين بتفويض معاني نصوص الصفات ليكون السنن منها ومن أمثالها على حذر

والمراد من هذا الفصل الوقوف على بعض الأمثلة لبعض من قال بمذهب أهل التفويض عن يتسبب إلى أهل السنن والجماعة، ليكون القارئ على حذر ويقظة عند قراءته لكتب المتأخرين في مسائل الاعتقاد.

وإن من المؤسف أن ترى كثيراً من المتأخرين يرد على مؤولة الصفات، ويثبت ضلالهم، ثم يختار هو مذهب أهل التفويض، وينسبه إلى منهج السلف الصالح الذي يجب اتباعه! ومنهم:

١ - القاضي أبو يعلى الحنبلي (٤٥٨هـ).

قال في [إبطال التأويلات لأخبار الصفات] (٢٤٢/١) وهو يتكلم عن صفة الفرح لله تعالى: بل ثبت ذلك صفة، كما أثبتنا صفة: الوجه، واليدين، والسمع، والبصر، وإن لم نعقل معناه. اهـ

قلت: وعلى ذلك درج في كتابه هذا في سائر الصفات.

ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله في [درء التعارض] (٣٤/٧) وهو يتكلم عن تأثر بأئمة الثفا من الجهمية والمعتزلة: (.. وتارة يفوضون معانيها ويقولون: تجري على ظواهرها كما فعل القاضي أبو يعلى وأمثاله في ذلك).

٢ - ابن الجوزي (٥٩٧هـ).

قال في كتابه [تلييس إبليس] (ص ١٠٧): ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته، لقوله عز وجل: ﴿وَيَتَّخِذُ رُحُوكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] وله يد، وله أصبع، لقول رسول الله ﷺ: «يضع السموات على إصبع».. إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار، وهذا كله إنما استخرجه من مفهوم الحس، وإنها الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير، ولا كلام فيها، وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة!!..

قال المصنف (أي ابن الجوزي): والذي أراه الشكوت على هذا التفسير أيضاً، إلا أنه يجوز أن يكون مراداً، ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزؤ والانقسام!!! اهـ

«فما ثم لدى ابن الجوزي إلا التشبيه الذي هو لازم لمن أثبت حقيقة الصفة في نظره، أو التأويل، وهو أقرب من غيره. أو الشكوت الذي لا يمكن أن يكون هاهنا إلا التفويض، الذي لا يتضمن إثبات معنى أصلاً، بل إثبات ألفاظ مجردة». [انظر: «مذهب التفويض» (ص ٢٣٠)]

قلت: عقيدة ابن الجوزي تدور بين التفويض والتأويل، وقد شنع على أهل السنن في عصره، فأنكروا عليه فرماهم بالتشبيه والتجسيم، كما في كتابه الأثم الذي سماه: «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه».

وقد نصح في وقته من أهل السنن، وكتبوا إليه بالرسائل والنصائح، ومن ذلك ما كتبه إليه إسحاق بن أحمد بن محمد العلي (٦٣٤هـ) رحمه الله في نصيحة مطولة، ذكرها ابن رجب رحمه الله في [ذيل طبقات الحنابلة] (٤٤٦/٣) -

٤٥٣]، وقد تقدم شيء منها (ص ١٦٨).

ولهذا ذكره ابن تيمية رحمه الله في «درء التعارض» (١/ ٢٧٠) فيمن انتسب إلى الإمام أحمد ومال إلى المعتزلة.

٣ - الذهبي (٧٤٨هـ).

قال في [«السير» (٨/ ١٠٥)]: فقولنا في ذلك وبابه - يعني الصفات - الإقرار، والإمرار، وتفويض معناه إلى قائله الصادق المعصوم. اهـ وكذا قال في (١٤/ ٣٧٤-٣٧٦).

وقال في [«ميزان الاعتدال» (٢/ ٤٢٠)]: أمّا معنى حديث الصورة فنردّ علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف، مع الجزم بأنّ الله ليس كمثله شيء. اهـ

قلت: وللذهبي كلام آخر حسن في إثبات الصفات، وإثبات معانيها اللاتقة بالله تعالى، ومن ذلك قوله في [«السير» (١٩/ ٤٤٩)]: صَارَ الظَّاهِرُ اليومَ ظَاهِرِينَ: أَحَدُهُمَا حَقٌّ، وَالثَّانِي بَاطِلٌ.

فالحقّ أن يقول: إنه سميعٌ، بصيرٌ، مُريدٌ، مُتَكَلِّمٌ، حيٌّ، عَلِيمٌ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَاتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ؛ فَنَمِيزُهُ عَلَى مَا جَاءَ، وَنَفْهَمُ مِنْهُ دَلَالَةَ الْخُطَابِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى، وَلَا نَقُولُ: لَهُ تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ ذَلِكَ.

والظاهر الآخر وهو الباطل والضلال: أن تعتقد قياس الغائب على الشاهد، وتمثل الباري بخلقه تعالى الله عن ذلك، بل صفاته كذاته، فلا عدل له، ولا ضد له، ولا نظير له، ولا مثل له، ولا شبيه له، وليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، وهذا أمرٌ يستوي فيه الفقيه والعامي. اهـ

ونحوه في كتابه «العلو» (٢/ ١٣٢٩-١٣٣٠) ^(١).

(١) وللذهبي في «السير» وغيرها من كتبه بعض المخالفات قد نبّه عليها العلماء، ومن أعظمها: ١ - القول بجواز التبرك بقبر النبي ﷺ وشدّ الرحل إليه.

قال في «السير» (٤/ ٤٨٤): مَنْ زَارَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَسَاءَ أَدَبَ الزِّيَارَةِ، أَوْ سَجَدَ لِلْقَبْرِ، أَوْ فَعَلَ مَا لَا يَشْرَعُ، فَهَذَا فِعْلٌ حَسَنًا وَسَيِّئًا!! فَيَعْلَمُ بِرَفَقٍ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَحْصِلُ الْإِنْزَاعُ عَاجِ سَلَمٍ، وَالصِّيَاحُ، وَتَقْبِيلُ الْجُدْرَانِ، وَكَثْرَةُ الْبِكَاءِ، إِلَّا وَهُوَ مُحِبٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَحُبُّهُ الْمَعْيَارُ وَالْفَارَقُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، فزِيَارَةُ قَبْرِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ، وَشَدُّ الرَّحَالِ إِلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ لِمَنْ سَلِمْنَا أَنَّهُ غَيْرُ مَأْذُونٍ فِيهِ لِعُمُومِ قَوْلِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «لَا تَشْدُوا الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ» فَشَدُّ الرَّحَالِ إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ مُسْتَلْزَمٌ لَشَدِّ الرَّحْلِ إِلَى مَسْجِدِهِ، وَذَلِكَ مَشْرُوعٌ بِلَا نَزَاعٍ، إِذْ لَا وَصُولَ إِلَى حُجْرَتِهِ إِلَّا بَعْدَ الدُّخُولِ إِلَى مَسْجِدِهِ... اهـ

وقال في «معجم شيوخه» (١/ ٧٣): سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْ مَسِّ الْقَبْرِ النَّبَوِيِّ وَتَقْبِيلِهِ فَلَمْ يَرِ بِذَلِكَ بَأْسًا...!!! فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ فَعَلَ ذَلِكَ الصَّحَابَةُ؟

قيل: لأنهم عاينوه حيًّا، وتعلّوا به، وقبلوا يده، وكادوا يقتلون على وضوئه... ونحن فلسنا لم نصحّ لنا مثل هذا التّصيب الأوفر ترامينا على قبره بالإلتزام والتبجيل والإستلام والتقبيل!!.. وهذه الأمور لا يُحرّكها من المسلم إلا فرط حُبِّه للنبي ﷺ!! ألا ترى أن الصَّحَابَةَ فِي فِرَاطِ حُبِّهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: أَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ فَقَالَ: «لَا». فَلَوْ أَدْنَى لَهُمْ لَسَجَدُوا لَهُ سَجْدَ إِجْلَالٍ وَتَوْقِيرٍ، لَا سَجْدَ عِبَادَةٍ... وكذلك القول في سجود المسلم لقبر النبي ﷺ على سبيل التعظيم والتبجيل لا يُكفّر به أصلاً، بل يكون عاصيًا، فليُعرف أن هذا منهي عنه، وكذلك الصَّلَاةُ إِلَى الْقَبْرِ!! اهـ

وكذلك قال في «السير» (٩/ ٣٦٨) بجواز شدّ الرحل لقبر النبي ﷺ!!

قلت: ما نقله عن الإمام أحمد رحمه الله من جواز مسّ وتقبيل قبر النبي ﷺ غير صحيح عنه، وقد توارد على مثل هذا النقل غير واحد ممن يميز شدّ الرحل إلى قبر النبي ﷺ والتبرك بالقبور، وأهل العلم يردّون هذا النقل ويضعفونه، ومن ذلك: قال الشيخ شليان بن حمدان رحمه الله في تعليقه على ابن حجر العسقلاني!! في نقله عن الإمام أحمد: جواز تقبيل المنبر والقبر، قال: أما ما نقله عن الإمام أحمد رحمه الله من أنه لم ير بأسًا بتقبيل منبر النبي ﷺ وقبره؛ فهذا لا صحة له، بل هذا مما يُقطع بكذبه؛ لأنّه رحمه الله كان شديد التحري في الاتباع والبعد

عن الابتداء .. ولكن لجلالته وإمامته في الدين، وكونه مرضي عند الموافق والمخالف، وحجة فيما يفعله لسعة اطلاعه واتباعه للسنن؛ كثيراً ما يُروَّج بعض المبتدعين بدعهم بنسبتها إليه، أو إلى غيره من الأئمة المقتدى بهم. اهـ

قلت: وفي كلام الذهبي هذا كثير من المخالفات لعقيدة أهل السنة والجماعة، وهذه من المسائل التي نصّ الذهبي على أنه يخالف فيها شيخ الإسلام ابن تيمية!! فقد قال في ترجمته لابن تيمية: (مع أي مخالف له في مسائل أصلية وفرعية)، فهذه بعض مسائل الأصول التي خالفه فيها، وكذلك ما سيأتي.

قال ابن تيمية في «جامع المسائل» (المجموعة الثالثة / ص ٤٥): وكذلك التمسح بالقبور كاستلامها باليد، وتقبيلها بالقبم - منهى عنه باتفاق المسلمين. حتى إنهم قالوا فيمن زار قبر النبي ﷺ: إنه لا يستلمه بيده، ولا يقبله بجمه. اهـ وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٣٦/٢٧).

وقال في «الصراف المسقيم» (٧٢٠/٢): ولم يرخصوا في التمسح بقبره. اهـ

٢ - قول الذهبي: إن الدعاء عند قبور الأولياء والصالحين مستجاب!!

فقال في «السير» (٣٤٣/٩) مُعلقاً على قول بعضهم: (قبر معروف [يعني: الكرخي] الترياق المحرّب). قال: يُريد إجابة دعاء المضطرّ عنده؛ لأن البقاع المباركة يُستجاب عندها الدعاء ...

وقال في (٧٧/١٧): والدعاء مُستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء، وفي سائر البقاع .. اهـ وفي ترجمة ابن فورك الأشعري (٢١٥/١٧) قال: قال عبد الغافر في «سياق التاريخ»:

الاستاذ أبو بكر قبره بالحيرة يُستسقى به. اهـ

قلت: هذا من الشرك، ولم يتعقبه بشيء!!

٣ - تعقبه لكبار أئمة السلف وأهل السنة فيما اتفقوا على القول به، والإنكار على من خالفهم فيها. ومن أمثلة ذلك:

أ - إنكاره عليهم زيادة لفظه: (بذاته) في التزول والمجيء وغيرها.

قال (٣٣١/٢٠) - وقوله: (وجاء ربك) ونحوه، فنقول: جاء، وينزل، ونهى عن القول: (ينزل بذاته)، كما لا نقول: (ينزل بعلمه)، بل نسكت، ولا تنفصيح على الرسول ﷺ بعبارة مُبتدعة. اهـ

وقد تقدم (ص ١١٦) كلام الشيخ عبد الطيف آل الشيخ في هذه المسألة.

ب - إنكاره على أئمة أهل السنة إنباتهم الحمد لله تعالى، واعتبار ذلك من فضول الكلام

المنهي عنه، وأن من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

فقال (٨٦/٢٠): الصواب الكفّ عن إطلاق ذلك، إذ لم يأت فيه نصّ، ولو فرضنا أن المعنى صحيح .. النخ. وانظر (٨٧/١٦).

قلت: بل الصواب فيه مع أئمة أهل السنة، وقد ذكرتهم بأسمائهم (ص ١١٧).

٤ - لئنه ومدحه لأئمة أهل البدع في تراجمه لهم. ومن ذلك:

أ - قال (٣٠١/٨) في ترجمة (عبد الوارث بن سعيد): وكان عالماً مجوّذاً، من فُصحاء أهل زمانه، ومن أهل الدين والورع، إلا أنه قدرى مُبتدع!!

قلت: كيف يجتمع الدين والورع مع نفي علم الله تعالى!!؟

ب - وقال في (٥٧٦/١٥): ابن أبي دارم الإمام، الحافظ، الفاضل .. التميمي، الكوفي، الشيعي!! .. كان موصوفاً بالحفظ، والمعرفة، إلا أنه يترفض، قد أُلّف في الحطّ على بعض

الصّحابة!! وهو مع ذلك ليس بثقة في النقل!! اهـ

قلت: ومع ذلك وصفه بالإمامة، والفضل، والمعرفة!!

ج - قال في (٥٨٩/١٧) في ترجمة (علي بن حسين بن موسى): المرتضى العلامة الشريف المرتضى نقيب العلوية كان من الأذكياء الأولياء، المتبحرين في الكلام والاعتزال، والأدب

والشعر؛ لكنه إمامي جلد. نسأل الله العفو. اهـ

قلت: ومع ذلك وصفه بأنه من الأولياء الأذكياء!!

د - وقال في (١٦٠/٢١) وهو يتكلم عن صاحب الطريقة الرفاعية: الرفاعي الإمام، القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين!!

ح - وقال في (٥٣٩/١٩): ابن تومرت الشيخ، الإمام، الفقيه، الأصولي، الزاهد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي المرغني، الخارج بالمغرب، المدعي أنه علوي حسني، وأنه الامام المعصوم المهدي .. ذا هبة ووقار، وجلالة، ومعاملة، وتآله، انتفع

به خلق، واهتدوا في الجملة، وملكوا المدائن، وقهروا الملوك ...

قلت: أطال في ترجمته، وذكر فيها كثيراً من مخازية التي تتنافى أن يصنفه معها بأنه: (الشيخ)، (الإمام) (الزاهد) (ذا هبة وتآله، انتفع به خلق)!! إلى آخر تلك المداخل ..

ثم قارن بين هذه الترجمة وبين ترجمة ابن القيم لهذا الرجل حتى ترى الفارق.

قال ابن القيم رحمه الله في «المنار المنيف» (ص ١٥٣): أما مهدي المغاربة: محمد بن تومرت فإنه رجل كذاب، ظالم، متغلب بالباطل، ملك بالظلم والتغلب والتحيل، فقتل النفوس، وأباح حريم المسلمين، وسب ذريتهم، وأخذ أموالهم، وكان شرًا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير، وكان يودع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء يأمرهم أن يقولوا للناس: إنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، ثم يردم عليهم ليلاً لئلا يكذبوه بعد ذلك، وسمى أصحابه الجهمية: (الموحدون) نفاة صفات الرب، وكلامه، وعلوه على خلقه، واستوائه على عرشه، ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة، واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان وتسمى بالمهدي المعصوم. اهـ

ك- وقال في (٣٢٢/١٩): الغزالي الشيخ، الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان.. ثم قال بعد هذا الشاء العاطر: (... لم يكن له علم بالآثار!! ولا خبرة بالسُنن النبوية القاضية على العقل!! وحَبَّ إليه إدمان النظر في كتاب: «رسائل إخوان الصفا»!!، وهو داءٌ عُضال، وجَرَبٌ مُرْدٍ، وسُمٌّ قَتَالٌ، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين، لتلف!!!)

ثم سرد كثيرًا من أقواله وضلالاته التي أخذت عليه، ثم قال الذهبي: الغزالي إمامٌ كبير، وما من شرط العالم أنه لا يُخطئ!!

قلت: وهل من شرط العالم أن لا يكفر، ولا يتدع، ولو وقع في الكفر والبدعة، فمن أين له هذه العصمة؟ وانظر إلى موقف السلف من أئمة أهل البدع الذين كفروهم وبدعواهم تجد كثيرًا منهم قد كانوا من أهل العلم؛ ولكنهم لما خالفوا السنة والاعتقاد سقطوا ولم يبالوا بهم. والأعجب من هذا كله أن يعدّه من المجددين للذين في القرن الخامس الهجري!! كما في «السير» (٢٠٣/١٤)، فهل يكون من المجددين للذين مع قوله فيه: (لم يكن له علم بالآثار، ولا خبرة بالسُنن النبوية، وحَبَّ إليه إدمان النظر في كتاب: «رسائل إخوان الصفا».. الخ).

قلت: قد كان ابن تيمية يعد الغزالي في كثير من كتبه جاهلاً بآثار السلف، ليس له معرفة ولا تمييز بين الحديث الصحيح من الحديث الواهي المكذوب، وكتب الغزالي أصدق شاهد على ذلك؛ فإن فيها العجائب، وهو يعد في علم حديث النبي ﷺ من العوام.

انظر: «مجموع الفتاوى» (٧١/٤)، وانظر في هذا الكتاب (ص ١٧١ و ٢٣٠ و ٢٨٦).

وقد تعقب الشيخ سليمان بن حمدان الشبوطي في جعله للغزالي مجددًا، فقال: وقد خلط الشبوطي في نظمه كعادته في التخليط في كلامه، فإن بعض من ذكرهم قد أحدثوا في الدين

أصولًا مبتدعة تنافي الدين فضلًا عن أن يكونوا مجددين.. فالغزالي خاض مع الفلاسفة، وألف كتابه: «تهافت الفلاسفة» في الرد عليهم؛ ولكنه وقع فيما وقعوا فيه، فلا للإسلام نصر، ولا لأعدائه كسر. اهـ [ملاحظات حال مطالعته] (ص ٤٦).

وقال الذهبي عن «الإحياء»: أتم «الإحياء» فيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء، ومنحرف في الصوفية، نسأل الله علما نافعًا.. اهـ

قلت: قارن بين قوله: (فيه خير كثير!!)، وبين قول الطرطوشي: شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابًا على بساط الأرض أكثر كذبًا منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني «رسائل إخوان الصفا»، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق.. اهـ

ثم ذهب الطرطوشي إلى إحراق كتاب «الإحياء» حتى لا يتأثر أحد بسموه، ولا يعتقد أحد صحة ما فيه من الضلال. انظر: «السير» (٣٣٤/١٩).

وقال عياض: ... ونقد أمر السلطان عندنا بالمغرب، وفتوى الفقهاء بإحراقها، والبعد عنها، فامتثل ذلك... اهـ «السير» (٣٢٧/١٩).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن فيمن قرأ على الناس كتاب «الإحياء»: ... وأسمعتهم ما في «الإحياء» من التحريفات الجائرة، والتأويلات الضالة الخاسرة، والشقايق التي اشتملت على الداء الدفين، والفلسفة في أصل الدين.. وقد سلك في «الإحياء» طريق الفلاسفة والمتكلمين في كثير من مباحث الإلهيات وأصول الدين، وكسا الفلسفة لحاء الشريعة.. بل أفتى بتحريقها علماء المغرب بمن عرف بالسنة، وسماها كثير منهم: (إماتة علوم الدين).. الخ

هـ - وقال الذهبي في (١٥١/٢٠): الرنخشري، العلامة، كبير المعتزلة.. وكان ذاعية إلى الاعتزال، الله يساعه. اهـ

قلت: كذا وصفه بالعلامة، ثم دعا الله له بأن يساعه على اعتزاله، وتعديه على الله تعالى بإنكار صفاته، والقول بخلق القرآن وغيرها من ضلالاته.

ثم قارن بين هذا الدعاء، وبين قوله في أمر المؤمنين معاوية رضي الله عنه:

قال في (١٣٣/٣): غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير، وأفضل، وأصلح، فهذا الرجل ساذ، وساس العالم بكمال عقله... وله هنأت، وأمور، والله الموعد!! اهـ

وليه تَلَطَّف مع هذا الصَّحابي الجليل، وقال: (الله يُساعده) كما قال في الرَّعْشِي إمام المعتزلة.
و- وقال (١٨/ ١٧٦): ثابت بن أسلم، العلامة أبو الحسن الحلبي، فقيه الشيعة .. فرحم
الله هذا المبتدع الذي دَبَّ عن الملة، والأمر لله. اهـ

قال ابن تيمية في «المنهاج» (٩٣/ ٢): وهذه كتب المسلمين التي ذكر فيها زهاد الأمة ليس
فيهم رافضي، وهؤلاء المعروفون في الأمة يقول الحق وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ليس
فيهم رافضي، كيف والرافضي من جنس المنافقين مذهبه التقية. اهـ
ولم يقتصر الأمر على الثناء على أئمة أهل البدع، والدُّعاة منهم، بل تعدى إلى الثناء على
أهل الغناء والرَّقص.

ر- فقال (١٠/ ١٨٧) في ترجمة: (عُلَيَّة بنت المهدي) وأخت الرَّشيد .. العباسية، أدبية،
شاعرة، عَارِفة بالغناء والموسيقى !! رخيمة الصَّوت !! ذات عَقَّة !! وتقوى !! ومناقب. اهـ
قلت: كيف تجتمع التقوى والعفة مع الغناء والموسيقى !!

هـ- التَّوَسُّع في اعتبار كثير من طعون أهل السُّنَّة في مخالفتهم في الاعتقاد أنه من باب
الطَّعن في الأقران الذي يطوى ولا يُقرأ.

ومن أمثلة ذلك: طعن الإمام أحمد في هشام بن عمار لما تكلم في مسألة اللفظ، وقال: (لفظ
جبريل ومحمد بالقرآن مخلوق). فقال أحمد: أعرفه طيأشاً، قاتله الله .. وقال: هذا قد تجهَّم.
وأنكر عليه أحمد رحمه الله قوله كذلك: (الحمد لله الذي تجلَّى لخلقه بخلقه). فقال: هذا
جهمي، الله تجلَّى للجناب، وهو يقول: تجلَّى لخلقه بخلقه! إن صلوا خلفه فليعيدوا الصَّلَاة.

فقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٣٠٤) مُعلِّقاً على ما وقع بين الإمام أحمد وهشام بن عمار: ..
وما زال العلماء الأقران يتكلَّم بعضهم في بعض بحسب اجتهداهم، وكلُّ أحد يؤخذ من قوله
ويترك إلَّا رسول الله ﷺ. اهـ

ومن ذلك قوله كذلك (١٧/ ٤٦٢): قد كان أبو عبدالله بن منده يقدِّع في المقال في أبي نُعَيْم
لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن [يعني: الأشعري]، ونال أبو نُعَيْم
أيضاً من أبي عبدالله في تاريخه، وقد عُرِفَ وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض. اهـ
وعلى ذلك سارَّ في كثير من تراجم أهل البدع الذين تكلم فيهم أهل السُّنَّة من أجل بدعهم
الاعتقادية فاعتبره من كلام الأقران الذي يُطوى ولا يُقرأ !!

٦- تهوينه من شأن الإرجاء والمرجئة، واعتبار أن الخلاف بينهم وبين أهل السُّنَّة خلافًا
لفظيًا فقط !!

فقال (٥/ ٢٣٣): إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدُّون الصَّلَاة والزَّكَاة من الإيَّمان،
ويقولون: الإيَّان إقرار باللسان، ويقين في القلب، والتَّوَّاع على هذا لفظي إن شاء الله. اهـ
قال الشيخ ابن باز رحمه الله في تعليقه على «شرح الطحاوية»: وإخراج العمل من الإيَّان هو
قول المرجئة، وليس الخلاف بينهم وبين أهل السُّنَّة فيه لفظيًا، بل هو لفظي ومعنوي، ويرتب
عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبر كلام أهل السُّنَّة وكلام المرجئة، والله المستعان. اهـ
ومن تهوينه كذلك من بدعة الإرجاء والمرجئة: مُطالبتهم بترك التحامل على المرجئة، وترك
تبديعهم، والتحذير منهم؛ لأن بعض من انتسب إلى العلم كان منهم، فهو يقول مُعلِّقاً على قول
السُّلَيْماني: (كان من المرجئة: مسعر، وحامد بن أبي سليمان، والنعمان، وعمرو بن مرة،
وعبد العزيز بن أبي رواد، وأبو معاوية، وعمرو بن ذر ... وسرد جماعة).

قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٩٩): ولا عبرة بقول السُّلَيْماني .. ثم ذكره، وقال: (الارجاء
مذهب لعدة من جَلَّة العُلَماء لا ينبغي التحامل على قائله) !!

قلت: كيف وقد أجمع السُّلف على ذمِّ الإرجاء والمرجئة، وحذروا منهم، ومن مجالستهم،
واعتبروا الإرجاء بدعة من أصول البدع؛ والتي هي: (الإرجاء، والخروج، والقدر، والشيعة).
قال الآجري في «الشرية» (٢/ ٦٧٦): (باب في المرجئة، وسوء مذاهبيهم عند العلما).
وذكر فيه إجماع السُّلف في ذمهم، ومن ذلك قول الزُّهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضرَّ
على أهله من هذه. يعني: الإرجاء.

وقول النخعي: المرجئة أخوف عندي على الإسلام من عدتهم من الأزارقة. يعني: الخوارج.
وقد عقد أئمة أهل السُّنَّة في مصنفاتهم في الاعتقاد الأبواب الكثيرة في ذمِّ الإرجاء،
والتحذير منه، ومن أئمتهم.

قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٠٧) وهو يتكلم عن أئمة المرجئة: (السُّلف
والأئمة اشتدَّ إنكارهم على هؤلاء، وتبديعهم، وتغليظ القول فيهم). اهـ

قلت: هذه التنبيهات على بعض ما في «سير أعلام النبلاء» وغيرها من مُصنَّفات الذهبي من
الأخطاء التي تَبَّ عليها أهل العلم، ومن هذه الأخطاء وغيرها يتبيَّن سبب قول الشيخ ابن باز رحمه

٤ - مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (١٠٣٣ هـ).

قال في كتابه: [«أقاويل الثقات» (٤٦)] وهو يتكلم عن عقيدة السلف!!

ومع ذلك فلم يكونوا يخوضون في حقيقة الذات، ولا في معاني الأسماء والصفات، ويؤمنون بمتشابه القرآن، وينكرون على من يبحث عن ذلك من فلانة وفلان. اهـ

٥ - محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠ هـ).

قال في تفسيره [«روح المعاني» (١٨١/٦)]: في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: سلف الأمة رضى الله تعالى عنهم:

أن هذا من المتشابه!! وتفويض تأويله إلى الله تعالى هو الأسلم!!

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه أثبت لله عزَّ وجلَّ يدين، وقال: «وكلتا يديه يمين»، ولم يرو عن أحدٍ من أصحابه ﷺ أنه أول ذلك بالنعمة، أو بالقدرة بل أبقوها كما وردت، وسكتوا، ولئن كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهبٍ لاسيما في مثل هذه المواطن. اهـ

٦ - محمد رشيد رضا (١٣٥٤ هـ).

قال: كان أهل النظر المشتغلون بالفلسفة اليونانية لا يتأولون جميع الآيات

الها لما سُئل عنه فقال فيه: (الذهبي ليس من أهل الفقه، الذهبي ماهو من أهل البصيرة، الذهبي عالم من علماء الوسط، يعتني بمصطلح الحديث فقط، لا يعتمد به في الشريعة). اهـ.

[«شريط الدمعة البازية» آخر الوجه الثاني].

وهناك الكثير من أقوال الذهبي تحتاج إلى بسط وتعليق ليس ها هنا مكان بسطها. والله أعلم.

والأحاديث الواردة في صفات الربِّ تعالى، ويُنكرون على علماء الأثر الأخذ بظواهرها مع التزيه والتفويض... الخ.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله مُعلقاً على هذا الكلام في تعليقاته على رشيد رضا (ص ١٤٥):

اعلم أن علماء الأثر يأخذون بظواهر النصوص مع إثبات الحقيقة والتنزيه، وأما التفويض فهو مذهب طائفة من أهل البدع، ذكر شيخ الإسلام في كتاب «العقل والنقل»: أن مذهبهم من أشر المذاهب وأخبثها؛ لأنه يستلزم تجهيل الرسول وتضليله، وأنه لا يعلم معاني ما أنزل الله عليه، فلا تغتر بمذهب أهل التفويض فإنه من أخبث المذاهب. اهـ

المبحث الثاني عشر

نهي أهل السنة عن التأويل وتحريف
نصوص الصفات

١ - معنى التأويل.

للتأويل ثلاثة معانٍ، معنيان صحيحان، ومعنى باطل:
فأما المعنيان الصحيحان فهما:

١ - التأويل بمعنى التفسير والبيان، وهو المراد به في اصطلاح أهل التفسير وغيرهم من السلف، ومنه قول ابن جرير رحمه الله وغيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا؛ أي تفسيره.

٢ - التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِي نَسِئْتُمْ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف/٥٣]

وأما معنى التأويل الباطل فهو:

٣ - التأويل عند المتأخرين من أهل الكلام الذي هو بمعنى: صرف اللفظ عن ظاهره.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [درء التعارض] (٢/٩٥): وأما التأويل،

بمعنى: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح؛ كتأويل من تأوّل استوى بمعنى: استولى ونحوه، فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته. اهـ

- وقال ابن القيم رحمه الله: وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين فمراذهم بالتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه.. وقد حكى غير واحد إجماع السلف على عدم القول به. اهـ ثم أطال في بيان أنواعه وبطلانها.

[انظر: «الصواعق المرسلة» (١/٢١ وما بعدها)، و«بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (٥/٤٥٢)، و(٨/٢٧٧)]

- قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمهم الله في [عيون الرسائل] (٢/٥٦١): والتأويل في عرف هؤلاء، صرف الكلام عن ظاهره وعن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، ومن سلك هذه الطريقة في أخبار الرسول ﷺ، ونصوص القرآن، فقد فتح على نفسه باب الإلحاد والزندقية، وليس في كلام الله، وكلام رسوله ما ظاهره ومعناه الراجح غير مُراد؛ لأنّ الظاهر هو اللائق بحال الموصوف، وبلغة المتكلم وعرفه، لا ما يظنه الأغبياء الجهال بما لا يصح نسبته إلى الله وإلى رسوله ﷺ. اهـ

قلت: فلهذا كان التعبير (بالتحريف) أولى من التعبير عن هذا (بالتأويل)، كما قال ابن تيمية رحمه الله لما اعترض عليه تسمية تأويل نصوص الصفات تحريفاً قال: (إني عدلت عن لفظ: (التأويل)، إلى لفظ: (التحريف)؛ لأنّ التحريف اسم جاء القرآن بذكره، وأنا تحريت في هذه العقيدة [أي: العقيدة

الواسطية [اتباع الكتاب والسنة، فنفيت ما ذمه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ (التأويل) بنفي ولا إثبات؛ لأنه لفظ له عدة معان. اهـ
[مجموع الفتاوى] (٣/١٦٥)، وانظر: «الصواعق المرسلة» (٣/٩٢٠)

٢ - الفرق بين ما يؤول من النصوص وما لا يؤول.

كُلُّ فرقة من الفرق تتأول النصوص التي لا تؤمن بها، ففرق الصوفية تتأول أركان الإسلام على ما تُريده، وهكذا القرامطة والخوارج والمرجئة .. وكُلُّ طائفة تدعي أن تأويلها هو الحق الذي يجب أن يُصار إليه.

- قال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (١/٢٣٠)]: وحقيقة الأمر أن كُلَّ طائفة تتأول ما يُخالف نحلته ومذهبها، فالمعيار على ما يُتأول وما لا يُتأول: هو المذهب الذي ذهبت إليه، والقواعد التي أصّلتها؛ فما وافقها أقرّوه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه ولا تأولوه .. ولما أصّلت الجهمية أن الله لا يتكلم، ولا يُكَلِّم أحداً، ولا يرى بالأبصار، ولا هو فوق عرشه مُبائن لخلقه، ولا له صفة تقوم به، أولوا كُلَّ ما خالف ما أصّلوه .. الخ.

٣ - فائدة التأويل عند معطلة الصفات.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«درء التعارض» (٥/٣٦٥)]: كثير من الجهمية النُفّة يقولون: فائدة إنزال هذه النصوص المثبتة للصفات وأمثالها: اجتihad أهل العلم في صرفها عن مقتضاها بالأدلة المعارضة لها حتى تنال النفوس كد الاجتهاد، وحتى تنهض إلى التفكير والاستدلال بالأدلة العقلية المعارضة لها الموصلة إلى الحق، فحقيقة الأمر عندهم أن الرُّسل خاطبوا

الخلق بما لا يُبين الحق، ولا يدل على العلم، ولا يُفهم منه الهدى، بل يدل على الباطل، ويُفهم منه الضلال؛ ليكون انتفاع الخلق بخطاب الرسول اجتهدهم في ردّ ما أظهرته الرسل وأفهمته الخلق .. مثل من أرسل مع الحجاج أدلة يدلّونهم على طريق مكة، وأوصى الأدلاء بأن يخاطبهم بخطاب يدلّهم على غير طريق مكة، ليكون ذلك الخطاب سبباً لنظرهم واستدلالهم حتى يعرفوا طريق مكة بنظرهم، لا بأولئك الأدلاء، وحيث يردّون ما فهم من كلام الأدلاء ويجهلون في نفي دلالته وإبطال مفهومه ومقتضاه.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فمن المعلوم أن خلقاً كثيراً لا يتبعون إلا الأدلاء الذين يدعون أنهم أعلم بالطريق منهم، وأن ولاية الأمور قد قلّدهم دلالة الحاج .. وأن دَرَكَ ذلك عليهم فيتبعون الأدلاء.

والطائفة التي ظنت أن الأدلاء لم يقصدوا بكلامهم الدلالة والإفهام .. صار كُلُّ منهم يستدلّ بنظره واجتهاده، فاختلّفوا في الطُّرق وتشتّتوا، فمنهم من سلك طُرُقاً أخرى غير طريق مكة، فأفضت بهم إلى أودية مهلكة ..

وطائفة أخرى شكّوا وحاروا، فلا مع الأدلاء سلّكوا فأدركوا المقصود، ولا لطرق المخالفين للأدلاء ركبوا وسلّكوا، بل وقفوا مواقف التائهين .. حتى هلكوا أيضاً في أمكتهم جوعاً وعطشاً ..

فهل من فعل هذا بالحجيج يكون قد هداهم السبيل، وأرشدتهم إلى اتباع الدليل؟ أم يكون مُفسداً عليهم دينهم ودنياهم، فاعلاً بهم ما لا يفعله إلا أشدّ عداهم؟ وإذا قال: إننا قصدت بذلك أن يجتهد الحجاج في أن يعرفوا الطُّريق بعقولهم وكشوفهم، ولا يستدلّوا بكلام الأدلاء الذين

أرسلتهم لتعريفهم؛ لينالوا بذلك أجر المجالدين، وتنبعث همهم إلى طريق المجادلين - هل يصدقه في ذلك عاقل؟ أو يقبل عذره من عنده حاصل؟ فهذا مثال ما يقوله النفاة في رُسل الله الذين أرسلهم الله تعالى إلى الخلق؛ ليعلموهم ويهدوهم سبيل الله ويدعوهم إليه. اهـ

٤ - حقيقة قول المؤولة.

قال ابن تيمية رحمه الله في [«درء التعارض» (٢٠٢/١)]: وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا أنه لم يُبين الحق، ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يُبين به الحق ولا كشفه؛ بل دلّ ظاهره على الكفر والباطل، وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه، وهذا كله مما يُعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد. اهـ

٥ - أهل التأويل عند تأويلهم لنصوص الصفات لا يجزمون بأنّ هذا التأويل هو مُراد الله تعالى.

ولهذا يذكرون عدة معانٍ في تأويل نصّ واحد، ولا يجزمون بواحد منها، وهذا في الحقيقة: كذبٌ على الله عزّ وجلّ، وعلى رسوله ﷺ.

- قال القرطبي في [«المفهم» (٤١٩/١)]: اعلم أن الناس قد أكثروا في تأويلات هذه الأحاديث فمن مُبعد ومن محمّ، وما ذكرناه أحسنها وأقومها لمنهاج كلام العرب، ولأن يكون هو المراد، ومع ذلك فلا يقطع بأنّه هو المراد، والتحقيق أن يقال: (الله ورسوله أعلم)، والتسليم الذي كان عليه

السلف أسلم. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«درء التعارض» (١٢/١)]: وهم في أكثر ما يتأولونه قد يعلم عقلاؤهم علماً يقيناً أن الأنبياء لم يريدوا بقولهم ما حملوه عليه، وهؤلاء كثيراً ما يجعلون التأويل من باب دفع المعارض؛ فيقصّدون حمل اللفظ على ما يمكن أن يريدته مُتكلّم بلفظه، لا يقصدون طلب مراد المتكلّم به، وحمله على ما يناسب حاله، وكُلّ تأويل لا يقصد به صاحبه بيان مراد المتكلّم وتفسير كلامه بما يعرف به مراده وعلى الوجه الذي به يعرف مراده؛ فصاحبه كاذب على من تأوّل كلامه، ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون: يجوز أن يراد كذا، وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

- وقال في [«درء التعارض» (٢٠١/١)]: والتأويل المقبول: هو ما دلّ على مراد المتكلّم، والتأويلات التي يذكرونها لا يُعلم أن الرسول ﷺ أرادها، بل يُعلم بالاضطرار في عامة النصوص أن المراد منها نقيض ما قاله الرسول ﷺ كما يعلم مثل ذلك في تأويلات القرامطة والباطنية من غير أن يحتاج ذلك إلى دليل خاص.

وحينئذ فالتأويل إن لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلّم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف والإلحاد لا من باب التفسير وبيان المراد. اهـ

٦ - التأويل يتخذ المعطلة جنةً لإنكار حقيقة صفات الله تعالى.

يذهب بعض طوائف الجهمية إلى تأويل نصوص الصفات من باب المكر والخديعة وإظهار ما لا يبطنون من إنكار الصفات، فإثم لو صرّحوا

بإنكارها كغلاظهم لا فتضحوا عند العامة والخاصة، ولكنهم ذهبوا إلى تأويلها وتحريفها حتى تروج بدعتهم على العامة، ويكونوا بذلك قد ردّوها بلطفٍ ومكر.

- قال عثمان الدارمي (٢٨٠ هـ) رحمه الله في [«النقض» (ص ٥٥٨)]:

وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قالوا له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجون بها علينا في ردّ مذهبنا مما لا يمكن التكذيب بها؟ مثل: سُفيان عن منصور عن الزُّهري. والزُّهري عن سالم. وأيوب وابن عون عن ابن سيرين. وعمرو بن دينار عن جابر عن النبي ﷺ وما أشبهها؟

قال: فقال المريسي: لا تردّوه فتفتضحوا؛ ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قد ردّدوهم بلطفٍ إذ لم يمكنكم ردّها بعنفٍ. اهـ

قلت: فالمريسي وأتباعه من الجهمية كانوا يُقرون بالفاظ تُصوص الصفات ولا يُنكرونها، وإنما بلاؤهم في صرفها وتحريفها عن معانيها بالتأويلات المحدثّة، كما قال ابن القيم رحمه الله في [«اجتماع الجيوش» (ص ٢٢١)]: وليس مقصود السلف بأن من أنكر لفظ القرآن يكون جهمياً مُبتدعاً؛ فإنه يكون كافراً زنديقاً، وإنما مقصودهم من أنكر معناه وحقيقته. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«الدرء» (٢١٧/٥)]: وقيل عن بعض رؤوس الجهمية إما بشر المريسي أو غيره أنه قال: ليس شيء أنقض لقولنا من القرآن، فأقروا به في الظاهر، ثم صرّفوه بالتأويل.

ويقال: إنه قال: إذا احتجّوا عليكم بالحديث؛ فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجّوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل. اهـ

[وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٣/٩١)]

- قال ابن قدامة المقدسي (٦٢٠ هـ) رحمه الله في [«حكاية المناظرة في القرآن» (ص ٣٥)]: ولا نعلم من أهل البدع طائفة يكتبون مقاتلهم، ولا يتجاسرون على إظهارها؛ إلا الجهمية والأشعرية. اهـ

- وقال الأنصاري: سمعت عدنان بن عبده النميري يقول: سمعت أبا عمر البسطامي يقول: كان أبو الحسن الأشعري أولاً يتحلل الاعتزال، ثم رجع فتكلّم عليهم، وإنّا مذهبه التّعطيل؛ إلا أنّه رجع من التّصريح إلى التّمويه. [«ذم الكلام» (١٣٠٤)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٢/٢٣٩)]

- وقال ابن تيمية في [«تلبيس الجهمية» (٤/٤٠١)]: فعلم أن هؤلاء [متأخري الأشاعرة] حقيقة باطنهم باطن المعتزلة الجهمية المعطلة، وإن كان ظاهريهم ظاهر أهل الإنبات كما أن المعتزلة عند التّحقيق حقيقة أمرهم أمر الملاحدة نفاة الأسماء والصفّات بالكلية، وإن تظاهروا بالردّ عليهم، والملاحدة حقيقة أمرهم حقيقة من يبيح الصّانع بالكلية. هذا لعمري عند التّحقيق، وأمّا عوام الطوائف وإن كان فيهم فضيلة وتميز، فقد يجمعون بين المتناقضات تقليداً وظناً، ولهذا لا يكونون جاحدين وكافرين مُطلقاً؛ لأنهم يثبتون من وجه، وينفون من وجه، فيجمعون بين النّفي والإنبات. اهـ

قلت: ولهذا كانت تأويلاتهم للصفّات هي بعينها تأويلات الجهمية الأوائل التي ردّ عليهم السلف كما سيأتي بيان ذلك في الفصل التالي.

فصل

التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الأشاعرة هي بعينها:
تأويلات بشر المريسي الجهمي

كثير ممن صَنَّفَ في «السُّنَّة» و«الرَّدَّ على الجهمية» من أهل السُّنَّة والجماعة ينسب هذه التأويلات الموجودة بين أيدي مُتَأَخَّرِي الأشاعرة إلى الجهمية كما فعل الدَّارمي في «النقض».

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«الفتوى الحموية الكبرى» (ص ٢٥٤-٢٦٠)]:
وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي النَّاسِ مثل أَكْثَرِ التَّأْوِيلَاتِ التي ذكرها أبو بكر ابن فورك في كتاب «التأويلات»، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عُمر الرَّازي في كتابه الذي سماه: «تأسيس التقديس» ويوجدُ كثير منها في كلامِ خَلْقٍ غير هؤلاء مثل: أبي علي الجُبَّائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمداني، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء بن عقيل، وأبي حامد الغزالي، وغيرهم، هي بعينها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه، وإن كان قد يوجدُ في كلامِ بعض هؤلاء التَّأْوِيلِ وإبطاله أيضًا، ولهم كلامٌ حسنٌ في أشياء.

فإنَّما يَبْنِي أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي.

ويدلُّ على ذلك كتاب «الرَّدُّ» الذي صنفه عثمان بن سعيد الدَّارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري، صَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ: «رَدُّ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ

على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد» حَكَى فيه هذه التَّأْوِيلَاتِ بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المُتَأَخَّرِينَ الذين اتصلت إليهم من جهته، ثُمَّ رَدَّ ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي:

عَلِمَ حَقِيقَةُ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَتَبَيَّنَ لَهُ ظُهُورُ الْحُجَّةِ لطريقهم، وَضَعَفَ حُجَّةٌ مِنْ خَالَفَهُمْ، ثُمَّ إِذَا رَأَى الْأُئِمَّةُ - أئمة الهدى - قد أجمعوا على: ذَمِّ الْمَرِيسِيَّةِ، وَأَكْثَرَهُمْ كَفَرُوا بِهِمْ، أَوْ ضَلَّلُوهُمْ.

وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ السَّارِي فِي هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخَّرِينَ هُوَ مَذْهَبُ الْمَرِيسِيَّةِ، تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى لِمَنْ يَرِيدُ اللَّهُ هِدَايَتَهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. اهـ

- وقال في [«بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٥٤)]: أَوَّلُ مَنْ بَلَّغَنَا أَنَّهُ تَوَسَّعَ فِي هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ هُوَ بَشَرُ الْمَرِيسِي، وَإِنْ كَانَ قَبْلَهُ وَفِي زَمَنِهِ لَهُ شُرَكَاءُ فِي بَعْضِهَا، وَتَلَقَّى ذَلِكَ عَنْهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَمَّا كَثِيرٌ مِنَ أئمة الجهمية المعتزلة وغيرهم فَيُكَذِّبُ بِهِ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ؛ كَأَحَادِيثِ الرُّوْيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَنَحْوِهَا، وَيُرَوْنَ أَنَّ التَّصْدِيقَ بِهَا مَعَ التَّأْوِيلِ لَهَا مِنْ بَابِ التَّلَاعِبِ وَجَحْدِ الضَّرُورَةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَؤُلَاءِ فِي إِطْلَاقِهَا لَهَا مَعَ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الصَّرِيحَةِ أَقْرَبُ مِنَ التَّأْوِيلِ لَهَا؛ وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ فِي التَّصْدِيقِ بِهَا وَتَرْكِ التَّكْذِيبِ بِهَا أَقْرَبُ مِنْ أَوْلَئِكَ، وَهُمْ دَائِمًا يَتَقَاسَمُونَ الْبِدْعَةَ، فَيَكُونُ هَؤُلَاءِ مِنْ وَجْهِ دُونَ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ وَجْهِ دُونَ هَؤُلَاءِ، وَلِذَلِكَ نَظَائِرُ فِي مَسْأَلَةِ الْقُرْآنِ، وَالرُّوْيَةِ، وَالصِّفَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. اهـ

- وقال - قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (١٢٨٢هـ)

رحمه الله في «الرسائل والمسائل النجدية» (١٧٦-١٧٧): اعلم أن أكثر أهل الأمصار اليوم أشعرية، ومذهبهم في صفات الرب سبحانه وتعالى موافق لبعض ما عليه المعتزلة الجهمية.

فهم يثبتون بعض الصفات دون بعض؛ فيثبتون: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وينفون ما سوى هذه الصفات بالتأويل الباطل، مع أنهم وإن أثبتوا صفة الكلام موافقة لأهل السنة، فهم في الحقيقة نافون لها؛ لأن الكلام عندهم هو المعنى فقط.

ويقولون: حروف القرآن مخلوقة، لم يتكلم الله بحرف ولا صوت.

فقال لهم الجهمية: هذا هو نفس قولنا: إن كلام الله مخلوق؛ لأن المراد الحروف لا المعنى.

ومذهب السلف قاطبة: أن كلام الله غير مخلوق، وأن الله تعالى تكلم بالقرآن حروفه ومعانيه، وأن الله سبحانه وتعالى يتكلم بصوت يُسمعه من يشاء.

والأشعرية لا يثبتون علو الرب فوق سمواته، واستواءه على عرشه، ويسمّون من أثبت صفة العلو والاستواء على العرش مجسماً مُشبهًا.

وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة؛ فإنهم يثبتون صفة العلو والاستواء، كما أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك عن نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكيف ولا تعطيل، وصرح كثير من السلف بكفر من لم يثبت صفة العلو والاستواء.

والأشاعرة وافقوا الجهمية في نفي هذه الصفة؛ لكن الجهمية يقولون: إنه سبحانه وتعالى في كل مكان، ويسمّون الحلولية.

والأشعرية يقولون: كان ولا مكان، فهو على ما كان قبل أن يخلق المكان. والأشعرية يوافقون أهل السنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، ثم يقولون: إن معنى الرؤية: إنّها هو زيادة علم يخلقه الله في قلب الناظر ببصره، لا رؤية بالبصر حقيقة عيانًا.

فهم بذلك نافون للرؤية التي دلّ عليها القرآن، وتواترت بها الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومذهب الأشاعرة: أن الإيمان مجرد التصديق، ولا يدخلون فيه أعمال الجوارح. قالوا: وإن سمّيت الأعمال في الأحاديث إيمانًا فعلى المجاز لا على الحقيقة.

ومذهب أهل السنة والجماعة: أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وقد كفر جماعة من العلماء من أخرج العمل عن الإيمان.

فإذا تحققت ما ذكرنا عن مذهب الأشاعرة: من نفي صفات الله سبحانه وتعالى غير السبع التي ذكرنا، ويقولون: إن الله لم يتكلم بحرف ولا صوت، وأن حروف القرآن مخلوقة، ويزعمون أن كلام الرب سبحانه وتعالى معنى واحد، وأن نفس القرآن هو نفس التوراة والإنجيل؛ لكن إن عبّر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبّر عنه بالعبرانية فهو توراة، وإن عبّر عنه بالسرانية فهو إنجيل، ولا يثبتون رؤية أهل الجنة ربهم بأبصارهم، إذا عرفت ذلك عرفت جهل من جعل الأشعرية من أهل السنة كما ذكره السفاريني في بعض كلامه. اهـ

قلت: وإن أردت زيادة بيان عمن طعن في الأشاعرة، فانظر تحقيقي لكتاب «إثبات الحد لله تعالى» للدشتي (ص ١٩٦)، وانظر كذلك الفصل التالي.

فصل

أقوال أهل السنة في ذم أهل التأويل
ووصمهم بالجهمية

اشتد نكير أهل السنة والجماعة على مؤولة الصفات ممن يُنكرون حقيقة معانيها اللاتقة به سبحانه؛ بحملها على (المجاز)، أو (المشاكلة)، وغيرهما من المصطلحات المحدثّة التي اتخذوها ذريعة لتعطيل حقيقة صفات الربّ ﷻ، وسمّوا ذلك التعطيل المحدث لصفات الربّ ﷻ - من باب التّليس والتّمويه على العامّة -: (تنزيها)، من قبيل تسمية الشّيء بغير اسمه، كما سمّوا إثبات صفات الله تعالى على ما يليق به ﷻ: (تشبيها، وتجسّيا) كما سيأتي.

والمتتبع لأقوال أهل السنة والجماعة في باب الإنكار على أهل التأويل يجدهم كثيرا ما ينسبونهم إلى الجهمية أعداء السنة والتوحيد؛ لأن حقيقة كلام الجهمية يدور على التّكذيب والتعطيل لنصوص الكتاب والسنة.

والتأويل المحدث الذي اصطلحوا عليه من صرف اللفظ عن ظاهره: هو في حقيقته نوع من التّكذيب.

- قال ابن منده (٤٧١هـ) رحمه الله في كتابه «الرد على الجهمية»: «التأويل عند أصحاب الحديث: نوع من التّكذيب». اهـ

[«ذيل طبقات الحنابلة» (١/٦٤)]

- وقال الدارمي رحمه الله في «الرد على الجهمية» (١٠١): «فظاهر القرآن وباطنه يدل على ما وصفنا من ذلك نستغني فيه بالتّزويل عن التّفسير، ويعرفه العامّة والخاصّة؛ فليس منه لتأويل تأويل إلا لمكذب به في نفسه مُستتر بالتأويل. اهـ

- وقال ابن القيم رحمه الله «الصواعق المرسلة» (٣/١٠٤٦) وهو يتكلم عن أنواع التّكذيب بنصوص الصفات:

قال: ولو أقر بلفظه مع جحد معناه، أو حرّفه إلى معاني آخر غير ما أريد به لم يكن مُصدّقاً بل هو إلى التّكذيب أقرب. اهـ

وقد تقدم في الفصل السّابق كلام ابن تيمية رحمه الله أن أهل التأويل يقاسمون المعتزلة في بدعتهم في إبطال حقيقة صفات الله تعالى.

* وأما ذم السلف الصّالح وغيرهم من أهل السنة لأهل التأويل والتّحريف لنصوص الصفات ووصمهم بالجهمية فهو مُستفيض، ومن ذلك:

١ - قال شاذ بن يحيى رحمه الله: سمعت يزيد بن هارون (٢٠٦هـ) رحمه الله وقيل له: من الجهمية؟

قال: من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامّة فهو جهمي.

[«السنة» لعبدالله بن أحمد (١١١٠هـ)، وانظر التعليق عليه في «العلو» للذهبي (٣٩٠)]

- قال ابن تيمية رحمه الله: والذي تقرّر في قلوب العامّة: هو ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجهها إلى ربّها تعالى عند التّوازل، والشّدائد، والدّعاء،

والرغبات إليه تعالى نحو العلو لا يلتفت يمنة، ولا يسرة، من غير موقف وقفهم عليه؛ ولكن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يُجْهِمَهُ وَيَقْلَهُ إلى التعطيل من يقبض له .. اهـ

[اجتماع الجيوش (ص ٢١٤)]

٢ - قال المروزي رحمه الله: سألت أبا عبدالله - أحمد بن حنبل - (٢٤١هـ) عن عبدالله التيمي:

قال: هو صدوق، وقد كتبت عنه شيئاً من الرقائق؛ ولكن حكي عنه أنه ذكر حديث الضحك، فقال: مثل الزرع إذا ضحك، وهذا كلام الجهمية. [رواه ابن بطة في «الإبانة» تنمة «الرد على الجهمية» (١١١/٣) (٨٣)].

٣ - قال إبراهيم بن أبان الموصلي: سمعت أبا عبدالله - أحمد - وجاءه رجل فقال: إني سمعت أبا ثور يقول: إن الله خلق آدم على صورة نفسه.

فأطرق طويلاً، ثم ضرب بيده على وجهه، ثم قال: هذا كلام سوء، هذا كلام جهم، هذا جهمي، لا تقرُّوه.

[«طبقات الحنابلة» (١/٢٣٦)، و«ميزان الاعتدال» (١/٦٠٣)]

٤ - قال أحمد بن حنبل رحمه الله: من قال: إن الله تعالى خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟! [رواه ابن بطة في «الإبانة» تنمة «الرد على الجهمية» (١٩٨)].

٥ - قال أبو علي حنبل بن إسحاق: قلت لأبي عبدالله: ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا؟ قال: نعم.

قلت: نزوله بعلمه، أم بماذا؟

قال: فقال لي: اسكت عن هذا، وغضب غضباً شديداً، وقال: مَالِكَ ولهذا؟! أمضِ الحديث كما روي بلا كيف. [رواه ابن بطة في «الإبانة» تنمة «الرد على الجهمية» (١٨٤)].

٦ - قال محمد بن إبراهيم الأصبهاني: سمعت أبا زرعة الرازي (٢٦٤هـ) وسئل عن تفسير: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فغضب، وقال: تفسيره كما تُقرأ، هو على عرشه، وعلمه في كُلِّ مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله. [«العلو» للذهبي (٤٦٥)].

٧ - قال الترمذي (٢٧٩هـ) رحمه الله في [«السنن» (٥١/٣)]: .. ذكر الله تبارك وتعالى في غير موضع من كتابه: اليد، والسمع، والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات، ففسروها على غير ما فسّر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد هنا: القوة. اهـ

٨ - قال عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله في [«الرد على الجهمية» (ص ١٧٤-١٧٥)]: وقال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، و﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ ..

قال هؤلاء: ليس لله يد، وما خلق آدم بيده، إنما يده: نعمته ورزقه. فادّعوا في يدي الله أوحش مما ادّعته اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقُولُهُ﴾ وقالت الجهمية: يدُ الله مخلوقة؛ لأن النعم والأرزاق مخلوقة لاشك فيها! وذاك مُحَالٌ في كلام العرب، فضلاً أن يكون كُفْراً؛ لأنه يستحيل أن يُقال: خلق آدم بنعمته، ويستحيل أن يُقال: في قول الله تبارك وتعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ بنعمتك الخير؛ لأن الخير نفسه هو النعم نفسها، ومُستحيل أن يُقال

في قول الله عز وجل: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ نعمة الله فوق أيديهم، وإنما ذكرنا هاهنا اليد، مع ذكر الأيدي في المبايعة بالأيدي فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ويستحيل أن يقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ نعمته، فكان ليس له إلا نعمتان مبسوطتان، لا تُحصى نعمته، ولا تُستدرَك، فلذلك قلنا: إن هذا التأويل مُحال من الكلام فضلاً أن يكون كُفراً.

ونكفرهم أيضاً بالمشهور من كفرهم أنهم لا يُثبتون لله تبارك وتعالى وجهاً، ولا سمعاً، ولا بصرًا، ولا علماً، ولا كلاماً، ولا صفةً، إلا بتأويل ضلال.

افتضحوا وتبينت عوراتهم، يقولون: سمعه، وبصره، وعلمه، وكلامه بمعنى واحد، وهو بنفسه في كل مكان، وفي كل بيت مُغلَق، وصندوق مُقفَل، قد أحاطت به في دعواهم حيطانهم، وأغلقها وأقفالها، فإلى الله نبرأ من إليه هذه صفته، وهذا أيضاً واضح في إكفارهم. اهـ

٩ - قال أبو سليمان داود بن علي: كُنا عند ابن الأعرابي (٢٣١هـ) فأتاه رجل فقال: ما معنى قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟

فقال: هو على عرشه كما أخبر الله عز وجل.

فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه: استولى.

فقال: اسكت، ما أنت وهذا. لا يقال: استولى الشيء على الشيء إلا أن يكون له مُضادٌّ، فإذا غلب أحدهما قيل: استولى، أما سمعت قول النابغة:

ألا لِلْثَلَكِ أَوْ مِنْ أَنْتَ سَابِقُهُ .. سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ

[رواه اللالكاني في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٦٦٦)]

١٠ - قال أبو العباس ابن سريج (٣٠٦هـ) رحمه الله - إمام الشافعية في وقته -: .. لا نقول: بتأويل المعتزلة، والأشعرية، والجهمية، والملاحدة، والمجسمة، والمشبّهة، والكرامية، والمكيّفة، بل نقبلها بلا تأويل، ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة. [اجتماع الجيوش، (ص ١٧٤)]

١١ - قال ابن خزيمة (٣١١هـ) رحمه الله في [«التوحيد» (١/ ١٥٩)]: الدليل على أن قوله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] أراد عز ذكره باليدين: اليدين، لا النعمتين كما ادعت الجهمية المعطلة. اهـ

١٢ - قال البرهاري (٣٢٩هـ) رحمه الله في [«شرح السنة» (٥٠)]: وكُلُّ ما سمعت من الآثار شيئاً مما لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله ﷺ: «قلوبُ العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل»، وقوله: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا»، «وينزل يوم عرفة»، «وينزل يوم القيامة»، «إن جهنم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه»، وقول الله تعالى للعبد: «إن مشيت إليّ هرولت إليك»، وقوله: «خلق الله آدم على صورته»، وقول رسول الله ﷺ: «رأيتُ ربي في أحسن صورة»، وأشباه هذه الأحاديث: فعليك بالتسليم، والتصديق، والتفويض، ولا تُفسر شيئاً من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسّر شيئاً من هذا بهواه أو ردّه فهو جهمي. اهـ

قلت: المراد بالتفويض: تفويض الكيفية دون المعنى كما تقدم في (المبحث الحادي عشر).

١٣ - قال أبو أحمد محمد بن علي المعروف بالقصاب (٣٦٠هـ) رحمه الله:

كُلُّ صِفَةٍ وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ فَلَيْسَتْ صِفَةً مُجَازٍ، وَلَوْ كَانَتْ صِفَةً مُجَازٍ لَتَحْتَمَّ تَأْوِيلُهَا، وَلَقِيلَ: مَعْنَى الْبَصَرِ كَذَا، وَمَعْنَى السَّمْعِ كَذَا، وَلَفُسِّرَتْ بِغَيْرِ السَّابِقِ إِلَى الْأَفْهَامِ، فَلَمَّا كَانَ مَذْهَبُ السَّلَفِ إِقْرَارَهَا بِلا تَأْوِيلٍ، عَلِمَ أَنَّهَا غَيْرُ مَحْمُولَةٍ عَلَى الْمَجَازِ، وَإِنَّمَا هِيَ حَقٌّ بَيِّنٌ. [«السير» (٢١٣/١٦-٢١٤)]

١٤ - قال عبد الله بن محمد بن حيان المشهور بأبي الشيخ الأصبهاني (٣٦٩هـ) رحمه الله في كتاب «السُّنَّة»: «

وَإِنَّمَا يُلْزَمُ الْمُسْلِمُ أَنْ يُثَبِّتَ مَعْرِفَةَ صِفَاتِ اللَّهِ بِالِاتِّبَاعِ وَالِاسْتِسْلَامِ كَمَا جَاءَ، فَمَنْ جَهِلَ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ حَتَّى يَقُولَ: إِنَّمَا أَصِفُ مَا قَالَ اللَّهُ، وَلَا أَدْرِي مَا مَعْنَاهُ ذَلِكَ حَتَّى يُفْضِيَ إِلَى أَنْ يَقُولَ بِمَعْنَى قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ: يَدُ نِعْمَةٍ، وَيَحْتِجُّ بِقَوْلِهِ: ﴿أَيَّدِينَا أَنْفَكُمَا﴾ [يس: ٧١] وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَقَدْ ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، هَذَا مُحْضٌ كَلَامُ الْجَهْمِيَّةِ، حَيْثُ يُؤْمِنُونَ بِجَمِيعِ مَا وَصَفَنَاهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، ثُمَّ يُحَرِّفُونَ مَعْنَى الصِّفَاتِ عَنْ جِهَتِهَا الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، حَتَّى يَقُولُوا: مَعْنَى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] السَّمِيعُ هُوَ: الْبَصِيرُ، وَمَعْنَى الْبَصِيرِ هُوَ: السَّمِيعُ، وَيَجْعَلُونَ الْيَدَ نِعْمَةً، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ، يُحَرِّفُونَهَا عَنْ جِهَتِهَا؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمَعْطَلَةُ. [«التسعينية» لابن تيمية (٤٢٣/٢)]

١٥ - قال إبراهيم بن أحمد بن شاذل (٣٦٩هـ) رحمه الله: هذه الأحاديث تلقاها العلماء بالقبول، فليس لأحد أن يمنعها، ولا يتأولها، ولا يسقطها؛ لأن الرسول ﷺ لو كان لها معنى عنده غير ظاهرها لبيته، ولكان الصحابة حين سمعوا ذلك من الرسول ﷺ سألوه عن معنى غير ظاهرها، فلمَّا سكتوا وجب علينا أن نسكت حيث سكتوا، ونقبل طوعاً ما قبلوا. [«طبقات الحنابلة» (٢٣٩/٣)]

١٦ - قال ابن بطه رحمه الله في [«الإبانة» (الرد على الجهمية) (٢٣٩/٣)]: الجهمية ترد هذه الأحاديث وتحجدها، وتكذب الرواة، وفي تكذيبها لهذه الأحاديث رد على رسول الله ﷺ، ومُعَانِدَةٌ لَهُ، وَمَنْ رَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]

فَإِذَا قَامَتْ عَلَى الْجَهْمِيِّ الْحُجَّةُ، وَعَلِمَ صِحَّةُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَحْدِهَا، قَالَ: الْحَدِيثُ صَحِيحٌ، وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»: يَنْزِلُ أَمْرُهُ.

قُلْنَا: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»، وَ«يَنْزِلُ رَبُّنَا»؛ وَلَوْ أَرَادَ أَمْرُهُ لَقَالَ: يَنْزِلُ أَمْرُ رَبِّنَا ...

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ (٣١٦/٣): قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: مَعْنَى الْيَدِ النُّعْمَةُ.

وَلَوْ كَانَ كَمَا زَعَمُوا لَمْ يَقُلْ: يَدَاهُ، وَلَقَالَ: بِلْ مَبْسُوطَةٍ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَى الْيَدِ مَعْنَى النُّعْمَةِ لَمْ يَقُلْ: بِيَدَيَّ، وَلَقَالَ: بِيَدَيَّ، أَوْ بِنِعْمَتِي؛ لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ نِعْمَتَيْنِ. اهـ

١٧ - قال ابن مند (٣٩٥هـ) رحمه الله في [«كتاب التوحيد» (٧/٣)]:

وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اِمْتَدَحَ نَفْسَهُ بِصِفَاتِهِ تَعَالَى، وَدَعَا عِبَادَهُ إِلَى مَدْحِهِ بِذَلِكَ وَصَدَّقَ بِهِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَبَيَّنَّ مَرَادَ اللَّهِ ﷻ فِيهَا أَظْهَرَ لِعِبَادِهِ مِنْ ذِكْرِ نَفْسِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مَفْهُومًا عِنْدَ الْعَرَبِ غَيْرُ مُتَحَاجٍّ إِلَى تَأْوِيلِهَا. اهـ

وَقَالَ: وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا الْفَصْلَ لِثَلَا يَتَعَلَّقَ الضَّالُّونَ عَنِ الْهَدَايَةِ، الزَّائِغُونَ

عن كتاب الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فتأولوا الصفات والأسماء التي في كتابه ونقلها الخلف الصادق عن السلف الطاهر عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ الذين نقلوا دين الله وأحكامه. [الحجة في بيان المحجة] (١٠٥/١)

١٨ - قال أبو منصور معمر بن أحمد بن زياد الأصبهاني (٤١٨ هـ) رحمه الله: في وصية لأصحابه بالسنة، وذكر ما أجمع عليه أهل الحديث والسنة من المتقدمين والمتأخرين وهي وصية طويلة ومما فيها:

فكُلْ هؤلاء شُرُج الدِّين، وأئمة السُّنة، وأولوا الأمر من العلماء، فقد أجمعوا على جملة هذا الفصل من السنة، وجعلوها في كتب السنة.. وذكرها من كتب المتقدمين والمتأخرين.. ثم قال: فاجتمع هؤلاء كلهم على إثبات هذا الفصل من السنة وهجران أهل البدع والضلال والإنكار على أصحاب الكلام والقياس والجدال، وأن السنة هي اتباع الأثر والحديث، والسلامة والتسليم، والإيمان بصفات الله ﷻ من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تأويل، فجميع ما ورد من الأحاديث في الصفات مثل: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»، و«يَدُ اللَّهِ عَلَى رَأْسِ الْمُؤَذِّنِ»، و«قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»، و«أَنَّ اللَّهَ يَضَعُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ».. كُلُّ ذَلِكَ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ.. فَإِنَّهُ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﷻ

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»: ينفي كُلَّ تشبيه وتمثيل.

«وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﷻ»: ينفي كُلَّ تعطيل وتأويل.

فهذا مذهب أهل السنة والأثر، فمن فارق مذهبهم فارق السنة، ومن اقتدى بهم وافق السنة... اهـ

وقال: وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، عَلِيمٌ خَبِيرٌ، يَتَكَلَّمُ، وَيَرْضَى، وَيَسْخَطُ، وَيَعْجَبُ، وَيَضْحَكُ، وَيَتَجَلَّى لعباده يوم القيامة ضَاحِكًا، وَيَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ، كَيْفَ شَاءَ، فَمَنْ أَنْكَرَ التَّزُولَ، أَوْ تَأَوَّلَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ.

[الحجة في بيان المحجة] (٢٤٢-٢٤٣)، و«العلو» للذهبي (١٣٠٨/٢)

١٩ - قال القادر بالله أمير المؤمنين (٤٢٣ هـ) في معتقده المشهور الذي قُرىء ببغداد بمشهد من علمائها وأئمتها، وأنه قول أهل السنة والجماعة وفيه: .. أَنَّهُ خَلَقَ الْعَرْشَ لَا لِحَاجَةٍ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ لَا اسْتِواءَ رَاحَةٍ، وَكُلَّ صِفَةٍ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَ بِهَا رَسُولَهُ فَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقَةٌ لَا صِفَةٌ مُجَازٍ. اهـ

[«العلو» للذهبي] (١٣١٤/٢)

٢٠ - قال أبو عمر الطلمنكي المالكي (٤٢٩ هـ) رحمه الله في كتاب «الوصول إلى معرفة الأصول»: وقال أهل السنة في قوله: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» إِنْ اسْتِواءَ مِنَ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمُجَازِ. فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَيُسَمَّى بِهَا الْمَخْلُوقِينَ.

فنفوا عن الله الحقائق من أسماؤه وأثبتوها لخلقِهِ.

فإذا سئلوا: ما حلهم على هذا الزَّيغ؟

قالوا: الاجتماع في التسمية يُوجب التشبيه.

قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خُوطبنا بها؛ لأنَّ المعقول في اللغة: أَنْ الاشتباه في اللغة لَا يَحْصُلُ بِالتَّسْمِيَةِ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهِ الْأَشْيَاءِ بِأَنْفُسِهَا، أَوْ بِبَيِّنَاتٍ فِيهَا، كَالْبَيَاضِ بِالْبَيَاضِ، وَالسَّوَادِ بِالسَّوَادِ، وَالطَّوِيلِ بِالطَّوِيلِ، وَالْقَصِيرِ

بالقصير، ولو كانت الأسماء تُوجب اشتباهاً لا شتبهت الأشياء كلها؛ لشمول اسم الشيء لها، وعموم تسمية الأشياء به، فنسأهم: أتقولون: إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم،

قل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مُشبهًا للموجودين.

وإن قالوا: موجود، ولا يُوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات.

قلنا: فكذلك هو حيٌّ، عالمٌ، قادرٌ، مُريدٌ، سميعٌ، بصيرٌ، مُتكلِّمٌ، يعني: ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات. اهـ

[«العلو» للذهبي (١٣١٥/٢)]

٢١ - قال أبو عثمان إسماعيل الصَّابُونِي (٤٤٩هـ) رحمه الله وهو يحكي

مُعتقد أصحاب الحديث في [«عقيدة أصحاب الحديث» (ص ٢٦)]:

فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نصَّ سبحانه عليه في قوله - عزَّ من قائلٍ -:

﴿قَالَ يٰٓإِبْرٰهِيْمُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ولا يجرفون الكلام عن

مواضعه بحمل اليدين على التَّعْمَتَيْنِ، أو القَوَتَيْنِ، تحريف المعتزلة والجهمية -

أهلكهم الله -، ولا يَكْفِيُونَهَا بِكَيْفٍ، أو يُشَبِّهُونَهَا بِأَيْدِي المخلوقين تشبيه

المُشَبَّه - خذلهم الله -، وقد أعاد الله تعالى أهل السُّنة من التَّحْرِيف، والتَّشْبِيهِ،

ومنَّ عليهم بالتَّعْرِيف، والتَّفْهِيْم، حتَّى سَلَكَوا سُبُل التَّوْحِيْد والتَّنْزِيهِ،

وتركوا القول بالتَّعْلِيل والتَّشْبِيهِ، واتبعوا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

٢٢ - قال أبو عمر بن عبد البر (٤٦٣هـ) في [«التمهيد» (١٤٥/٧)]:

أهل السُّنة مُجْمَعُونَ على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن

والسُّنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلَّا أنَّهم لا يُكَيِّفُونَ شيئاً من ذلك، ولا يَحْدِّثُونَ فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع، والجهمية، والمعتزلة كلها، والخوارج، فكُلُّهم يُنْكَرُهَا، ولا يحمل شيئاً فيها على الحقيقة، ويزعمون أنَّ من أقرَّ بها مُشَبَّهٌ، وهم عند من أثبتوا نافون للمعبود... اهـ

قلت: كذا يحكي الإجماع على إثبات حقيقة الصفات ثُمَّ هو يقع في تأويل بعض النصوص !! كما سيأتي.

٢٣ - قال ابن البناء الحنبلي (٤٧١هـ) رحمه الله في [«المختار» (٦٨)]: ثُمَّ

أضاف المبتدعة إلى أهل السُّنة وأصحاب الحديث المحالات في أخبار

الصفات، ووضعوا أشياء مُختلفة من الضَّلالات قد أعاد الله مُسلِّماً منها ...

ثُمَّ أتوا إلى الأحاديث الصَّحاح من ذلك فردُّوها، وتأوَّلوها، وأثَّمت أهل

العلم أوجبوا الأخذ بها، والقبول بها، وأن لا تُردَّ، ولا تُتَأَوَّل. اهـ

٢٤ - قال أبو إسماعيل الأنصاري (٤٨١هـ) رحمه الله في [«ذم الكلام»

(١٣٧-١٣٨)]: وأولئك [يعني: الجهمية] قالوا: لا صفة.

وهؤلاء [يعني: الأشاعرة] يقولون: وجه كما يُقال: وجه النَّهار، ووجه

الأمر، ووجه الحديث، وعَيْنُ كَعِينِ المتاع، وسمِعَ كَأَذْنِ الجدار، وبصر كما

يقال: جَدَّارهما بتراءيان، ويد كيد المنة والعطية، والأصابع كقولهم:

خراسان هي أصبعي الأمير، والقدمين كقولهم: جعلت الخصومة تحت

قدمي، والقبضة كما قيل: فلان في قبضتي، أنا مالك أمره.

وقالوا: الكرسي العِلْم، والعرش المُلْك، والضَّحْك الرِّضَا، والاستواء

الاستيلاء، والنزول القرب، والهرولة مثله، فشبهوا من وجه، وأنكروا من وجه، وخالفوا السلف، وتعدوا الظاهر، وردّوا الأصل، ولم يثبتوا شيئاً، ولم يبقوا موجوداً، ولم يفرقوا بين التفسير والعبارة بالألسنة؛ فقالوا: لا نفسرها، نجريها عريية كما وردت.

وقد تأولوا تلك التأويلات الخبيثة، أرادوا بهذه المخارقة أن يكون عوام المسلمين أبعد غيابة عنها، وأعياء ذهاباً منها؛ ليكونوا أوحش عند ذكرها، وأشمس عند سماعها، وكذبوا بل التفسير أن يقال: وجه ثم لا يقال كيف، وليس كيف في هذا الباب من مقال المسلمين. اهـ

٢٥ - قال محمد ابن القاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي (٥٢٦هـ) رحمه الله في [«الاعتقاد» (ص ٣١)] وهو يتكلم عن إثبات الصفات: وإن تأولها - يعني الصفات - على مقتضى اللغة، وعلى المجاز: فهو جهمي. اهـ

٢٦ - قال أبو القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني (٥٣٥هـ) رحمه الله: نعلم بالاضطرار أن الصحابة والتابعين ومن بعدهم قد كان فيهم: الأعرابي، والأتمي، والمرأة، والصبي، والعامة، ونحوهم ممن لا يعرف التأويل، وكانوا مع هذا يسمعون هذه الآيات والأحاديث في الصفات، وحدث بها الأئمة من الصحابة والتابعين على رؤوس الأشهاد، ولم يؤوّلوا منها صفة واحدة يوماً من الدهر، وإنما تركوا العوام على فطرهم وفهمهم.

فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق شيء إليه، لما فيه من إزالة التشبيه والتجسيم على رّعم من رّعم أن ظاهرها اللائق بالله تجسيم، بل لما ظهر الجهم بن صفوان وهو أول من تأوّل، بدّعه من كان في عصره من الأئمة

مثل: سُفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وابن المبارك، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وعبدالرحمن بن مهدي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، ومن لا يحصيهم إلا الله، ومنهم من كفره، ومنهم من أباح قتله. اهـ
[«إثبات اليد لله تعالى» للذهبي (ص ٤٥)]

- وقال التيمي أيضاً مُعلّقاً على قول ابن عيينة رحمه الله: (كُلُّ شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره). قال: أي هو على ظاهره لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل. اهـ [«العلو» (٢/ ١٣٦٣)]

٢٧ - قال عبدالغني المقدسي (٦٠٠هـ) رحمه الله في [«الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ٢٢٢)]: واعلم رحمك الله أن الإسلام وأهله أتوا من طوائف ثلاث:

فطائفة: ردّت أحاديث الصفات، وكذبوا رواياتها، فهؤلاء أشدّ ضرراً على الإسلام وأهله من الكفار.

وأخرى قالوا بصحتها وقبولها، ثم تأوّلوها؛ فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأولى.

والثالثة: جانبوا القولين الأولين، وأخذوا بزعمهم يُنزّهون وهم يُكذّبون فأذاهم ذلك إلى القولين الأولين، وكانوا أعظم ضرراً من الطائفتين الأوليتين.

فمن السنة اللازمة السكوت عما لم يرد فيه نص عن الله ورسوله، أو يتفق المسلمون على إطلاقه، وترك التعرض له بنفي أو إثبات.

فكما لا يثبت إلا بنص شرعي، كذلك لا يُنفي إلا بدليل سمعي.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يرضاه لنا من القول والعمل والنية.

٢٨ - قال ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) رحمه الله في [«ذم التأويل» (٧٨)]:

وأما الإجماع؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرنا عنهم، وكذلك أهل كل عصر بعدهم، ولم ينقل التأويل إلا عن مُبتدع، أو منسوب إلى بدعة. اهـ

وقال (٧٩): لأن تأويل هذه الصفات لا يخلو: إما أن يكون علمه النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدون، وعلماء أصحابه، أو لم يعلموه؛ فإن لم يعلموه فكيف يجوز أن يعلمه غيرهم، وهل يجوز أن يكون قد خبا عنهم علما وخبا للمتكلمين لفضل عندهم؟! وإن كانوا قد علموه ووسعهم الشكوت عنه؛ وسعنا ما وسعهم، ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم؛ ولأن هذا التأويل لا يخلو من أن يكون داخلا في عقد الدين بحيث لا يكمل إلا به، أو ليس بداخلا، فمن ادعى أنه داخلا في عقد الدين لا يكمل إلا به، فيقال له: هل كان الله تعالى صادقا في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] قبل التأويل؟ أو أنت الصادق في أنه كان ناقصا حتى أكملته أنت؟ ولأنه إن كان داخلا في عقد الدين ولم يقبله النبي ﷺ، ولا أصحابه، وجب أن يكونوا قد أدخلوا، ودينهم ناقص، ودين هذا المتأول كامل، ولا يقول هذا مسلم.

ولأنه إن كان داخلا في عقد الدين، ولم يبلغه النبي ﷺ أمته فقد خانهم، وكنتم عنهم دينهم، ولم يقبل أمر ربه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ٦٧]، وقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، ويكون النبي ﷺ ومن شهد له بالبلاغ غير صادق، وهذا كفر بالله تعالى ورسوله. اهـ

- وقال أيضا في [تحريم النظر في كتب الكلام] (٣٦): فإنه لا خلاف في أن

مذهب السلف الإقرار، والتسليم، وترك التعرض للتأويل والتمثيل، ثم إن الأصل عدم تأويلهم، فمن ادعى أنهم تأولوها فليأت برهان على قوله، وهذا لا سبيل إلى معرفته إلا بالنقل والرواية، فلينقل لنا ذلك عن رسول الله ﷺ، أو عن صحابته، أو عن أحد من التابعين، أو الأئمة المرضيين، ثم المدعي لذلك من أهل الكلام، وهم أجهل الناس بالآثار، وأقلهم علما بالأخبار، وأتركهم للنقل، فمن أين لهم علم بهذه؟ اهـ

٢٩ - قال ابن تيمية رحمه الله في [التسعينية] (٢/٥٤٥): وأهل السنة وسلف الأمة متفقون على أن من تأول استوى بمعنى: استولى، أو بمعنى آخر ينفي أن يكون الله فوق سمواته فهو: جهمي ضال. اهـ

- وقال في [الدرء] (٢/٩٥): وهم يثبتون الصفات لا يقولون بتأويل الجهمية النفاة التي هي صرف النصوص عن مقتضاها ومدلولها ومعناها. اهـ

- وقال في [الدرء] (٥/٣٨٠): وطائفة تقول: إن الراسخين في العلم يعلمون هذا التأويل، وهؤلاء يُجوزون مثل هذه التأويلات التي هي: تأويلات الجهمية النفاة. اهـ

- وقال في [جواب الاعتراضات المصرية] (ص ١٠٨): فالتأويل بما يخالف الظاهر مع أنه مبتدع لهذه التأويلات، فهي بدعة مخالفة لإجماع السلف، لا بدعة مسكوت عنها. اهـ

٣٠ - قال ابن القيم رحمه الله في [اجتماع الجيوش] (ص ٢٢١):

وليس مقصود السلف بأن من أنكر لفظ القرآن يكون جهميا مبتدعا؛ فإنه يكون كافرا زنديقا، وإنما مقصودهم من أنكر معناه وحقيقته. اهـ

- وقال أيضًا في [«الصواعق المرسلة» (١/٢١٦)]: والجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود، ولما لم يتمكنوا من تحريف نصوص القرآن حرّفوا معانيه، وسطوا عليها، وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد الدين. اهـ

- وقال أيضًا: إن إبطال حقيقة اليد وجعلها مجازًا هو في الأصل قول الجهمية المعطلة، وتبعهم عليه المعتزلة، وبعض المتأخرين ممن يُنسب إلى الأشعري. اهـ [«مختصر الصواعق» ٣/٩٧٠]

٣١ - قال ابن رجب رحمه الله في [«شرح البخاري» (٧/٢٣٠)]: كان السلف ينسبون تأويل هذه الآيات والأحاديث الصحيحة إلى الجهمية. اهـ

٣٢ - قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (١٢٥٨هـ) رحمه الله في [«فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد» (ص ٥٥٨)]:

الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة مُتَقَدِّمُهُمْ، ومُتَأَخَّرُهُمْ: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسول الله ﷺ.

فمن جَحَدَ شَيْئًا مما وصفَ الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو تأوَّله على غير ما ظهر من معناه: فهو جهميٌّ قد اتبع غير سبيل المؤمنين. اهـ

- وقال في «الدرر السنية» (٣/٢٢٣): وأما قول الأشاعرة، في نفي علو الله تعالى على عرشه، فهو قول الجهمية، سواء بسواء؛ وذلك يردّه ويبطله: نصوص الكتاب، والسنة..

و«جوهرة السنوسي»، ذكر فيها مذهب الأشاعرة، وأكثره مذهب الجهمية المعطلة، لكنهم تصرفوا فيه تصرفًا، لم يخرجهم عن كونهم جهمية.

٣٣ - قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (١٢٩٣هـ) رحمه الله في [«عيون الرسائل والأجوبة على المسائل» (١/٣٧٢)]: فيمن آمن بلفظ الاستواء الوارد في كتاب الله؛ لكن نازع في المعنى، وزعم أنه الاستيلاء: فهو جهميٌّ، مُعْطَلٌّ، ضالٌّ، مُحَالِفٌ لنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهذا القول هو المعروف عند السلف عن جهم، وشيعته الجهمية، فإنهم لم يصرّحوا برّد لفظ القرآن: كاستواء، وغيره من الصفات، وإنما خالفوا السلف في المعنى المراد. اهـ

وقال أيضًا (٢/٧٩٥) رحمه الله: ومن أهل البدع وأكفرهم:

الجهمية الذين يُنْكِرُونَ صفات الله التي جاء بها القرآن والسنة، ويؤوّلون ذلك: كالاستواء، والكلام، والمجيء، والنزول، والغضب، والرضا، والحب، والكراهة، وغير ذلك من الصفات الذاتية والفعلية. اهـ

٣٤ - قال الشيخ ابن باز رحمه الله: أمّا التأويل للصفات وصرفها عن ظاهرها فهو مذهب أهل البدع من الجهمية والمعتزلة، ومن سار في ركبهم، وهو مذهب باطل أنكره أهل السنة والجماعة، وتبرءوا منه، وحذروا من أهله، والله ولي التوفيق. اهـ

[الإجابة على أسئلة طرحت بإحدى المحاضرات بمكة بجامعة أم القرى]

قلت: فهذه بعض أقوال أهل السنة في التحذير من التأويل، ووصف أهله بالجهمية والتعطيل، ولو تتبعنا كلامهم في هذا الباب لخرج ذلك في مجلد، والله المستعان.

تنبیه :

لا يفهم من وصم أهل التأويل بالتَّجْهَم أَنَّهُ تكفير لهم، فإن الجهمية كما قال ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى الكبرى» (٤٨/٥): ليس النَّاسُ فِي التَّجْهَمِ عَلَى مَرْتَبَةٍ واحدة، بل انقسامهم فِي التَّجْهَمِ يشبه انقسامهم فِي التَّشْيِيعِ، فإن التَّجْهَمِ والرَّفْضِ هما مِن أعظم البدع، أو من أعظم البدع التي حدثت فِي الإسلام.. اهـ
ثُمَّ بَيَّنَ فِرْقَ الرِّوَاظِ والجهمية وغلاتهم الذين خرجوا مِن دِينِ الإسلام، وغيرهم ممن وقع فِي البدعة غير المُكْفَرَةِ. والله أعلم.

فصل

فيما رُوي من التَّأْوِيلِ الفاسد عن بعض أئمة
أهل السُّنَّةِ مِمَّا يَشْكُلُ عَلَى الجَهْلَةِ الأَعْمَارِ

صاحبُ الهوى كالغريقِ يتعلَّقُ بِكُلِّ عُرْدٍ ضَعِيفٍ أو قَوِيٍّ، فهو لَا يَتَّبِعُ إِلَّا مَا يَهْوَى وَإِنْ كَانَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَوْهَاهَا، كَمَا قَالَ الدَّارِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «النَّقْضِ عَلَى الْمَرْيَسِيِّ» (ص ٢٨٣): (إِنْ الْمَصِيبُ يَتَعَلَّقُ مِنَ الْآثَارِ بِكُلِّ وَاضِحٍ مشهور، والمريب يتعلَّقُ بِكُلِّ مُتَشَابِهٍ مغمور).

فهم يستدلُّون عَلَى صحة تأويلاتهم الفاسدة:

١ - بِأَحَادِيثٍ ضَعِيفَةٍ، أَوْ رَوَايَاتٍ مُحَرَّفَةٍ مَبْتُورَةٍ، أَوْ أَحَادِيثٍ صَحِيحَةٍ غَيْرِ تَامَةٍ، أَوْ أَحَادِيثٍ لَمْ يَفْهَمُوا دَلَالَتَهَا.

- قَالَ قَوَامُ السُّنَّةِ التِّيمِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي [«الْحُجَّةُ» (٢/٣٨٦)]:

صَاحِبُ السُّنَّةِ لَا يَتَّبِعُ إِلَّا مَا هُوَ الْأَقْوَى،

وَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَصَاحِبُ الْهَوَى يَتَّبِعُ مَا يَهْوَى. اهـ

- قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي [«بَيَانِ تَلْيِيسِ الْجَهْمِيَّةِ» (٦/١٣٢)] وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَمَّا نَسَبَهُ الْغَزَالِيُّ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنَ التَّأْوِيلِ، قَالَ:

وَلَئِنَّا يَصْلُحُ أَنْ يَثْبُتَ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَيَجْعَلَهَا مِمَّا يَتَّوَلُّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

لا يعرفون الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، ولا يعرفون دلالة الألفاظ حتى يميزوا ما هو تأويل مخالف للظاهر وما ليس تأويلاً مخالفاً للظاهر، فلقلة معرفتهم بأعلام الهدى، وهي ألفاظ الرسول ﷺ ووجه دلالتها يقعون في الحيرة والاضطراب، حتى لا يميزون بين ما قيل من كلام الفلاسفة والمتكلمين وما يُردّ، بل تارة يوافقونهم، وتارة يخالفونهم، وتارة يكفرونهم، فهم دائماً متناقضون في قول مختلف يؤفك عنه من أفك. اهـ

قال أيضاً (٣٧٤/٧): أن هؤلاء يعمدون إلى ألفاظ الحديث يقطعونها، ويترقون بينها، ثم يتأولون كل قطعة بما يمكن، وما لا يمكن.

ومن المعلوم أن الكلام المتصل بعضه ببعض يُفسر بعضه بعضاً. ويدل آخره على معنى أوله، وأوله لا يتم معناه إلا بآخره. كما يقال: الكلام بآخره، وهذا كثيراً ما يفعله المؤسس [يعني الرازي] وأمثاله. اهـ

٢- أن يستدلوا على تأويلاتهم الفاسدة بكلام بعض الأئمة فيما وافق أهواءهم، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

- قال عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في «الرد على الجهمية» (٢١٦):

إن الذي يُريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء، ويتعلق بزلاتهم، والذي يؤم الحق في نفسه يتبع المشهور من قول جماعتهم، وينقلب مع جمهورهم، فهما آيتان يُستدل بهما على اتباع الرجل وعلى ابتداعه. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله في «المجموع» (٤٠٩/٥):

بعض الخاضعين بالتأويلات الفاسدة، يتشبّه بألفاظ تُنقل عن بعض الأئمة وتكون إما غلطاً، أو مُحَرَّفة. اهـ

- وقال أيضاً في «التسعين» (٥٤٨/٢): ولكن الذين في قلوبهم زيغ من أهل الأهواء لا يفهمون من كلام الله، وكلام رسوله ﷺ، وكلام السابقين الأولين، والتابعين لهم بإحسان في باب صفات الله تعالى إلا المعاني التي تليق بالخلق لا بالخالق، ثم يريدون تحريف الكلم عن مواضعه في كلام الله وكلام رسوله إذا وجدوا ذلك فيها، وإن وجدوه في كلام التابعين للسلف افتروا الكذب عليهم، ونقلوا عنهم بحسب الفهم الباطل الذي فهموه، أو زادوا عليهم في الألفاظ، أو غيروها قدرًا ووصفًا، كما نسمع من ألسنتهم، ونرى في كتبهم. اهـ

- وقال ابن بطلة رحمه الله في «الإبانة» (الرد على الجهمية) (٣١٧/٣):

فالجهمي الملعون إنما أتى من جهله باللسان العربي، ومن تعاشيه عن الجادة الواضحة، وطلبه المشابه، وثبات الطرق ابتغاء الفتنة، ﴿يَخِيلُوا أَكُنَّا نَحْمِلُ كَيْدَهُمْ﴾ يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية ما يروى. اهـ

فلهذا كل من احتج بأحد من الأئمة فلا بد له من أمرين:

١- صحة النقل عن ذلك القائل.

٢- معرفة كلامه.

[انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (١٣٥٨/٤)]

وعند البحث عن كثير من الروايات التي يحتج بها أهل التأويل على باطلهم في صحة التأويل، يظهر كذبهم فيها؛ كما قال الأوزاعي رحمه الله: لم يبلغنا أن أحداً من التابعين تكلم في القدر إلا هذين الرجلين: الحسن ومكحول، فكشفنا عن ذلك؛ فإذا هو باطل. [«الإبانة» (١٧٧٥)]

- وقال البخاري رحمه الله في [«خلق أفعال العباد» (٢٢٨)]: فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحد، ويدعيه كل لنفسه؛ فليس بثابت كثير من أخبارهم، ورُبَّما لم يفهموا دقة مذهبه. اهـ

قلت: والمتأمل لما يستدل به أهل التعطيل في تأويلهم لنصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وما روي عن بعض أئمة أهل السنة؛ يجدها لا تخرج غالباً عن الأحوال التالية:

الأول: استدلالهم على التأويل الباطل بما روي عن بعض أهل السنة من التأويل مما لا تصح نسبته إلى من روي عنه.

الثاني: استدلالهم بظواهر بعض النصوص على أنها من نصوص الصفات، وليس كذلك.

الثالث: استدلالهم بما تنازع فيه أهل السنة والجماعة من دلالة النص: هل يُراد به الصفة أم لا؟

الرابع: أن يكون كلام السلف عن الصفة من باب الكلام عن معنى الصفة، واللازم منها، لا من باب التأويل الفاسد لحقيقة الصفة.

الخامس: استدلالهم بما صحَّ عن بعض أهل السنة من التأويل الذي لم يوافقهم عليه أئمة أهل السنة وعدّوه من الأخطاء التي لا يتابعون عليها.

وإليك تفصيل ذلك، وبالله نستعين.

الأول: استدلالهم على التأويل الباطل بما روي عن بعض أهل السنة من التأويل مما لا تصح نسبته إلى من روي عنه.

- قال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٤١)]: وهو يتكلم عن الأسباب التي تُسهّل على النفوس قبول التأويل:

أن يعزو المتأول تأويله إلى جليل القدر، نبيل الذكر من العقلاء، أو من آل بيت النبوة، أو من حصّل له في الأمة ثناء جميل، ولسان صدق، ليحليّه بذلك في قلوب الأغمار والجهال، فإن من شأن الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم وأن يتلقوه بالقبول والميل إليه، وكلّما كان ذلك القائل أعظم في نفوسهم كان قبولهم لكلامه أتم، حتّى إنهم يُقدّمون كلامه على كلام الله ورسوله ويقولون: هو أعلم بالله مِنّا. اهـ

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [«جامع المسائل» (٤/ ٢٠٥)]:

وكثير من هؤلاء ينسب إلى أئمة المسلمين ما لم يقولوه، فينسبون إلى الشافعي وأحمد بن حنبل.... من الاعتقادات ما لم يقولوه، ويقولون لمن اتبعهم: هذا اعتقاد الإمام الفلاني، فإذا طُلبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة تبين كذبهم في ذلك.. ومنهم من إذا طُلب بتحقيق نقله يقول: هذا القول قاله العقلاء، والإمام الفلاني لا يخالف العقلاء، ويكون أولئك العقلاء طائفة من أهل الكلام الذين ذمهم الأئمة. اهـ

قلت: فهم يحتجّون على تأويلاتهم الباطلة بالروايات الضعيفة والمكذوبة المروية عن بعض أئمة أهل السنة، ومنها:

١- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل الاستواء.

- قال عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في [«التنقيض» (٢٤٨)]: وأما ما رويت عن: ابن الثلجي من غير سماع منه من حديث: السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، قال: ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه.

وعن ابن عباس أنه قال: استوى له أمره وقدرته فوق بريته.

عن ابن الثلجي أيضًا من حديث: جوير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾، قلت: ثم قطع الكلام، فقال: ﴿اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ينفي عن الله الاستواء، ويجعله لما في السموات والأرض.

فيقال لك أيها المعارض: لو قد سمعت هذا من ابن الثلجي لما قامت لك به حجة في قيس تمرة، وهذه الروايات كلها لا تساوي بغرة، وما يحتاج بها في تكذيب العرش إلا الفجرة، وأول ما فيه من الريبة: أنك ترويه عن ابن الثلجي المأبون المتهم في دين الله، والثاني: أنه عن الكلبي هو ابن عم الثلجي.

وعن جوير، ولو صح ذلك عن الكلبي وجوير من رواية سفيان وشعبة وحماد بن زيد لم يكثر بها؛ لأنهما مغموزان في الرواية لا تقوم بهما الحجة في أدنى فريضة، فكيف في إبطال العرش والتوحيد؟ ومع ذلك لا تراه إلا مكذوبًا على جوير والكلبي؛ ولكن من يريد أن يعدل عن المحجة يحتاج لمذهبه بما لا تقوم به الحجة.

والعجب ممن يدفع ما روى الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة وأبي سعيد، عن النبي ﷺ. وعن زيد بن مسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، وسعيد المقبري وثابت البناني، من رواية معمر وسفيان وشعبة ومالك بن أنس وحماد بن زيد ونظرانهم من أعلام المسلمين، ويتعلق برواية ابن الثلجي والمريسي ونظرانهم من أهل الظنة في دين الله إذا وجد في شيء منها أدنى متعلق يدخل بها دلالة على الجهال. اهـ كلام الدارمي رحمه الله.

٢- ما روي عن الأوزاعي (١٥٧هـ)، ومالك بن أنس (١٧٩هـ)، رحمهما الله تعالى في تأويل حديث النزول.

نقل النووي في «شرح لصحيح مسلم» تأويل حديث النزول عنهما، فقال في [(٣٦/٦)]: مذهب أكثر المتكلمين، وجماعات من السلف، وهو تحكي هنا عن مالك، والأوزاعي، أنها تتأول على ما يليق بها، بحسب مواظبتها. فعلى هذا تأولوا هذا الحديث - يعني النزول كَلَّ ليلة إلى السماء الدنيا - تأويلين: تأويل مالك بن أنس رحمه الله وغيره، ومعناه: تنزل رحمته، وأمره، وملائكته .. اهـ

قلت: لا يثبت هذا عن الأوزاعي رحمه الله تعالى.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«مجموع الفتاوى» (٤٠٩/٥)]: في بيان بطلان نسبة هذا القول، قال: ولكن بعض الخائضين بالتأويلات الفاسدة، يتشبث بالفاظ تنقل عن بعض الأئمة وتكون إما غلطًا، أو محرفة، كما تقدم من أن قول الأوزاعي وغيره من أئمة السلف في النزول: (يفعل الله ما يشاء)، فسره بعضهم أن النزول مفعول مخلوق منفصل عن الله، وأنهم أرادوا بقولهم: يفعل الله ما يشاء، هذا المعنى، وليس الأمر كذلك .. اهـ

[وانظر كذلك «مجموع الفتاوى» (٤٠١/٥)]

أما ما رُوي عن الإمام مالك رحمه الله فقد:

قال ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن حسان، حدثنا صالح بن أيوب، حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك قال: يتنزلُ ربُّنا تبارك وتعالى أمره، فأما هو فدائم لا يزول. [«السير» (١٠٨/٨)]

وهذه الرواية غير ثابتة عن الإمام مالك رحمه الله.

فقد أنكر يحيى بن بكير رحمه الله رواية حبيب هذه، وقال: خسعى والله، ولم أسمع من مالك. [«الصفات» لابن محب]

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [«مجموع الفتاوى» ٤٠١/٥]: وكذلك ذكرت هذه رواية عن مالك رويت من طريق كاتبه حبيب بن أبي حبيب؛ لكن هذا كذاب باتفاق أهل العلم بالنقل، لا يقبل أحد منهم نقله عن مالك، ورويت من طريق أخرى ذكرها ابن عبد البر، وفي إسنادها من لا نعرفه. اهـ

- وقال ابن القيم رحمه الله وهو يتكلم عن ما رُوي عن الإمام مالك في تأويل النزول، قال: وهذه الرواية لها إسنادان:

أحدهما: من طريق حبيب كاتبه، وحبيب هذا غير حبيب، بل هو كذاب وضاع، باتفاق أهل الجرح والتعديل، ولم يعتمد أحد من العلماء على نقله. والإسناد الثاني: فيه مجهول لا يُعرف حاله.

فمن أصحابه من أثبت هذه الرواية، ومنهم من لم يثبتها؛ لأن المشاهير من أصحابه لم ينقلوا عنه شيئاً من ذلك. اهـ [«مختصر الصواعق المرسلة» (٢٦١/٢)]

قلت: ومما يبيّن بطلان هذه الرواية عن الإمام مالك رحمه الله ما ثبت عنه من إثبات هذه الصفة وإمرارها كما جاءت كسائر الصفات كما

قال زهير بن عباد الرّؤاسي: كُلُّ مَنْ أَدْرَكَتْ مِنَ الْمَشَائِخِ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَوَكَيْعُ بْنُ الْجَرَّاحِ، يَقُولُونَ: النَّزُولُ حَقٌّ. [«أصول السنة» لابن أبي زمنين (٣٤١)]

أما قول الذهبي (١٠٥/٨): فيكون للإمام في ذلك قولان إن صحّت رواية حبيب. اهـ

قلت: لم تصح، وكيف تصح رواية حبيب وهو يكذب عن مالك.

فليس للإمام مالك رحمه الله إلا قولاً واحداً وهو إثبات النزول على حقيقته من غير تأويل، كما تقدم عنه قوله: أمرها كما جاءت.

٣- ما رُوي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من التأويل.

أ- ما نقله الغزالي عن الإمام أحمد من تأويله لثلاثة من أحاديث الصفات.

- فقال في كتابه [«قواعد العقائد» (ص ١٣٥)]: سمعت بعض أصحابه [يعني: الإمام أحمد] يقول: إِنَّهُ حَسَمَ بَابَ التَّأْوِيلِ إِلَّا لثَلَاثَةِ أَلْفَاظٍ:

١- قوله ﷺ: «الحجر الأسود يمينُ الله في أرضه».

٢- وقوله ﷺ: «قلبُ المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن».

٣- وقوله ﷺ: «إني لأجدُ نفسَ الرحمن من جانبِ اليمين».

قلت: نقل هذا الكلام الرازي في كتابه «أساس التقديس» وارتضاه، وتبعه

على ذلك خلق كثير، ورحم الله عبدالله بن المبارك إذ يقول: الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. [رواه مسلم في مقدمته (١/١٥)]
وهذه الرواية عن الإمام أحمد رحمه الله في التأويل لم تُرو عنه بإسناد حتى نعلم صحتها من عدمها.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«بيان تلبس الجهمية» (١٢٦/٦)] وهو يتكلم عن الغزالي: كان قليل المعرفة بالحديث والآثار، والمعرفة لمعانيها، وكان يقول: بضاعتي في الحديث مُزجاة.. ولهذا في كتبه من المنقولات المكذوبة الموضوعة ما شاء الله... ومن ذلك هذا النقل الذي نقله عن أحمد؛ فإنه نقله عن مجهول لا يُعرف، وذلك المجهول أرسله إرسالاً عن أحمد. ولا يتنازع من يعرف أحمد وكلامه، أن هذا كَذِبٌ مُفترى عليه، ونصوصه المنقولة عنه بنقل الثقات الأثبات والمتواترة عنه يرد هذا الهذيان الذي نقله عنه، بل إذا كان أبو حامد ينقل عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين من الأكاذيب ما لا يحصىه إلا الله فكيف ما ينقله عن مثل أحمد؟! اهـ

ومما يَدُلُّ أيضاً على بطلان هذا النقل، ما ثبت عن أحمد رحمه الله في رواية أبي طالب قال عند ذكره لحديث: «لَبُّ الْعَبِيدِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ»، وحديث: «خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ»، قال رحمه الله: وكلما جاء الحديث مثل هذا قلنا به.

[إبطال التأويلات (٤٥)]

ب- ما رُوي عن الإمام أحمد رحمه الله من تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر/ ٢٢]

- قال ابن كثير رحمه الله في [«البداية والنهاية» (٣٢٧/١٠)]:

روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السَّكَّك عن حنبل: أن أحمد ابن حنبل تأول قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أنه جاء ثوابه.

ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه. اهـ

- وقال ابن حزم في [«الفصل» (٣٥٨/٢)]: وقد روي عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: وجاء أمر ربك. اهـ

قلت: للبيهقي كتاب في «مناقب الإمام أحمد» ذكر فيه عقيدته، واعتمد في نقله لتلك العقيدة على ما ذكره أبو الفضل التميمي من فهمه لا من روايته، وأبو الفضل هذا كان يميل إلى مذهب الأشاعرة في نفي الصفات الاختيارية: كالنزول، والمجيء لله تعالى. [وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٦٧/٤)]

وقد ذكر المحققون من أهل السنة بطلان نسبة هذا التأويل للإمام أحمد، ولهم في تحريجها وجهان:

١- أن هذه الرواية انفرد بذكرها حنبل، وهو يتفرد بأشياء لا يُتابع عليها.

- قال الخلال رحمه الله: قد جاء حنبل عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية، وأغرب بغير شيء. [«طبقات الحنابلة» (١٤٣/١)]

- وقال ابن القيم رحمه الله: وهو كثير المفاريد المخالفة للمشهور من مذهبه. [«مختصر الصواعق» (٤٠٦/٢)]

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [«مجموع الفتاوى» (٤٠١/٥)]: ولا ريب أن المنقول المتواتر عن أحمد يُناقض هذه الرواية، ويُبين أنه لا يقول أن الربَّ يجيء ويأتي وينزل أمره، بل هو يُنكر على من يقول ذلك. اهـ

٢- ولأهل السنة جواب آخر على فرض ثبوت هذه الرواية بحيث لا تنافض ما ثبت وتواتر عن أحمد رحمه الله من ترك التأويل مطلقاً.

ومُلخص هذا الجواب: أن هذا الكلام قاله أحمد في معرض المناظرة مع خصومه الجهمية كما هو مدلول الرواية نفسها، فإن الجهمية لما احتجوا على خلق القرآن بحديث النبي ﷺ: «اقْرَأُوا الزَّهْرَ أَوْ بَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ مُتَحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِيَّهَا».

فقالوا: إن المجيء من صفات المخلوق؛ فإذا القرآن مخلوق.

فرد عليهم الإمام أحمد على هيئة الإلزام لهم بناء على أصولهم: أنه إذا كنتم تتأولون قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي جاء ثوابه، فكذلك يلزمك هذا التأويل هاهنا، فيكون المعنى: يجيء ثواب البقرة، وثواب سورة آل عمران، أما القرآن فهو كلام الله لا يجيء، وهذا على سبيل التَّنْزِيلِ في المناظرة والخصم على أصولهم لبيان تناقضهم.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«الاستقامة» (١/٧٥)]: وقال قومٌ منهم: إنَّما قال ذلك إلزاماً للمُنَازِعِينَ له؛ فإنَّهم يتأولون مجيء الربِّ بمجيء أمره. قال: فكذلك قولوا: يجيء كلامه مجيء ثوابه، وهذا قريب. اهـ

- وقال ابن رجب رحمه الله في [«شرح لصحيح البخاري» (٧/٢٢٨)]: ومنهم من قال: إنَّما قال ذلك إلزاماً لمن ناظره في القرآن، فأثَّهم استدلالاً على خلقه بمجيء القرآن، فقال: إنَّما يجيء ثوابه، كقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، أي: كما تقولون أنتم في مجيء الله، أنه مجيء أمره، وهذا أصح المسالك في هذا المروي.

[وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/٤٠٥)، و«الاستقامة» (١/٧٤)، مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٢٦٠)]

٤- ما رُوي عن الإمام البخاري (٢٥٦هـ) رحمه الله.

ذكر البيهقي في كتابه [«الأسماء والصفات» (٢/٤٠٢)] الذي سلك فيه مسلك أهل التأويل والتفويض لصفات الربِّ تعالى، عن الإمام البخاري رحمه الله أنه تأوَّل صفة الضحك لله تعالى، فقال:

قال البخاريُّ: معنى الضحك الرحمة. اهـ

قلت: لم يذكر البيهقي إسناده، ولا عمن نقله حتَّى ننظر في صحته عنه، ولهذا قال ابن حجر في [«الفتح» (٨/٦٣٢)] مُبَيَّنًا بطلان هذا النقل:

ولم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري. اهـ

ومن نَظَر في كتاب التوحيد من صحيح البخاري رحمه الله، وكتابه «خلق أفعال العباد» تبيَّن له بجلاء بطلان هذا النقل عن الإمام البخاري، وبُهِتَانِ أهل التأويل على أئمة أهل السنة والجماعة في تلك النقول الخاطئة، والأعجب من ذلك أن يدعي ابن حجر عن الإمام البخاري رحمه الله أنه كان يستمد مباحثه العقديَّة عن أئمة أهل البدع الذي حَذَّرَ منهم السلف أشد تحذير؛ كالكرابيسي، وابن كُلاب !!

فيقول في «الفتح» (١/٢٤٣):

مع أن البخاري في جميع ما يُورده من تفسير الغريب إنَّما ينقله عن أهل ذلك الفن: كأبي عبيدة، والنضر بن شميل، والقرَّاء وغيرهم،

وأما المباحث الفقهية فغالبا مُستَمدة من: الشافعي، وأبي عبيد وأمثالهما.
وأما المسائل الكلامية فأكثرها من: الكرابيسي، وابن كلاب ونحوهما. اهـ
قلت: لا يخفى على كُلِّ صاحبِ سُنَّةٍ بطلان هذا القول، وجنابته على
الإمام البخاري رحمه الله.

وتصانيف الإمام البخاري رحمه الله أكبر دليل على ردِّ على هذا القول،
وكشف افتراءه.

والأمثلة على نسبة التَّأويل الباطل لأئمة أهل السُّنَّة والجماعة كثيرة جدًّا،
اكتفيت بها تقدم ذكره حتَّى لا يطول الكتاب.

الثاني: استدلالهم بظواهر بعض النصوص على أنها من نصوص الصفات، وليس كذلك.

يستدلُّ أهل التَّأويل الفاسد على صحة تأويلهم ببعض الآيات والأحاديث
التي يظنون أنها من نصوص الصفات وهي ليست كذلك عند أهل السُّنَّة.

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«درء التعارض» (٥/ ٢٣٢)]:

إذا كان في كلام الله ورسوله كلامٌ مُجْمَلٌ، أو ظاهر قد فُسِّرَ معناه ويُنَّه
كلامٌ آخر مُتَّصِلٌ به، أو مُنفصل عنه، لم يكن في هذا خروجٌ عن كلام الله
ورسوله ﷺ، ولا عيب في ذلك ولا نقص. اهـ

- وقال في [«بيان تلبس الجهمية» (٦/ ١٧٠)]: «عمن تأوَّل بعض ما ظاهره
أنه من أحاديث الصفات، قال: إنَّما تأوَّل هذا الخبر؛ لأن في الخبر نفسه ما
دلَّ على صحة التَّأويل، ومثل هذا لا نزاع فيه، فَإِنَّهُ إذا كان في الحديث
الواحد مُتَّصِلًا به ما يُبيِّن معناه فذلك مثل التَّخصيص المتصل، ومثل هذا لا
يُقال فيه إنه خلاف الظَّاهر، بل ذلك هو الظَّاهر بلا نزاع بين النَّاس. اهـ

- وقال في [«الرد على البكري» (١/ ٥٩٢)]: «فإن التَّأويل إنَّما يُحتاج إليه إذا
أُطلق المطلق لفظًا له ظاهر، وأراد به غير ظاهره من غير بيان، وهذا لم يقع،
فإن كان بعض النَّاس يظهر له من اللفظ ما لم يدلَّ عليه، فالتَّعريض منه،

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السَّقِيم

وعامة ما يورد على ألفاظ الكتاب والسُّنَّة ويُدعى أن ظاهرها مُمتنع إنَّما أتى
من سوء فهمه لا من قُصور في بيان الله ورسوله ﷺ، بل ممن تأوَّل. اهـ

- وقال في [جامع المسائل: (١٧٤/٤)]: إذا فهم بعض الناس من كلام الله معنى فاسداً - مثل: فهمهم كون المعية تقتضي المخاطبة، وأن الحجر صفة الله، وزعم أنه ظاهره - رد عليه هذا الفهم، وقيل له: هذا خطأ في فهمك، وإلا فالنص لا يدل على ذلك، ولا هذا ظاهر النص.

وظاهر الخطاب الذي هو مدلوله ومعناه يُعلم تارة من مفردات ألفاظه وموضوعها، وتارة التركيب وبها اقترن بالمفردات من التركيب الذي يُبين المراد ويُظهر معنى الخطاب، وتارة بالسياق الذي سبق له الكلام.

وإذا كان كذلك لم نُسَلِّم أن هذا تأويل، فإن أصّر على تسمية هذا تأويلاً كان نزاعاً لفظياً، وقيل له: ذلك تأويل يوافق مدلول النص ومقتضاه، وهذا تأويل يُخالف مدلوله ومقتضاه، وكل تأويل كان من القسم الأول نقول به، وإنما نرد التأويل الذي يُخالف مدلول كلام الله ومقتضاه. اهـ

ومن أمثلة ذلك :

١- **قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا يَحِثُّهُمْ إِلَّا هُوَ سَادُّهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، فقالوا: إن الله معنا، وفيينا، واحتجوا بقوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، وقد فسر العلماء هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وهذه الآية يحتج بها أهل التأويل على صحة مذهبهم، فيقولون لأهل السنة: كما أجزتم التأويل في هذه الآية وقبلتموه في أن الله تعالى ليس معهم بذاته بل بعلمه، فكذلك يلزمكم في سائر نصوص الصفات.

- قال الجويني في [الإرشاد] (ص ٤٠): فإن استدلوا [يعني: أهل السنة]

بظاهر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، فلو جه معارضتهم بأي يساعدوننا على تأويلها: منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ..

فنسألهم عن معنى ذلك، فإن حملوه على كونه معنا: بالإحاطة والعلم، لم يمتنع حمل الاستواء على: القهر، والغلبة .. اهـ

وقد رد أهل السنة على هذه الشبهة ودحضوها، ومن ذلك:

١- قال أبو عمر الطلمنكي: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستور على عرشه كيف شاء. اهـ [«العلو» للذهبي (٥٦٦)]

٢- قال ابن بطّة (٣٨٧هـ) رحمه الله في [الإبانة] (الرد على الجهمية) (١٤٤/٣): واحتج الجهمي بقول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا يَحِثُّهُمْ إِلَّا هُوَ سَادُّهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، فقالوا: إن الله معنا، وفيينا، واحتجوا بقوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، وقد فسر العلماء هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، إلى قوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، وقد فسر العلماء هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، عني بذلك علمه، ألا ترى أنه قال في أول الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، فرجعت الهاء والواو من (هو) على علمه لا على ذاته.

ثم قال في آخر الآية: ﴿ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فعاد الوصف على العلم، ويبيّن أنه إنما أراد بذلك العلم، وأنه عليهم بأمورهم كلّها.

ولو كان معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥] أنه إننا علم ذلك بالمشاهدة لم يكن له فضل على علم الخلاق، وبطل فضل علمه بعلم الغيب؛ لأن كل من شاهد شيئاً وعينه وحله بذاته فقد علمه، فلا يقال لمن علم ما شاهده، وأحصى ما عاينه: إنه يعلم الغيب؛ لأن من شأن المخلوق أن لا يعلم الشيء حتى يراه بعينه، ويسمعه بأذنه، فإن غاب عنه جهله إلا أن يُعلمه غيره فيكون مُعلِّماً لا عالِماً، والله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض، وما بين ذلك، وهو بكل شيء محيط بعلمه.

وأما قوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾، فقد فسّر ذلك في كتابه فقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق: ١٢] فبين أن تلك الإحاطة إنما هي بالعلم لا بالمشاهدة بذاته.. فتفهموا الآن رحمكم الله كُفر الجهمي؛ لأنه يدخل على الجهمي أن الله تعالى لا يعلم الغيب، وذلك أن الجهمي يقول: إن الله شاهد لنا، وحال بذاته، فسار في كل شيء ذراه وبراه.

وقد أكذبهم الله تعالى فقال: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] فأخبر أنه يعلم الغيب.

وقال: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] فوصف نفسه تعالى: بعلم الغيب والكبر والعلو. ووصفه الجهمي بضد ذلك.

٣ - وقال التيمي (٥٣٥هـ) رحمه الله في [الحجة في بيان المحجة] (٢/ ٢٩١):

فإن قيل: قد تأولتم قوله عز وجل: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، وحملتوه على العلم.

قلنا: ما تأولنا ذلك؛ وإنما الآية دلّت على أن المراد بذلك العلم؛ لأنه قال في آخرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ اهـ.

٤ - قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله في [مذم التاويل] (٩٣-٩٨): «فإن قيل: فقد تأولتم آيات وأخباراً؛ فقلتم في قوله تعالى: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [الحديد: ٤]، أي بالعلم، ونحو هذا من الآيات والأخبار فيلزمكم ما لزمنا.

قلنا: نحن لم نتأول شيئاً، وحمل هذه اللفظيات على هذه المعاني ليس بتأويل؛ لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره، وهذه المعاني هي الظاهر من هذه الألفاظ بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها.

وظاهر اللفظ هو ما يسبق إلى الفهم منه حقيقة كان أو مجازاً، ولذلك كان ظاهر الأسماء العرفية المجاز دون الحقيقة؛ كاسم الراوية والظعينة وغيرهما من الأسماء العرفية، فإن ظاهر هذا المجاز دون الحقيقة، وصرّفها إلى الحقيقة يكون تأويلاً يحتاج إلى دليل، وكذلك الألفاظ التي لها عرف شرعي وحقيقة لغوية؛ كالوضوء، والطهارة، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، إنما ظاهرها العرف الشرعي دون الحقيقة اللغوية.

وإذا تقرر هذا فالتبادر إلى الفهم من قولهم: (الله معك)، أي: بالحفظ والكلاءة، ولذلك قال الله تعالى فيها أخبر عن نبيه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنَ بِإِذْنِ اللَّهِ مَعَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال لموسى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْعَى وَرَأَيْتُ﴾ [طه: ٤٦]، ولو أراد أنه بذاته مع كل أحد لم يكن لهم بذلك اختصاص لوجوده في حق غيرهم كوجوده فيهم، ولم يكن ذلك موجباً لنفي الحزن عن أبي بكر ولا علة له.

فعلم أن ظاهر هذه الألفاظ هو ما حملت عليه فلم يكن تأويلاً، ثم لو كان

تأويلاً فما نحن تأولنا، وإنما السلفُ رحمة الله عليهم الذي ثبت صوابهم، ووجب اتباعهم هم الذين تأولوه؛ فإن: ابن عباس، والضحاك، ومالكاً، وسفيان، وكثيراً من العلماء قالوا في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: أي علمه، ثم قد ثبت بكتاب الله، والمتواتر عن رسول الله ﷺ، وإجماع السلف أن الله تعالى في السماء على عرشه، وجاءت هذه اللفظة مع قرائن مخوفة بها دالة على إرادة العلم منها، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ثم قال في آخرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٌ عِلْمٍ﴾، فبدأها بالعلم، وختمها به، ثم سياقها لتخويفهم بعلم الله تعالى بحالهم، وأنه يُنبئهم بما عملوا يوم القيامة ويُجازيهم عليه.

وهذه قرائن كلها دالة على إرادة العلم، فقد اتفق فيها هذه القرائن ودلالة الأخبار على معناها، ومقالة السلف وتأويلهم، فكيف يلحق بها ما يخالف الكتاب والأخبار ومقالات السلف !!؟ اهـ.

٥ - وقال ابن تيمية رحمه الله في [جامع المسائل] (٤/ ١٦٠): (الكلام في الآيات والأحاديث كلها على طريقة واحدة، والتأويل الذي ذمه السلف والأئمة هو تحريف الكلام عن مواضعه، وإخراج كلام الله ورسوله عما دل عليه وبينه الله به.. فقولهم: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ونحوها من الآيات ليس ظاهرها ولا مدلولها ولا مقتضاها ولا معناها أن يكون مختلطاً بالخلقين متمزجاً بهم، ولا إلى جانبهم مُتِيامناً أو مُتِياسراً، ونحو ذلك، لوجوه:

أحدها: أنه لم يقل أحدٌ من أهل اللغة إن المعية تقتضي المازجة والمخالطة.. ونحو ذلك من المعاني المنفية عن الله مع خلقه، وإنما تقتضي المصاحبة والمقارنة المطلقة.. إلى آخر ما ذكر من الأوجه، فراجعها إن أردت الزيادة.

٢ - قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]

نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى هذه الآية ﴿بِأَيْدٍ﴾: أي بقوة وقدرة.

فظن بعضهم أن هذا من تأويل آيات الصفات.

وليس كذلك؛ فإن الأيد هنا ليس هو جمع لليد التي هي الصفة.

- قال صاحب «مختار الصحاح»: قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ قلت: قوله تعالى: ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي: بقوة، وهو مصدر آد يئيد إذا قوي، وليس جمعاً ليد ليدكر هنا، بل موضعه باب الدال، وقد نصّ الأزهري على هذه الآية في الأيد بمعنى المصدر، ولا أعرف أحداً من أئمة اللغة، أو التفسير ذهب إلى ما ذهب إليه الجوهري من أنها جمع يد. اهـ

- وقال ابن خزيمة رحمه الله في [التوحيد] (١/ ١٢٨):

وزعم بعض الجهمية أن معنى قوله: «خلق الله آدم بيديه» أي: بقوته،

فزعم أن اليد هي القوة، وهذا من التبديل أيضاً،

وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تُسمى: (الأيد) في لغة العرب لا اليد،

فمن لا يفرق بين اليد والأيد فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتابيب أحوج منه إلى التروؤس والمناظرة. اهـ

[وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٣٤٢)]

٣- حديث: « يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي ».

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْتَمَكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أُسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي».

[رواه مسلم (٢٥٦٩)]

فأهل التعطيل من الجهمية وغيرهم يقولون لأهل السنة: يلزمكم أن تُمرّوا هذا الحديث على ظاهره فتثبتوا الله تعالى: (المرض، والجوع).

- قال القاضي أبو يعلى في [إبطال التأويل] (١/٢٢٤): اعلم أن هذا الخبر قد اقترن به تفسير من النبي ﷺ في بعضه، فوجب الرجوع إلى تفسيره، وذلك أنه فسر قوله: (مرضت، واستطعمت، واسقيت)، على أنه إشارة إلى مرضي وليه، واستسقاؤه، واستطعامه، وأضاف ذلك إلى نفسه إكراماً لوليه ورفعة لقدره، وهذه طريقة معتادة في الخطاب؛ يُخبر السيد عن نفسه ويُريد عبده إكراماً له وتعظيماً. اهـ

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [بيان تلبيس الجهمية] (٦/٩٦) وهو يرد على الرازي في استدلاله بهذا الحديث على تأويل أحاديث الصفات:

فقال: هذا من قلة المعرفة بأحاديث الرسول ﷺ ومعنى التأويل ما به يضل الجهول؛ وذلك أن هذا الحديث الصحيح له تمام آخر، ذكر فيه تفسيره، وأظهر فيه معناه، - ثم ذكر الحديث السابق - وقال:

فإذا كان الرَّبُّ لَمَّا قَالَ لعبده: (مرضت، وجعت)، قال: كيف أعودك وكيف أطعمك، قال: «إِنْ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ»، وعبدِي فَلَانٌ جَاعَ فَلَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، فهل يكون في إظهار المعنى وبيانه وكشفه وإيضاحه أبلغ من هذا الخطاب، وإذا كان المتكلم قد أظهر المعنى وبيّنه كيف يجوز أن يقول: لا بُدَّ مِنَ التَّأْوِيلِ فِي الظَّاهِرِ؟! والتَّأْوِيلُ: صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى غيره، فهل يجوز صرف هذا الكلام بتمامه عن هذا المعنى الذي أظهره المتكلم؟!!

بل لو قيل له: تأويل هذا الحديث: كفرٌ وضلالٌ لكان متوجّهاً.

فإن التأويل هو صرفه عن المعنى الظاهر إلى غيره، فالمعنى الذي أظهره الرسول صلى الله عليه وسلم المتكلم به هو أن المراد بقوله: (جعت): جوع عبدي، و(مرضت): مرض عبدي، فإن جاز أن يُصرف عن هذا المعنى اقتضى ذلك أن يكون الله نفسه هو الجائع المريض، وذلك كفر صريح...

ودعواه كثرة احتياج الأخبار إلى التأويل هو لقلة معرفتهم بها، فإنهم لا يميزون بين صدقها وكذبها، فكثيراً ما يسمعون الكذب ويعتقدونه من جنس الصدق مُبدلاً مُغيّراً، إمّا مزيداً فيه، وإمّا مُنقوصاً منه، وإمّا مُغيّراً في إعرابه، كما وجدنا ذلك لهم، ثم يكون حاجته إلى التأويل بحسب ذلك، وهذا لا يمكن في القرآن؛ لأن حروف القرآن محفوظة. اهـ

[وانظر: «مجموع الفتاوى» (٣/٤٤)، و«درء التعارض» (١/١٥٠) و(٥/٢٣٥)]

٤- **حديث:** «الحجر الأسود يمين الله في الأرض يُصافح به خلقه».

نقل الغزالي عن الإمام أحمد رحمه الله تأويل حديث: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض يُصافح به خلقه».

وقد تقدم بيان بطلان هذا النقل عن الإمام أحمد رحمه الله (ص ٣٤١).

- قال الدارمي (٢٨٠ هـ) رحمه الله في [«النقض» (٢/ ٤١٠-٤١١)]:

وروى المعارض أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما: «الرُّكن يمين الله في الأرض يُصافح به خلقه» فروى عن هذا الثلجي من غير سماع منه أنه قال: يمين الله نعمته، وبركته، وكرامته، لا يمين الأيدي.

فيقال لهذا الثلجي الذي يُريد أن ينفي عن الله بهذه الضَّلالاتِ يديه اللتين خلق بهما آدم: ويلك أيها الثلجي! إن تفسيره على خلاف ما ذهب إليه وقد علمنا يقينًا أن الحجر الأسود ليس بيد الله نفسه، وأن يمين الله معه على العرش، غير بائن منه؛ ولكن تأويله عند أهل العلم: أن الذي يصافح الحجر الأسود ويستلمه، كأنها يُصافح الله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فثبت له اليد التي هي اليد عند ذكر المبايعة، إذ سَمِيَ اليد مع اليد، واليد معه على العرش، وكقول النبي ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ قَبْلَ يَدِ السَّائِلِ»، فثبت بهذا أنه اليد التي هي اليد وإن لم يضعها المتصدق في نفس يد الله، وكذا تأويل الحجر الأسود إنَّها هو إكرامٌ للحجر الأسود، وتعظيم له، وتثبيت ليد الرحمن ويمينه لا النعمة كما ادَّعى الثلجي الجاهل في تأويله، وكما يقدر أن يكون مع كُلِّ صاحبِ نجوى من فوق عرشه، كذلك يقدر أن تكون يده فوق أيديهم من فوق عرشه. اهـ

- وقال ابن تيمية في [«بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ١٣٨)]:

هذا الحديث سواء كان عن ابن عباس أو كان مرفوعًا؛ فلفظه نصٌّ صريح لا يحتاج إلى تأويل؛ فإن لفظه: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن استلمه وقبله كأنها صافح الله وقبل يده».

وتسمية هذا تأويلًا أبعد من تسمية الحديث الذي فيه: (جعت)، وذلك أنه يمين الله في الأرض، فقوله: (في الأرض) مُتصل بالكلام، مُظهر لمعناه، فدلّ بطريق النص أنه ليس هو يمين الله الذي هو صفة له، حيث قال: (في الأرض)، كما لو قال الأمير - مخاطبًا للقوم في جاسوس له -: هذا عيني عندهم. فإن هذا نصٌّ في أنه جاسوسه الذي هو بمنزلة عينه، ليس هو عينه التي هي صفة.

فكيف يجوز أن يقال: إن هذا متأول مصروف عن ظاهره؟! وهو نصٌّ في المعنى الصحيح، لا يحتمل الباطل، فضلًا عن أن يكون ظاهره باطلاً.

وأيضًا فإنه قال: «من استلمه وقبله، فكأنها صافح الله وقبل يده»، فجعل المستلم له كأنها صافح الله تعالى، ولم يقل: فقد صافح الله، والمشبّه ليس هو المشبّه به، بل ذلك نصٌّ في المغايرة بينهما، فكيف يُقال: إنه مصروف عن ظاهره، وهو نصٌّ في المعنى الصحيح؟! اهـ

بل تأويل هذا الحديث لو كان مما يقبل التأويل أن يجعل الحجر عين يمين الله، وهو الكفر الصريح الذي فروا منه. اهـ

[وانظر: «الرد على البكري» (١/ ٥٩٣)، و«درء التعارض» (٣/ ٣٨٤) و(٥/ ٢٣٩)]

٥- حديث: «وَأَجِدُ نَفْسَ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ».

- قال القاضي في [إبطال التأويلات] (١/٢٤٩): عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «لَا تَسْبُوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ جَلَّ اسْمُهُ»، وفي لفظ آخر:

«فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ».

وروى ابن بطّة في بعض مكاتباته إلى بعض أصدقائه جواب مسائل سأله عنها بإسناده عن جابر قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرِّيحَ فَلَا تَسْبُوهَا؛ فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا، وَاسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا».

قال: اعلم أن شيخنا أبا عبد الله ذكر هذا الحديث في كتابه، وامتنع أن يكون على ظاهره في أن الرِّيحَ صفةٌ ترجع إلى الذات، والأمر على ما قاله، ويكون معناه: أن الرِّيحَ مما يُفَرِّجُ الله عزَّ وجلَّ بها عن المكروب والمغموم، فيكون معنى النَّفْسِ معنى: (التَّنْفِيسِ)، وذلك معروف في قولهم: نَفَسْتُ عَنْ فُلَانٍ، أَيْ فَرَجْتُ عَنْهُ، وكلمت زيدا في التَّنْفِيسِ عن غريمه، ويُقال: نَفَسَ اللَّهُ عَنْ فُلَانٍ كُرْبَهُ؛ أَيْ: فَرَجَ عَنْهُ، وروي في الخبر: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وروي في الخبر: «أَنَّ اللَّهَ فَرَجَ عَنْ نَبِيِّهِ بِالرِّيحِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ»، فقال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُثُودًا لَمْ تَرْوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، وإِنَّمَا وَجِبَ حَمْلُ هَذَا الْخَبَرِ عَلَى هَذَا وَلَمْ يَجِبِ تَأْوِيلُ غَيْرِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ رُوِيَ فِي الْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ:

«إِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَقُولُوا: إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»، وهذا يقتضي أن فيها شراً، وأنها مُرْسَلَةٌ، وهذه صفات المحدثات. اهـ

قال ابن تيمية رحمه الله في [بيان تلييس الجهمية] (٦/١٧٠): فهذا كلام القاضي وما ذكره فيه من كلام غيره، وقد بين أنه إِنَّمَا تَأْوَلُ هَذَا الْخَبَرَ؛ لِأَنَّهُ فِي الْخَبَرِ نَفْسُهُ مَا دَلَّ عَلَى صِحَّةِ التَّأْوِيلِ، ومثل هذا لا نزاع فيه، فإنه إذا كان في الحديث الواحد مُتَصَلًّا بِهِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَاهُ فَذَلِكَ كَمَثَلِ التَّخْصِصِ الْمُتَّصِلِ، ومثل هذا لا يقال فيه: إنه خلاف الظاهر، بل ذلك هو الظاهر بلا نزاع بين الناس. اهـ

- قال الدَّارِمِيُّ (٢٨٠هـ) رحمه الله في [النقض] (ص ٤٠١-٤٠٥): عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ. وَأَجِدُ نَفْسَ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ»، فقلت كالمنكر لهذا: تعالى الله عما نحله المبطلون، بأن ذلك نَفْسٌ يُخْرِجُ مِنْ جَوْفٍ.

فممن سمعت أئمة المعارض أن هذا نَفْسٌ يُخْرِجُ مِنْ جَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى؟ وهذا الحديث معروف معقول المعنى، جهلت معناه، فصرفته إلى غيره مما لم نَرِ أَحَدًا يَقُولُهُ، أو يذهب إليه،

إِنَّمَا فَتَرَهُ الْعُلَمَاءُ عَلَى الرُّوحِ الَّذِي يَأْتِي بِهَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الْيَمَنِ؛ لِأَنَّ مَهَبَ الرِّيحِ وَالرُّوحِ مِنْ هُنَاكَ عِنْدَهُمْ، فَأَمَّا أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ: (هُوَ نَفْسٌ يُخْرِجُ مِنْ جَوْفِ الرَّحْمَنِ) فَمَا سَمِعْنَا أَحَدًا يَقُولُهُ قَبْلَكَ، وَأَدْنَى مَا عَلَيْكَ فِيهِ الْكَذِبُ أَنْ تَرْمِي قَوْمًا مُشْتَعًا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُثَبِّتَهُ عَلَيْهِمْ، وهذا كقول النبي ﷺ: «الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ» أَيْ: أَنَّهُ جَاءَ مِنْ قَبْلِ مَكَّةَ. اهـ

٦ - قول الله تعالى: ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ أَفْكَسُوفُونَ﴾

يحتج المعطلة كذلك على صحة التأويل الباطل بتأويل بعض الآيات التي فيها نسبة النسيان لله تعالى، كقوله تعالى: ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ أَفْكَسُوفُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ [السجدة: ١٤]، وغيرها من الآيات التي فيها نسبة النسيان لله تعالى، فهم يقولون: كما جاز لكم تأويل هذه الآيات جاز لنا تأويل غيرها من الآيات.

وأهل السنة أجابوا عن ذلك بجوابين:

١ - أن الله تعالى قد نفى عن نفسه النسيان بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، وقوله: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

٢ - أن النسيان المذكور في الآيات التي استدلووا بها على جواز التأويل غير النسيان الذي نفاه الله عز وجل عن نفسه.

فالنسيان المنفي عن الله تعالى هو ما يقتضي نقصاً يجب تنزيه الله عنه، والذي يقدح في كمال علمه تعالى.

أما النسيان الذي جاء ذكره في هذه الآيات فهو من قبيل المعاملة بالمثل، والجزاء من جنس العمل، فجاء في سياق العقوبة لمن وقع منه نسيان وغفلة عما أخبر الله به من آياته وتكذيب للقاءه، فيعامل معاملة الناسي؛ لأن الله تعالى لا ينسى شيئاً علمه.

وقيل: النسيان هنا بمعنى الترك، أي أن الله تعالى يتركهم ولا يلتفت إليهم.

فالنسيان في لغة العرب يكون على معنيين:

١ - بمعنى ترك الشيء عن دُھول وغفلة،

وهذا الذي يُنزه الله تعالى عنه، وهو ضد الذكر.

٢ - ويكون بمعنى الترك عمداً.

وهو الذي عناه الله تعالى في الآيات التي أطلق النسيان على نفسه؛ لكن لا يُستعمل في حقه إلا مُقيداً.

[انظر: «معجم مقاييس اللغة» (ص ١٠٢٤)، «لسان العرب» (١٥/٣٢٢)، «المصباح المنير» (ص ٣١١)]

قال الترمذي في [«السنن» (٤/٦١٩)]: ومعنى قوله: «اليوم أنساك»، يقول: اليوم أتركك في العذاب، هكذا فُسرَّوه.

قال: وقد فُسرَّ بعض أهل العلم هذه الآية: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٥١] قالوا: إننا معناه: اليوم نتركهم في العذاب. اهـ

ورجَّح الله السلف إذ قالوا: إننا بلاؤهم من العُجْمة، وجهلهم بالعربية.

- قال الأصمعي (٢١٣هـ) رحمه الله: ترندق هؤلاء القوم لجهلهم باللغة العربية، ولو كانوا مطلعين على خفايا اللغة؛ لفهموا القرآن والحديث، ولما اعتراهم الشك في الدين. [«المزهر في علوم اللغة» (٢/٢١٧)]

- قال الحسن البصري رحمه الله في أهل البدع: إننا أهلكتهم العُجْمة. يتألون القرآن على غير تأويله.

الثالث: استدلالهم بما تنازع فيه أهل السنة من دلالة النص: هل يُراد به الصفة، أم لا؟

تنازع أهل السنة في بعض أفراد نصوص الصفات هل يُراد منها إثبات الصفة لله تعالى، أم لا؟

- فمن أمضاها على ظاهرها فقد سار على الأصل الذي اتفق عليه السلف الصالح من إمرار الصفات على ظاهرها من غير تأويل.

- ومن ذهب من أهل السنة إلى تأويلها وصرفها عن ظاهرها فلقرينة عنده:
١- إما لدلالة في النص.

٢- أو لثبوت نص آخر قيّد ما أُطلق في النص كما تقدم.

ولا يخفى أن هذا ليس من قبيل التأويل الفاسد الذي يذهب إليه أهل التعطيل لمجرد أنها توهم التشبيه في عقولهم الفاسدة.

- قال ابن القيم رحمه الله: وما هنا قاعدة يجب التنبيه عليها، وهي: أنه إذا ثبت عن مالك وأحمد وغيرهما شيء في موارد النزاع لم يكن فيه أكثر من أنه وقع بينهم نزاع في معنى الآية أو الحديث، وهو نظير اختلافهم في تفسير آية وحديث، وهذا أمر لم يزل في الأمة، فإن الصحابة قد تنازعوا في تفسير آيات وأحاديث؛ مثل تنازع ابن عباس وعائشة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، فقال ابن عباس: (رأى ربه)، وقالت عائشة: (بل رأى جبريل) .. ونظائر ذلك. فالحجة هي التي تفصل بين الناس.

[«مختصر الصواعق» (٣/ ١٢٣٩)]

* ومن أمثلة ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

فقد وقع في هذه الآية خلاف بين أهل السنة هل يؤخذ منها إثبات صفة الساق لله تعالى أم لا؟

فقد حكى بعضهم إثبات التأويل بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من التابعين في تأويل الساق في هذا الآية بأنه الشدة والكرب.

- قال ابن منده (٣٩٥هـ) رحمه الله في [«الرد على الجهمية» (٢)]: وقد اختلف الصحابة في معنى قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾. اهـ.

- وقد أجاب عن ذلك ابن تيمية رحمه الله في [«مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٩٤)] بقوله: وتام هذا أتى لم أجدهم تنازعوا إلا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وطائفة أن المراد به الشدة، أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه وطائفة؛ أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في «الصحيحين».

ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات، فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، نكرة في الإثبات لم يضيفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها

المعروف؛ ولكن كثيراً من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولاً له، ثم يريدون صرفه عنه ويجعلون هذا تأويلاً، وهذا خطأ من وجهين كما قدمنا غير مرة. اهـ

[وانظر كذلك «بيان تلييس الجهمية» (٥/٤٧٢)]

قلت: وأهل السنة لا يختلفون في إثبات صفة الساق لله تعالى كما ثبت في الحديث عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً».

[رواه البخاري (٤٩١٤)]

٢- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]

فقد اختلف في هذه الآية هل تدخل في صفات الله تعالى، أم لا؟
فقد روي عن مجاهد والشافعي رحمهما الله تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: قبة الله.

ففرح بذلك أهل التأويل والتعطيل فنسبوا التأويل إلى السلف.

وقد اعترض على ابن تيمية في قوله في «مجموع الفتاوى» (٦/١٥):
أملهت كل من خالفني ثلاث سنين إن جاء بحرف واحد عن السلف يخالف شيئاً مما ذكرته [يعني تأويلهم لنصوص الصفات].

فجاؤا له بهذه الآية وقول مجاهد والشافعي فيها، فأجاب رحمه الله عن هذا الشبهة بجواب طويل بين فيه أن هذه الآية ليست من آيات الصفات عند من تأولها، ثم قرر ذلك بالبراهين الدامغة لكل مبتدع مؤول حتى لم

يجدوا للكلامه جواباً.

وقال في «بيان تلييس الجهمية» (٦/٧٤) وهو يتكلم عن هذا التأويل: إن من قال من السلف والأئمة لم يقولوه لأنهم ينفون وجه الله الذي يراه المؤمنون في الآخرة، بل قالوه لأن ذلك ظاهر الخطاب عندهم؛ لأن لفظ الوجه مشهور أنه يقصد به الجهة، والقبلة: هي الجهة، وقد أخبر أن وجهه ثم، أي: في ذلك المكان، وهذا يناسب أن يكون قبلته في ذلك المكان؛ لأن صفته ليست في مكان.

فهذا القول ليس عندنا من باب التأويل الذي هو مخالفة الظاهر أصلاً، وليس المقصود نصر هذا القول، بل بيان توجيهه وأن قائله من السلف لم يكونوا من نفاة الصفة، ولا ممن يقول ظاهر الآية ممتنع. اهـ

قلت: أثبت أهل السنة والجماعة الوجه لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة، وإنما وقع الخلاف من بعضهم في هذه الآية هل يمكن الاستدلال بها على إثبات وجه الله أم لا ولم يأت تأويل هذه الصفة إلا عن الجهمية، وأفراخهم من الأشاعرة وغيرهم.

٣- حديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسيه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقتربت إلي شبراً اقتربت منه ذراعاً، وإن اقتربت إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيت هرولة».

[رواه الترمذي (٣٦٠٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح].

فهذا الحديث فيه نسبة الهرولة إلى الله تعالى، ولقد أمضاه أكثر أهل السنة

على ظاهره، ولم يتعرضوا إلى تأويله.

وقد صحَّ تأويله عن بعض أهل السُّنة؛ لقيام الدَّلِيل الصَّارف عندهم عن كونها صفة من صفات الله تعالى، لا أنه يوهم التشبيه والتمثيل كما يدعي ذلك الجهمية وأفرأخهم المعطلة فيجب عندهم تأويله.

ومن ذلك:

١- ما فسَّره به الترمذي رحمه الله في [«سننه» (٥/٥٨١)] فقال: يروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا» يعني بالمغفرة والرَّحمة، وهكذا فسَّر بعض أهل العلم هذا الحديث قالوا: إنَّما معناه يقول: إذا تَقَرَّبَ إِلَيَّ العبدُ بطاعتي وما أَمَرْتُ، أُسْرِعُ إِلَيْهِ بِمَغْفِرَتِي وَرَحْمَتِي، وَرُوي عن سعيد بن جُبَيْر أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمغفرتي. اهـ ثم ذكر إسناده عن سعيد بن جبير.

٢- وقول الأعمش رواه ابن بطة في [«الإبانة» (الرد على الجهمية) (٣/٣٣٧)].

٣- وكذا قال إسحاق بن راهويه كما في «مسائل» الكرماني (ص ٣٤٥): يعني من تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ شَبْرًا بِالْعَمَلِ تَقَرَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِالثَّوَابِ بَاعًا. اهـ

قلت: وهذا تأويل سائغ لمن ثبت عنده الحديث المفسَّر له؛ فإنَّ في بعض ألفاظه ما يُبين معناها، فلا يسمى هذا تأويلًا.

- قال القاضي أبو يعلى في [«إبطال التأويلات» (١/٢٣١)]:

وأما قوله: «مَنْ قَرَّبَ شَبْرًا، قَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا»، فالمراد به التَّقَرُّبُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ؛ لِأَنَّهُ رُوي ذَلِكَ مُفَسَّرًا فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ رَوَاهُ أَبُو

هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَنْ جَاءَ يَمْشِي أَقْبَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِالْخَيْرِ يُهْرُولُ»، فقد ورد التفسير من رسول الله ﷺ في ذلك، فلهذا قضينا بالملق منه على المقيد. اهـ

وقال أيضًا (٢/٤٥٠) بعد كلامه على تأويل هذا الحديث:

والذي يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ مَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «وَمَنْ جَاءَ يَمْشِي أَقْبَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِالْخَيْرِ يُهْرُولُ»، وقد ذكرنا إسناده، وهذه لفظة زائد قضينا بها على غيرها من الألفاظ المطلقة.

ويعضد ذلك تفسير السلف، وهو ما: نا أبو عبد الله بن البغدادى، عن ابن مالك، عن عبد الله بن أحمد، عن أحمد بإسناده عن أنس عن النبي ﷺ أنه ذكر الحديث. قال قتادة: والله أُسْرِعُ بِالْمَغْفِرَةِ.

ويُفَارِقُ هَذَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَخْبَارِ النُّزُولِ الدُّنْيَا، وَجِيئَهُ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ، وَأَنَّهُ مَحْمُولَةٌ عَلَى ظَاهِرِهَا فِي نُزُولِ الذَّاتِ، وَجِيءَ الذَّاتِ، لَا عَلَى وَجْهِ الْإِنْتِقَالِ، وَلَمْ يَجُزْ تَأْوِيلُهُ عَلَى نُزُولِ ثَوَابِهِ وَكَرَامَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي أَلْفَاظِهِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ، وَهَذَا هُنَا قَدْ جَاءَ التَّفْسِيرُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَلِهَذَا حَمَلْنَاهُ عَلَيْهِ. اهـ

قلت: وقوله: (لا على وجه الانتقال) من الألفاظ المبتدعة التي يكثر منها من لا يثبت حقيقة صفات الله تعالى اللاتقة كما سيأتي في مبحث (١٥).

والقاضي سَلَكَ فِي كِتَابِهِ هَذَا مَسْلَكَ أَهْلِ التَّفْوِيضِ فِي جَمِيعِ الصُّفَاتِ كَمَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيهِ عَلَى ذَلِكَ.

الرابع: أن يكون كلام السلف عن الصفة من باب الكلام عن معنى الصفة واللازم منها، لا من باب التأويل الفاسد لحقيقة الصفة.

فإن من «عادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير اللفظة بعض معانيها، أو لازماً من لوازمها، أو الغاية المقصودة منها، أو مثلاً يُنبّه السامع على نظيره، وهذا كثير في كلامهم لمن تأمله» مع عدم التعرض لصفات الله تعالى بنفي أو إثبات.

- قال ابن كثير رحمه الله في [«تفسيره» (١/١٢٢)] وهو يتكلم عما روي عن التابعين في التفسير: فتذكر أقوالهم في الآية، فيقع في عباراتهم تباین في الألفاظ، يحسبها بعض من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً؛ وليس كذلك؛ فإن منهم من يُعبر عن الشيء بلازمه، أو بنظيره، ومنهم من يُنص على الشيء بعينه، والكُلُّ بمعنى واحد في أكثر الأماكن، فليتنظرن لليبب لذلك. والله الهادي. اهـ

ومن أمثلة ذلك:

١ - صفة النور لله تعالى.

فإن أهل السنة يُثبتون لله تعالى صفة النور كما أثبتتها لنفسه في كتابه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

[انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/٧٣)، و(٦/٣٨٦)، و(٦/٣٩٢)]

أما المعطلة فقالوا: ذلك مجاز، واستدلوا على ذلك ببعض ما روي عن السلف الصالح، ومن ذلك:

- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: هادي أهل السموات والأرض.

- قال ابن القيم رحمه الله: لو صح ذلك عن ابن عباس فليس مقصوده به نفي حقيقة النور عن الله تعالى، وأنه ليس بنور، ولا له نور، كيف وابن عباس هو الذي سمع من النبي ﷺ قوله في صلاة الليل: «وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ»، وهو الذي قال لعكرمة لما سأله عن قوله: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: ويحك، ذلك نوره الذي هو نوره، إذا تجلّى بنوره لم يدركه شيء.

كيف ولفظ الآية والحديث ينبو عن تفسير النور بالهادي؛ لأن الهداية تختص بالحيوان، وأما الأرض نفسها والسماء فلا توصف بهدي، والقرآن والحديث وقول الصحابة صريح في أنه سبحانه نور السموات والأرض؛ ولكن عادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير اللفظة بعض معانيها، أو لازماً من لوازمها، أو الغاية المقصودة منها، أو مثلاً يُنبّه السامع على نظيره، وهذا كثير في كلامهم لمن تأمله، فكونه سبحانه هادياً لا يُنافي كونه نوراً. اهـ

[«مختصر الصواعق» (٣/١٠٤٧-١٠٤٨)]

وانظر نحوه في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/٥٢٣)]

٢ - حديث النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ وَيَسْتَرُّهُ» ... الحديث. [رواه البخاري (٢٤٤١)]

[والكف بالتحريك: الجانب والناحية، وكفنا الإنسان ناحيته عن يمينه وعن شماله وهما حضناه. وكفنا الطائر: جناحه].

[المجموع المغيث (٧٨/٣)، «الصحاح» (ص ٩٢٥)، «تهذيب اللغة» (١٥٢/١٠)]

- قال الخلال رحمه الله في [«السنة»] (باب يضع كنفه على عبده تبارك وتعالى):

أخبرني محمد بن أبي هارون، ومحمد بن جعفر، أن أبا الحارث حدثهم قال: قلت لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل - ما معنى قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ». قال هكذا نقول: يُدْنِيهِ وَيَضَعُ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، كما قال، يقول له: أتعرف ذنب كذا. [من كتاب «بيان تلبيس الجهمية» (١٨٥/٢)]

وقد فسر ابن المبارك رحمه الله هذا الحديث بلازمه، ولم يأوله بتأويلات الجهمية المعطلة الذين يقولون: إن المراد بهذا الحديث التمثيل لا الحقيقة.

- قال البخاري رحمه الله في [«خلق أفعال العباد» (٣٤٣)]:

قال عبد الله بن المبارك: كَنَفُهُ: يعني ستره. اهـ

- وقد بين الدارمي رحمه الله مقصود ابن المبارك رحمه الله من ذلك فقال في [«النقض على بشر المريسي» (ص ٤٦٨)]: فتأويل هذا: أنه على السِّرِّ مع القُربِ والدُّنُوِّ والمُنَاجَاةِ التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم. اهـ

قلت: ومراد الدارمي بالتأويل هنا: التفسير، وليس المراد به ما هو مُتعارف به عند أهل البدع من صرف الكلام عن حقيقته، كما تقدم.

فأهل السنة والأثر يثبتون الصفة ولازمها كما

- قال ابن تيمية في [«بيان تلبيس الجهمية» (١٤٤/٧)]: لا ريب أن (الغيرة)

تستلزم المنع والزجر مما يُغار منه، وكذلك: الغضب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، كما أن الحب والرِّضا يتضمن اقتضاء المحبوب المرضي، وطلبه، والأمر به؛ لكن كون الصفة تستلزم فعلاً من الأفعال، أو كون اللفظ يتضمن

ذلك لا يقتضي أن يكون الثابت مجرد اللازم دون الملزوم.

وقال: إن هذه الصفات كلها، والأحوال: كالغيرة، والغضب، والبغض، والمقت، والسخط، والحب، والرِّضا، والإرادة، وغير ذلك وهي مستلزمة لأُمُور أُخرى من أقوال وأفعال. فهل تُحمَل على تلك اللوازم ويبقى الملازم؟ أم يُثبتان جميعاً؟ أم يُفَرَّق بين البعض والبعض؟ فإن قيل بالأول لزم ثبوت المراد بالإرادة، وأن تكون إرادة الله هي المخلوقات، وكَلِمَ أيضاً وجود محبوب مرضي بلا محبة ولا رِّضا، بل يلزم وجود مخلوق بلا خلق، وهذا كُلُّه مما يقوله الجهمية من المعتزلة ونحوهم؛ فإنهم لا يثبتون خلقاً، ولا حُبّاً، ولا رِّضاً، ولا سخطاً، ولا غير ذلك سواء المفعولات التي هي من لوازم هذه الأمور في الشاهد ولهم في الإرادة نزاع كُلُّه باطل. اهـ

- وقال الدارمي رحمه الله في [«النقض» (ص ٤٨٦)]: وأمّا قولك: إن ضحكك: (رضاء ورحمته)؛ فقد صدقت في بعض؛ لأنّه لا يضحك إلى أحدٍ إلا عن رِّضا، فيجتمع منه الضَّحْكُ والرِّضا، ولا يصرفه إلا عن عدوٍّ، وأنت تنفي الضَّحْكُ عن الله، وتثبت له الرِّضا وحده. !! اهـ

- وقال ابن القيم رحمه الله في [«الصواعق المرسلة» (١٢١٨/٤)]:

إن الصِّفة يلزمها لوازم من حيث هي، فهذه اللوازم يجب إثباتها، ولا يصح نفيها إذ نفيها ملزوم كنفي الصِّفة؛ مثاله الفعل والإدراك للحياة، فإن كُـلَّ حيٍّ فعال مُدرك، وإدراك المسموعات بصفة السَّمْع وإدراك المبصرات بصفة البصر، وكشف المعلومات بصفة العلم والتمييز هذه الصفات، فهذه اللوازم يتنفي رفعها عن الصِّفة، فإنّها ذاتية لها، ولا يرتفع إلا برفع الصِّفة. اهـ

الخامس: استدلالهم بما صحَّ عن بعض أهل السنة من التأويل الذي لم يوافقهم عليه أئمة أهل السنة وعدوه من الأخطاء التي لا يتابعون عليها.

- قال الدارمي رحمه الله: إن الذي يريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء، ويتعلق بزيلاهم، والذي يؤم الحق في نفسه يتبع المشهور من قول جماعتهم، وينقلب مع جمهورهم، فهما آيتان يبتتان يستدل بهما على اتباع الرجل وعلى ابتداعه. اهـ

ومن أمثلة ذلك:

١ - ما رواه ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» (٢٩/١٩٢) عن وكيع، عن سُفيان، عن منصور، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ نَافِثَةُ﴾ (٢٤) إِنَّ رَبَّهَا نَافِثَةٌ [القيامة: ٢٣] قال: تنتظر الثواب من ربها. اهـ

فهذا التأويل لهذه الآية من مجاهد رحمه الله لم يوافق عليه أحد من أهل السنة، فإن أهل السنة قد أجمعوا على أن المراد بهذه الآية رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

- قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٥٧): قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ، وأقوال الصحابة، وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور، والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ، وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ. اهـ

- قال ابن منده رحمه الله في «الرد على الجهمية» (ص ١٠١): قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ نَافِثَةُ﴾ (٢٤) إِنَّ رَبَّهَا نَافِثَةٌ ﴿٢٥﴾ أجمع أهل التأويل كابن عباس وغيره

من الصحابة، ومن التابعين: محمد بن كعب، وعبد الرحمن بن سابط، والحسن بن أبي الحسن وعكرمة، وأبو صالح، وسعيد بن جبير وغيرهم، أن معناه: إلى وجه ربها ناظرة، والآخر نحو معناه، ومن روي عنه أن معناه: أنها تنتظر الثواب، فقول شاذ، لا يثبت. اهـ

- قال الدارمي رحمه الله في «الرد على الجهمية» (ص ١٠٨): واحتج محتج منهم بقول مجاهد، قال: تنتظر ثواب ربها. قلنا: نعم، تنتظر ثواب ربها، ولا ثواب أعظم من النظر إلى وجهه تبارك وتعالى.

فإن أئمتهم إلا تعلقاً بحديث مجاهد هذا، واحتجاجاً به دون ما سواه من الآثار؛ فهذا آية شذوذكم عن الحق، واتباعكم الباطل؛ لأن دعواكم هذه لو صحت عن مجاهد على المعنى الذي تذهبون إليه كان مدحوضاً القول إليه مع هذه الآثار التي قد صحت فيه عن رسول الله وأصحابه وجماعة التابعين، أو لستم قد زعمتم أنكم لا تقبلون هذه الآثار، ولا تحتجون بها، فكيف تحتجون بالآثار عن مجاهد إذ وجدتم سبيلاً إلى التعلق به لباطلكم على غير بيان، وتركتم آثار رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين إذ خالفت مذهبكم! فأمّا إذ أقررتم بقبول الأثر عن مجاهد، فقد حكمتكم على أنفسكم بقبول آثار رسول الله وأصحابه والتابعين بعدهم؛ لأنكم لم تسمعوا هذا عن مجاهد، بل تأثروا عنه بإسناد، وتأثروا بأسانيد مثلها، أو أجود منها عن رسول الله وأصحابه والتابعين ما هو خلافه عندكم، فكيف ألزمتكم أنفسكم اتباع المشتبه من آثار مجاهد وحده وتركتم الصحيح المنصوص من آثار رسول الله وأصحابه ونظراء مجاهد من التابعين إلا من رية وشذوذ عن الحق.

إن الذي يريد الشُّذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء، ويتعلق بزلانهم، والذي يؤم الحق في نفسه يتبع المشهور من قول جماعتهم، وينقلب مع جمهورهم، فهما آيتان بينتان يستدل بهما على اتباع الرجل وعلى ابتداعه. اهـ

- قال ابن بطة رحمه الله في [الإبانة] (الرد على الجهمية) (٣/٧٣):

ليس يجوز عند أحد ممن يعرف لغات العرب وكلامها أن يكون معنى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ الانتظار!؛ ألا ترى أنه لا يقول أحد: إني أنظر إليك، يعني أنتظر، وإثما يقول: أنتظر. فإذا دخل في الكلام (إلى) فليس يجوز أن يعني به غير النظر. يقول: أنظر إليك.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾، ولو أراد الانتظار لقال: (لربها مُنتظرة)، (ولربها ناظرة)، وذلك كُله واضح بين عند أهل العلم ممن وهب الله له علماً في كتابة، وبصراً في دينه... الخ.

[وانظر: «الصواعق المرسلة» لابن القيم (١/١٩٤)]

- قال الثعلبي: وقول مجاهد: إنها بمعنى: (تنتظر الثواب من ربها، ولا يراه شيء من خلقه) فتأويل مدخول؛ لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا: نظرت. كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ [الزخرف: ٦٦]، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً﴾ [يس: ٤٩]

وإذا أرادت به التَّمَكُّر والتدبر قالوا: نظرت فيه. فأما إذا كان النظر مقروناً بذكر إلى، وذكر الوجه، فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان.

وقال الأزهري: إن قول مجاهد: تنتظر ثواب ربها خطأ؛ لأنه لا يقال:

نظر إلى كذا بمعنى الانتظار. وإن قول القائل: نظرت إلى فلان، ليس إلا رؤية عين، كذلك تقوله العرب؛ لأنهم يقولون: نظرت إليه إذا أرادوا نظر العين، فإذا أرادوا الانتظار قالوا نظرتة.. [تفسير القرطبي (١٩/١٠٩)]

قلت: فقول مجاهد رحمه الله لم يوافقه عليه أحد من السلف الصالح فيما أعلم، ولا يمكن أن يقال من هذا القول: إن مجاهداً لم يكن يُثبت رؤية المؤمنين لربهم ﷻ في الجنة؛ لأن نصوص إثبات الرؤية لا تقتصر على هذه الآية. وقول الدارمي رحمه الله: (تنتظر ثواب ربها، ولا ثواب أعظم من النظر إلى وجهه تبارك وتعالى). قول حسن.

وقال الكرجي رحمه الله في تفسيره «نكت القرآن» (١/٤٤١): ورسول الله ﷺ أعرف بما أنزل عليه من مجاهد، مع أن مجاهداً لا يدفع نظر العين؛ لأنه قال: هي مُنتظرة تنتظر الثواب. وهي الزيادة التي قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. اهـ

ويشهد لهذا ما رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٤٢٩) قال: أخبرنا جرير، عن منصور قال: كان أناس يقولون في حديث أنهم يرون ربهم. قال: فقلت لمجاهد: إن أناساً يقولون: إنه يرى.

فقال: ألا تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، يقول: نضرة من السرور ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾.

وما رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٦٤) قال: حدثني أبو الربيع الزهراني، نا شريك، عن منصور، عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: ضاحكة، ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾.

٢ - تأويل ابن خزيمة رحمه الله لحديث الصورة.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ».

[رواه أحمد في «مسنده» (٢/٤٣٤، ٢٥١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٧٣)]

فقد خالف ابن خزيمة إجماع أهل السنة في عود الضمير إلى الله تعالى، فقد جاء في رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما يبين ذلك؛ وهو قوله ﷺ: «لَا تُقْبَحُوا الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ بَنِي آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ».

[رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٢٩)، والأجري في «الشرعية» (٧٢٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٩٨)]

وقد صحَّحه: أحمد وإسحاق بن راهويه رحمهما الله تعالى.

[انظر: «ميزان الاعتدال» (٢/٤٢٠)]

- قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبس الجهمية» (٦/٣٧٣):

والكلام على ذلك أن يقال: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مُستفيض من طرق مُتعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كُلِّها تدلُّ على ذلك ..

وقال أيضًا (٦/٣٧٦): لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة، جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى .. اهـ

- وقال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي (٥٣٢هـ) في كتابه الذي سَمَّاهُ «الفصول في الأصول، عن الأئمة الفحول، إلزاماً لذوي

البدع والفضول»: فأما إذا لم يكن السلف صحابياً نظرنا في تأويله، فإن تابعه عليه الأئمة المشهورون من نقلة الحديث والسنة، ووافقه الثقات الأئمة: تابعناه، ووافقناه؛ فإنه وإن لم يكن إجماعاً حقيقة إلا أن فيه مُشابهة الإجماع، إذ هو سبيل المؤمنين، وتوافق المتقين الذين لا يجتمعون على الضلالة، ولأن الأئمة لو لم يعلموا ذلك عن الرسول والصحابة لم يتابعوه عليه.

فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول، وإن صدر ذلك التأويل عن إمام معروف غير مجهول؛ نحو ما يُنسب إلى أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة من تأويل الحديث: «خلق آدم على صورته» فإنه يفسر ذلك بذلك التأويل، ولم يتابعه عليه من قبله من أئمة الحديث لما روي عن أحمد رحمه الله تعالى، ولم يتابعه أيضاً من بعده .. فهذا وأمثال ذلك لا نقبله ولا نلتفت إليه، بل نوافق ونتابع ما اتفق الجمهور عليه. اهـ [«بيان تلبس الجهمية» (٦/٤٠٤)]

قلت: وابن خزيمة رحمه الله كان شديداً على أهل الكلام، وكان يقول لأصحابه: ألم أنحكم غير مرة عن الخوض في الكلام؟

وقد صنف في الرد على الكَلابية والأشاعرة، وفضحهم، وردَّ على بدعهم، وقال: مَنْ نَظَرَ فِي كُتُبِي الْمَصْنُفَةِ ظَهَرَ لَهُ وَبَانَ أَنَّ الْكَلَابِيَّةَ كَذَبَةٌ فِيمَا يُحْكُونَ عَنِّي مِمَّا هُوَ خِلَافُ أَصْلِي وَدِيَانَتِي. [انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٢/٧٩)]

ثم هو لم ينكر صفة الوجه لله تعالى كالجهمية المعطلة، وإنما ضعف رأيه عن إثبات هذا الحديث وإمراره كما جاء كسائر الأحاديث، ورحم الله الإمام إسحاق بن راهويه إذ يقول عن هذا الحديث: صحيح، ولا يدعه إلا مُبتدع، أو ضعيف الرأي. [«مسائل الكوسج» (٣٣٣٢)]

فصل

في أن التأويل شرٌّ من التعطيل

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في [«الصواعق المرسلة» (١/٢٩٦-٣٠١)]:

(الفصل العاشر: في أن التأويل شرٌّ من التعطيل؛ فإنه يتضمن:

١- التشبيه،

٢- والتعطيل،

٣- والتلاعب بالنصوص، وإساءة الظن بها).

فإن المعطل والمؤول قد اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصفات.

وامتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص، وانتهاكه حرمتها، وإساءة الظن بها، ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال، فجمعوا بين أربعة محاذير:

١- المحذور الأول: اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله المحال الباطل، ففهموا التشبيه أولاً ثم انتقلوا عنه إلى:

٢- المحذور الثاني: وهو التعطيل؛ فعطلوا حقائقها بناءً منهم على ذلك الفهم الذي يليق بهم، ولا يليق بالرَّبِّ جلَّ جلاله.

٣- المحذور الثالث: نسبة التكلم الكامل العلم، الكامل البيان، التَّام

النصح إلى ضدّ البيان، والهدى، والإرشاد، وأن المتحيرين المتهوِّكين أجادوا العبارة في هذا الباب، وعبروا بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص، ولا ريب عند كلِّ عاقل أن ذلك يتضمن: أنهم كانوا أعلم منه، أو أفصح، أو أنصح للناس.

٤- المحذور الرابع: تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرمتها، فلو رأيتها وهم يلوكونها بأفواههم، وقد حلَّت بها المثالات، وتلاعبت بها أمواج التأويلات، وتقاذفت بها رياح الآراء، واحتوشتها رماح الأهواء، ونادى عليها أهل التأويل في سوق من يزيد، فبذل كلِّ واحدٍ في ثمنها من التأويلات ما يُريد، فلو شاهدتها بينهم وقد تخطفتها أيدي الاحتمالات، ثم قيّدت بعد ما كانت مُطلقة بأنواع الإشكالات، وعُزلت عن سلطنة اليقين، وجعلت تحت حُكم تأويل الجاهلين، هذا وطالما نُصبت لها حبال الإلحاد، وبقيت عُرضة للمطاعن والإفساد، وقعد الثقة على صراطها المستقيم، بالدفع في صدورهم والأعجاز، وقالوا لا طريق لك علينا، وإن كان لا بُدَّ فعلى سبيل المجاز... فلا إله إلا الله، كم هُدمت بهذه المعاول من معازل الإيمان؟! وتُلِمَّت بها حصون حقائق الشَّنة والقرآن؟! وكم أطلقت في نصوص الوحي من لسان كلِّ جاهل أخرق، ومُنافق أرعن، وطرقت لأعداء الدِّين الطريق، وفتحت الباب لكلِّ مُبتدع وزنديق؟! ومن نظر في التأويلات المخالفة لحقائق النصوص، رأى من ذلك ما يُضحك عَجَبًا، ويُكيي حُرْنًا، ويثير حمية للنصوص، وغضبًا قد أعاد عَذْبَ النصوص ملحًا أجاجًا، وخَرَجَتْ النَّاسُ من الهدى والعلوم أفواجًا... فكشفت عورات هؤلاء، وبيان فضائحتهم، وفساد قواعدهم، من أفضل الجهاد في سبيل الله.. الخ.

فصل

في بطلان قولهم : إن السلف كانوا يرون التأويل
وإنما سكتوا عنه لعدم الحاجة إليه في عصرهم

يزعم بعض المعطلة أن السلف الصالح كانوا يرون التأويل ويذهبون إليه؛ ولكن لم يخوضوا فيه لعدم الحاجة إليه في وقتهم.

ومن ذلك قول ابن حجر الهيتمي: والآيات والأحاديث التي فيها ذكر الوجه، واليد، فهذه ونحوها فيها مذهبان:

فذكر مذهب أهل التفويض ونسبه هبتاً إلى السلف الصالح،

ثم ذكر مذهب أهل التأويل، ثم قارن بينها فقال:

وبما قررته عليم أنه لا خلاف بين الفريقين؛ لأنهم جميعاً متفقون على التأويل!! وإنما اختار السلف عدم التفصيل؛ لأنهم لم يضطروا إليه لقلّة أهل البدع والأهواء في زمانهم!! والحلف التفصيل؛ لكثرة أولئك في زمانهم، والإجمال لا يغنيهم، فاضطروا إلى التفصيل. اهـ

قلت: قد تقدم بطلان نسبة التفويض إلى السلف.

وأما نسبة التأويل إلى السلف فهو من الكذب عليهم، كما قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٠٨/٥) بعد أن ذكر نحواً من قول ابن حجر السابق قال: (وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف). اهـ

فصل

مناظرة بين سني مثبت وجهي معطل

وهذه المناظرة حصلت بين عبدالله بن تيمية رحمه الله وبين جهمي معطل، ذكرها ابن القيم رحمه الله، والغرض منها هنا أن فيها أصل من الأصول التي تفحم كل مبتدع مؤول معطل لنصوص الصفات قبل الخوض معه في إبطال تأويلاته وتحريفاته للنصوص.

- قال ابن القيم رحمه الله في «الصواعق المرسلة» (١/٣٢٠): مناظرة جرت بين جهمي معطل وسني مثبت، حدثني بمضمونها شيخنا عبدالله ابن تيمية رحمه الله أنه جمعه وبعض الجهمية مجلس، فقال الشيخ:

قد تطابقت نصوص الكتاب والسنة والآثار على إثبات الصفات لله، وتنوعت دلالتها عليها أنواعاً توجب العلم الضروري بثبوتها، وإرادة المتكلم اعتقاد ما دلت عليه، والقرآن مملوء من ذكر الصفات، والسنة ناطقة بمثل ما نطق به القرآن مقرر له، مُصدّقة له، مُشتملة على زيادة في الإثبات؛ فتارة بذكر الاسم المشتمل على الصفة، كالسميع البصير، العليم القدير، العزيز الحكيم، وتارة بذكر المصدر، وهو الوصف الذي اشتقت منه تلك الصفة، كقوله: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَمَّيْنُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقوله: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ رِسَالَتِي وَاكِفِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُخَوِّنُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، وقوله في الحديث الصحيح: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، وقوله في دعاء

الاستخارة: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك» وقوله: «أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق»، وقول عائشة: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات). ونحوه.

وتارة يكون بذكر حكم تلك الصفة، كقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ١]، و﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].. ونظائر ذلك.

ويصرّح في الفوقية بلفظها الخاص، ولفظ العلو والاستواء، وأنه في السماء، وأنه ذو المعارج، وأنه رفيع الدرجات، وأنه تعرج إليه الملائكة، وتنزل من عنده، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأن المؤمنين يرونه بأبصارهم عياناً من فوقهم، إلى أضعاف أضعاف ذلك مما لو جمعت النصوص والآثار فيه لم تنقص عن نصوص الأحكام وآثارها.

ومن أبين المحال، وأوضح الضلال؛ حمل ذلك كله على خلاف حقيقته وظاهره، ودعوى المجاز فيه، والاستعارة، وأن الحق في أقوال النفاة المعطلين، وأن تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص، إذ يلزم من ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بُدّ منها، أو من بعضها وهي:

١- القدح في علم المتكلم بها. ٢- أو في بيانه. ٣- أو في نصحه.

وتقرير ذلك أن يقال: إما أن يكون المتكلم بهذه النصوص عالماً أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين، أو لا يعلم ذلك.

فإن لم يعلم ذلك والحق فيها؛ كان ذلك قدحاً في علمه، وإن كان عالماً أن الحق فيها، فلا يخلو؛ إما أن يكون قادراً على التعبير بعباراتهم التي هي تنزيه لله، بزعمهم عن التشبيه والتّمثيل والتّجسيم، وأنه لا يعرف الله من لم

ينزه بها، أو لا يكون قادراً على تلك العبارات، فإن لم يكن قادراً على التعبير بذلك، لزم القدح في فصاحته، وكان ورثة الصابئة، وأفراخ الفلاسفة، وأوقاح المعتزلة والجهمية وتلامذة الملاحدة؛ أفصح منه، وأحسن بياناً، وتعبيراً عن الحق، وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة أولياؤه وأعداؤه، موافقوه ومخالفوه، فإن مخالفيه لم يشكوا في أنه أفصح الخلق، وأقدرهم على حسن التعبير بما يطابق المعنى ويخلصه من اللبس والإشكال.

وإن كان قادراً على ذلك، ولم يتكلم به، وتكلم دائماً بخلافه وما يناقضه، كان ذلك قدحاً في نصحه. وقد وصف الله رسله بكمال النصح والبيان، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيمٍ لِّيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وأخبر عن رُسله بأنهم أنصح الناس لأُممهم، فمع النصح والبيان والمعرفة التامة، كيف يكون مذهب النفاة المعطلة أصحاب التحريف هو الصواب، وقول أهل الإنبات أتباع القرآن والسنة باطلاً؟. هذا مضمون المناظرة.

فقال له الجهمي: أنزل بنا إلى الوطاة. قلت له: ما أراد بذلك؟

قال: أراد أنك خاطبني من فوق، وتجوّهت عليّ بجاه لا يمكنني مقاومته، فأنزل بنا إلى مباحث الفضلاء، وقواعد النظائر، أو نحو هذا من الكلام.

فليتدبر الناصح لنفسه الموقن: بأن الله لا بُدّ سائله عما أجاب به رسوله في هذا المقام، وليتحيّز بعد إلى أين شاء؟ فلم يكن الله ليجمع بين النفاة المعطلين المحرفين، وبين أنصاره وأنصار رسوله وكتابه إلا جمع امتحان وابتلاء كما جمع بين الرُّسل وأعدائهم في هذه الدار. اهـ

[وقوله: (وتجوّهت): الجاه: المنزلة والقدر عند السلطان. والمعنى: أنك خاطبني من فوق، وبلغت جاهاً لا يمكنني مقاومته. «لسان العرب» (١٣/٤٨٧)، و«حاشية الصواعق»]

فصل

أمثلة لبعض التأويلات الفاسدة
ليكون السنني منها على حذر

يعلم كثير ممن يُحب السُّنة خطورة التأويل، وأنه مُخالف لطريقة السلف الصالح؛ ولكنه يجهل كيفية تأويل أهل الكلام لنصوص الصفات، فإذا اضطُر لقراءة بعض شروحاتهم انطوت عليه تأويلاتهم وتحريفاتهم فلا يتفطن لها، ولا يتنبه لتلك التأويلات التي حذر منها أهل السُّنة؛ فلهذا أُحييت أن يقف السنني على بعض تلك التأويلات حتى يكون منها ومن أمثالها على حذر.

فهم يُفسرون الاستواء: بالاستيلاء أو الملك، واليد: بالقدرة أو النعمة، والوجه: بالذات، والنفْس: بالحقيقة، والمحبة: بالإنعام أو الغفران، والرَّحمة: بالمغفرة أو الثواب، والغضب: بالإنكار أو العقاب، والمكر والاستهزاء والسُّخرية: بالمجازاة، وأمثال ذلك من التأويلات.

ومن أمثلة ذلك:

١ - ابن حزم الظاهري (٤٥٦هـ).

ومذهبه في باب الأسماء والصفات مذهب المعتزلة ممن يُثبتون الأسماء ويُنفون الصفات.

- قال عنه ابن تيمية رحمه الله في [درء التعارض] (٢٥٠/٥): قد بالغ في نفسي

الصفات، وردها إلى العلم؛ مع أنه لا يُثبت علماً هو صفة، ويزعم أن أسماء الله كالعليم والقدير، ونحوهما لا تدلُّ على العلم، والقدرة. اهـ

وقال في [«منهاج السُّنة» (٥٨٣/٢)]: وزعم ابن حزم أن أسماء الله تعالى الحسنى لا تدلُّ على المعاني، فلا يدلُّ عليمٌ على علم، ولا قديرٌ على قدرة، بل هي أعلام محضة! اهـ

قلت: ومن تأويلاته: تأويله لصفة السَّمع: بالحفظ، والبصر: بالعلم.

- قال ابن حزم في [«الفصل والنحل» (٣١٣/٢)]: وهو يتكلم عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

قال: والبصر قد يُستعمل في اللُّغة بمعنى: الحفظ... فمعنى هذا الخبر: لو كشفَ تعالى السُّتر الذي جعل دون سطوته؛ لأحرقَت عظمتُه ما انتهى إليه حفظه ورعايته من خلقه.

وكذلك قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه: الحمد لله الذي وسَّعَ سمعه الأصوات، إنما هو بمعنى: أن علمه وسَّعَ كُلَّ ذلك يعلم السرَّ وأخفى. اهـ

٢- يوسف بن عبد الله بن عبد البر المالكي (٤٦٣هـ).

وقد سلك مسلك أهل التأويل في بعض صفات الربِّ الفعلية: كالضحك، والاستحياء، والإعراض، والمكر، والاستهزاء، وغيرها.

قال في [«التمهيد» (٣٤٥/١٨)]: وأما قوله: «يضحك الله» فمعناه: يرحمُ الله عبده عند ذلك، ويتلقاه بالروح، والرَّاحة، والرَّحمة، والرَّأفة، وهذا مجازٌ مفهوم!!

وقد قال الله عز وجل في السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [البينة: ٨]، وقال في المجرمين: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا أَتَيْنَا مُتَهَمِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وأهل العلم يكرهون الخوض في مثل هذا وشبهه من التشبيه كله في: الرضا، والغضب، وما كان مثله من صفات المخلوقين. اهـ

قلت: وقد تقدم (ص ٣٢٧) أنه نقل الإجماع على النهي عن حمل نصوص الصفات على المجاز !!

٣- الجويني (٤٧٨هـ).

قال في «الإرشاد» (ص ١٥٥): والذي يصح عندنا: حمل اليمين على: القدرة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود.

وقال (ص ١٦١): حمل النزول وإن كان مضافاً إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين وما يتجه في تأويل الحديث أن يُحمل النزول على إسباغ الله نعماءه على عباده. اهـ

٤- الشاطبي (٧٩٠هـ) صاحب كتاب «الاعتصام»، و«الموافقات».

- قال في «الموافقات» (٢/ ١٥٠): تسمية الجزاء المرتب على الاعتداء اعتداءً مجازاً معروف مثله في كلام العرب، وفي الشريعة من هذا كثير كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿يَنْهَى بَيْكُودَكُمْ﴾ [الطارق: ١٦] إلى أشباه ذلك. اهـ

قلت: حمل الصفات على المجاز تأويل لها كما تقدم.

وقال أيضاً في كتابه «الاعتصام» (٢/ ٨٤٣): كلام الباري تعالى؛ إننا نفاه

من نفاه وقوفاً مع الكلام الملازم للصوت والحرف، وهو في حق الباري محال.

قلت: أهل السنة يثبتون الحرف والصوت في كلامه عز وجل كما دلت عليه النصوص الكثيرة، وليس ذلك بمحال عندهم كما ادعت المعطلة.

واعلم أن الشاطبي في كتابيه «الاعتصام»، و«الموافقات» قد سلك مسلك أهل التفويض وأهل التأويل، فأول صفة: العلو، والاستواء، والكلام، والرؤية، والحب، والبغض وغيرها من الصفات.

والعجب بعد هذا كله من محقق كتاب «الاعتصام»: (سليم الهلالي) فإنه لم يتعقب الشاطبي في هذه التأويلات والمخالفات الجلية، بل يقول في حاشية تحقيقه (١/ ٣٠٥): (فمن تتبع عقيدة المصنف .. من سياق كتابه وجد ما يثلج الصدر) !! اهـ

قلت: قد ثبتت فما وجد إلا خلاف ذلك. والله المستعان.

[وانظر كتاب: «الإعلام بمخالفات (الموافقات) و(الاعتصام)»]

٥- ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

- قال في «شرح الصحيح» (١/ ٣٥٢) قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده»: والمراد باليد هنا: القدرة. اهـ

- وقال في (٨/ ١٥٥): قوله: «الرحمن الرحيم»: اسمان من الرحمة، أي مُشتقان من الرحمة، والرحمة لغة: الرقة والانعطاف. وعلى هذا فوضفه به تعالى مجاز عن إنعامه على عباده. اهـ

- وقال أيضاً (٢/ ٥٣٠): قوله: (أغير): أفعل تفضيل من الغيرة -

بفتح الغين المعجمة -، وهي في اللغة تغير يحصل من الحمية والأنفة.. إلى قوله: وكل ذلك محال على الله؛ لأنه مُنَزَّة عن كل تغير ونقص، فيتعين حمله على المجاز.. إلخ.

وقد تعقبه الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله فقال: هذا كلامٌ غارٍ عن التحقيق، وإذا كان أعرفُ الخلق بربِّه محمد ﷺ قد نطق بهذا، وأخبر به عن ربِّه، فما المانع من إطلاق ما أطلقه، مع عَدَمِ التعرُّض له بشيء من التأويل؛ ولكن هذه بليَّةٌ أثبت بها من سلَّم قيادَه لغير الصَّادق المصدِّوق، الذي لا ينطق عن الهوى، وحكَّم عقلَه على الشَّرع، فلا حول ولا قوة إلا بالله. اهـ

قلت: ويوجد في شرحه لصحيح البخاري ما يُقارب (٢٠٠) مخالفة لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة!! والله المستعان.

٦- ابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ).

- قال في [«الإنافة في الصدقة والضيافة» (ص ١٠٥)] في قوله ﷺ: «فإن الله يتقبلها بيمينه» قال: اليمين هنا: كناية عن مزيد الرضا والقبول، وإعظام الجزاء، لاستحالة معناها على الله، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. اهـ

وقال في [«الفتاوى الحديثة» (ص ١٨٩)] وهو يقرر مذهب المعطلة في الصِّفات، قال: ومذهب الخلف: وهو أن يُخرج تلك النصوص عن ظواهرها، وتحمل على محامل تليق به تعالى: كحمل الاستواء على الاستيلاء، والوجه على الذات، والعين على تمام الرعاية، والكلاء على الحفظ، واليد على النعمة والقدرة، والرَّجل على القوم والجماعة، يقال: رَجُلُ الجراد أي جماعته، والقدم: على الجماعة المقدِّمين. اهـ

- قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: أما ابن حجر الهيتمي فهو من متأخري الشافعية، وعقيدته عقيدة الأشاعرة النُفاة للصفات. اهـ [«مجموعة الرسائل» (٤/ ٣٧١)، و«الدرر السنية» (٣/ ٢٢٥)]

٧- السيوطي (٩١١هـ).

قال في «تفسير الجلالين» (ص ١٣٨) في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ قال: مُبالغة في الوصف بالجوهر، وثني اليد لإفادة الكثرة إذ الغاية ما يبذله السَّخي من ماله أن يعطي بيديه. اهـ

٨- محمد بن علي بن أحمد الشوكاني (١٢٥٥هـ).

- قال في شرحه [«نيل الأوطار» (باب التشديد في الولايات) (٨/ ٢٦٣)]: «وكلتا يديه يمين» قال في النهاية: .. كُلُّ ما جاء في القرآن والحديث، من إضافة اليد، والأيدي، واليمين، وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله فإنها هو على سبيل المجاز، والاستعارة، والله مُنَزَّة عن التشبيه، والتجسيم. اهـ

قلت: أقر الشوكاني على هذا التأويل الباطل بإضافة صفات الله إلى المجاز على طريقة أهل التأويل والتعطيل كما سبق، وهي عقيدة ابن الأثير التي سار عليها في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»، والله المستعان.

وتفسير الشوكاني يَعْج بالتأويل لكثير من الصفات!

٩- المناوي (١٠٣١هـ).

قال في [«فيض القدير» (١/ ٤٧٣)]: (يرحمك من في السماء) اختلف في المراد بمن في السماء، فقليل: هو الله، أي: ارحموا من في الأرض شفقة،

يرحمكم الله تفضلاً؛ والتقدير يرحمكم من أمره نافذ في السَّماء، أو من فيها مُلكه وقدرته وسُلطانه، أو الذي في العلو والجلال والرفعة .. فهو من قبيل رضاه من السَّوداء بأن تقول في جواب: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء مُعبّرة عن الجلال والعظمة لا عن المكان !! اهـ

١٠ - محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ)

- قال في صفة الاستواء في [تفسير المنار] (٨/٤٥١): لم يشبه أحد من الصَّحابة في معنى استواء الرَّبِّ تعالى على العرش، على علمهم بتنزُّهه سبحانه عن صفات البشر وغيرهم من الخلق، إذ كانوا يفهمون أنَّ استواءه تعالى على عرشه عبارة عن استقامة أمر مُلكِ السَّموات والأرض له، وانفِرَادِهِ هو بتدبيره... - ثم يقول عن العرش: .. فهو كما تدلُّ اللَّغَةُ: مركزُ تَدْبِيرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ. اهـ

«وهذا إيغال في التأويل للاستواء وللعرش أيضًا، والعجب من صاحب كتاب... «المفسرون بين التأويل والإنبات في آيات الصِّفَات» كيف استشهد بهذا الكلام على إنبات موافقة رشيد رضا لمذهب السَّلف الصَّالح».

[نقلًا من كتاب: «مذهب أهل التفويض» (ص ٢٧٦)]

١١ - صديق حسن خان (١٣٠٧هـ).

قال في شرحه للبخاري «عون الباري» (٥/٤٣٣): قوله: «يتكفَّوها الجبار بيده»: بقدرته.

وقال في (٤/٦٥٩): «أعوذ بوجهك»: أي بذاتك.

وقال (٥/٧٣٢): «إن رحمتي تغلب غضبي»: المراد بالغضب لازمه، وهو إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب. اهـ

١٢ - شعيب الأرناؤوط.

قال في حاشية تحقيقه [لرياض الصالحين] (ص ٢٢٠): «إن رحمتي سبقت غضبي»: غضب الله ورضاه يرجعان إلى معنى: الإرادة، وإرادته الإثابة للمطيع تُسمى: رضى ورحمة، وإرادته عقاب العاصي وخذلانه يُسمى: غضبًا. اهـ

وقال: (ص ٣٢٥): (يُدْنِي الْمُؤْمِنَ مِنْ رَبِّهِ): أي يقرب المؤمن يوم القيامة من ربه دنو كرامة وإحسان، لا دنو مسافة.. اهـ

فهذه بعض الأمثلة على التَّأْوِيل ليكون القارئ منها ومن أمثالها على حذر.

وهذه التَّأْوِيلَات على فسادها وبعدها عن مراد الله تعالى ورسوله ﷺ إلا أنها راجت وانتشرت في الآفاق، وتداولها كثير من الجُهَّال.

ولرؤاها بين النَّاسِ عدة أسباب، ومن أعظمها ما ذكره ابن القيم في «الصَّواعق المرسلة» (٢/٤٣٦):

١- أن يأتي به صاحبه موهًا بزخرف الألفاظ، مكسوا حُلَّة الفصاحة والعبارة الرشيقة، فتسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسانه.

٢- أن يخرج المعنى الذي يريد إبطاله بالتَّأْوِيل في صورة مُستهجنة، تنفر عنها القلوب، وتنبو عنها الأسعاع، فيتخير له من الألفاظ أكرهها وأبعدها وصولاً إلى القلوب، وأشدّها نفرة عنها، فيتوهم السَّامِع أن معناها هو الذي

دلت عليه تلك الألفاظ، فيُسمون إثبات صفات الكمال لله تجسيمًا وتشبيهًا وتمثيلًا، ويُسمون إثبات الوجه واليدين له تركيبًا، ويسمون إثبات استوائه على عرشه وعلوه على خلقه فوق سمواته تحيزًا وتجسيمًا .. ويسمون الصفات أعراضًا، والأفعال حوادث، والوجه واليدين أبعاضًا .. فلما وضعوا لهذه المعاني الصحيحة الثابتة تلك الألفاظ المستكرة الشنيعة تم لهم من نفيها وتعطيلها ما أرادوه، فقالوا للأغمار والأغفال: اعلّموا أن ربكم مُنَزَّه عن الأعراض، والأغراض، والأبعاض، والجهات، والتركيب، والتجسيم، والتشبيه .. ولما أراد المتأولون المعطلون تمام هذا الغرض؛ اخترعوا لأهل السنة الألقاب القبيحة، فسموهم: حشوية، ونوابت، ونواصب، ومجبرة، ومجسمة، ومُشَبَّهة.

٣- أن يعزو المتأول تأويله وبدعته إلى جليل القدر نبهه الذكر من العقلاء، أو من آل البيت النبوي، أو من حل له في الأمة ثناء جميل، ولسان صدق ليحليه بذلك في قلوب الأغمار والجهال، فإن من شأن الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم، وأن يتلقوه بالقبول والميل إليه، وكلما كان ذلك القائل أعظم في نفوسهم كان قبولهم لكلامه أتم، حتى إنهم ليقدمونه على كلام الله ورسوله ويقولون هو أعلم بالله ورسوله منا.

فهذه من أعظم الأسباب التي جعلت هذا التأويلات المبتدعة تروج وتنتشر عند العامة والخاصة.

المبحث الثالث عشر:

نهي أهل السنة عن التشبيه والتمثيل
والتكليف في صفات الله عز وجل،
وتكفير المشبهة

يختلف معنى التشبيه عند أهل السنة، وعند الجهمية مُعْطَلَة الصفات.

١ - معنى التشبيه عند أهل السنة والجماعة.

- قال ابن البناء الحنبلي (٤٧١هـ) رحمه الله في [المختار في أصول السنة] (ص ٨١): المشبهة، والمُجَسِّمة: فهم الذين يجعلون صفات الله عز وجل مثل صفات المخلوقين؛ وهم كفّار. اهـ

- وقال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه (٢٣٨هـ) رحمه الله: إننا يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيد، أو مثلٌ يد، أو سمعٌ كسمع، أو مثلٌ سمع، فإذا قال: سمعٌ كسمع، أو مثلٌ سمع فهذا التشبيه.

وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يدٌ، وسمعٌ، وبصرٌ، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهًا. وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. اهـ

[«سنن» الترمذي (٣/ ٥١)، وعن نعيم بن حماد رحمه الله نحوه، وسيأتي]

- وكما قيل لإبراهيم بن أحمد بن شاقلاً (٣٦٩هـ) رحمه الله: أنتم المُشَبَّهة.

فقال: حاشا لله، المُشَبَّه الذي يقول: وجهٌ كوجهي، ويدٌ كيدي.

فأما نحن فنقول: له وجهٌ كما أثبت لنفسه وجهًا، وله يدٌ كما أثبت لنفسه يدًا، وَهُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ، ومن قال هذا فقد سَلِمَ.

[«طبقات الحنابلة» (٣/٢٣٩)]

٢ - معنى التشبيه عند الجهمية وغيرهم من مُعْطَلَةِ الصِّفَات.

يُريدون به: إثبات صفات الله الواردة في الكتاب والسنة.

- قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في [«الرد على الجهمية» (ص ١٠٤)]:

وزعم - يعني الجهم بن صفوان - أن من وصف الله بشيءٍ مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدث عنه رسوله ﷺ كان كافرًا، وكان من المُشَبَّهة، فأصل بكلامه بشرًا كثيرًا.. اهـ

٣ - ذم المُشَبَّه لم يرد في الكتاب والسنة ولا عن الصَّحابة والتابعين.

ليس في كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا كلام أحدٍ من الصَّحابة، ولا الأكابر من التابعين: (ذم المُشَبَّه)، و(ذم التشبيه)، أو (نفي مذهب التشبيه)، ونحو ذلك، وإنما اشتهر ذم هذا من جهة الجهمية نفاة الصفات، كما ذكره الإمام أحمد.

ومن تكلم فيه السلف مثل: عبدالرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وأحمد، وإسحاق، ونعيم بن حماد، وغيرهم فلمهم يريدون به: غلاة أهل

الإثبات الذين زادوا في الإثبات حتى مثلوا صفات الله بصفات خلقه.

فصارَ لفظ: (المُشَبَّه) مذمومًا في كلام هؤلاء، كما هو مذموم في كلام الجهمية؛ لكن بين المعنيين فرقٌ عظيم، ولهذا كانوا يُفسِّرون مرادهم، ويقولون: من أغرق في نفي التشبيه وذم المُشَبَّه: كان جَهِمِيًّا.

[انظر «بيان تلبس الجهمية» (١/١٠٩)، و(٦/٤٨٤)]

٤ - أول من أظهر مقالة المُشَبَّه.

التصريح بتشبيه الخالق بالمخلوق ظهر به الرافضة. فهم أرباب التشبيه وأهله، كما قال الجاحظ عنهم: (ليس على ظهورها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله)، فالجاحظ وإن كان مُعْتَرِلاً مُعْطَلًا إلا أن ما قاله عن الرافضة حق.

وأول الطوائف قولاً هم البابية أتباع: بيان بن سَمْعَانَ الذي ظهر في أوائل القرن الثاني، وزعم أن الله رجل من نور على صورة إنسان، وأنه يهلك كله إلا وجهه، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

وذكر ابن تيمية أن أول من عُرف عنه في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم. [انظر: كتاب «مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منهم» (١/١٧٨)]

٥ - موقف أهل السنة من المُشَبَّه.

اعلم وفقك الله لاتباع السنة أن أهل السنة كما حذروا من المؤولة المعطلة، فقد حذروا كذلك من المُشَبَّه المُمَثِّلَة لِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، وَيَتَوَاتَرُ لِلنَّاسِ شَاعَةً قَوْلُهُمْ وَخَطَرُهُ، وَنَزَّهُوا اللَّهَ تَعَالَى مَنْ أَنْ يَشَبَّهه أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ.

وسياتي عن كثير من السلف وأئمة أهل السنة التصريح بتكفير المشبهة كما صرّحوا بتكفير الجهمية.

٦ - كيفية ذات الله تعالى من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ولا مجال للعقل فيها؛ لأن الله تعالى لم يخبرنا بكيفية وكنه صفاته في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ.

وما وردت النصوص به إنما هو إثبات وجود الصفات لا إثبات كيفيةها. فتكلف العقل بالنظر والتفكير في الكيفية بدعة محرمة في الدين، لم يكلف الله تعالى الناس بها لما يُفضي ذلك إلى التمثيل والتشبيه.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠]، وبين سبحانه أنه لا تدركه الإبصار.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التفكير في الله تعالى، فقال: «تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله».

٧ - إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية.

عدم العلم بالكيفية لا يقدح في الإبان بالصفات، ومعرفة معانيها، فإثبات السلف للصفات إثبات وجود لا إثبات تسكييف، فهم يثبتون الصفات، ويفهمون معانيها، ويفسرونها، ويعتقدون ما دلّت عليه.

٨ - العلم بالكيفية فرع عن العلم بالذات.

من الأمور المتفق عليها بين العقلاء استحالة العلم بكيفية ذات الله

تعالى، ولهذا قال أهل السنة: إن العلم بكيفية الصفات من غير الممكن حصوله، إذ أن الصفات تابعة لذات الموصوف بها.

- قال التيمي الأصبهاني رحمه الله في [الحجة في بيان المحجة] (١/١٨٩): الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذاك إثبات الصفات، وإنّا أثبتناها لأن التوقيف ورد بها، وعلى هذا مضى السلف. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله في [مجموع الفتاوى] (٥/١١٤): وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: (كيف استوى، أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا، أو كيف يده) ونحو ذلك، فقل له: كيف هو في ذاته؟

فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري تعالى غير معلوم للبشر. فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مُستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفية، وإنّا تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي له. اهـ

٩ - معنى قولهم: (أمروها كما جاءت بلا كيف).

قول السلف قاطبة: (أمروها كما جاءت بلا كيف) أي بلا كيف يعقله البشر، لا أن المراد نفي الكيفية مطلقاً، فإن كُـلَّ شيء لا بُدَّ وأن يكون له كيفية معيّنة، ومراد السلف هو نفي العلم بهذه الكيفية، لا يعلم كيف الله عز وجل، ولا كيف صفاته إلا هو، وهذا من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فلا سبيل للوصول إليه.

فصل

في أقوال السلف الصالح ومن تبعهم من أهل العلم
في النهي عن التمثيل والتشبيه

ومما رُوي عن أهل السنة والجماعة في النهي عن التشبيه:

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما: ليس لله مثل. [«النقض» (٣١٢)]

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] يقول: هل تعلم للربّ مثلاً، أو شبيهاً؟

[تفسير الطبري (١٠٦/١٦)]

٣ - عن الحسن البصري (١١٠هـ) رحمه الله أنه سُئل هل تصفُ ربّك عزّ وجلّ؟ قال: نعم، أصفه بغير مثال.

[«السنة» لعبدالله (٤٩٩)، و«النقض» للدارمي (٣١١)، وفي إسناده انقطاع]

٤ - قال الفضيل بن عياض (١٨٧هـ) رحمه الله: ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف؛ لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه، وكذا النزول، والصّحاح، وهذه المباحاة، وهذا الاطلاع، كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يباهي، وكما شاء أن يطلع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف.

[«السنة» للخلال كما في «درء التعارض» (٢/٢٣-٢٤)]

٥ - قال عبدالرحمن الأصبهاني: سمعت عبدالرحمن بن مهدي (١٩٨هـ) يقول لفتى من ولد جعفر بن سُلَيّان: مكانك، ففقد حتّى تفرّق الناس.

ثم قال: تعرف ما في هذه الكورة [يعني: المدينة] من الأهواء والاختلاف، وكلّ ذلك يجري مِنّي على بال رضي؛ إلا أمرك وما بلغني. فإن الأمر لا يزال هيئاً ما لم يصبر إليكم [يعني: السُلطان] فإذا صار إليكم جلّ وعظم.

فقال: يا أبا سعيد وما ذاك؟!

قال: بلغني أنّك تتكلم في الربّ تبارك وتعالى وتصفه وتُشَبِّهه.

فقال الغلام: نعم، فأخذ يتكلم في الصّفة.

فقال: رُويك يا بُنَيّ حتّى تتكلم أوّل شيء في المخلوق، فإذا عجزنا عن المخلوقات فنحن عن الخالق أعجز وأعجز.

أخبرني عن حديث حدثنيه شعبة، عن الشيباني قال: سمعت زراً قال: قال عبدالله في قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨] قال: رأى جبريل له ستائة جناح؟

قال: نعم. فعرف الحديث.

فقال عبدالرحمن: صف لي خلقاً من خلق الله له ستائة جناح.

فبقى الغلام ينظر إليه.

فقال عبدالرحمن: يا بني، فإني أهوّن عليك المسألة، وأضع عنك خمسمائة وسبعة وتسعين، صف لي خلقاً بثلاثة أجنحة، ركّب الجناح الثالث منه موضعاً غير الموضعين اللذين ركبهما الله حتى أعلم.

فقال: يا أبا سعيد نحن قد عجزنا عن صفة المخلوق، ونحن عن صفة الخالق

أعجز وأعجز. فأشهدك أني قد رجعت عن ذلك، واستغفر الله.

[رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٩٣٢) و أبو نعيم في «الحلية» (٨/٩)].

٦ - قال وكيع (١٩٧هـ) رحمه الله يقول: وصف داود الجواربي - يعني: الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ -، فَكَفَّرَ فِي صِفَتِهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَرْيَسِي فَكَفَّرَ الْمَرْيَسِي فِي رَدِّهِ عَلَيْهِ، إِذْ قَالَ: هُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. [«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٩٣٥)]

٧ - قال علي بن عاصم (٢٠١هـ) رحمه الله: تكلَّم داود الجواربي في التشبيه، فاجتمع فقهاء واسط، منهم: محمد بن يزيد، وخالد الطَّحان، وهُشَيْم، وغيرهم، فأتوا الأمير، وأخبروه بمقالته، فأجمعوا على سفك دمه. فمات في أيامه، فلم يُصَلَّ عليه علماء أهل واسط.

[«الرد على الجهمية» لابن أبي حاتم (بيان تلبيس الجهمية ٥٠٢/٦)، و«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٩٣٣)]

٨ - قال الشافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله: .. وثبتت هذه الصفات، وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. [رواه الهكاري في «اعتقاد الإمام الشافعي» (٧)].

٩ - قال أبو داود الطيالسي (٢٠٤هـ) رحمه الله: كان سُفيان الثوري، وشُعبة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وأبو عوانة .. لا يُشَبِّهُونَ، ولا يُمَثِّلُونَ الحديث، لا يقولون: كيف؟ وإذا سُئِلُوا أَجَابُوا بِالْأَثَرِ.

[«الأسماء والصفات» للبيهقي (٩٠١)]

١٠ - قال نعيم بن حماد (٢٢٨هـ) رحمه الله: من شَبَّهَ اللَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ اللَّهَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، فَلَيْسَ فِيهَا وَصْفَ اللَّهِ بِهِ

نفسه ورسوله تشبيه. [«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٩٣٦)]

١١ - قال شاذ بن يحيى الواسطي: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ (٢٠٦هـ) فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ، مَا تَقُولُ فِي الْجَهْمِيَّةِ؟ قَالَ: يُسْتَتَابُونَ، إِنَّ الْجَهْمِيَّةَ: غَلَتْ فَتَفَرَعَتْ فِي غُلُوهَا إِلَى أَنْ نَفَتْ، وَإِنَّ الْمُسَبَّهَةَ: غَلَتْ فَتَفَرَعَتْ فِي غُلُوهَا حَتَّى مَثَلَتْ، فَالْجَهْمِيَّةُ: يُسْتَتَابُونَ، وَالْمُسَبَّهَةُ - كَذَا - رَمَاهُمْ بِأَمْرِ عَظِيمٍ.

[رواه ابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» كما في (بيان تلبيس الجهمية ٥٠٤/٦)، و«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٩٣٤)]

١٢ - قال أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رحمه الله: لَا تُشَبِّهُوا اللَّهَ بِخَلْقِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .. [«الحجة في بيان المحجة» (١/٤٣٦)]

١٣ - وعن حنبل أنه سأل أحمد: عَنْ قَوْلِ الْمُسَبَّهَةِ مَا يَقُولُونَ؟

قال: مَنْ قَالَ: بَصَرٌ كَبَصْرِي، وَيَدٌ كِيَدِي، وَقَدَمٌ كَقَدَمِي؛ فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ، وَهَذَا يَحْدَهُ، وَهَذَا كَلَامٌ سُوءٌ، وَهَذَا تَحْدُودٌ، وَالْكَلَامُ فِي هَذَا لَا أَحَبَّهُ. [«درء التعارض» (٣٢/٢)]

١٤ - قال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه (٢٣٨هـ) رحمه الله: مَنْ وَصَفَ اللَّهَ فَشَبَّهَ صِفَاتَهُ بِصِفَاتِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَ لَصِفَاتِهِ؛ إِنَّمَا هُوَ اسْتِسْلَامٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَلَمَّا سَنَّ الرَّسُولُ ﷺ.

[«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٩٣٧)]

١٥ - قال أبو عبد الله الرباطي: حَضَرْتُ يَوْمًا مَجْلِسَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ذَاتَ يَوْمٍ، وَحَضَرَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ، فَسُئِلَ عَنْ حَدِيثِ النَّزُولِ

أصحیح هو ؟ فقال: نعم.

فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب، أنزع من أن الله ينزل كل ليلة؟

قال: نعم. قال: كيف ينزل؟

قال: أثبتته فوق حتى أصف لك التزول.

فقال له الرجل: أثبتته فوق.

فقال له إسحاق: قال تعالى: ﴿وَبَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر/ ٢٢]

فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة.

فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟

[مجموع الفتاوى (٣٧٥/٥)]

١٦ - قال محمد بن إسماعيل البخاري (٢٦٥هـ) رحمه الله في «خلق

أفعال العباد» (٤٧٩): وقال عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة/ ٢٢]

فليس لصفة الله ند، ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين. اهـ

١٧ - قال أحمد بن سنان رحمه الله (٢٥٨هـ): المشبهة الذين غلوا

فجاوزوا الحديث، فأما الذين قالوا بالحديث فلم يزيدوا على ما سمعوا.

[الحجة في بيان المحجة (١٨٠/١)]

- قال التيمي رحمه الله في «الحجة في بيان المحجة» (١٨١/١) معلقاً على

ما تقدم: هؤلاء أهل السنة والمتمسكون بالصواب، وليس هم بالمشبهة، ما

شبهوا هؤلاء؛ إنما آمنوا بما جاء به الحديث، هؤلاء مؤمنون مصدقون بما

جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب والسنة. اهـ

١٨ - قال محمد بن سعيد المروزي: سئل أبو زرعة الرازي (٢٦٤هـ) عن

قول عيسى عليه السلام لله عز وجل: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾

[المائدة: ١١٦]، قال: لا يقال نفس كنفس؛ لأنه كفر، وقال: ﴿لِمَا خَلَقْتَ يَدَيَّ﴾

[ص: ٧٥] إن الله عز وجل خلق آدم بيده، ولا يقال: يد مثل يد، ولا يد كيد؛

لأنه كفر؛ ولكن نؤمن بهذا كله. [«التوحيد» لابن منده (٩٠٢)]

١٩ - قال عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله في «النقض» (ص

٥٤): أما قولك: (إن كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو موجود في الخلق

خطأ)، فإننا لا نقول: إنه خطأ كما قلت، بل هو عندنا كفر!! ونحن

لكيفيتها وتشبيهها بما هو موجود في الخلق أشد أنفاً منكم، غير أنا كما لا

نشبهها ولا نكيفها لا نكفر بها ولا نكذب ولا نبطلها بتأويل الضلال. اهـ

- وقال (ص ٥٧٨) في أثر ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس لله مثل):

ونحن نقول كما قال ابن عباس ليس لله مثل، ولا شبه، ولا كمثل شيء، ولا

كصفاته صفة، فقولنا: ليس كمثل شيء أنه شيء أعظم الأشياء، وخالق

الأشياء، وأحسن الأشياء، نور السموات والأرض.

وقول الجهمية: ليس كمثل شيء؛ يعنون أنه لا شيء؛ لأنهم لا يشبتون في

الأصل شيئاً، فكيف المثل؟ وكذلك صفاته ليس عندهم شيء.

والدلالة على دعواهم هذه الخرافات والمستحالات التي يحتجون بها في

إبطالها، واتخذوا قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ دلالة على الجهال ليرجوا

عليهم بها الضلال. كلمة حق يُبتغى بها باطل، ولئن كان السفهاء في غلط

من مذاهبهم، إن الفقهاء منهم على يقين. اهـ

٢٠ - قال ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) رحمه الله في «تفسيره» (١٤/١٤٨): قوله: ﴿فَلَا تَنْظِرُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] يقول: فلا تُمثّلوا الله الأمثال، ولا تُشَبِّهوا له الأشباه، فإنه لا مثّل له، ولا شَبَّه. اهـ

٢١ - قال ابن بطة (٣٨٧هـ) رحمه الله في «الإبانة» (الرد على الجهمية) (٣/٧٦): وقالت الجهمية: إنكم شبهتم ربكم بالقمر، فقلتم: «ترون ربكم كما ترون القمر».

فتفهموا رحمكم الله جهلهم وكذبهم، وافتراءهم على الله تعالى، وعلى رسوله، وعلى المؤمنين من عباده في كُلِّ أحوالهم، فهل سمعتم عن أحدٍ أنه قال: (إن الله تعالى مثل القمر)، وإنما يقال: إنه يُرى كما يرى القمر؛ ألا ترى أنك تنظر إلى القمر كما تنظر إلى الأرض، وليس القمر مثل الأرض؛ ولكن النظر مثل النظر؛ فننظر إلى الشيء العظيم كما ننظر إلى الشيء الصغير، وهما مختلفان، والنظر إليهما واحد.

ويجوز أن تقول: أهدى إليّ رجل فرساً، فأهديتُ إليه ثوباً، وأهدى إليّ شاةً فأهديتُ إليه بقرةً، فيقال له: لم فعلت ذلك؟ فيقول: أهديتُ إليه كما أهدى إليّ؛ فليس الثوب مثل الفرس، ولا الشاة مثل البقرة؛ ولكن الهدية مثل الهدية في الاسم.

واتفاق المعنى في الفعل لا في الشخصين، وكذلك النظر مثل النظر في الاسم، وليس المنظور إليه كله سواء. اهـ

٢٢ - قال ابن خزيمة (٣١١هـ) رحمه الله في «التوحيد» (١/١٩٣): فتدبروا يا أولي الأبواب ما نقوله في هذا الباب، في ذكر اليدين، كنحو قولنا في

ذكر الوجه، والعينين، تستيقنوا بهداية الله إياكم وشرحه جلّ وعلا صدوركم للإيمان بصفات خالقنا، وتعلّموا بتوفيق الله إياكم أن الحق والصواب والعدل في هذا الجنس مذهبنا مذهب أهل الآثار، ومُتَّبِعِي السُّنَنِ، وتَقِفُوا على جهل من يُسمّيهم مُشبّهة، إذ الجهمية المعطّلة جاهلون بالتشبيه. اهـ

٢٣ - قال ابن منده (٣٩٥هـ) رحمه الله في «كتاب التوحيد» (٣/٣٠٩): وكذلك نقول فيما تقدم من هذه الأخبار في الصفات في كتابنا هذا نرويها من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا قياس ولا تأويل على ما نقلها السلف الصادق عن الصحابة الطاهرة عن المصطفى ﷺ، ونُجْهَل من تكلم فيها إلّا ببيان عن الرسول ﷺ، أو خبر صحابي حضر التنزيل والبيان، ونبرأ إلى الله عزّ جلّ مما يخالف القرآن وكلام الرسول ﷺ. اهـ

٢٤ - قال ابن أبي زمنين (٣٩٩هـ) رحمه الله في «أصول السنة» (ص ٧٤): فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيّه صلى الله عليه وسلم، ليس في شيء منها تحديّد، ولا تشبيه، ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لم تره العيون فتحدّه كيف هو كينونيته؛ لكن رأته القلوب في حقائق الإيذان به. اهـ

٢٥ - قال ابن تيمية (٧٢٨هـ) رحمه الله في «المجموع» (١١/٤٨٢): فمن قال: إن علم الله كعلمي، أو قدرته كقدرتي، أو كلامه مثل كلامي، أو إرادته، ومحبته، ورضاه، وغضبه، مثل إرادتي، ومحبتي، ورضائي، وغضبي، أو استوائه على العرش كاستوائي، أو نزوله كنزولي، أو إتيانه كإتياني، ونحو ذلك، فهذا قد شَبَّه الله ومثله بخلقه تعالى الله عما يقولون؛ وهو ضالّ خبيث مُبْطَل، بل كافر.

ومن قال: إن الله ليس له علم، ولا قدرة، ولا كلام، ولا مشيئة، ولا سمع، ولا بصر، ولا محبة، ولا رضا، ولا غضب، ولا استواء، ولا إتيان، ولا نزول، فقد عطل أسماؤه الله الحسن، وصفاته العلى، وألحد في أسماؤه الله وآياته، وهو ضالٌ خبيث مبطل، بل كافرٌ.

بل مذهب الأئمة والسلف إثبات الصفات، ونفي التشبيه بالمخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل. اهـ

وقال في [«الدرء» (١٤٥/٤)] وهو يتكلم عن التشبيه: دلّ على نفيه الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، واستفاض عنهم الإنكار على المشبهة الذين يقولون: يد كيدي، وبصر كبصري، وقدم كقدمي، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وأيضاً نفى ذلك معروف بالدلائل العقلية التي لا تقبل النقيض. اهـ

٢٦ - قال ابن القيم رحمه الله في [«بدائع الفوائد» (٢٢٩/١)] وهو يتكلم عن أنواع الإلحاد في أسماؤه الله تعالى قال:

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً. فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله أتباع رسوله ﷺ وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يحددوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء

والصفات، ونفوا عنه مُشابهة المخلوقات؛ فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه، وتنزيههم خلياً من التعطيل، لا كمن شبهه حتى كأنه يعبد صنماً، أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدماً.

وأهل السنة وسط في النحل، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، تُوقد مصابيح معارفهم من: ﴿شَجَرَةٌ مُبْرَكَةٌ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥]، فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره، ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله، إنه قريب مجيب. اهـ

فصل

من علامة المعطلة ،
تسمية أهل السنة : (مُشَبَّهة)

على كثرة ما وردَ عن أهل السُّنة من النَّهي عن التمثيل صفات الله تعالى بخلقه، بل وتكفير المثلة المُشَبَّهة؛ إلا أن مُعْطَلَة الصِّفَات لا يزالوا يلمزون أهل السُّنة ويصمونهم بوصم: (التَّشْبِيهِ، والتَّجْسِيم)، وسبب نبرهم بذلك:

١ - أن التشبيه عند المعطلة هو إثبات الصِّفَات كما تقدم.

قال ابن تيمية رحمه الله في [«منهاج السنة» (١٠٥/٢)]: فالمعتزلة والجهمية ونحوهم من نفاة الصِّفَات يجعلون كُلَّ من أثبتها: (مُجَسِّمًا) (مُشَبَّهًا). اهـ

٢ - أنهم يُريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم؛ لِيُنْفَرُوا العامة منهم.

- قال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رحمه الله: وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السُّنة، يُريدون بذلك عيبهم، والطعن عليهم، والوقيعة فيهم، والإضرار بهم عند السُّفهاء والجهال؛ أما الجهمية فإنهم يسمون أهل السُّنة: (المُشَبَّهة)، وكذب الجهمية أعداء الله؛ بل هم أولى بالتشبيه. فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رُسُل ربنا بالحق. [«إبطال التأويلات» (٤٦/١)]

- قال حرب الكرمانى (٢٨٠هـ) رحمه الله في عقيدته [المسائل (ص ٣٦٦)]: وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة فسموا بها

أهل السُّنة يريدون بذلك عيبهم، والطعن عليهم، والوقيعة فيهم، والازدراء بهم عند السُّفهاء والجهال؛ أما الجهمية فإنهم يسمون أهل السنة مشبَّهة .. اهـ

- قال ابن خزيمة (٣١٠) رحمه الله في [«التوحيد» (٧٦/١)]: فاسمعوا يا ذوي الحِجَابِ ما نقول في هذا الباب، ونذكر بهت الجهمية، وزُورهم وكذبهم على علماء أهل الآثار، ورَمِيهم خيار الخلق بعد الأنبياء بما الله قد نَزَّههم عنه، وبرَّاهم منه، بتزوير الجهمية على علمائنا أنهم: (مُشَبَّهة). اهـ

- قال ابن بطة رحمه الله في [«الإبانة الكبرى» (٧١/٣)]: فإن بعض المعتزلة إذا وضح عندهم صحة الروايات، والآثار الصحيحة التي لا يجوز عليها التواطؤ، والاستحالة؛ قالوا: قد قال النبي ﷺ ذلك؛ ولكن النبي ﷺ كان مُشَبَّهًا. والمشبَّه عندهم كافر مُلْحِد.

فأعظم من قولهم في نبيهم ﷺ كلامهم في ربهم، ولحادهم في أسماؤه، وجحدهم لصفاته، وإبطالهم رُبوبيته. اهـ

* ومن أمثلة ذلك :

١ - قال ثُمَامَة بن أُشْرَس - هو من رؤساء الجهمية -:

ثلاثة من الأنبياء مُشَبَّهة:

موسى حيث قال: ﴿إِنِّى إِلَآ فِتْنَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]

وعيسى حيث قال: ﴿تَعَلَّمَ مَآ فِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَآ فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]

ومحمد حيث قال: «ينزل ربنا». [مجموع الفتاوى (١١٠/٥)]

٢ - قال الشهرستاني في [«الملل والنحل» (٩٣/١)] وهو يتكلَّم عن مُثَبَّة

الصفات: ثم إن جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا: لا بُدَّ من إجرائها على ظاهرها، فوقعوا في التشبيه الضرف، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف !! اهـ

٣ - نقل ابن حجر العسقلاني في شرحه للبخاري رحمه الله عن كثير من مُعطلة الصفات وصم أهل السنة بالتشبيه والتجسيم ولم يتعقبهم بشيء !

ومن ذلك:

أ - قول ابن بطال (٤٠٦/١٣): وقالت الجسميّة معناه - [يعني: الاستواء] - : الاستقرار. اهـ

ب - وقوله (٣٦٨/١٣): وفي الحديث إثبات اليمين صفة لله تعالى من صفات ذاته، وليست جارحة !! خلافاً للمجسمة. اهـ

٤ - قال القرطبي صاحب «المفهم» (٦٧٠/٦): (المجسمة): الذين جمعوا ما وقع في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره الجسمية !! حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسمٌ مجسّم، وصورة مُصوَّرة، ذات وجه، وعين، ويد، وجنب، ورجل، وأصابع !!... اهـ

٥ - قال الشوكاني في «إرشاد الفحول» (٢٣/٢) وهو يتكلم فيما يدخله التأويل، فقال: والثاني: الأصول: كالعقائد، وأصول الديانات، وصفات البارئ ﷻ. وقد اختلفوا في هذا القسم على ثلاثة مذاهب: الأول: أنه لا مدخل للتأويل فيها، بل يجري على ظاهرها، ولا يؤول شيء منها، وهذا قول المشبهة. !!

ولم يكتفوا بذلك بل صنّفوا في الردّ على أهل السنة المُصنّفات الكثيرة

لنفي الصفات، وتعطيل حقيقتها عن الله تعالى، ومن ذلك:

١ - كتاب «التوحيد وكفر المشبهة» لبشر المريسي الجهمي (٢١٨ هـ).
[«السير» (٢٠١/١٠)]

٢ - كتاب الردّ على المشبهة لابن الثلجي الجهمي (٢٦٧ هـ).

٣ - كتاب «دفع شبه التشبيه بكفّ التنزيه» لابن الجوزي (٥٩٨ هـ).

وقد نشره حامل لواء الجهمية حسن السّفاف، وحاشه بأقوال الجهمية وغيرهم من أهل البدع، مع ما فيه من الكذب والبهتان على أئمة أهل السنة.
٤ - كتاب «مُشكل الحديث» لابن فورك (٤١٠ هـ).

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«بيان تليس الجهمية» (١٥٥/٧)]: وابن فورك جمع في كتابه من تأويلات بشر المريسي ومن بعده ما يُناسب كتابه. اهـ

٥ - كتاب «الردّ على المشبهة» لابن عساكر (٥٧١ هـ) وغيره.

٦ - «تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه» للسيوطي (٩١١ هـ).

فهذه الكتب وأمثالها ألّفت للردّ على أهل السنة والجماعة، ونبزهم بالتشبيه والتجسيم. والله المستعان.

وتتبع المتأخرين في هذا البهتان يطول، والمقصود بيان أن أهل السنة بريئون من هذا الوصم، وأن نيزهم بذلك من الكذب عليهم، فإثمهم قد صرحوا بنفي التشبيه والتّمثيل في صفات الله تعالى، بل وكفّروا من اعتقده وقال به؛ ولكن هذه سنة الله تعالى في أهل الحقّ والسنة من عهد النبوة، فقد كان المشركون يُلقّبون النبي ﷺ باللقاب افتروها؛ تارة مجنوناً، وتارة شاعراً،

وتارة كاهنًا، وتارة مُفتريًا .. الخ.

- قال قتيبة بن سعيد رحمه الله: إذا قال الرجل: المشبهة؛ فاحذره؛ فإنه يرى رأي جهم. «ذم الكلام» (١١٧٧).

- قال ابن خزيمة (٣١١هـ) رحمه الله في «التوحيد» (١/٥٦): من رمى أهل الآثار القائلين بكتاب ربهم، وسنة نبيهم بالتشبيه؛ فقد قال: الباطل، والكذب، والزور، والبُهتان، وخالف الكتاب والسنة، وخرَج من لسان العرب. اهـ

- وقال أبو زرعة الرّازي (٢٦٤هـ) رحمه الله: فمن نسب الواصفين ربهم تبارك وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ من غير تمثيل، ولا تشبيه: إلى (التشبيه)؛ فهو مُعطل، نافٍ، ويُستدلّ عليهم بنسبتهم إياهم إلى التشبيه أتهم مُعطلّة نافية، كذلك كان أهل العلم يقولون، منهم: عبد الله ابن المبارك، ووکیع بن الجراح. اهـ [الحجة في بيان المحجة] (١/١٨٧).

- وقال ابن تيمية (٧٢٨هـ) رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٥/١١٠):

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: هذا جهميّ مُعطل؛ وهذا كثيرٌ جدًا في كلامهم، فإن الجهميّة والمعتزلة إلى اليوم يُسمّون من أثبت شيئًا من الصفات: (مُشبّهًا) - كذبًا منهم وافتراء - .. وحتى إن جُلَّ المعتزلة تُدخلُ عامّة الأئمة مثل: مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم في قسم المُشبّهة. اهـ

وقد ذكر أهل العلم أن من علامة أهل البدع: تسمية أهل السنة: (مُشبّهة)، و(مُجسّمة).

- قال علي بن المديني (٢٣٤هـ) رحمه الله: من قال: (فلان مُشبّه)، علّمنا أنه جهمي. [اعتقاد أهل السنة] للالكائي (١/١٤٧).

- وقال أبو حاتم الرّازي (٢٧٧هـ) رحمه الله: وعلامة أهل البدع: الوقعة في أهل الأثر، وعلامة الجهميّة: أن يُسموا أهل السنة: (مُشبّهة)، و(نابذة). اهـ [اعتقاد أهل السنة] للالكائي (١/١٨٢).

- وقال البربري (٣٢٩هـ) رحمه الله في «شرح السنة» (١٤١):

وإن سمعت الرجل يقول: فلان مُشبّه، وفلان يتكلّم في التشبيه؛ فاعلم أنه جهمي. اهـ

- قال ابن القيم رحمه الله في «الصواعق المرسلة» (٣/٩٥٠):

وهكذا شأن كل مُبتدع ومُلاحِد، وهذا ميراث من تسمية كُفّار قريش لرسول الله ﷺ وأصحابه: (الصّباة)، وصارَ هذا ميراثًا منهم لكل مُبطلٍ ومُلاحِدٍ ومُبتدعٍ يُلقب الحقّ وأهله بالألقاب السّنيعة المنفّرة ..

فإذا قالوا لمن أثبت الصفات إنّه: (مُشبّه)، صوّروا في الدّهن قومًا يقولون: إن الله مثلهم، وله وجهٌ كوجوههم، وسمِع كأصواتهم .. ويدان كأيديهم، ونزولٌ كنزولهم ..

وإذا قالوا: (حشويّة)، صوّروا في ذهن السّامع قومًا قد حشوا في الدّين ما ليس منه، وأدخلوه فيه، وهو حشوّ لا أصل له. اهـ [وانظر: (١/٢٦٣)]

فصل

مُعْطَلَةُ الصِّفَاتِ هِيَ الْمُشَبَّهَاتُ

إِنَّ مُعْطَلَةَ الصِّفَاتِ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ نُصُوصِ الصِّفَاتِ إِلَّا مَا هُوَ اللَّائِقُ
بِالْمَخْلُوقِ؛

١ - فوقعوا في التشبيه أولاً،

ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ

٢ - ففروا منه إِلَى التَّعْطِيلِ ثَانِيًا.

[انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٧/٥-٢٨)، و«المدارج» (٣/٣٧٧)]

٣ - ثُمَّ وَقَعُوا فِي التَّشْبِيهِ مَرَّةً أُخْرَى بِأَنْ شَبَّهُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالنَّاقِصِ كَمَا

- قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي [«خُلُقِ أَفْعَالِ الْعِبَادَةِ» (ص ٣٥-٣٦)]:

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْجَهْمِيَّةَ هِيَ الْمُشَبَّهَةُ؛ لِأَنَّهُمْ شَبَّهُوا رَبَّهُمْ
بِالْصَّنَمِ، وَالْأَصَمِّ، وَالْأَبْكَمَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَخْلُقُ.

وَقَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: وَكَذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يُبْصِرُ بِنَفْسِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ اسْمَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

- وَقَالَ الدَّارِمِيُّ (٢٨٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي [«رَدِّهِ عَلَى الْمُرْسِيِّ» (ص ١٢٩)]:

وَكَيْفَ اسْتَجَزَتْ أَنْ تُسَمَّى أَهْلُ السُّنَّةِ وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِصِفَاتِ اللَّهِ الْمَقْدُوسَةِ:

(مُشَبَّهَةٌ)؛ إِذْ وَصَفُوا اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ بِأَلْأَشْيَاءِ الَّتِي أَسْمَاؤُهَا
مَوْجُودَةٌ فِي صِفَاتِ بَنِي آدَمَ بِلَا تَكْيِيفٍ، وَأَنْتَ قَدْ شَبَّهْتَ إِيَّاهُ فِي يَدَيْهِ وَسَمِعِهِ

وَبَصَرِهِ: بِأَعْمَى وَأَقْطَعَ، وَتَوَهَّمَتْ فِي مَعْبُودِكَ مَا تَوَهَّمَتْ فِي الْأَعْمَى وَالْأَقْطَعَ،
فَمَعْبُودُكَ فِي دَعْوَاكَ مُجَدَّعٌ مَنْقُوصٌ، أَعْمَى لَا بَصَرَ لَهُ، وَأَبْكَمَ لَا كَلَامَ لَهُ، وَأَصَمٌ
لَا سَمْعَ لَهُ، وَأَجْذَمٌ لَا يَدَانِ لَهُ، وَمُقْعَدٌ لَا حَرَكَ بِهِ !!! وَلَيْسَ هَذَا بِصِفَةِ إِلَهٍ
الْمُصْلِينَ، أَفَأَنْتَ أَوْحَشَ مَذْهَبًا فِي تَشْبِيهِكَ إِيَّاهُ بِهَؤُلَاءِ الْعُمَيَّانِ، وَالْمَقْطُوعَيْنِ،
أَمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ مُشَبَّهَةً، إِذْ وَصَفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِمَا تَشْبِيهِ؟
فَلَوْلَا أَنَّهَا كَلِمَةٌ هِيَ مَحَنَةُ الْجَهْمِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَنْبِزُونَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا سَمِينَا مُشَبَّهًا
غَيْرَكَ، لِسَجَاةٍ مَا شَبَّهْتَ وَمَثَلْتَ.

وَيْلَكَ! إِنَّمَا نَصَفَهُ بِالْأَسْمَاءِ، لَا بِالتَّكْيِيفِ وَلَا بِالتَّشْبِيهِ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّهُ مَلِكٌ
كَرِيمٌ، عَلِيمٌ حَكِيمٌ، حَلِيمٌ رَحِيمٌ، لَطِيفٌ مُؤْمِنٌ، عَزِيزٌ جَبَّارٌ مُتَكَبِّرٌ، وَقَدْ يَجُوزُ
أَنْ يُدْعَى الْبَشَرُ بِبَعْضِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَإِنْ كَانَتْ مُحَالَةً لَصِفَاتِهِمْ، فَالْأَسْمَاءُ فِيهَا
مُتَّفَقَةٌ، وَالتَّشْبِيهِ وَالْكَيفِيَّةُ مُفْتَرَقَةٌ، كَمَا يُقَالُ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا
الْأَسْمَاءُ، يَعْنِي: فِي الشَّيْءِ، وَالطَّعْمِ، وَالذَّوْقِ، وَالْمَنْظَرِ، وَاللَّوْنِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
فَاللَّهُ أَبْعَدُ مِنَ الشَّيْءِ وَأَبْعَدُ، فَإِنْ كُنَّا مُشَبَّهَةً عِنْدَكَ إِذْ وَحَدَّنَا اللَّهُ إِلَهًُا وَاحِدًا
بِصِفَاتٍ أَخَذْنَاهَا عَنْهُ مِنْ كِتَابِهِ، فَوَصَفْنَاهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، فَاللَّهُ فِي
دَعْوَاكُمْ أَوَّلُ الْمُشَبَّهِينَ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ رَسُولُهُ الَّذِي أَنْبَأَنَا ذَلِكَ عَنْهُ، فَلَا تَظْلَمُوا
أَنْفُسَكُمْ، وَلَا تَكَابِرُوا الْعِلْمَ إِذْ جَهِلْتُمُوهُ؛ فَإِنَّ التَّسْمِيَةَ فِي التَّشْبِيهِ بَعِيدَةٌ. اهـ

- قَالَ ابْنُ بَطَّةٍ (٣٨٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي [«الْإِبَانَةِ» (الرد على الجهمية) (٢/١٨٢)]:

وَالْجَهْمِيُّ الْخَبِيثُ يَنْفِي الصِّفَاتِ عَنِ اللَّهِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْفِي
عَنِ اللَّهِ التَّشْبِيهِ بِخَلْقِهِ، وَالْجَهْمِيُّ الَّذِي يُشَبِّهُ اللَّهَ بِخَلْقِهِ؛

لَأَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَا عِلْمَ، وَكَانَ وَلَا قُدْرَةَ، وَكَانَ وَلَا عِزَّةَ، وَكَانَ

ولا سلطان، وكان ولا اسم حتى خلق لنفسه اسماً، وهذه كلها صفات المخلوقين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن المخلوقين من بني آدم، كان ولا علم، خلقه الله جاهلاً ثم علمه، قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [النحل: ٧٨]، وكان ولا كلام حتى يطلق الله لسانه، وكان ولا قوة ولا عزة، ولا سلطان حتى يقويه الله ويعزه ويسلطه، وهذه كلها صفات المخلوقين وكل من حدث صفاته، فمحدث ذاته، ومن حدث ذاته وصفته، فإلى فناء حياته، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبس الجهمية» (٣/ ٥٦١): إنه ورد من جهة المنازع تشبيه بالمعلوم وذلك أن النفاة كثيراً ما يصفون أهل الإنبات بالتشبيه والتجسيم الذي هو التآليف، ومن المعلوم أنهم أحق بالتشبيه الباطل؛ حيث يشبهونه بالمعدومات والنقصات، وهم يجمعون بين التمثيل والتعطيل، بين ما هو قول المشركن الذين هم بربهم يعبدون، وقول الكافرين الذين هم لربهم جاحدون. - وقال رحمه الله في «الحموية» (ص ٢٧٣): وكل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل: فهو جامع بين التعطيل والتمثيل.

أما المعطلون: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات؛

فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل؛ مثلوا أولاً، وعطلوا آخرًا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى. اهـ

فصل

تشبيه المعطلة لمثبتة الصفات : باليهود المجسمة

من الألقاب التي تستخدمها الجهمية وغيرهم من معطلة الصفات لنبز أهل السنة والأثر والتنفير منهم: تشبيههم (باليهود المجسمة !!).

ومن أقوالهم في ذلك:

١ - قال الرّازي: إن اليهود كانوا على دين التشبيه، وكانوا يُجَوِّزون: المجيء والذهاب على الله.

٢ - قال مُلا علي قارئ في «مرقاة المفاتيح» (١٠/ ١٨٢) وهو يتكلم عن حديث: «يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع»، قال: وهذا الحديث .. ظاهره تقسيم الأشياء على الأصابع، موهم لإرادة تحقق (الجارحة !!) المشتملة على الأصابع الخمسة كما هو مذهب (المجسمة من اليهود !!)، وسائر أهل البدع. اهـ

٣ - قال القرطبي في «المفهم» (٧/ ٢٩٣): الغالب على اليهود أنهم يعتقدون الجسمية، وأن الله تعالى شخص ذو جوارح، كما تعتقده غلاة الحشوية في هذه الملة. اهـ

قلت: وسبب تشبيه المعطلة لأهل السنة باليهود؛ أن اليهود قد نُقِلَ عنهم إنبات بعض صفات الله تعالى؛ كاليد، والأصبع، والصورة، وغيرها كما سيأتي،

وهذا هو التجسيم عند معطلة الصفات.

وكذلك أهل السنة والأثر أثبتوا صفات الله تعالى التي في كتابه، وفي سنة نبيه ﷺ، وقالوا بها، وهذا عند الجهمية هو التجسيم.

ومما أثبتته اليهود من الصفات:

١ - صفة اليد كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيكُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]

فأقرهم الله تعالى على إثباتهم اليد، وأنكر عليهم وصفه بالغلول.

قال ابن القيم رحمه الله: إن الله تعالى أنكر على اليهود نسبة يده إلى النقص والعيب، ولم ينكر عليهم إثبات اليد له فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فلعنهم على وصف يده بالعيب دون إثبات يده، وقدر إثباتها له زيادة على ما قالوا بأنها يدان مبسوطتان، وبهذا يعلم تلبيس الجهمية المعطلة على أشباه الأنعام حيث قالوا: إن الله لعن اليهود على إثبات اليد له سبحانه وأنهم مُشَبَّهة، وهم أئمة المشبهة، فتأمل هذا الكذب من هذا القائل والتلبيس، وأن الآية صريحة بخلافه. اهـ [مختصر الصواعق (٣/ ٩٥٧)]

٢ - ومما أثبتته اليهود من صفات الله: (صفة الأصابع لله تعالى).

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبرٌ من الأحبارِ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، والأرضين على إصبعٍ، والشجر على إصبعٍ، والماء والثرى على إصبعٍ، وسائر الخلاق على إصبعٍ، فيقول: أنا الملك.

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر، ثم قرأ رسول

الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَقَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

[رواه البخاري (٤٨١١) (٧٤١٤)، ومسلم (٧١٤٧)]

وفي رواية عند الترمذي (٣٢٤٠): إذا وضع الله السموات على ذه، والأرض على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه.

وأشار أبو جعفر محمد بن الصلّيت بخنصره أولاً، ثم تابع حتى بلغ الإبهام، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

- قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله في [«السنة» (٤٧٣)]:

قال أبي رحمه الله: جعل يحيى بن سعيد القطان يُشير بأصابعه، وأراني أبي كيف جعل يُشير بأصبعه، يضع أصبعاً أصبعاً حتى أتى على آخرها. اهـ

تنبيه:

هذا الحديث من أشدّ الأحاديث على معطلة الصفات التي يأخذ بحلوقهم، ولهذا أكثروا من الطعن والتشكيك فيه، ومن ذلك:

ما ذكره الخطابي (٣٨٨هـ) في [«أعلام السنن» (٣/ ١٨٩٨)] في شرح هذا الحديث فقد طعن فيه بأمور، ومنها:

- ١ - بأنه خبر آحاد، لا يُحتجُّ به في أبواب إثبات الصفات.
- ٢ - أنه من قول اليهود المُشَبَّهة.
- ٣ - أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذكر تصديق النبي ﷺ لليهودي ظناً منه وحُساباً.

٤ - أن تبسم النبي صلى الله عليه وسلم من كلام اليهودي، كان من باب التعجب والإنكار، لا من باب الإثبات والإقرار!!
ثم أخذ يصرف الحديث عن ظاهره بتأويلات الجهمية معطلة الصفات.

قلت: جمع الخطابي في هذا الكلام أصول المعطلة التي يدورون حولها لردّ نصوص الصفات وإنكار حقيقتها اللاتقة بالله تعالى، كما تقدم ذكرها في (المبحث العاشر).

وقد بين أهل السنة فساد هذا القول وشناعته، وما فيه من رمي للصحابي الجليل الفقيه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: بعدم الفهم، إذ ابن مسعود رضي الله عنه فهم من غضب النبي ﷺ وإنكاره على اليهودي، إقراراً منه، وقبولاً لقوله!!

- قال ابن خزيمة (٣١١هـ) رحمه الله في [كتاب التوحيد] (١/١٧٨): ..
وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يُوصف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاته، فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب التكبر والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدوا نواجذه تصديقاً وتعجباً لقائله، لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مُصدّق برساليته. اهـ

وقال (١/١٨٧): (باب إثبات الأصابع لله تعالى عز وجل من سنة النبي ﷺ قِيلاً له، لا حكاية عن غيره، كما زعم بعض أهل الجهل والعناد أن خبر ابن مسعود ليس هو قول النبي ﷺ وإنما هو قول اليهود، وأنكر أن يكون ضحك النبي ﷺ تصديقاً لليهودي). اهـ

- وقال إبراهيم بن أحمد شاقلاً (٣٦٩هـ) رحمه الله: هذا قول من يروم هدم الإسلام، والطعن على الشرع؛ لأن من زعم أن ابن مسعود ظنّ ولم

يستيقن، فحكى عن النبي ﷺ على ظنه: فقد جعل إلى هدم الإسلام مقالته هذه بأن يتجاهل أهل الزيف، فيتهجموا على كُل خير جاء عن النبي ﷺ لا يوافق مذهبهم؛ فيسقطونه، بأن يقولوا: هذا ظن من الصحابة على رسول الله ﷺ إذ لا فرق بين ابن مسعود وسائر الصحابة رضي الله عنهم، وهذا ضد ما أجمع عليه المسلمون، وقد أكذب القرآن مقالة هذا القائل في الآية التي شهد فيها لابن مسعود بالصدق في جملة الصحابة. اهـ

[طبقات الحنابلة] (٣/٢٣٢)

[وانظر: «نقض الدارمي على بشر المريسي» (ص ١٧٧)]

٣ - وما أثبتته اليهود من الصفات: صفة الصورة لله تعالى.

وقد كثر التشغيب والتشنيع عليهم لإثباتهم هذه الصفة كما في كثير من كتب شروح الأحاديث.

وهي صفة ثابتة لله تعالى، أخبر بها النبي ﷺ بقوله: «خلق الله آدم على صورة الرحمن»، وهو حديث صحيح، صححه الإمامان من أئمة الحديث والسنة وهما: أحمد، وإسحاق رحمهما الله تعالى.

فهذه بعض الصفات التي ذكرها اليهود وجاء الشرع بإقرارهم، وموافقتهم عليها.

وبهذا يعلم أن إثبات الصفات هو الأصل الذي عليه جميع الأديان السماوية المنزلة من عند الله تعالى، وأما التعطيل والتحريف فهو أمرٌ محدث في دين الله تعالى، قال به اليهود لما حَرَفُوا دينهم الصحيح.

وقد تقدم في (المبحث العاشر) أن أصول مذهب الجهمية المعطلة قد

تلقوها من بعض اليهود الذين حَرَفُوا دينهم، واتبعوا السحرة: كلبيد بن الأعصم الذي سَحَرَ النبي ﷺ، والذي ترجع أسانيد الجهمية إليه.

قال السجزي رحمه الله في [الحرف والصوت] (ص ١٨٥): وقد زعموا أن أصحاب الحديث يعتقدون ما في الأحاديث من ذكر الصفات على ظاهرها، ويثبتون لله سبحانه: الكف، والأصابع، والضحك، والنزول، وآتة في السماء فوق العرش، وهذه من صفات الأجسام حتى قال بعض سقاطهم: (ما بين شيوخ الحنابلة، وبين اليهود إلا خصلة واحدة). ولعمري إن بين الطائفتين خصلة واحدة لكنها بخلاف ما تصوّره الساقط، وتلك الخصلة أن الحنابلة على الإسلام والسنة، واليهود على الكفر والضلالة. اهـ

- قال ابن تيمية رحمه الله في [الحموية] (ص ٢٨٧): فقد عَلِمَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَمَّ أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى مَا حَرَفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْرَةَ مَمْلُوءَةٌ مِنْ ذِكْرِ الصِّفَاتِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا مِمَّا بُدِّلَ وَحُرِّفَ لَكَانَ إنْكَارُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوَّلَى، فَكَيْفَ وَكَانُوا إِذَا ذَكَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ الصِّفَاتِ يَضْحَكُ تَعَجُّبًا مِنْهُمْ، وَتَصَدِّقًا لَهُمْ؟ وَلَمْ يَعْبَهُمْ قَطُّ بِمَا تَعَيَّبَ النُّفَاةُ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ، مِثْلَ لَفْظِ: (التَّجْسِيمِ)، وَ(التَّشْبِيهِ) وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ بَلْ عَابَهُمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعَى اللَّهُ مَثَلًا﴾، وَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَخِيرٌ وَنَحْنُ أَفْنِيكُ﴾، وَقَوْلِهِمْ: (إِنَّهُ اسْتَرَاخَ لَمَّا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ)، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُثُوبٍ﴾، وَالتَّوْرَةُ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُنَاطَبَةِ لِلصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ .. اهـ

[وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٦٧/١٣) «بيان تلبيس الجهمية» (٣١٣/٦)، «الصواعق المرسلة» (١٠٤٤/٣)]

المبحث الرابع عشر:

**إنكار أهل السنة وتكفيرهم لمن أنكر
أو جحد صفات الله تعالى**

١ - مرض التّعطيل وإنكار الصفات أعظم من مرض التشبيه.

اشتدّ نكير أهل السنة والجماعة من السلف ومن بعدهم على مُنْكَرِي صفات الله تعالى، وكان إنكارهم عليهم أعظم من إنكارهم على المُشْبِهَةِ؛ «لأنَّ مرضَ التّعطيلِ أعظم من مرضِ التشبيه؛ كما قيل: (المُعْطَلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، والمُشْبِهُ يَعْبُدُ صَنًا)، وَمَنْ يَعْبُدُ إِلَهًا مُوجُودًا مَوْصُوفًا بِمَا يَعْتَقِدُهُ هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْكِمَالِ، وَإِنْ كَانَ مُحْطًا فِي ذَلِكَ، خَيْرٌ مِمَّنْ لَا يَعْبُدُ شَيْئًا، أَوْ يَعْبُدُ مَنْ لَا يَوْصَفُ إِلَّا بِالسَّلُوبِ وَالْإِضَافَاتِ». [انظر: «الدرء» (٣٠٦/١٠)]

٢ - غلاة الجهمية عند أئمة السلف هم زنادقة ملحدون.

إن حقيقة غلاة أئمة الجهمية ورؤوس المذهب الجهمي عند أئمة أهل السنة هم من الزنادقة الملحدون. وما يدل على ذلك:

- قال البخاري رحمه الله في [«خلق أفعال العباد» (٧٠)]: حدثني أبو جعفر

قال: سمعت الحسن بن موسى الأشيب وذكر الجهمية فنال منهم، ثم قال: أَدْخِلْ رَأْسَ مَنْ رُؤُوسِ الزَّنَادِقَةِ يُقَالُ لَهُ: (شمعلة) على المهدي، فقال: دُلَّنِي عَلَى أَصْحَابِكَ. فقال: أَصْحَابِي أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. فقال: دُلَّنِي عَلَيْهِمْ.

فقال: صِنْفَانِ مَنْ يَتَّحِلُ الْقِبْلَةَ: الْجَهْمِيَّةُ وَالْقَدْرِيَّةُ؛

الجهمي إذا غَلَا قال: ليس تَمَّ شَيْءٌ، وَأَشَارَ الْأَشْيِبُ إِلَى السَّمَاءِ، والقدري إذا غَلَا قال: هما اثنان: خالقي خير وخالقي شرّ. فضرب عنقه وصلبه. - قال أبو نُعَيْمٍ البلخي: كان رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَرُوٍّ صَدِيقًا لِلْجَهْمِ، ثُمَّ قَطَعَهُ وَجْهَهُ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ جَفَوْتَهُ؟

فقال: جاء منه ما لا يحتمل، قرأت يومًا آية كذا وكذا - نسيها يحیی - فقال: ما كان أظرف محمدًا، فاحتلمتها، ثُمَّ قرأ سورة (طه) فَلَمَّا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، قال: أما والله لو وجدت سبيلاً لحكها لحككتها من المصحف، فاحتلمتها، ثُمَّ قرأ سورة (القصص) فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِكْرِ مُوسَى؛ قال: ما هذا؟! ذَكَرْتُ قِصَّةً فِي مَوْضِعٍ فَلَمْ يَتِمَّهَا، ثُمَّ ذَكَرَهَا هَاهُنَا فَلَمْ يَتِمَّهَا، ثُمَّ رَمَى بِالمصحف من حِجْرِهِ بِرِجْلِهِ؛ فَوُثِّبَ عَلَيْهِ.

[«خلق أفعال العباد» (٧١)، والإبانة الكبرى (٢٣٤٣)]

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«مجموع الفتاوى» (١٢/٣٥٢)]: ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يعلمون مقصودهم وأن غرضهم التّعطيل، وأتهم زنادقة،

والزناديق: المنافق، ولهذا تجد مُصَنِّفَاتِ الْأُئِمَّةِ يَصِفُونَهُمْ فِيهَا بِالزَّنَادِقَةِ، كما صَنَّفَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ «الرَّدَّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ»، وكما ترجم البخاري آخر كتاب الصَّحِيحِ بـ «كتاب التَّوْحِيدِ، والرَّدَّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ»، وكان عبد الله بن المبارك يقول: إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِي كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ. اهـ

- وقال أيضًا في [«درء التعارض» (٥/٣٠٢)]: وَكُلُّ مَنْ تَدَبَّرَ كَلَامَ السَّلَفِ وَالْأُئِمَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ عَلِمَ أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ النُّفَاةَ لِلصِّفَاتِ كَانُوا عِنْدَ السَّلَفِ وَالْأُئِمَّةِ مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَاحِدَةِ وَالزَّنَادِقَةِ. اهـ

وقال في [«مجموع الفتاوى» (١٣/١٨٥)]: حَقِيقَةُ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ الْمَعْطَلَةِ: هُوَ قَوْلُ فِرْعَوْنَ؛ وَهُوَ جَحْدُ الْخَالِقِ وَتَعْطِيلُ كَلَامِهِ وَدِينِهِ، كَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَفْعَلُ، فَكَانَ يَجْحَدُ الْخَالِقَ جَلَّ جَلَالُهُ وَيَقُولُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾.. وَكَانَ يَنْكُرُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ كَلِمَ مُوسَى، أَوْ يَكُونَ لِمُوسَى إِلَهٌ فَوْقَ السَّمَوَاتِ، وَيُرِيدُ أَنْ يَبْطُلَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَطَاعَتُهُ، وَيَكُونَ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمَطَاعُ، فَلَمَّا كَانَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ الْمَعْطَلَةِ النُّفَاةِ يَتَوَلَّى إِلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ كَانَ مَتْنَهُ قَوْلُهُمْ: **إِنْكَارُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِنْكَارُ عِبَادَتِهِ، وَإِنْكَارُ كَلَامِهِ.** الخ

٣- **مُؤَسَّسُ مَذْهَبِ التَّعْطِيلِ وَإِنْكَارِ الصِّفَاتِ هُوَ: الْجَعْدُ بْنُ دَرِّهَمٍ، ثُمَّ تَبِعَهُ عَلَيْهِ: الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ فِرْقُ الْجَهْمِيَّةِ.**

وقد تقدم في (المبحث العاشر) عمن أخذ هؤلاء الجهمية مذهبهم في التّعطيل وإنكار الصِّفَاتِ.

- قال الإمام أحمد رحمه الله في [«الرد على الجهمية والزندقة» (ص ٢٠٧)] وهو يتكلم عن الجهم بن صفوان:

فأضل بكلامه بشرًا كثيرًا، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عُبيد بالبصرة، ووضع دين الجهمية. اهـ

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [«مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٢٧)]:

جهم اشتهر عنه نوعان من البدعة: نوع في (الأسماء والصفات)؛ فغلا في النفي، ووافقه على ذلك الباطنية، والفلاسفة ونحوهم؛ والمعتزلة في الصفات دون الأسماء. والكَلابية ومن وافقهم .. في نفي الصفات الاختيارية ... فالمعتزلة في الصفات: مخانيث الجهمية، وأما الكَلابية في الصفات [فيثبتون الصفات في الجملة]، وكذلك الأشعرية؛ ولكنهم كما قال أبو إسحاق الأنصاري: الأشعرية الإنان: هم مخانيث المعتزلة. اهـ

قلت: وجميع فرق التعطيل لهم حض من ميراث الجهمية الذي خلفته للأمة فمن مقل ومُستكثر من هذا الميراث وتلك الأصول التي أصلوها لإنكار حقيقة صفات الله تعالى.

فصل

**أقوال أهل السنة فيمن جحد الصفات
أو أنكرها، وتكفيرهم لهم**

وما روى عن أهل السنة فيمن أنكر الصفات أو جحدها:

١ - قال الشافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله وقد سُئِلَ عن صفات الله تعالى، وما ينبغي، وما يؤمن به؟

فقال: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمته، لا يسع أحدًا من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها؛ لأنّ القرآن نزل بها، وصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله تعالى.

فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعدور بالجهل؛ لأنّ علم ذلك لا يُدرك بالعقل، ولا بالرؤية، ولا بالفكر.

[«ذم التأويل» لابن قدامة (ص ١٣)، و«طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٦٩)]

٢ - قال حماد بن زيد (١٧٩هـ) رحمه الله: مثل الجهمية مثل رجل قيل له: أفي دارك نخلة؟ قال: نعم.

قيل: فلها خوص؟ قال: لا.

قيل: فلها سعف؟ قال: لا.

قيل: فلها كَرَبٌ؟ قال: لا.

قيل: فلها جذع؟ قال: لا.

قيل: فلها أصل؟ قال: لا.

قيل: فلا نخلة في دارك.

هؤلاء الجهمية؛ قيل لهم: لكم رب؟ قالوا: نعم.

قيل: يتكلم. قالوا: لا.

قيل: فله يد؟ قالوا: لا.

قيل: فله قَدَمٌ؟ قالوا: لا.

قيل: فله إصبع؟ قالوا: لا.

قيل: فيرضى ويغضب؟

قالوا: لا. قيل: فلا رب لكم.

[«الحجة في بيان المحجة» (١/٤٧٧)]

٣ - قال عبّاد بن العَوّام (١٨٥ هـ) رحمه الله: قَدِمَ علينا شريك بن عبدالله (١٧٧ هـ)، فقلنا له: إن عندنا قومًا من المعتزلة يُنكرون هذه الأحاديث: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»، «وَلِأَنَّهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ».

فحدّثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا، وقال: أمّا نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين، عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟!]

[«الصفات» للدارقطني (٦٥)]

٤ - عن حبيب بن أبي حبيب قال: شَهِدْتُ خالداً بن عبدالله القسري

(١٢٦ هـ) وهو يَحْطُبُ فلما فرغَ من خُطْبَتِهِ - وذلك يوم النحر - قال: ارجعوا فضحوا تَقَبَّلَ الله منكم، فإني مُضَحٌّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله عزَّ وجلَّ لم يُكَلِّم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه.

[«خلق أفعال العباد» للبخاري (٣)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٣)، والآجري في «الشرية» (٦٩٤)، والصابوني في «عقيدته» (٣٧)، وغيرهم، وخالد القسري كان والياً على العراق]

قلت: وقد تلقى أهل السُنَّة والأثر هذه القصة بالقبول والرضا.

٥ - وقال حماد بن سلمة (١٦٧ هـ) رحمه الله: مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يُنْكِرُ هذه الأحاديث فاتهموه على الدين. [«الحجة في بيان المحجة» (١/٤٤٠)]

٦ - قال أحمد بن أبي شريح: سمعت وكيعاً (١٩٧ هـ) يقول وحدثنا بحديث في الرؤية، أو غيره قال: مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يُنْكِرُ هذه الأحاديث فاحسبوه من الجهمية. [«الصفات» للدارقطني (٦٠)]

٧ - قال عبدالله بن أحمد رحمه الله في «السنة» (٥٧٠)] قال أبي: أنبأنا وكيع (١٩٧ هـ) بحديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبدالله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه قال: «إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُرْسِيِّ»، فاقشعر رجل سَمَاءَ أبي عند وكيع، فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش، وسُفْيَان، يُحَدِّثُونَ بهذه الأحاديث لا يُنْكِرُونَهَا.

٨ - قال عبدالرحمن بن مهدي (١٩٨ هـ) رحمه الله وذكر عنده أن الجهمية ينفون أحاديث الصفات ويقولون: (الله أعظم من أن يوصف

بشيء من هذا)

فقال عبدالرحمن: قد هلك قومٌ من وجه التعظيم، فقالوا: (الله أعظم من أن يُنزل كتاباً، أو يُرسل رسولا)، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرُوا إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، ثم قال: هل هلك المجوس إلا من جهة التعظيم؟ قالوا: الله أعظم من أن نعبد؛ ولكن نعبد من هو أقرب إليه منا، فعبدوا الشمس، وسجدوا لها، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]

[«الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٤٠)]

٩ - قال عبدالرحمن بن مهدي رحمه الله: من زعم أن الله تعالى لم يُكلم موسى صلوات الله عليه، يُستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.
[«السنة» لعبد الله بن أحمد (٤٥)]

١٠ - قال علي بن عاصم (٢٠١هـ) رحمه الله: ما الذين قالوا: إن الله ولداً، أكفر من الذين قالوا: إن الله لا يتكلم.

وقال: احذر من المريسي وأصحابه فإن كلامهم أبي جاد الزندقة، وأنا كلمت أستاذهم جهماً فلم يُثبت أن في السماء إلهاً.

[«خلق أفعال العباد» للبخاري (٢١) (٢٢)، ومعنى (أبي جاد الزندقة): أي بداية الدخول إليها، كما يريد من يتعلم لغة العرب فإنه يبدأ بتعلم حروف أبجد هوز]

١١ - قال وهب بن جرير بن حازم (٢٠٦هـ) رحمه الله: الجهمية الزنادقة؛ إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى.

[«خلق أفعال العباد» للبخاري (٦)]

١٢ - قال محمد بن مصعب العابد (٢٠٨هـ) رحمه الله: من زعم أنك لا تتكلم، ولا تُرى في الآخرة، فهو كافرٌ بوجهك، ولا يعرفك، أشهد أنك فوق العرش، فوق سبع سموات، ليس كما يقول أعداؤك الزنادقة.

[«الصفات» الدارقطني (٦٤)]

١٣ - قال محمد بن يوسف الفريابي (٢١٢هـ) رحمه الله: من قال: إن الله ليس على عرشه فهو كافر، ومن زعم أن الله لم يُكلم موسى فهو كافر.

[«خلق أفعال العباد» البخاري (٦٧)]

١٤ - قال محمد بن المثني: سمعت بشر بن الحارث (٢٢٧هـ) يقول: أما سمعت ما قال النبي ﷺ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»

وقال ﷺ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»

ثم قال بشر: هؤلاء الجهمية يتعاضمون هذا.

[«الشرعة» للأجري (٧٣٥)]

١٥ - قال نُعيم بن حَمَاد (٢٢٨هـ) رحمه الله: من شبه الله تعالى بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس فيما وصف الله تعالى به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيه.

[«اللائكائي» (٩٣٦)، وانظر: «العلو» للذهبي (٤٢٩)].

١٦ - قال هارون بن معروف (٢٣١هـ) رحمه الله: من زعم أن الله لا يتكلم فهو يعبد الأصنام.

[«السنة» لعبد الله (١٩٥)، و«الرد على من يقول القرآن مخلوق» للنجاد (١٠٩)].

١٧ - قال أبو معمر الهذلي (٢٣٦هـ) رحمه الله: من زعم أن الله لا يتكلم، ولا يسمع، ولا يُبصر، ولا يغضب، ولا يرضا - وذكر أشياء من هذه الصفات - فهو كافر بالله، إن رأيتموه على بئر فآلقوه فيها، فهذا دينُ الله؛ لأنهم كفار. [السنة لعبدالله (٥١٩)]

١٨ - قال المروزي: سمعت أبا عبدالله [أحمد بن حنبل] وقيل له: إن عبد الوهاب قد تكلم وقال: من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمي، عدو الله، وعدو الإسلام. فتبسم أبو عبد الله، وقال: ما أحسن ما قال عافاه الله. [درء التعارض (٣٨/٢)]

١٩ - قال عبدالله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ) رحمه الله: سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت؟! قال أبي: تكلم تبارك وتعالى بصوت، وهذه الأحاديث نروها كما جاءت. وقال أبي: حديث ابن مسعود رضي الله عنه: إذا تكلم الله عز وجل يُسمع له صوت كمر سلسلة على صفوان. قال أبي: وهؤلاء الجهمية تنكروه.

وقال أبي: وهؤلاء كفار، يريدون أن يُموهوا على الناس، من زعم أن الله لم يتكلم فهو كافر، إلا أنا نروي هذه الأخبار كما جاءت.

[السنة لعبدالله (٥١٨)، والرد على من يقول القرآن مخلوق (ص ٣)]

٢٠ - قال أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رحمه الله: ومن قال: إن الله لا يُرى في الآخرة، فهو جهمي، وقد كفر.

[الإبانة لابن بطة (الرد على الجهمية) (٥٣/٣) (٤٧)].

٢١ - قال الأثرم رحمه الله: سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ): عن حديث حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ «رأيت ربي ..» الحديث، فقال: هذا حديث رواه الكبر عن الكبر عن الصحابة عن النبي ﷺ، فمن شك في ذلك، أو في شيء منه فهو جهمي، لا تقبل شهادته، ولا يسلم عليه، ولا يُعاد في مرضه. [إبطال التأويلات (١٤٨)]

٢٢ - قال أبو زرعة الرازي (٢٦٤هـ) رحمه الله: من أنكر حديث قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي عز وجل» فهو مُعتزلي. [إبطال التأويلات (١٤٦)]

٢٣ - قال ابن بطة (٢٨٧هـ) رحمه الله في [الإبانة] (الرد على الجهمية) (١٢٧/٣): الجهمي يدفع هذه الصفات كلها وينكرها، ويرد نص التنزيل، وصحيح السنة، ويزعم أن الله تعالى لا يغضب، ولا يرضى، ولا يُحب، ولا يكره، وإنما يريد بدفع الصفات وإنكارها جحد الموصوف بها.

٢٤ - قال أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ) رحمه الله:

من لم يقر بأن الله عز وجل على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته فهو كافر بربه، حلال الدم، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابيل حتى لا يتأذى به المسلمون ولا المعاهدون بتني رائحة جيفته، وكان ماله فيئا لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر، كما قال النبي ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم».

[«عقيدة أصحاب الحديث» للصابوني (٢٩)، وصححه ابن تيمية في «الحموية» (ص ٣٤٠)]

٢٥ - قال أبو العباس محمد بن إسحاق السراج (٣١٣هـ) رحمه الله: من لم يُقرّ ويؤمن بأن الله تعالى: يعجب، ويضحك، وينزل كُلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا فيقول: «مَنْ يسألني فأعطيه»، فهو زنديقٌ، كافرٌ، يُستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ولا يُصلّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين. [«العلو» للذهبي (٤٩٢)]

قال الذهبي في «السير» (٣٩٦/١٤): لا يُكفر إلا إن علم أن الرسول ﷺ قاله، فإن جحد بعد ذلك فهذا مُعاند، نسأل الله الهدى، وإن اعترف أن هذا حقٌّ؛ ولكن لا أخوض في معانيه، فقد أحسن، وإن آمن وأول ذلك كُلّه، أو تأول بعضه، فهو طريقة معروفة. اهـ

قلت: قوله: (لا أخوض في معانيه، فقد أحسن)؛ فليس بصحيح، لأنها طريق المفوضة في التهي عن الخوض في معاني نصوص الصفات، وتفويض معانيها إلى الله تعالى، وقد تقدم كلام الذهبي في التفويض (ص ٢٤٩).

٢٦ - قال الآجري (٣٦٠هـ) رحمه الله في [«الشرعية» (ص ٣١٢)]:

مَنْ ادعى أَنَّهُ مسلم ثُمَّ زعم أن الله عزَّ وجلَّ لم يُكلِّم موسى فقد كفر، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل.

فإن قال قائل: لم؟ قيل: لأنَّه ردَّ القرآن وجحد، وردَّ السُّنة، وخالف جميع علماء المسلمين، وزاغ عن الحقِّ، وكان ممن قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

وَأَمَّا الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ: فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]

وقال: فإن قال منهم قائل: إنَّ الله تعالى خلق كلامًا في الشجرة، فكلم به موسى.

قيل له: هذا هو الكفر؛ لأنَّه يزعم أن الكلام مخلوق، تعالى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك، وزعم أن مخلوقًا يدعي الربوبية، وهذا من أقبح القول وأسمجه. وقيل له: يا ملحد، هل يجوز لغير الله أن يقول: (إنني أنا الله؟) نعوذ بالله أن يكون قائل هذا مُسلمًا، هذا كافرٌ يُستتاب، فإن تاب ورجع عن مذهبه الشَّوء وإلا قُتلَه الإمام، فإن لم يقتله الإمام ولم يستببه وعلم منه أن هذا مذهبه؛ هُجرَ ولم يُكلِّم، ولم يُسلم عليه، ولم يُصلِّ خلفه، ولم تُقبل شهادته، ولم يُزوجه المسلم بكريمته.

٢٧ - قال ابن تيمية (٧٢٨هـ) رحمه الله في [«المجموع» (١١/٤٨٢)]:

مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ، وَلَا قُدْرَةٌ، وَلَا كَلَامٌ، وَلَا مَشِيئَةٌ، وَلَا سَمْعٌ، وَلَا بَصَرٌ، وَلَا حُبَّةٌ، وَلَا رِضَا، وَلَا غَضَبٌ، وَلَا اسْتِواءٌ، وَلَا إِيْتِيَانٌ، وَلَا نُزُولٌ، فَقَدْ عَطَلَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، وَأَلْحَدَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَهُوَ ضَالٌّ خَبِيثٌ مَبْطُلٌ، بَلْ كَافِرٌ.. اهـ

فصل

**المُعْطَلَةُ يدورون في تعطيلهم الصفات :
إنكار علو الله تعالى على خلقه**

أظهر المعطلة الأوائل الكلام في إنكار الرؤية، وكلام الله، وغيرها من الصفات، ولم يجترئوا على نفي علو الله تعالى واستوائه على عرشه، والتصريح بذلك حتى لا يفتضحوا أمام الخاصة والعامة، فكشف أئمة السلف عن حقيقة مذهبهم، وعما كانوا يطنونه من نفي علو الله تعالى، وأنه ليس في السماء إله يُعبد.

١- قال حماد بن زيد - وذكر هؤلاء الجهمية -، قال: إنما يجادلون أن يقولوا: ليس في السماء شيء. [«السنة» لعبد الله (٤١)]

٢- قال محمد بن عثمان: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، وسأله سهل ابن أبي خدويه، عن القرآن؟

فقال: يا أبا يحيى، مآلك ولهذه المسائل، هذه مسائل أصحاب جهنم، إنه ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهنم. قال: يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرى والله ألا يُناكحوا، ولا يُوارثوا.

[«السنة» لعبد الله (١٣٠)]

٣- قال علي بن عاصم: احذر بشر المريسي، فإن كلامه أبو جاد الزنادقة، وأنا لقيت أستاذهم جهماً، فلم يكن يثبت أن في السماء إلهاً.

[«الإبانة الكبرى» (٢٣٧٢)]

٥- قال جرير بن عبد الحميد: كلام الجهمية أوله غسل، وآخره سُم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله.

[رواه ابن أبي حاتم كما في «بيان تلبس الجهمية» (١/ ٢٠٠)].

٦- وقال يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي: الجهمية تدور أن ليس في السماء شيء. [«الإبانة الكبرى» (٢٢٧٦)]

٧- قال عبادة بن العوام رحمه الله: كلمت بشراً المريسي، وأصحاب بشر؛ فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء. [«السنة» (٦٨)]

ثم جاء المتأخرون فصَّرحوا بما لم يُصرَّح الأوائل، فنضوا علو الله تعالى على خلقه، وصنفوا في ذلك المصنفات، وأظهروا نفي العلو، بل وتعدى الأمر عند بعضهم إلى تكفير من أثبت علو الله ﷻ على خلقه ووصفه بأقبح الأوصاف!! ومن أمثلة ذلك:

١- ابن حجر الهيتمي الشافعي.

وكان كثيراً ما يُصرَّح في كتبه بنفي علو الذات، ويقول: (لتعالیه عن الجهة والمكان)!!، ويقول مقالة الأشاعرة المشهورة: (كان في القدم، ولا جهة، ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان)!!

وهو يتأول جميع الآيات والأحاديث الواردة في إثبات العلو بعلو القدر والقهر، فيقول: «من في السماء»: أي عزه، وسلطانه، وخزائنه، وهكذا مجمل سائر الأحاديث والآثار الموهمة ظاهراً مكاناً أو جهة، تعالى الله عز وجل عما يقول الظالمون علواً كبيراً. اهـ

وقد اشتد نكيره على ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله في إثباتها العلو!!

ويقول: (هذا من قبيح رأيها وضلالها؛ إذ هو مبني على ما ذهب إليه، وأطالا في الاستدلال له، والخط على أهل السنة [يريد: الأشاعرة] في نفهم له، وهو إثبات الجهة والجسمية له، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا).

ولهما في هذا المقام من القبايح وسوء الاعتقاد ما تصم عنه الأذان، فيقضى عليه بالزور، والكذب، والضلال، والبهتان قبحهما الله!! وقبح من قال بقولهما، والإمام أحمد وأجلاء مذهبه مبرؤون عن هذه الوصمة، كيف وهو كُفِّر عند كثيرين!! اهـ

قلت: انظر إلى شدة إنكاره على أهل السنة مثبتة الصفات، وتلطف كثير من المتأخرين ممن ينتسب إلى السنة معه، ووصفه بالإمامة والعلم!!

٢ - النووي.

قال في شرحه «لصحيح مسلم» (٢٤/٥) وهو يشرح حديث الأمة السوداء التي أشارت إلى الله تعالى في السماء، قال: .. قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة، فقيهم، ومحدثهم، ومتكلمهم، ونظارهم، ومقلداهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْآرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم!! اهـ

٣ - ابن حجر العسقلاني.

أ - قال في «الفتح» (٥٠٨/١) في حديث: «إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبْلَةِ»، قال: وفيه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته. اهـ

ب - وقال في (١٣/٤١٢) قال الكرمانى: قوله: «في السماء» ظاهره غير مراد، إذ الله منزّه عن الحلول في المكان؛ لكن لما كانت جهة العلو أشرف من غيرها أضافها إليه إشارة إلى علو الذات والصفات، وبنحو هذا أجاب غيره عن الألفاظ الواردة من الفوقية ونحوها. اهـ

٤ - ابن عطية.

قال في «المحرر الوجيز» (٣٤٢/١) ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾: يراد به علو القدر والمنزلة، لا علو المكان؛ لأن الله منزّه عن لا تحيز، وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العليّ عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه. قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وهذا قول جهلة مجهولة مجسمين، وكان الوجه أن لا يُحكى. اهـ

٥ - القرطبي (المفسر).

قال في «تفسيره» (١٠/٧): ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ يعني: فوقية المكانة، والرتبة، لا فوقية المكان والجهة. اهـ

وقال في كتابه «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (١٣٢/٢) بعد أن ذكر أقوال الناس في الاستواء، قال: وأظهر هذه الأقوال - وإن كنت لا أقول به ولا أختاره (!!) - ما تظاهرت عليه الآي، والأخبار: أن الله سبحانه على عرشه كما أخبر في كتابه، وعلى لسان نبيه بلا كيف، بائن من جميع خلقه، هذا جملة السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات. اهـ

٦ - الشوكاني.

قال في «فتح القدير»: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، لا فوقية المكان، كما تقول: السلطان فوق رعيته، أي: بالمنزلة، والرفعة. اهـ

٧ - المناوي.

قال في «فيض القدير» (٦٠٥/١): «يرحمك من في السماء» اختلف بالمراد بـ «مَن في السماء»، فقيل: هو الله، أي: ارحموا مَن في الأرض شفقة، يرحمكم الله تفضلاً، والتقدير: يرحمكم مَن أمره نافذ في السماء، أو من فيها ملكه وقدرته وسُلطانه، أو الذي في العلو والجلال والرِّفعة؛ لأنَّه تعالى لا يحلّ في مكان، فكيف يكون فيه محيطاً، فهو مِن قبيل رضاه من السَّوداء بأنَّ تقول في جواب: «أين الله؟»، فأشارت إلى السماء مُعبّرة عن الجلال والعظمة، لا عن المكان، وإنَّما ينسب إلى السَّماء لأنها أعظم وأوسع من الأرض، أو لعلوها وارتفاعها، أو لأنها قبلة الدُّعاء، ومكان الأرواح الطَّاهرة القدسية .. اهـ

٨ - الكوثري.

قال في «تبديد الظلام» (٣٥) وهو يتكلم عن الذين أثبتوا علو الله على خلقه واستواءه على عرشه: لا حظَّ لهم في الإسلام، غير أن جعلوا صنمهم الأرضي صنماً سبأوياً. اهـ

قلت: وتتبع كلام المعطلة ومن تبعهم من المتأخِّرين في نفي علو الله تعالى على عرشه، واستوائه على عرشه يطول جدّاً.

والمقصود هنا أن مسألة العلو من أعظم مسائل الصفات، وأن المعطلة الأوائل لم يصرّحوا بنفيها صراحة، بل صرّحوا بغيرها وإن كان مقصدهم الأكبر الذي يدورون حوله هو نفي العلو كما صرّح بذلك السلف الذين هم أخبر بقولهم.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلييس الجهمية» (٣/٥٢٢):

.. الجهمية أظهروا مسألة القرآن وأَنَّهُ مخلوق، وأظهروا أَن الله لا يُرى في

الآخرة، ولم يكونوا يُظهرون لعامة المؤمنين وعُلمائهم إنكار أَن الله فوق العرش، وأَنَّهُ لا داخل العالم ولا خارجه، وإنَّما كان العلماء يعلمون هذا منهم بالاستدلال والتَّوسُّم، كما يُعلم المنافقون في لحن القول، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُم بِالْحَمْدِ فَلَاحِقَ فَنَهُم بِسَمْعِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، فأقسم سبحانه وتعالى أَن المنافقين لتعرفنهم في لحن القول ...

وذكر قول حماد بن سلمة وعلي بن عاصم وغيرهما بما تقدم ذكره، ثم قال: أدخل رأس من رؤساء الرِّنادقة يُقال له: شمعة، على المهدي، فقال: دلني على أصحابك.

فقال أصحابي أكثر من ذلك. فقال: دلني عليهم.

فقال: صنفان ممن يتحلل القبلة: الجهمية، والقدرية،

الجهمي إذا غلا قال: ليس ثمَّ شيء، وأشار الأشيب إلى السماء.

والقديري إذا غلا قال: هم اثنان: خالق خير، وخالق شرّ، فضرب عنقه وصلبه.

ومثل هذا كثير في كلام السلف والأئمة، كانوا يردون ما أظهرته الجهمية من نفي الرُّؤية، وخلق القرآن، ويذكرون ما تبطنه الجهمية مما هو أعظم من ذلك: أَن الله ليس على العرش، ويجعلون هذا مُنتهى قولهم، وأن ذلك تعطيل للصَّانع، وجحود للخالق، إذ كانوا لا يتظاهرون بذلك بين المؤمنين كما كانوا يظهرون مسألة الكلام والرُّؤية؛ لأنَّه قد استقرَّ في قلوب المؤمنين بالفطرة الصُّرورية التي خلقوا عليها، وبما جاءهم به الرُّسل من البينات والهدى، وبما اتفق عليه أهل الإيمان من ذلك ما لم يمكن الجهمية إظهار خلافه ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا يَبَيِّنْ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[النساء: ١١٥]، فهذا يُبين أن الاعتراف بأن الله فوق العالم في العقل والدين أعظم بكثير من الاعتراف بأن الله يُرى في الآخرة، وأن القرآن غير مخلوق. اهـ

واعلم أن مسألة علو الله تعالى على خلقه من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة.

- قال ابن خزيمة رحمه الله في [كتاب التوحيد] (٢٥٤/١): (باب ذكر البيان أن الله عز وجل في السماء كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه عليه، وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين: علمائهم وجهالهم، أحرارهم ومماليكهم، ذكرانهم وإناثهم، بالغيم وأطفالهم، كُلٌّ من دعا الله جلَّ وعلا فإنما يرفع رأسه إلى السماء، ويمد يديه إلى الله إلى أعلاه لا إلى أسفله. اهـ

وقال ابن تيمية رحمه الله في [بيان تلبس الجهمية] (٥١٨/٤): إن الذين يرفعون أيديهم وأبصارهم وغير ذلك إلى السماء وقت الدعاء تقصد قلوبهم الرب الذي هو فوق، وتكون حركة جوارحهم بالإشارة إلى فوق تبعاً لحركة قلوبهم إلى فوق، وهذا أمر يجدونه كلهم في قلوبهم وجداً ضرورياً إلا من غيرت فطرته باعتقاده يصرفه عن ذلك، وقد حكى محمد بن طاهر المقدسي، عن الشيخ أبي جعفر الهمداني أنه حضر مجلس أبي المعالي، فذكر العرش، وقال: كان الله ولا عرش، ونحو ذلك، وقام إليه الشيخ أبو جعفر فقال: يا شيخ دعنا من ذكر العرش، وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؛ فإنه ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة لطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة.

قال: فضرب أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمداني.

فاخبر هذا الشيخ عن كل من عرف الله أنه يجد في قلبه حركة ضرورية إلى

العلو إذا قال: (يا الله)، وهذا يقتضي أنه في فطرتهم وخلقهم العلم بأن الله فوق، وقصده والتوجه إليه إلى فوق. اهـ

- قال أيضاً في [الدرء] (٢٦/٧): القول بأن الله تعالى فوق العالم معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة بعد تدبر ذلك؛ كالعلم بالأكل والشرب في الجنة، والعلم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، والعلم بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كُلِّ شيء قدير، والعلم بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما، بل نُصوص العلو قد قيل: إنها تبلغ مئين من المواضع.

والأحاديث عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين متواترة موافقة لذلك، ولهذا كان السلف مطبقين على تكفير من أنكر ذلك؛ لأنه عندهم معلوم بالاضطرار من الدين، والأمور المعلومة بالضرورة عند السلف والأئمة وعلماء الدين قد لا تكون معلومة لبعض الناس؛ إما لإعراضه عن سماع ما في ذلك من المنقول، فيكون حين انصرافه عن الاستماع والتدبر غير مُحصل لشرط العلم، بل يكون ذلك الامتناع مانعاً له من حصول العلم بذلك، كما يعرض عن رؤية الهلال فلا يراه، مع أن رؤيته ممكنة لكُلِّ من نظر إليه، وكما يحصل لمن لا يصغي إلى استماع كلام غيره وتدبره، لا سيما إذا قام عنده اعتقاد أن الرسول لا يقول مثل ذلك، فيبقى قلبه غير مُتدبر ولا مُتأمل لما به يحصل له هذا العلم الضروري ...

ولهذا كان كثير من علماء اليهود والنصارى يؤمنون بأن محمداً رسول الله، وأنه صادق، ويقولون: إنه لم يرسل إليهم بل إلى الأميين؛ لأنهم أعرضوا عن سماع الأخبار المتواترة والنصوص المتواترة التي تُبين أنه كان يقول: إن الله أرسله إلى أهل الكتاب.

بل أكثرهم لا يقرّون بأن الخليل بنى الكعبة هو وإسماعيل، ولا أن إبراهيم ذهب إلى تلك الناحية مع أن هذا من أعظم الأمور تواتراً لإعراضهم. اهـ

- وقال الشيخ سليمان بن سحمان (١٣٤٩ هـ) رحمه الله: مسألة علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله من المسائل الجلية الظاهرة، ومما عُلِمَ من الدّين بالضرورة، فإن الله قد وُضِّحَها في كتابه، وعلى لسان رسوله، فمن سمع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية: فقد قامت عليه الحجّة، وإن لم يفهمها، فإن كان ممن يقرأ القرآن فالأمر أعظم وأطم، لاسيما إن عاند، وزعم أن ما كان عليه هو الحق، وأن القرآن لم يُبَيِّنْ ذلك بياناً شافياً كافياً؛ فهذا كفره أوضح من الشمس في نحر الظهيرة. ولا يتوقف في كفره من عرف الإسلام وأحكامه وقواعده. اهـ

[من كتاب: «إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية» (ص ١١٧)]

فصل

المُعْطَلُ شَرٌّ مِنَ الْمُشْرِكِ

- قال ابن القيم رحمه الله في [«المدارج» (٢/٤٠٢)] وهو يتكلّم عن الدرجة الثالثة من درجات اليقين قال:

الوقوف على ما قام بالحقّ سُبحانه من أسمائه وصفاته وأفعاله، وهو علم التّوحيد الذي أساسه إثبات الأسماء والصفات، وصدّه التّعطيل والتّنفي والتّجهّم، فهذا التّوحيد يقابله التّعطيل.

وأما التّوحيد القصدي الإرادي الذي هو إخلاص العمل لله وعبادته وحده؛ فيقابله الشّرك.

والتّعطيل شرٌّ من الشّرك؛

فإن المعطّل جاحد للذّات، أو لكمالها، وهو جحد لحقيقة الإلهية، فإن ذاتاً لا تسمع، ولا تبصر، ولا تتكلّم، ولا ترضى، ولا تغضب، ولا تفعل شيئاً، وليست داخل العالم، ولا خارجه، ولا متّصلة بالعالم، ولا مُنفصلة، ولا مُجانبة له، ولا مُباعدة له، ولا مجاورة، ولا مجاوزة، ولا فوق العرش، ولا تحت العرش، ولا خلفه، ولا أمامه، ولا عن يمينه، ولا عن يساره سواء هي والعدم.

والمشرك مُقرٌّ بالله وصفاته؛

لكن عبد معه غيره، فهو خيرٌ من المعطل للذات والصفات. اهـ

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [مجموع الفتاوى] (٥٦٧/١٦):

التعطيل شرٌّ من الشرك، وكلُّ مُعطل فلا بُدَّ أن يكون مُشركًا. اهـ

وقال في [الدرة] (٧٢/٧): وهذه الشُّبه شبه الجهمية هي في الأصل نشأت من ملاحظة الأمم المتكرين للصانع، وهؤلاء أجهل الطوائف وأقلهم عقلاً، فلهذا لم تكن العرب تعارض بمثل هذه الشُّبه؛ وإنما ذكر الله تعالى نظير قول الجهمية عن مثل فرعون، وأمثاله من المعطلة، كالذي حاجَّ إبراهيم في ربه.

ولا ريب أن المعطلة شرٌّ من المشركين والعرب؛ وإن كانوا مشركين لم يكن الظاهر فيهم التعطيل للصانع، وإن كان قد يكون في أضعافهم من هو في المرتابين في الصانع، أو الجاحدين له كما في تضاعيف كلِّ أمة حتّى في المصلّين من هو من هؤلاء، إذ المنافقون لم يزالوا في الأمة، ولن يزالوا على اختلاف أصنافهم. اهـ

المبحث الخامس عشر:

الألفاظ المحدثّة التي يستخدمها
أهل الكلام ويريدون منها :
نفي حقيقة صفات الله تعالى

أئمة السلف وأهل السُنّة من بعدهم يُثبتون الصفات ولا يتعرّضون للتركيب والتجسيم والتبعض ونحو ذلك من الألفاظ المبتدعة لا بنفي، ولا إثبات، ولكن يُنزهون الله عما نَزّه عنه نفسه.

أمّا مُعطلة الصفات فإنهم إذا أرادوا نفي ما ثَبَتَ من صفات الله تعالى بالحيلة والمكر؛ عمِدُوا إلى ألفاظٍ مُجملة ك: (الجسم)، و(الجارحة)، و(الحيز)، و(التركيب)، و(الأبغاض) وغيرها، ووضعوا لها مَعَانِي لم تأتِ في الكتاب ولا السُنّة ولا في لغة العرب؛ ثم نفوها عن الله تعالى، وغرضهم بذلك أن يتوهّم من لا يعرف مُرادهم أن قصدهم تنزيه الله وتوحيده.

- قال ابن القيم رحمه الله في [الصواعق المرسلة] (١٤٤٠/٤): وهؤلاء النُفّاة تجدهم دائماً يعتمدون هذه الطّريقة المتضمنة للتبليس والتدليس، وينفون بها حقائق ما أخبر الله به عن نفسه؛ فيأتون إلى ألفاظٍ مَعْنَاهَا في اللغة العربية أخصّ من معناها في اصطلاحهم؛ فينفون مَعْنَاهَا العام الذي اصطَلَحُوا عليه، ويوهّمون النَّاسَ أنَّهم إنَّما نفوا معناها المعروف في اللُّغة، والنَّاسَ أوّل ما يسمعون

تلك الألفاظ إنما يفهمون معناها اللغوي فيوافقونهم على النفي تعظيماً لله، وتنزيهاً له، ومرادهم نفي المعنى العام الذي اصطلحوا عليه، وقد جمعوا في ذلك:

تحريف لغة العرب عن مواضعها،

وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه،

ولبس الحق بالباطل في النفي والإثبات.

فمعرفة مُراد هؤلاء وكلامهم من تمام مقاصد الدين؛ ليمكن أهل السنة والحديث من ردّ باطلهم، وتبيين إفكهم. اهـ

[وانظر: «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٣٨ - وما بعدها)]

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [«الدرء» (٥/ ٥٧)] وهو يتكلم عن الألفاظ المجملة التي تشتمل على الحق والباطل، قال:

وعامة من أطلقها في النفي أو الإثبات أراد بها ما هو باطل، لا سيما النفاة؛ فإن نفاة الصفات كلهم ينفون: (الجسم)، و(الجوهر)، و(المتحيز)، ونحو ذلك، ويدخلون في نفي ذلك نفي صفات الله.. فعامّة من يطلق ذلك إما متناقض في نفيه وإثباته، يثبت الشيء بعبارته وينفيه بأخرى، أو يثبت وينفي نظيره، أو ينفيه منفصلاً، ويثبت مجملاً، أو بالعكس، أو يتكلم في النفي والإثبات بعبارات لا يحصل مضمونها ولا يحقق معناها.

وهذا كثير في الكبار فضلاً عن الصغار، وكثير منهم لا يفهم مراد أكابرهم بهذه العبارات، وهم يعلمون أن عامتهم لا يفهمون مرادهم، وإنما يظنون تعظيماً وتسييحاً من حيث الجملة.. الخ

- وقال أيضاً في [«درء التعارض» (٢/ ١٠ وما بعدها)]: كانت المعتزلة تقول: إن الله مُنَزَّهٌ عن (الأعراض)، و(الأبعاض)، و(الحوادث)، و(الحدود) ومقصودهم نفي الصفات، ونفي الأفعال.. فإنهم إذا قالوا:

(إن الله مُنَزَّهٌ عن الأعراض) لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما يُنكر؛ لأنّ النَّاسَ يفهمون من ذلك أنّه مُنَزَّهٌ عن الاستحالة، والفساد: كالأعراض التي تعرض لبني آدم، من الأمراض، والأسقام، ولا ريب أن الله مُنَزَّهٌ عن ذلك؛ ولكن مقصودهم أنّه ليس له: عِلْمٌ، ولا قُدْرَةٌ، ولا حياة، ولا كلام قائم به..!!

وكذلك إذا قالوا: (إن الله مُنَزَّهٌ عن الحدود، والأحياز، والجهات) أو هموا النَّاسَ أنّ مقصودهم بذلك: أنّه لا تحصره المخلوقات، ولا تحوزها المصنوعات، وهذا المعنى صحيح، ومقصودهم: أنّه ليس مُبَايِنًا للخلق، ولا مُنفصلاً عنه، وأنّه ليس فوق السَّمَوَاتِ ربّاً، ولا على العرش إله..!!

وإذا قالوا: (إنه ليس بجسم)، أو هموا النَّاسَ أنّه ليس من جنس المخلوقات، ولا مثل أبدان الخلق، وهذا المعنى صحيح؛ ولكن مقصودهم بذلك: أنّه لا يرى، ولا يتكلم بنفسه، ولا يقوم به صفة.. وأمثال ذلك!!

وإذا قالوا: (لا تحل الحوادث) أو هموا النَّاسَ أنّ مرادهم أنّه لا يكون مُحَلًّا للتغيّرات، والاستحالات، ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين، فتحيلهم وتفسدهم، وهذا معنى صحيح؛ ولكن مقصودهم بذلك: أنّه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه، ولا له كلام، ولا فعل يقوم به يتعلّق بمشيئته وقدرته، وأنّه لا يقدر على استواء، أو نزول، أو إتيان، أو مجيء.. ونحو ذلك!! اهـ

* ومن الأمثلة على انتشار هذه الألفاظ:

١ - قال الطحاوي في [«عقيدته»]: وتعالى عن الحدود، والغايات، والأركان، والأعضاء، والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات. اهـ

٢ - قال القرطبي في [«المفهم» (٣/٣٧)]: كُلُّ مَا أُطْلِقَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا يَدُلُّ عَلَى (الجوارح)، و(الأعضاء): كالأعين، والأيدي، والجنب، والأصبع، وغير ذلك، مما يلزم من ظاهره (التجسيم) الذي تدلُّ العقول على استحالة!! فهي كلها مُتَأَوِّلة في حَقِّهِ تَعَالَى لاستحالة حملها على ظواهرها!! اهـ

وقال أيضًا في قول النبي ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ»: وفيه إثبات اليمين لله صفة من صفات ذاته ليست (بجارية) خلافًا لما تعتقده الجسمية في ذلك لاستحالة جواز وصفه (بالجوارح) و(الأعضاء)، واستحالة كونه (جسمًا). اهـ

٣ - قال البيهقي في [«الأسماء والصفات» (٢/١٢٧)]: عند قوله تعالى: ﴿قَالَ يٰٓإِبْرٰهٖمُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ قال: فلا يجوز أن يُحمل على (الجارية)؛ لأنَّ الباري جلَّ جلاله واحدٌ، لا يجوزُ عليه (التَّبَعِيضُ).

٤ - قال الخطابي في [«أعلام الحديث» (٣/١٨٩٨)]: ليس معنى اليد في الصفات بمعنى: (الجارية) حتى يتوهم بثبوتها إثبات الأصابع. اهـ

وقال في [«معالم الشن» (٤/٣٣٠)]: وهو يشرح حديث: وضعه على أذنه وعينه عند قراءته ﴿مَبِصْرًا بَصِيرًا﴾ معناه: إثبات صفة السَّمْع والبصر لله سبحانه، لا إثبات الأذن والعين، لأنها (جارتان)، والله سبحانه موصوفٌ

بصفاته، متفَي عنه ما لا يليق به من صفات الآدميين ونعوتهم، ليس بذِي (جوارح)، ولا (بذِي أجزاء)، و(أبعاض). اهـ

٥ - قال ابن حجر الهيتمي في [«الزَّوْاجِر» (ص ٦٥)]: إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد أي يتجلى لهم تجليًا مُنَزَّهًا عن (الحركة) و(الانتقال) وسائر لوازم (الجهات) و(الأجسام) ليقضي بينهم، نُزُولُ الله كناية عن نزول رحمته، أو بعض ملائكته؛ لتعالیه تبارك وتعالى عن (الجهة) و(المكان) و(الجسم) و(الزمان). اهـ

٦ - وقال السَّفاريني في قصيدته [«الدرة المضية» (ص ٣٨)]:

وَلَيْسَ رَبُّنَا بِجَوْهَرٍ وَلَا .. عَرَضٍ وَلَا جِسْمٍ تَعَالَى ذُو الْعُلَى

قلت: وتتبع كلامهم في ذكر هذه الألفاظ المحدثه يطول.

فهذا «لأبد» من ذكر كلام أئمة أهل الإسلام على هذه الألفاظ المبتدعة المُخترعة التي أدخلها بعض المتسبين إلى الشُّنة من أهل الكلام وغيرهم في العقائد ونسبها بعضهم إلى مذهب السلف رضوان الله عليهم. ومن ذلك:

١ - قال الإمام أحمد رحمه الله في [«الرد على الجهمية» (ص ٢١٠)]:

فإذا قيل لهم: من تعبدون ؟

قالوا: نعبد من يُدبِّرُ أمر هذا الخلق.

فقلنا: هذا الذي يُدبِّرُ أمر هذا الخلق هو مجهولٌ لا يُعرفُ بصفة ؟

قالوا: نعم.

قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء؛ وإنما تدفعون عن أنفسكم الشُّنعة بما تُظهرون.

وقلنا لهم: هذا الذي يُدبّر: هو الذي كَلَّمَ موسى؟ قالوا: لم يتكلم، ولا يُكَلِّم؛ لأن الكلام لا يكون إلَّا (بجارية)، و(الجوارح) عن الله منفية.

فإذا سمع الجاهل قولهم يظنُّ أنهم من أشدَّ النَّاس تعظيمًا لله سبحانه، ولا يشعر أنهم إنما يعود قولهم إلى فرية في الله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلال وكفر. اهـ

٢ - وقال أيضًا رحمه الله: لقد جعل برغوث [أحد الجهمية] يقول يومئذ: الجسم، وكذا، وكلام لا أفهمه، فقلت: لا أعرف، ولا أدري ما هذا، إلَّا أنني أعلم أنه أحد صمَد، لا شبه له، ولا عدل، وهو كما وصف نفسه، فيسكت عني. [«الإبانة» (الرد على الجهمية) (٤٣٣)]

٣ - قال الدَّارمي رحمه الله في [«النقض على المريسي» (ص ٤٠٦-٤٠٧)]:

وأما دعواك أنهم يقولون: (جارج) (مركب)؛ فهذا كُفْر لا يقوله أحد من المصلين؛ ولكنَّا نُثبت له السَّمع والبصر والعين بلا تكليف، كما أثبتنا لنفسه فيما أنزل من كتابه، وأثبتنا له الرسول ﷺ، وهذا الذي تكرر مرة بعد مرة: (جارج)، و(عضو)، وما أشبهه حشوً وخُرافات، وتشنيع لا يقوله أحد من العالمين، وقد رويناه روايات السَّمع والبصر والعين في صدر هذا الكتاب بأسانيدها وألفاظها عن رسول الله ﷺ فنقول كما قال، ونعني بها كما عني، والتكليف عَنَّا مرفوع، وذكر (الجوارح، والأعضاء) تكلف منك وتشنيع. اهـ

٤ - وقال أيضًا رحمه الله في [«النقض» (ص ٥٣٥)]: وادعى المعارض أيضًا: أن قومًا زعموا أن الله عينا؛ يُريدون (جارجًا) كجارج العين من الإنسان، وأرادوا (التركيب)، واحتجوا بقوله: ﴿وَلِئَلْصَنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه/٣٩] ..

قال المعارض: والمعقول بين أن هذا يُريد عين القوم، يعني: رئيسهم، وكبيرهم، ولا يريد (جارجًا)؛ ولكن يريد الذي يجوز في الكلام ..

فيقال لهذا المعارض: أمّا ما ادعيت أن قومًا يزعمون أن الله عينا، فإننا نقوله؛ لأنَّ الله قاله ورسوله، وأما (جارج) كجارج العين من الإنسان على التركيب، فهذا كَذِبٌ ادعيتَه عَمْدًا لما أتت تعلم أن أحدًا لا يقوله، غير أنك لا تألو ما شئت ليكون أنجع لضلالتك في قلوب الجهّال، والكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، فمن أيِّ النَّاس سمعت أنه قال: (جارج)، (مركب) فأشر إليه فإن قائله كافرٌ، فكم تكرر قولك: (جسم مركب)، و(أعضاء)، و(جوارح)، و(أجزاء) كأنك تهوّل بهذا التشنيع علينا أن نكف عن وصف الله بما وصف نفسه في كتابه وما وصفه الرسول ﷺ.

ونحن وإن لم نصف الله بجسم كأجسام المخلوقين، ولا بعضو ولا بجارية؛ لكنّا نصفه بما يغنيك من هذه الصفات التي أنت ودعاتك لها منكرون .. اهـ

٥ - قال الشافعي رحمه الله: إذا سمعت الرَّجل يقول: (الاسم غير المُسمّى)، أو (الاسم المُسمّى)؛ فاشهد عليه أنه من أهل الكلام، ولا دين له.

[«جامع بيان العلم وأهله» (١١٠٦)، «ذم الكلام» للهرابي (١١٤٧)]

٦ - قال إسحاق بن راهويه رحمه الله: دخلتُ على ابن طاهر، فقال: ما هذه الأحاديث التي تروون: «أن الله ينزل إلى السَّماء الدُّنيا»؟

قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام.
فقال: ينزل ويدع عرشه؟
فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟
قال: نعم.

قلت: فلم تتكلم في هذا؟! [«العلو» للذهبي (٤٤٨)]

٧ - قال أبو طاهر المخلص: سمعت أبي: سمعت إبراهيم الحربي (٢٨٥هـ) - وكان وعدنا أن يُمل علينا مسألة في (الاسم والمسمى) -، وكان يجتمع في مجلسه ثلاثون ألف محبرة، وكان إبراهيم مُقلًا، وكانت له غرفة يصعدُ فيشرف منها على الناس، فيها كوة إلى الشارع، فلما اجتمع الناس، أشرف عليها، فقال لهم: قد كنت وعدتكم أن أُملي عليكم في الاسم والمسمى، ثم نظرتُ فإذا لم يتقدمني في الكلام فيها إمامٌ يقتدى به، فرأيت الكلام فيه بدعة، فقام الناس وانصرفوا، فلما كان يوم الجمعة أتاه رجلٌ، وكان إبراهيم لا يقعد إلا وحده، فسأله عن هذه المسألة، فقال: ألم تحضر مجلسنا بالأمس؟ قال: بلى، فقال: أتعرف العلم كُلَّهُ؟ قال: لا.

قال: فاجعل هذا مما لم تعرف. [«السير» (١٣/ ٣٦٠-٣٦١)]

٨ - قال أبو نصر أحمد السجزي: قيل لأبي العباس ابن سريج (٣٠٦هـ) صاحب الشافعي: ما التوحيد؟

قال: توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتوحيد أهل الباطل الخوض في (الأعراض)، و(الأجسام)، وإثباتُ بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك.

[رواه الهكاري في «اعتقاد الشافعي» (٢٠)]

- قال ابن تيمية رحمه الله في [«مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣٠٥)] معلقًا على قول ابن سريج: ولم يُرد بذلك أنه أنكر هذين اللَّفظين؛ فإثباتهما لم يكونا قد أحدثا في زمنه، وإثباتهما أراد إنكار ما يعنى بهما من المعاني الباطلة، فإنَّ أول من أحدثهما الجهمية والمعتزلة، وقصدهم بذلك إنكار صفات الله تعالى، أو أن يُرى، أو أن يكون له كلام يتصف به، وأنكرت الجهمية أسماءه أيضًا. اهـ

٩ - قال البرهاري (٣٢٩هـ) رحمه الله في [«شرح السنة» (٨)]:

فانظر رحمك الله كُلَّ من سمعتَ كلامه من أهل زمانك خاصّة فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيء منه حتّى تسأل وتنظر: هل تكلم فيه أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ، أو أحد من العلماء؟ فإن وجدت فيه أثرًا عنهم؛ فتمسك به، ولا تتجاوز له شيء، ولا تختار فيه شيئًا؛ فتسقط في النار.

وقال: واعلم أن الناس لو وقفوا عند مُحَدَّثات الأمور ولم يُجاوزوها بشيء، ولم يُؤلِّدوا كلامًا مما لم يجيء فيه أثرٌ عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه؛ لم تكن بدعة. اهـ

١٠ - قال أبو المظفر السمعاني (٤٨٩هـ) رحمه الله في [«الانتصار لأصحاب الحديث» (ص ٧٠)]: قد علمنا أن النبي ﷺ لم يدعهم في هذه الأمور إلى الاستدلال (بالأعراض)، و(الجواهر)، وذكر ما هيتهما، ولا يُمكن لأحدٍ من الناس أن يروي في ذلك عنه، ولا عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم من هذا النمط حرقًا واحدًا فما فوقه، لا في طريق تواتر ولا آحاد، فعلمنا أنهم ذهبوا خلاف مذهب هؤلاء، وسلكوا غير طريقهم، وأن هذا طريق مُحدث مُتخترع، لم يكن

عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم، وسلوكه يعود عليهم بالطعن والقدح، ونسبتهم إلى الجهل وقلة العلم في الدين، واشتباه الطريق عليهم.

١١ - قال قوام السنة التيمي رحمه الله في [الحجة في بيان المحجة] (١/١١٠):

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»، قال: أنكر السلف الكلام في (الجواهر)، و(الأعراض)، وقالوا: لم يكن على عهد الصحابة والتابعين رضي الله عن الصحابة، ورحم التابعين، ولا يخلو أن يكونوا سكتوا عن ذلك وهم عالمون به، فيسعدنا السكوت عما سكتوا عنه، أو يكونوا سكتوا عنه وهم غير عالمين به فيسعدنا أن لا نعلم ما لم يعلموه، والحديث الذي ذكرناه يقتضي أن ما تكلم فيه الآخرون من ذلك ولم يتكلم فيه الأولون يكون مردوداً. اهـ

١٢ - قال ابن تيمية رحمه الله في [الدرء] (١/٧٦): كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب إتباعه، فيثبتون ما أثبتته الله ورسوله، وينفون ما نفاه الله ورسوله، ويجعلون العبارات المحدثة المجملة المتشابهة ممنوعاً من إطلاقها نفياً وإثباتاً، لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الاستفسار والتفصيل؛ فإذا تبين المعنى أثبت حقه، ونفى باطله، بخلاف كلام الله ورسوله فإنه حق يجب قبوله، وإن لم يفهم معناه، وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه. اهـ

فصل

**نماذج من رد أهل السنة على المتكلمين
بالألفاظ المبتدعة التي أدخلوها في باب الصفات**

١ - قال عبدالله بن أحمد بن حنبل رحمه الله: كنت أنا وأبي عابرين في المسجد، فسمع قاصاً يقصُّ بحديث النزول، فقال: إذا كان ليلة التصف من شعبان، ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا، بلا (زوال)، ولا (انتقال)، ولا (تغير حال)، فارتعد أبي - رحمه الله -، واصفر لونه، ولزم يدي، وأمسكته حتى سكن، ثم قال: قف بنا على هذا المتخوض، فلما حاذاه، قال: يا هذا، رسول الله ﷺ أغير على ربه تعالى منك، قل كما قال رسول ﷺ، وانصرف.

[«الاقتصاد في الاعتقاد» لعبد الغني المقدسي (٢١)].

٢ - قال ابن تيمية رحمه الله في [بيان تليس الجهمية] (٣/٣٠٤):

ومن هذا الباب قول المؤسس [الرازي] ونحوه ممن فيه تهمهم: (إقامة البراهين على أنه ليس بمختص (بحيث) و(جهة)، بمعنى أنه: يصح أن يُشار إليه بالחסّ أنه ها هنا أو هناك).

قال: فإن المقصود الذي يُورد على منازعه بهذا الكلام: أنه ليس على العرش، ولا فوق العالم، كما يذكره في سائر كلامه، ويحرف النصوص الدالة على ذلك، ولكن لم يُترجم للمسألة بنفي هذا المعنى الخاص الذي أثبتته

النصوص، بل عمِد إلى معنى عام مُجمل يتضمن نفياً ذلك، وقد يتضمن أيضاً نفياً معنى باطل، فتفاهما جميعاً، نفى الحق والباطل؛

فإن قول القائل: (ليس في جهة)، و(لا حيز)؛ يتضمن نفياً أنه ليس داخل العالم، ولا في أجواف الحيوانات، ولا الحشوش القدرة، وهذا كله حق،

ويتضمن أنه ليس على العرش، ولا فوق العالم، وهذا باطل، وكان في نفياً نفياً الحق والباطل. اهـ

- وقال في «الدرء» (٥/ ٨٧): قول ابن سينا: هو الإقرار بالصانع مُقدِّساً عن (الكَم)، و(الكيف)، و(الأين)، و(متى)، و(الوضع)، و(التغير)، حتَّى يصير الاعتقاد أنه ذات واحدة لا يمكن أن يكون له شريك في النوع، أو يكون له جزء وجودي كمي، أو معنوي .. إلى آخره.

فكلامه هذا يتوهم الجاهل أنه تعظيم لله تعالى، ومُراده أنه ليس لله عِلْمٌ، ولا قُدرةٌ، ولا إرادة، ولا كلام، ولا محبة، وأنه لا يُرى، ولا يُباين المخلوقات. اهـ

٣ - سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦ هـ) رحمه الله عن يقول: (إن الله ليس بجوهر، ولا جسم، ولا عرض).

قلت: وهو قول السَّفاريني كما تقدم في (ص ٧٨).

فقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: إن مذهب الإمام أحمد وغيره من السَّلف أنهم لا يتكلَّمون في هذا النوع إلَّا بما تكلم الله تعالى به، ورسوله ﷺ، فما أثبت الله لنفسه، وأثبت له رسوله أثبتوه مثل: الفوقية، والاستواء، والكلام، والمجيء، وغير ذلك، وما نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله نفوه، مثل: المثل، والتد، والسَّمي، وغير ذلك، وأمَّا ما لا يُوجد عن الله ورسوله إثباته ولا نفية مثل:

(الجوهر)، و(العرض)، و(الجهة) وغير ذلك لا يثبتونه،

فمن نفاه فهو عند أحمد والسَّلف مُبتدع،

ومن أثبت مثل هشام بن الحكم وغيره فهو عندهم مُبتدع.

[تنبيه ذوي الألباب السليمة] (ص ١٧)

٤ - قال الشيخ ابن سحمان رحمه الله في [تنبيه ذوي الألباب السليمة] (ص ٤):

قال في «الكواكب الدرية»: استواء مُنَزَّها عن (المهاسة) و(التمكن) و(الحلول).

قال ابن سحمان: اعلم أن هذا القول قول مُبتدع مُخترع، لم يذكره أحد من أهل العلم من سلف هذه الأمة وأئمتها الذين لهم قَدَمُ صدق في العالمين، وقد تفرَّز أن مذهب السَّلف وأئمة الإسلام عدم الزيادة والمجازاة لما في الكتاب والسُّنة، وأنهم يقفون ويتهون حيث وقف الكتاب والسُّنة.

وقال: ولفظ (المهاسة): لفظ مُخترع مُبتدع، لم يقله أحد من يُقتدى به ويُتبع، فإن أريد به نفياً ما دلَّت عليه النصوص من الاستواء والعلو والارتفاع والفوقية، فهو قول باطل ضال قائله، مُخالف للكتاب والسُّنة وإجماع سلف الأمة، مكابر للعقول الصَّحيحة، والنصوص الصَّريحة وهو جهمي لا ريب.

وإن لم يرد هذا المعنى، بل أثبت: العلو، والفوقية، والارتفاع الذي دلَّ عليه لفظ الاستواء، فيقال فيه: هو مبتدع ضال، قال في الصَّفات قولاً مُشْتَبهاً موهماً، فهذا اللفظ لا يجوز نفياً ولا إثباته، والواجب في هذا الباب متابعة الكتاب والسُّنة، والتَّعْيير بالعبارات السَّلفية الإيائية، وترك التشابه. هذا ما ذكره شيخنا الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن في جوابه على بعض الجهمية. اهـ

وقال الشيخ ابن سحمان (ص ٧٣) وهو يتكلم عن الألفاظ المحدثه:

ومنها ما ذكره في «الكواكب» في (ص ٢٠) حيث قال في البصر: (ولا على سبيل تأثر حاسة). فأقول: اعلم أن هذه اللفظة من جملة الألفاظ المخترعة المبتدعة التي لم ينطق بها السلف رضوان الله عليهم لا نفيًا ولا إثباتًا. اهـ - وقال مُعلِّقًا على قول السفاريني في شرحه «اللوامع» (١/٢٥٨):

قال الشارح: وسائر الأفعال من الاستواء أو النزول والإتيان والمجيء والتكوين ونحوها قديمة عند سلف الأمة وأئمتها لله ذي الجلال والإكرام ليس منها شيء محدث ولأ لكان محلًا للحوادث، وما حلت به الحوادث فهو حادث تعالى الله عن ذلك، انتهى.

قال الشيخ ابن سحمان: ليس هو من كلام السلف وأئمتها، بل هو من كلام أهل البدع المخالفين للسلف كما قال ابن القيم: وأما حلول الحوادث فيريدون به: أنه لا يتكلم بقدرته ومشئته، ولا ينزل كل ليلة إلى السماء. اهـ ٥ - قال أحمد بن عبد الله المزني: .. والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق (الحركة)، و(الانتقال) من حالٍ إلى حالٍ، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه. [السنن الكبرى] للبيهقي (٣/٢٣)

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في [مجموع فتاوى ومقالات متنوعة] (٥٤/٥٥-٥٥): لا شك أن هذا القول باطل، مُحال لما عليه أهل السنة والجماعة، فإن الله سبحانه قد أثبت لنفسه المجيء، وكما أخبر عنه رسوله ﷺ بالنزول، ولم يُبين لنا سبحانه، ولا رسوله ﷺ، كيفية النزول، ولا كيفية المجيء، فوجب الكف عن ذلك كما وسع السلف الصالح رضي الله عنهم ذلك، ولم يزيدوا على ما جاء في النصوص .. الخ

المبحث السادس عشر

الجامع في مسائل في صفات الله تعالى

المسألة الأولى

المضافات إلى الله تعالى

هذه من المسائل المهمة التي ينبغي ضبطها؛ لأن كثيرًا ما يستدل بها أهل التعطيل على نفي صفات الله تعالى.

فالجهمية مثلًا جعلت جميع المضافات إلى الله إضافة خلقي ومُلك؛ فجعلوا (سمع الله، وبصر الله) كإضافة (ناقة الله، وبيت الله).

- قال ابن تيمية رحمه الله في [درء التعارض] (٩/٤): وفي هذا الباب [يعني باب المضافات إلى الله تعالى] ضلت طائفتان:

١- طائفة جعلت جميع المضافات إلى الله إضافة خلق وملك؛ كإضافة البيت، والثاقة إليه، وهذا قول نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، حتى ابن عقيل، وابن الجوزي، وأمثالهما إذا مالوا إلى قول المعتزلة سلكوا هذا المسلك، وقالوا: (هذه آيات الإضافات لا آيات الصفات)، كما

ذكر ذلك ابن عقيل في كتابه المسمى بـ «نفي التشبيه وإثبات التنزيه»، وذكره أبو الفرج بن الجوزي في «منهاج الوصول» وغيره، وهذا قول ابن حزم وأمثاله ممن وافقوا الجهمية على نفي الصفات، وإن كانوا مُتَسَيِّين إلى الحديث والسنة !!

٢- وطائفة بإزاء هؤلاء يجعلون جميع المضافات إليه صفة، ويقولون:

بقدم الروح، فمنهم من يقول بقدم روح العبد، لقوله: ﴿سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وهم من جنس النصارى الذين يقولون بأن روح عيسى من ذات الله تعالى، ومن هؤلاء من يتسبب إلى أهل السنة والحديث إلى الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة .. اهـ

قلت: الإضافة إلى الله تعالى نوعان:

النوع الأول: إضافة مُلك وتشريف.

وضابطها: أن كُلَّ ما يُضاف إلى الله تعالى ويكون عيناً قائمة بنفسها، أو حالاً في ذلك القائم بنفسه، فهي إضافة ملك وتشريف.

ومثال ما يضاف ويكون عيناً قائمة بنفسها: قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٣].

ومثال ما يكون حالاً في ذلك القائم بنفسه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]

فهذا لا يكون صفة؛ لأن الصفة لا بُدَّ أن تكون قائمة بالموصوف.

النوع الثاني: إضافة الصفة إلى الله.

وضابطها ما قاله ابن تيمية رحمه الله في «رسالة العقل والروح»: ما

كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به. اهـ

- وقال أيضًا في «مجموع الفتاوى» (١٧/١٥١): الفارق بين المضافين: أن المضاف إن كان شيئاً قائماً بنفسه، أو حالاً في ذلك القائم بنفسه، فهذا لا يكون صفة لله؛ لأن الصفة قائمة بالموصوف، فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، تمتنع أن تكون صفات لله، فإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة؛

لكن أضيفت لنوع من الاختصاص المقتضي للإضافة، لا لكونها صفة، والروح الذي هو جبريل من هذا الباب، كما أن الكعبة، والناقة من هذا الباب، ومال الله من هذا الباب، وروح بني آدم من هذا، وذلك كقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] ﴿وَطَهَّرَ لِيَّ﴾ [الحج: ٢٦]، ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٣] ﴿مَّا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلْيُكْفِئْهُمُ الرِّسُولَ﴾ [الحشر: ٧]

وأما إن كان المضاف إليه لا يقوم بنفسه، بل لا يكون إلا صفة: كالعلم، والقدرة، والكلام، والرضا، والغضب، فهذا لا يكون إلا إضافة صفة إليه، فتكون قائمة به سبحانه، فإذا قيل: «أستخبرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك»، فعلمه صفة قائمة به، وقدرته صفة قائمة به، وكذلك إذا قيل: «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك»، فرضاه وسخطه قائم به، وكذلك عفوه وعقوبته.

وأما أثر ذلك وهو ما يحصل للعبد من النعمة، وإندفاع النعمة، فذاك مخلوق مُنفصل عنه، ليس صفة له، وقد يُسمى هذا باسم ذاك، كما في الحديث

الصَّحِيح: «يَقُولُ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي»،
فَالرَّحْمَةُ هُنَا عَيْنٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ صِفَةً لْغَيْرِهَا،
فهذا هو الفارق بين ما يُضَافُ إِضَافَةً وَصَفٍ، وإِضَافَةً مُلْكٍ،

وإذا قيل: (المسيح كلمة الله)، فمعناه: أَنَّهُ مَخْلُوقٌ بِالْكَلِمَةِ، إِذِ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ
لَيْسَ كَلَامًا، وَهَذَا بِخِلَافِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نَفْسُهُ كَلَامٌ، وَالْكَلَامُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ إِلَّا
بِالْمُتَكَلِّمِ، فإِضَافَتُهُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ إِضَافَةٌ صِفَةٍ إِلَى مَوْصُوفِهَا، وَإِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِقُدْرَتِهِ
وَمَشِيئَتِهِ، وَإِنْ سَمِيَ فَعَلًا بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ فَهُوَ صِفَةٌ بِاِعْتِبَارِ قِيَامِهِ بِالْمُتَكَلِّمِ. اهـ
[وانظر: مختصر «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٠٩)].

المسألة الثانية:

حُكْمُ مَنْ قَالَ: إِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مَخْلُوقَاتٌ

أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَنْ مَنْ قَالَ: إِنَّ
صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مَخْلُوقَةٌ وَمُحْدَثَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.
- قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَلَا
كَلَامِهِ، وَلَا أَسْمَائِهِ مَخْلُوقٌ. [«الإبانة» لابن بطة (الرد على الجهمية) (٢/ ١٦ / ٢٠٤)].
- قَالَ الْحَارِثُ: قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - أَيُّ شَيْءٍ قُلْتَ لِأَبِي
الْعَبَّاسِ؟

فَقَالَ: قَالَ [يعني: أبو العباس]: لَا أَقُولُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ.
قُلْتُ لَهُ: فَتَقُولُ: إِنَّ وَجْهَ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؟
فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ نَصٌّ؟
فَارْتَعَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالَ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ، سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا الْكُفْرُ بِاللَّهِ، أَحَدٌ
يَشْكُ أَنْ وَجْهَ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؟
فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ الْجَهْمِيَّةَ لَمْ تَقُلْ هَذَا؟
قَالَ: أَيْشُ الْجَهْمِيَّةِ! هَؤُلَاءِ أَشْرُّ مِنْ جَهَنَّمَ وَأَخْبَثُ، هَذَا الْكُفْرُ الَّذِي لَا
شَكَّ فِيهِ. [«السنة» للخلال (١٨٤٦)]

- قال أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي: لما كان في شهر رمضان ليلة سبع عشرة خلت منه حُوِّلَت من السَّجَن إلى دار إسحاق بن إبراهيم وأنا مُقَيَّد بقيد واحد، يُوجَّه إليَّ في كُلِّ يوم رجلان سماهما أبي، - قال أبو الفضل: وهما أحمد بن رباح، وأبو شعيب الحجاج - يكلما ينيظرانني، فإذا أرادا الانصراف دعوا بقيد فقيدت به، فمكثت على هذه الحال ثلاثة أيام، فصار في رجلي أربعة أقياد، فقال لي أحدهما في بعض الأيام، في كلام دار بيننا وسألته عن: علم الله؟ فقال: علم الله مخلوق. فقلت له: يا كافر، كفرت!

فقال لي الرسول الذي كان يحضر معهم من قبل إسحاق: هذا رسول أمير المؤمنين!

قال: فقلت له: إن هذا زعم أن علم الله مخلوق! فنظر إليه كالمنكر عليه ما قال، ثم انصرفا. قال أبي: وأسَاء الله في القرآن، والقرآن من علم الله، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن زعم أن أسَاء الله مخلوق فقد كفر.

[«الحلية» (١٩٧/٩)]

- قال هشام بن عمار - لما بلغه أن أناساً ينسبون إلى اللفظية - غضب وخطب خطبة اثني فيها على الله تعالى، ثُمَّ ذَكَرَ القرآن، فقال: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق، وَمَنْ قال: القرآن، أو قُدرة الله، أو عِزَّة الله مخلوقة؛ فهو مِنَ الكافرين. [«تاريخ دمشق» (٣٢٠/٣٢)]

- قال الدارمي رحمه الله في [«النقض» (ص ٤٣٧)] وهو يتكلم عن الجهمية: لقد سببتم الله بأقبح ما سبَّه اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقتلتم أنفسكم: يد الله مخلوقة. لما ادعيتم أنها نعمته ورزقه؛ لأن

النعمة والأرزاق مخلوقة كلها، ثُمَّ زدتم على اليهود فادعيتم أن وجه الله مخلوق، إذ ادعيتم أنه وجه القبلية، ووجوه الأعمال الصالحة، وكوجه الشوب والحائط، وهذه كلها مخلوقة، فادعيتم أن: علمه، وكلامه، وأسماءه محدثة مخلوقة كما هي لكم، فما بقي إلَّا أن تقولوا: هو بكماله مخلوق، فلذلك قلنا: إنكم سببتم الله بأقبح ما سبته اليهود. اهـ

- قال أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة رحمه الله: الذي أقول به: ..

مَنْ قَالَ: إِنَّ شَيْئًا مِنْ صفاتِ الله صفاتِ الذات، أو اسمًا مِنْ أسماءِ الله مخلوق فهو عندي: جَهميٌّ يُستتاب، فَإِنْ تَابَ وَلَا ضُرْبَ عَنْقِهِ، هذا مذهبي، ومذهب مَنْ رَأَيْتُ مِنْ أَهْلِ الأثر في الشَّرق والغرب من أَهْلِ العلم، ومن حكى عَنِّي خِلافَ هذا فهو كاذِبٌ باهت. اهـ

[«درء التعارض» (٧٩/٢)]

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [«منهاج السنة» (٥/٤٢١)]:

وما يزعمه الجهمية والمعتزلة من أن كلامه، وإرادته، ومحبته، وكرهته، ورضاه، وغضبه، وغير ذلك كُلُّ ذلك مخلوقات له، مُنفصلة عنه هو مما أنكره السلف عليهم، وجمهور الخلف، بل قالوا: إن هذا من الكفر الذي يتضمن تكذيب الرسول، وجحود ما يستحقُّه الله مِنْ صفاتِهِ، وكلام السلف في ردِّ هذا القول، بل وإطلاق الكُفر عليه كثيرٌ مُنتشر. اهـ

المسألة الثالثة :

الحلف بصفات الله تعالى

أجاز أهل السنة والجماعة الحلف بصفات الله تعالى؛ لأن صفات الله تعالى منه وهي غير مخلوقة.

وفي كتاب الله تعالى قول إبليس لما حلف لله تعالى، فإنه حلف بصفة من صفاته: ﴿ قَالَ فِعْرَتِكَ لَأَعْتَبَنَّهُمْ مَجْمُوعِينَ ﴾ [سورة ص: ٨٢].

- وقال البخاري رحمه الله في «صحيحه»:

(باب الحلف بعزة الله، وصفاته، وكلامه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ يقول: «أعوذ بعزتك»، وقال أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «يبقى رجل بين الجنة والنار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، لا وعزتك لا أسألك غيرها». وقال أيوب عليه السلام: (وعزتك لا غنى بي عن بركتك). اهـ

- قال الشافعي رحمه الله: من حلف بالله، أو باسم من أسماء الله تعالى؛ فحنت فعلية الكفارة، فإن قال: وحق الله، وعظمة الله، وجلال الله، وقُدرة الله، يُريد بهذا كله اليمين أو لا نية له، فهي يمين. اهـ

[«الاسماء والصفات» للبيهقي (٥٦٥)]

- وحكى الشافعي عن مالك رحمه الله: لو قال: وعزة الله، أو وقُدرة الله، أو وكبرياء الله، إن عليه في ذلك كُله كفارة مثل ما عليه في قوله:

(والله).

قال الشافعي: ومن حلف بشيء غير الله تعالى؛ مثل أن يقول الرجل: والكعبة، وأبي، وكذا وكذا ما كان، فحنت فلا كفارة عليه. زاد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي في هذه الحكاية، عن الربيع، عن الشافعي رحمه الله: لأن هذا مخلوق، وذلك غير مخلوق. اهـ

[«الاسماء والصفات» للبيهقي (٥٦٥)]

- وقال ابن تيمية رحمه الله في [«الدرء» (١٠/٧١)]: إن النبي ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، وثبت عنه الحلف بعزة الله، والحلف بقوله: (لعمرك الله)، فلو كان الحلف بصفاته حلفاً بغير الله لم يجوز، فعلم أن الحالف بهما لم يحلف بغير الله؛ ولكن هو حالف بالله بطريق اللزوم؛ لأن الحلف بالصفة اللازمة حلف بالموصوف سبحانه وتعالى. اهـ

قلت: أما ما روي عن عون قال: قال عبد الله - ابن مسعود رضي الله عنه: لا تحلفوا بحلف الشيطان أن يقول أحدكم: (وعزة الله)؛ ولكن قولوا كما قال الله تعالى: (رب العزة). فهي رواية ضعيفة مع انقطاعها.

وقد ثبت خلافها والمنع لم يكن إلا لمشابهة حلف إبليس لا شيء آخر.

المسألة الرابعة:

هل صفات الله تعالى: هي الله، أم غيره؟

اعلم أن «مذهب السلف والأئمة أنهم لا يطلقون لفظ: (الغير) على الصفات لا نفيًا ولا إثباتًا، فلا يطلقون القول بأنها غيره، ولا بأنها ليست غيره، إذ اللفظ مجمل فإن أراد المطلق بالغير المباين فليست غيرًا، وإن أراد بالغير ما قد يعلم أحدهما دون الآخر؛ فهي غير»

[درء التعارض] (٢/١٨٧)

- قال الدارمي رحمه الله في «النقض» (١/٥٤٧):

وادعت أيها المعارض أن من قال: القرآن هو الله فهو كافر،

ومن قال: هو غير الله فقد أصاب،

ومن قال: غير مخلوق فقد جهل وكفر.

فيقال لهذا المعارض: لم تدع من صريح المخلوق شيئًا إذ زعمت أن من قال: القرآن غير الله فقد أصاب، ومن قال: غير مخلوق فقد جهل لما أن كُلَّ من زعم أن القرآن غير الله فقد أقر بأنه مخلوق؛ لأن كل شيء غير الله فهو مخلوق لا شك فيه.

ولا يقال أيها المعارض: إن القرآن هو الله فيستحيل، ولا هو غير الله فيلزم القائل أنه مخلوق؛ ولكن يقال: كلام الله، علم من علمه، وصفة من صفاته، وأن الله بجميع صفاته إله واحد غير مخلوق لا شك فيه، فافهم وما

أراك تفهمه؛ لأنك تقول: لا يجوز إلا أن يقال: هو الله، أو غير الله، فإن قال رجل: هو الله، أكفرته، وإن قال: غير الله، قلت له: أقررت بأنه مخلوق، وصوّيت مذهبي؛ لأن كل شيء غير الله مخلوق.

فيقال لك: أخطأت الطريق، وغلطت في التأويل؛ لأنه لا يقال: القرآن هو الله، أو غير الله، كما لا يقال: علم الله هو الله، وقُدرة الله هي الله، وكذلك عزّته ومُلكه وسُلطانه وقُدْرته لا يقال لشيء منها: هو الله بعينه وكماله، ولا غير الله؛ ولكنها صفات من صفاته غير مخلوق، وكذلك الكلام فافهم. اهـ

- قال ابن بطّة رحمه الله في «الإبانة» (الرد على الجهمية) (٢/١٧٩-١٨٢):

ادعى [الجهمي] أمرًا ليفتن به عباد الله الضعفاء من خلقه؛

فقال: أخبرونا عن القرآن؛ هل هو الله، أو غير الله؟

فإن زعمتم أنه الله؛ فأنتم تعبدون القرآن.

وإن زعمتم أنه غير الله، فما كان غير الله فهو مخلوق.

فيظن الجهمي الخبيث أن قد فُلجت حُجته، وعلت بدعته، فإن لم يجبه العالم؛ ظنّ أنه قد نال بعض فتنته.

فالجواب للجهمي في ذلك أن يقال له: القرآن ليس هو الله؛ لأن القرآن كلام الله، وبذلك سمّاه الله؛ قال: ﴿فَلْيَجْزِءُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وبحسب العاقل العالم من العلم أن يُسمي الأشياء بأسمائها التي سمّاها الله بها، فمن سمّى القرآن بالاسم الذي سمّاه الله به؛ كان من المهتدين، ومن لم يرخص بالله بما سمّاه به، كان من الضّالين وعلى الله من الكاذبين ..

فهذا من الغلو ومن مسائل الرّندقة؛ لأن القرآن كلام الله،

فمن قال: إن القرآن هو الله؛ فقد جعل الله كلامًا، وأبطل من تكلم به.

ولا يقال: إن القرآن غير الله، كما لا يُقال: إن علم الله غير الله، ولا قدرة الله غير الله، ولا صفات الله غير الله، ولا عِزَّة الله غير الله، ولا سلطان الله غير الله، ولا وجود الله غير الله.

ولكن يُقال: كلام الله، وعِزَّة الله، وصفات الله، وأسماء الله ..

ومن قال: إن سلطان الله وعِزَّة الله مخلوق؛ فقد كفر؛ لأن ملك الله لم يزل ولا يزول.

ولا يقال: إن ملك الله هو الله، فلا يجوز أن يُقال: يا ملك الله اغفر لنا، يا ملك الله ارحمنا.

ولا يقال: إن ملك الله غير الله، فيقع عليه اسم المخلوق؛ فيبطل دوامه، ومن أبطل دوامه؛ أبطل ملكه؛ ولكن يقال: ملك الله من صفات الله، قال الله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]

وكذلك عِزَّة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥] يقول: من كان يُريد أن يعلم لمن العِزَّة؛ فإن العِزَّة لله جميعًا، فلا يجوز أن يقال: إن عِزَّة الله مخلوقة، من قال ذلك فقد كفر؛ لأن الله لم تزل له العِزَّة، ولو كانت العِزَّة مخلوقة؛ لكان بلا عِزَّة قبل أن يخلقها حتى خلقها، فعزَّ بها تعالى ربنا وجل ثناؤه عما يصفه به الملحدون علوًا كبيرًا.

ولا يقال: إن عِزَّة الله هي الله، ولو جاز ذلك لكانت رغبة الراغبين

ومسألة السَّالين أن يقولوا: يا عِزَّة الله عافينا، يا عِزَّة الله أغنيا.

ولا يقال: عِزَّة الله غير الله؛ ولكن يقال: عِزَّة الله صفة الله، لم يزل ولا يزال الله بصفاته وحده.

وكذلك علم الله وحكمة الله، وقُدرة الله وجميع صفات الله تعالى، وكذلك كلام الله عز وجل. اهـ

- قال ابن تيمية في [مجموع الفتاوى] (١٧/ ١٦٠): لا يطلق القول بأن (كلام الله) و (علم الله) ونحو ذلك هو هو؛ لأن هذا باطل.

ولا يطلق أنه غيره؛ لثلاث يفهم أنه بائن عنه، مُنفصل عنه.

وهذا الذي ذكره الإمام أحمد عليه الخِذَاق من أئمة السُّنَّة، فهو لاء لا يطلقون أنه هو، ولا يُطلقون أنه غيره، ولا يقولون: ليس هو هو، ولا غيره، فإن هذا أيضًا إثبات قسم ثالث، وهو خطأ، ففرق بين ترك إطلاق اللفظين لما في ذلك من الإجمال، وبين نفي مسمى اللفظين مُطلقًا، وإثبات معنى ثالث خارج عن مسمى اللفظين. اهـ

[وانظر: «درء التعارض» (٢/ ٢٧٠)، و«اقتضاء الصراط» (١/ ٤٢١)]

المسألة الخامسة :

هل يقال: الصفات زائدة عن الذات ؟

هذه من الألفاظ المجملة التي يريد بها أهل التعطيل إبطال صفات الله تعالى، كما تقدم بيان ذلك في (المبحث الخامس عشر).

وأما من أطلقها من أهل السنة فهو يريد بها ما بينه ابن تيمية رحمه الله بقوله في [«مجموع الفتاوى» (١٧/١٦٢)] قال:

يريد محققوا أهل السنة بقولهم: (الصفات زائدة على الذات)، أنها زائدة على ما أثبتة نفاة الصفات من الذات؛ فإثباتهم أثبتوا ذاتاً مجردة لا صفات لها، فأثبت أهل السنة الصفات زائدة على ما أثبتة هؤلاء، فهي زيادة في العلم والإعتقاد والخبر، لا زيادة على نفس الله جلّ جلاله وتقدس أسماؤه، بل نفسه المقدسة متصفة بهذه الصفات، لا يمكن أن تفارقها، فلا توجد الصفات بدون الذات، ولا الذات بدون الصفات.

وقال في [«درء التعارض» (٨/٥٣)]:

وأما اللفظ: هل الصفات زائدة على الذات أم لا ؟

فلفظٌ مجملٌ؛

فإن أراد به المرید أن هناك ذاتاً قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها فهذا لا يقوله أهل الإثبات، ولا الصحابة رضي الله عنهم.

وإن أراد به أن الصفات زائدة على الذات المجردة التي يعترف بها النفاة، فهذا حق؛ ولكن ليس في الخارج ذات مجردة، فالسلف والأئمة لم يثبتوا ذاتاً مجردة حتى يقولوا: الصفات زائدة عليها، بل الذات التي أثبتوها هي الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها، وهذا المعنى متواتر في كلام الصحابة.

ففي الجملة: المعاني الصحيحة الثابتة كان الصحابة أعرف الناس بها، وإن كان التعبير عن تلك المعاني يختلف بحسب اختلاف الاصطلاحات، والمعاني الباطلة قد لا تخطر ببال أحدهم، وقد تخطر بباله فيدفعها، أو يسمعها من غيره فيردها، فإن ما يلقيه الشيطان من الوسواس والخطرات الباطلة ليس لها حدّ محدود وهو يختلف بحسب أحوال الناس. اهـ

خاتمة

إن مما يلزم السُّني المتبع لمنهج السَّلف الصَّالح أن يتعلَّم العقيدة الصَّحيحة من مصادرها الأولى الخالية من الكلام والجِدال، القائمة على ذكرِ آثارِ السَّلف الأوائل من الصَّحابة، والتَّابعين، ومن بعدهم ممن اقتضى أثرهم، وسارَ على طريقتهم في الاعتقاد، وأن يتعدَّ كُلَّ البعد عن كتب أهل الكلام والجِدال التي لا تزيد مسائل الاعتقاد إلَّا تعقيدًا وتشتيتًا.

وعليه أن يتعدَّ عن كتب كثير من المتأخرين الذين أدخلوا في مصنفاتهم مباحث علم الكلام المذموم، وقالوا به، ودعوا إليه. وسأقتصر هنا على ذكر بعض مُصنِّفات السَّلف الأوائل ومن بعدهم إلى القرن السَّابع الهجري ممن ألَّف في اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة. ومن تلك الكتب:

- ١- «القدر» لعبدالله بن وهب المصري (١٩٧هـ) رحمه الله.
- ٢- «أصول السُّنَّة» لأبي بكر الحُمَيْدي (٢١٩هـ) رحمه الله.
- ٣- «الإيمان» لأبي عُبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) رحمه الله.
- ٤- «الإيمان» لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبَة (٢٣٥هـ) رحمه الله.
- ٥- «الرَّدَّ على الجهمية والزَّنادقة» لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رحمه الله.
- ٦- «أبواب من «صحيح البخاري» لأبي عبدالله البخاري (٢٥٦هـ) رحمه الله. وهي الأبواب المتعلقة بالسُّنَّة والاعتقاد وهي:

أ- (كتاب الإيوان). ب- (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة).

ج- (كتاب التوحيد).

٧- «خلق أفعال العباد» للبخاري (٢٥٦هـ) رحمه الله.

٨- «الرد على الجهمية» لعثمان الدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله.

٩- «النقض على بشر المريسي» للدارمي (٢٨٠هـ) رحمه الله.

- قال ابن القيم رحمه الله في [اجتماع الجيوش الإسلامية] (ص ٢٢٨): وكتابه [يعني: لدارمي] من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصَّحابة والتَّابعون والأئمة أن يقرأ كتابه، وكان شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية، ويعظمهما جدًّا، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما. اهـ

١٠- «السنة» لحرب الكرمان (٢٨٠هـ) رحمه الله وهو ضمن «مسائله».

١١- «الإيوان» لمحمد بن أبي عمر العدني (٢٤٣هـ) رحمه الله.

١٢- أبواب من «سُنن أبي داود» لسليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ) رحمه الله.

ومنها: (كتاب السنة والرد على الجهمية).

١٣- أبواب من «سُنن ابن ماجه» لأبي عبد الله القزويني (٢٧٥هـ) رحمه الله.

ومنها: أ- (المقدمة وفيها الأمر باتباع السنة). ب- (باب في القدر).

١٤- «الاختلاف في اللفظ، والرد على الجهمية والمشبهة» لابن قتيبة (٢٧٦هـ).

١٥- أبواب من «سُنن الترمذي» لأبي عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) رحمه الله.

ومنها: (أبواب القدر عن رسول الله ﷺ).

١٦- «الرسالة في أن القرآن غير مخلوق» لأبي إسحاق الحربي (٢٨٥هـ) رحمه الله.

١٧- «شرح السنة» لإسماعيل المزني المصري تلميذ الشافعي (٢٦٤هـ) رحمه الله.

١٨- «السنة» لابن أبي عاصم (٢٨٧هـ) رحمه الله.

١٩- «ما جاء في البدع» لمحمد بن وضاح (٢٨٧هـ) رحمه الله.

٢٠- «السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ) رحمه الله.

٢١- «السنة» لمحمد بن نصر المروزي (٢٩٤هـ) رحمه الله.

٢٢- «العرش» لمحمد بن عثمان ابن أبي شيبة (٢٩٧هـ) رحمه الله.

٢٣- «القدر» للفريابي (٣٠١هـ) رحمه الله.

٢٤- «صفة النفاق وذم المنافقين» للفريابي رحمه الله.

٢٥- «كتاب النعوت - الأسماء والصفات -» لأحمد بن شعيب النسائي

(٣٠٣هـ) رحمه الله. مأخوذ من «السُنن الكبرى».

٢٦- «صريح السنة» لمحمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) رحمه الله.

٢٧- «التبصير في معالم الدين» لابن جرير للطبري رحمه الله.

٢٨- «التوحيد» لابن خزيمة (٣١١هـ) رحمه الله.

٢٩- «السنة» لأبي بكر الخلال (٣١١هـ) رحمه الله.

٣٠- «قصيدة في السنة» لابن أبي داود (٣١٦هـ) رحمه الله.

٣١- «كتاب البعث» لابن أبي داود رحمه الله.

- ٣٢- «شرح السُّنة» للبرهاري (٣٢٩هـ) رحمه الله.
- ٣٣- «الرَّد على مَنْ يقول القرآن مخلوق» للنَّجاد (٣٤٨هـ) رحمه الله.
- ٣٤- «الشَّريعة» لأبي بكر الآجري (٣٦٠هـ) رحمه الله.
- ٣٥- «كتاب العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٣٦٩هـ) رحمه الله.
- ٣٦- «النُّزول» للدارقطني (٣٨٥هـ) رحمه الله.
- ٣٧- «الصِّفات» للدارقطني رحمه الله.
- ٣٨- «الرُّؤية» للدارقطني رحمه الله.
- ٣٩- «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» للملطي (٣٧٧هـ) رحمه الله.
- ٤٠- «اللطيف في شرح مذاهب أهل السنة». لابن شاهين (٣٨٥هـ).
- ٤١- «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة» لابن بطة العُكبري (٣٨٧هـ) رحمه الله.
- ٤٢- «الشَّرح والإبانة على أصول السُّنة والديانة» لابن بطة رحمه الله.
- ٤٣- «الرَّد على الجهمية» لمحمد بن إسحاق بن منده (٣٩٥هـ) رحمه الله.
- ٤٤- «الإيمان» لابن منده رحمه الله.
- ٤٥- «التَّوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته» لابن منده رحمه الله.
- ٤٦- «شرح السُّنة» لابن أبي زمنين (٣٩٩هـ) رحمه الله.
- ٤٧- «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة» للالكائي (٤١٢هـ) رحمه الله.

- ٤٨- «رؤية الله» تعالى لأبي محمد عبدالله النحاس (٤١٦هـ) رحمه الله.
- ٤٩- «الرَّد على من أنكر الحرف والصوت» للسَّجزي (٤٤٤هـ) رحمه الله.
- ٥٠- «عقيدة أصحاب الحديث» لأبي عثمان الصابوني (٤٤٩هـ) رحمه الله.
- ٥١- «أحاديث في ذم الكلام وأهله» لأبي الفضل المقيري (٤٥٤هـ) رحمه الله.
- ٥٢- «الرَّد على مَنْ يقول: (ألم) حرف ..» لمحمد بن منده (٤٧٠هـ) رحمه الله.
- ٥٣- «المختار في أصول السُّنة» لابن البناء الحنبلي (٤٧١هـ) رحمه الله.
- ٥٤- «الرَّد على المبتدعة» لابن البناء رحمه الله.
- ٥٥- «الأصول المجردة على ترتيب القصيدة المجرّدة شرح القصيدة الحائية لابن أبي داود» لابن البناء.
- ٥٦- «ذم الكلام وأهله» لأبي إسماعيل الأنصاري الهروي (٤٨١هـ) رحمه الله.
- ٥٧- «الأربعين في دلائل التَّوحيد» للأنصاري الهروي رحمه الله.
- ٥٨- «اعتقاد الإمام أبي عبدالله الشافعي» لأبي الحسن الهكاري (٤٨٦هـ) رحمه الله.
- ٥٩- «جزء فيه امتحان السُّني من البدعي» للشَّيرازي (٤٨٦هـ) رحمه الله.
- ٦٠- «الانتصار لأهل الحديث» لأبي المظفر السَّمعاني (٤٨٩هـ) رحمه الله.
- ٦١- «مُختصر الحُجَّة على تارك المحجَّة» لأبي الفتح المقدسي (٤٩٠هـ) رحمه الله.
- ٦٢- «الحُجَّة على تارك المحجَّة» لابن طاهر المقدسي (٥٠٧هـ) رحمه الله.
- ٦٣- «الاعتقاد» لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى (٥٢٦هـ) رحمه الله.
- ٦٤- «الحُجَّة في بيان المحجَّة» لأبي القاسم التيمي (٥٣٥هـ) رحمه الله.

- ٦٥- «اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي محمد الهكاري (٥٧٧ أو ٥٥٥ هـ).
- ٦٦- «الانتصار في الرد على المعتزلة والقدرية الأشرار» للعُمُراني (٥٥٨ هـ).
- ٦٧- «فتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف» لأبي العلاء العطار الهمداني (٥٦٩ هـ) رحمه الله.
- ٦٨- «كتاب التوحيد» لأبي محمد عبد الغني المقدسي (٦٠٠ هـ) رحمه الله.
- ٦٩- «الاقتصاد في الاعتقاد» لأبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي.
- ٧٠- عقيدة عبد الغني المقدسي رحمه الله.

وغيرها من كتب أهل السُّنة والجماعة ممن أتى بعدهم واقفى أثرهم.

فعلى متبع السُّنة والأثر تتبع كُتب السُّلف الأوائل، واقتنائها، وإدمان النظر فيها، وسؤال الله تعالى التوفيق والفهم، والهداية لاتباع الحق والصواب والسُّنة، فقد تقدم معك في هذا الكتاب كثيرًا ممن له علم وحفظ وتصنيف قد ضلَّ عن اتباع الحق وما كان عليه سلف الأمة في مسائل السُّنة والاعتقاد، فسأل ربك التوفيق والثبات حتى الممات على الإسلام والسُّنة.

وأخيرًا :

أسأل الله تعالى أن يحمينا على الإسلام والسُّنة، وأن يثبتنا عليها حتى نلقاه، وهو راضٍ عنا غير غضبان، وأن يمجنا الفتن ما ظهر منها وما بطن. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهرس

- ١- فهرس عقائد العلماء.
- ٢- فهرس الكتب المتعقبة.
- ٣- فهرس الفوائد.
- ٤- فهرس الكتاب.

١- فهارس عقائد العلماء:

أبان بن سمعان: ٢٢٦	ابن حزم: ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧٢
إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى ١٦٣	٤٦٤ و ٣٨٦
ابن أبي دؤاد: ١٥٠ و ١٦٥ و ٢٥٣ و ٢٥٥	ابن خزيمة: ٣٧٨
ابن الأثير: ٢٤٨ و ١٧٦	ابن خلدون: ٢٨
ابن بطلال: ٤١٢	ابن الزملاكاني: ١٧٧
ابن التبان: ٢٠٩	ابن سينا: ٤٦٠
ابن الثلجي: ١٦٤ و ١٦٠ و ٤٨	ابن عبد البر: ٣٨٧
ابن جماعة: ١٧٧	ابن عربي: ٣٧ و ٢٣
ابن الجوزي: ١٦ و ١١٦ و ١٦٨ و ١٧٠	ابن العربي: ١٧٠ و ٢٣٠
١٧٣ و ٢٩٣ و ٤١٣ و ٤٦٣	ابن عساكر: ٤١٣
ابن جني النحوي: ١٧١	ابن عطية: ٤٤١
ابن الحاج: ١٨	ابن عقيل: ٢٠١ و ٢٠٩ و ٣١٢ و
ابن حبان: ١١٩ و ١٦٧ و ١٧٠	٤٦٣ و ٤٦٤
ابن حجر الهيتمي: ٢٥ و ١٧٢ و	ابن فارض: ٢٣ و ٣٧
١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ٢٨٩	ابن فورك: ١٦٥ و ١٦٦ و ٢٢٩ و
٣٩٠ و ٤٣٩ و ٤٥٢ و	٣١٢ و ٤١٣
ابن حجر العسقلاني: ٢١ و ١١٧ و ٢٤٤	ابن كلاب: ١٥٣ و ١٦٦ و ٣٤٧
٢٧٧ و ٣٤٧ و ٣٨٩ و ٤١٢ و ٤٤٠	ابن الوكيل: ١٧٧
	ابن الوليد: ٢٠٩

أبو إسحاق الإسفراييني: ١٦٦	أبو الهذيل: ١٥٠
أبو بكر الأصم: ١٦٥	أبو يعلى القاضي: ٢٩٢ و ٣٦٩
	الباجي: ١٧٠
أبو ثور: ١٤٨ و ١٦١ و ٣١٨	الباقلاني: ١٥ و ١٦ و ١٥٦ و ١٦٦ و ١٦٧
أبو حامد بن مرزوق: ١٣	الثلجي: ١٧٠ و ٣٤٠ و ٤١٣
أبو الحسن الأشعري: ١٣ و ١٦ و ٣٢	برغوث: ١٦٥
٣٢ و ٣٦ و ٣٧ و ١٥٣ و ١٦٦	بشر السري: ١٥٩
١٩٢ و ٣١١	البهوتي: ١٧٥
أبو الحسن علي المقدسي: ١٧٠	البيضاوي: ١٧٣ و ١٧٤
أبو الحسن الكرخي: ١٥٩	البيهقي: ٢٣٨ و ٢٤٣ و ٣٤٥ و ٣٤٧ و ٤٥٢
أبو الحسين البصري: ٣١٢	بيان بن سمعان: ٣٩٧
أبو حنيفة: ١٥٠	البيجوري: ٤ و ٢٧
أبو ذر الهروي: ١٥٧	ثمامة بن أشرس: ١٥٠ و ٤١١
أبو سعد السمان: ١٧٠	الجاحظ: ٣٩٧
أبو العباس القلانسي: ١٥٣ و ١٦٦	الجبائي: ٣١٢
أبو عبد الله ابن مجاهد: ١٦٦	الجعد بن درهم: ١٥١ و ٢٢٥ و ٤٢٧
أبو علي الفارسي الفسوي: ١٧١	الجهم: ١٨ و ٦٤ و ١٥١ و ٢٢٥
أبو الفضل التميمي: ٣٤٥	٢٥٤ و ٣٢٨ و ٤٢٦
أبو معشر: ٢٣٧	٤٢٧ و ٤٣٢
أبو المعالي الجويني: ٢٠١ و ٢٢٩ و ٢٣٨	جوير: ٣٤٠
٢٣٨ و ٢٨٤ و ٣٥٠ و ٣٨٨ و ٤٤٤	حنبل: ٣٤٥

حفص الفرد: ٢١٧	زكريا الأنصاري: ٢٥
حارث المحاسبي: ٢٠٦ و ١٦٠	الزنجشري ١٧٠ و ١٧٣ و ٢٣٠ و ٢٩٩
	الشُّبكي: ١٩ و ١٧٥ و ١٧٧
حسين الكرايسبي: ١٦٢ و ١٤٨	السفاري: ٢٨٥ و ٣١٥ و ٤٥٣ و ٤٦٢ و ٤٦٠
و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٨٨ و ٣٤٧	سليم الهلالي: ٣٨٩
حسن البناء: ٢٨٦	السنوسي: ١٧٣ و ١٧٤ و ٢٣١ و ٣٢٢
حسن السقاف: ٤١٣	السيوطي: ٢٢ و ٢٧٧ و ٢٨٥ و ٢١٠
الحلاج: ٢١٠	الخطابي: ١١٩ و ٢٣٨ و ٤٢١ و ٤٥٢
الخطيب البغدادي: ٦٣ و ٦٣	شعيب الأرناؤوط: ٣٩٣
داود الأصبهاني: ١٦٣	شعيب الحجام: ١٦٥
داود الجواربي: ٤٠٢ و ١٥٨	شمعلة: ٤٢٦
دحلان: ١٣	الشاطبي: ٣٨٨
الذهبي: ١١٧ و ٢٨٤ و ٣٤٣ و ٤٣٦	الشهرستاني: ٢٠٢ و ٤١١
الـرازي: ١٧٠ و ١٧١ و ٢٠٢	الشوكاني: ٣٩١ و ٤١٢ و ٤٤١
و ٢٣٠ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٤٣ و ٢٧٧	صديق حسن خان: ٢١١ و ٣٩٢
و ٢٨٦ و ٣١٢ و ٣٣٦ و ٤١٩ و ٤٥٩	صفي الدين الهندي: ١٧٧
الرملي: ٢٥	طالوت: ٢٢٦
زفر: ١٥٠	الطحاوي: ٤٥٢
الزرقاني: ٢٥	ضرار: ١٦٥
الزركشي: ٢١	عبدالله التيمي: ١٦١ و ٣١٨
	العز بن عبدالسلام: ١٧١ و ٢٤٩
	عبدالجبار بن أحمد الهمداني: ٣١٢
	عمرو بن عبيد: ١٦٧ و ١٨٤ و ٢٠٧
	و ٢٥٤ و ٢٥٥
	علوي حداد: ١٥
	العيني: ٢٧٧
	عمران بن حطّان: ٢٠٧ و ٢١٨
	الغزالي: ١٧١ و ٢٣٠ و ٢٨٦ و ٢٩٨
	و ٣١٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤
	غيلان القدري: ١٥١ و ١٨١
	الفارابي: ٢٢٦
	القرطبي: ٢٤٨ و ٣٠٨ و ٤١٢ و ٤٥٢ و ٤١٩
	القرطبي المفسر: ٢٥٨
	القسطلاني: ٢٤
	القضاعي: ١٤
	اللقاني: ٤ و ٢٤٢
	الكرماني: ٢٧٧ و ٤٤١
	الكلبي: ٣٤٠
	الكوثري: ٤٤٢
	ليبد بن الأعصم: ٤٢٤ و ٢٢٦
	مثنى الأنطاقي: ١٥
	مجاهد بن جبر: ٣٧٤
	محمد بن أبي تريد: ١٦٦
	محمد رشيد رضا: ٢٣١ و ٢٨٥ و ٣٩٢ و ٣٠٢
	محمد بن السائب: ٢٠٧
	محمد بن عبد الله بن تومرت: ٢٩٧
	محمود الألوسي البغدادي: ٣٠٢
	مرعي بن يوسف الكرمي: ٢٧٧ و ٣٠٢
	المباركفوري: ٢١٣
	المريسي: ٢٨ و ٢٩ و ٣٨ و ١٥٠ و ١٥٠ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٨٧ و ٢١٦ و ٢٢٧ و ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٢٥٩ و ٢٧٢ و ٣١٠ و ٤١٣
	المزني: ٤٦٢
	المغازلي: ٢٠٦
	المتاوي: ٣٩١ و ٤٤٢
	مصطفى البغا: ٢٥٧
	ملا علي قارئ: ٢٨٩ و ٤١٩

النبهاني: ٢٦

نجدة بن عامر الحروري: ٢١٥

النظام: ١٦٥

النووي: ١٧٥ و ٢٤٤ و ٢٤٩

و ٢٨٣ و ٣٤١ و ٤٤٠

هشام بن الحكم: ٣٩٧ و ٤٦١

هشام بن عمار: ٣٠٠

هشام القوطي: ١٥٠

الوليد الكرابيسي: ٢٠٠

٢- فهرس الكتب المتعقبة:

إبطال التأويلات: ٢٩٢	أم البراهين: ١٧٣
الإتقان في علوم القرآن ٢٧٧ و ٢٨٥	البراهين الساطعة: ١٤
إحياء علوم الدين: ٢٩٩	تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه:
إرشاد الفحول: ٤١٢	٢٣ و ٤١٣
إرشاد الساري إلى شرح صحيح	تأييد الحقيقة العلية، وتشديد الطريقة
البخاري: ٢٤	الشاذلية: ٢٣
الأزهية بأحكام الأدعية: ٢١	تاريخ الجهمية والمعتزلة: ١٣٠
أعلام السنن: ٤٢١ و ٤٥٢	تبديد الظلام: ٤٤٢
أساس التقديس: ٣٤٣	التذكرة للقرطبي: ٢٥٨
الأسماء والصفات: ٣٤٧ و ٤٥٢	تفسير الجلالين: ٣٩١
الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ٤٤١	تفسير الرازي: ١٢
الاعتصام: ٣٨٩	تفسير الزمخشري: ١٧٣
أقاويل الثقات: ٣٠٢	تفسير القرطبي: ٤٤١
الإنافة في الصدقة والضيافة: ٣٩٠	تفسير المحرر والوجيز: ٤٤١
الإرشادي في المجاز: ٢٤٩ و ٣٨٨	تفسير المنار: ٣٩٢
الإرشاد للجويني: ٣٥٠	تنبيه الغبي في تنزيه ابن عربي: ٢٣

تليس إبليس: ٢٩٣	السر المكتوم في مخاطبة الشمس
التوسل بالنبي ﷺ وجهلة الوهابين ١٤	والقمر والنجوم: ١٧
التوحيد وكُفر المُشَبَّهة: ٤١٣	السيف الصقيل في الرد على: ١٩
الجرح والتعديل للقاسمي ١٣١	شرح صحيح مسلم للنووي: ٢٤٤
جوهرة التوحيد ٤ و ٢٧ و ١٧٤ و ٣٣٢	و ٣٤١ و ٤٤٠
حسن المقصد في عمل المولد: ٢٤	شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ١٩
الخبر الدال على وجوب القطب ٢٣	شواهد الحق: ٢٦
ديون ابن حجر العسقلاني: ٢٢	الصارم المتكي في الرد على السبكي: ٢١
دفع شبه التشبيه: و ١١٧ و ٤١٣	صيد الخاطر: ١٧
إلدر المضيئة: ٤٥٣	عون الباري: ٢٢١ و ٣٩٢
الرد على المشبهة: ٤١٣	العقائد لحسن البناء: ٢٨٦
رسائل إخوان الصفا: ٢٩٩	العقائد النسفية: ٤
الرسالة النظامية: ٢٨٤	العقيدة الطحاوية: ٤٥٢
رياض الصالحين: ٢٤٩ و ٣٩٣	فتح الباقي شرح ألفيه العراقي: ٢٥
روح المعاني: ٣٠٢	فتح الباري: ٢١ و ٣٤٧ و ٣٨٩ و
الزواجر: ٤٥٣	٤١٢ و ٤٤٠
سير أعلام النبلاء: ٢٩٥	فتح القدير: ٣٩١ و ٤٤١

الفتاوى الحديثة: ٢٦ و ٣٩٠	المفهم شرح مسلم: ٢٤٨ و ٢٨٣ و
فصوص الحكم: ٢٣	٤١٢ و ٤١٩ و ٤٥٢
الفصل والنحل: ٣٨٧	مقدمة ابن خلدون: ٢٨٥
فيض القدير: ٣٩١ و ٤٤٢	مناقب الإمام أحمد للبيهقي: ٣٤٥
قانون التأويل للغزالي: ٢٣٠	الملل والنحل لابن حزم: ١٧٢
قانون التأويل لابن عربي: ٢٣٠	الملل والنحل للشهرستاني: ٤١١
قمع المعارض في نصره ابن فارض ٢٣	المنعش، والمرعش، والتبصرة ١٧٣
قواعد العقائد: ٣٤٣	منهاج الأصول: ٤٦٤
القول الجلي في تطوّر الولي: ٢٤	المواهب اللدنية في المنح المحمدية ٢٤
المدخل لابن الحاج: ١٨	الموافقات: ٣٨٩
لوامع الأنوار البهية: ٢٨٥ و ٥٦٢	النهاية في غريب الحديث ٢٤٨ و ٣٩١
مرقاة المفاتيح: ٢٨٩ و ٤١٩	نظم السلوك لابن فارض: ٢٣
مشكل الحديث وبيانه: ٢٢٩ و ٤١٣	نفي التشبيه وإثبات التنزيه: ٤٦٤
معالم السنن: ٤٥٢	
معجم شيوخ الذهبي: ٢٩٥	
المفسرون بين التأويل والإثبات في	
آيات الصفات: ٣٩	

٣- فهرس الفوائد:

- الحق والعقيدة الصحيحة مع أصحاب الحديث..... ٥
- سبب ضلال أهل الكلام عن الحق إعراضهم عن طريق السلف ٦
- من طريقة أهل السنة النظر في الكتب المنتشرة للكشف عن عقيدة أصحابها..... ٩
- بدعة التوسل بذوات الصالحين..... ١٧
- أمثلة لوقوع كثير من أهل التأويل في مخالفات توحيد العبادة..... ١٦
- معنى قول السلف: الجهمية لا يعبدون شيئاً..... ٢٨
- تقسيم السلف للتوحيد إلى ثلاثة أقسام..... ٢٩
- المراد بالتوحيد عند الجهمية المعطلة..... ٣٠
- أقسام التوحيد عند أهل الكلام..... ٣١
- قول ابن تيمية: كل معطل فلا بد أن يكون مشركاً..... ٣٢
- قول محمد بن عبد الوهاب: لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات.. ٣٦
- سبب تسمية السلف لكُتُب الصفات: يكتب التوحيد..... ٣٧
- لا يجوز الاحتجاج بالأحاديث الواهية في صفات الله تعالى..... ٤٣
- إثبات أثر مجاهد في إجلال النبي ﷺ على العرش..... ٤٧ و ٤٨ و ٥٠
- المراد بالحديث الضعيف عند السلف..... ٥٠
- حديث خلق الله آدم على صورة الرحمن ٥١ و ٦٩ و ١٦١ و ٣١٨ و ٣٧٨
- حديث عمر ؓ في جلوس الرب على العرش..... ٥٢ و ٥٣
- إثبات الثقل لله تعالى..... ٥٨
- معنى قول السلف: أمروها كما جاءت..... ٧٤

- بعض أقوال أهل السنة في حمل نصوص الصفات على المعهود
- من كلام العرب الذي خاطبنا الله به..... ٩١
- جواز إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس..... ٩٤
- نفى الصفات توقيفي يحتاج إلى دليل كالإثبات..... ١٠٧
- أسماء الله تعالى توقيفية..... ١١٠
- باب الإخبار عن الله تعالى أوسع من باب الأسماء..... ١١١
- لا يشتق لله تعالى من كل فعل اسماً..... ١١١
- الفرق بين مقام الإخبار عن الله تعالى وبين مقام المخاطبة..... ١١٣
- الإخبار عن الله تعالى: ب (شخص)، و (شيء)..... ١١٤
- إثبات لفظة: بذاته..... ١١٥
- إثبات الحد والبينونة لله تعالى..... ١١٧
- أجهل الناس بالآثار ونقل الأخبار هم أهل الكلام..... ١٢٤
- إمهال ابن تيمية كل من خالفه في الاعتقاد ثلاث سنوات أن يأتوا بنقل عن السلف الصالح يخالف ما يعتقده..... ١٢٥
- من البلاء الذي وقع في الأمة: تعريب كتب اليونان..... ١٩٣ و ٢٢٧
- سبب دخول ابن تيمية في علم الكلام..... ١٩٧
- تصريح أهل الكلام بتقديم العقل على الكتاب والسنة!..... ٢٢٩
- لا يحكم للأعرب من كلام العرب على الأغلب..... ٢٤٩
- أقوال أهل السنة في منع المجاز في صفات الله تعالى..... ٢٥٠
- المشابهة بين اليهود ومن أول الاستواء بالاستيلاء..... ٢٥٧
- المراد بالتفويض عند أهل السنة، وعند أهل البدع..... ٢٦٣

- معنى منع السلف من تفسير نصوص الصفات ٢٦٩
- معنى قول الإمام أحمد في الصفات: لا كيف، ولا معنى ٢٧٤
- بعض أقوال أهل التأويل في أن التفويض هو مذهب السلف ٢٨٣
- بعض الأمثلة والأقوال للقائلين بمذهب التفويض ٢٩٢
- خطأ من نسب إلى الإمام أحمد جواز مس وتقييل منبر النبي ﷺ .. ٢٩٥
- نقل الاتفاق على النهي عن مس القبور والتمسح بها وتقييلها ٢٩٦
- الإنكار على من قال: (الله الذي تحلى لخلقه بخلقه) ٣٠٠
- الرد على من قال إن الخلاف بين أهل السنة والمرجئة في الإيمان لفظي فقط ٣٠٠
- التعبير بالتحريف أولى من التعبير بالتأويل ٣٠٥
- الرد على قول الجهمية: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه ٣٢٥
- طريق أهل البدع في نشرهم لتأويلاتهم الفاسدة ٣٣٥
- تضعيف ما روي عن ابن عباس ؓ من تأويل الاستواء ٣٤٠
- تضعيف ما روي عن الأوزاعي ومالك من تأويل صفة النزول .. ٣٤١
- بطلان ما روي عن أحمد من تأويل بعض الصفات ٣٤٣
- بطلان ما روي عن البخاري من تأويل صفة الضحك ٣٤٣
- تضعيف ما روي عن مالك وأحمد من منع الإشارة إلى صفات الله تعالى عند إثباتها ٩٨
- بطلان ما نسبته ابن حجر للإمام البخاري أنه يستمد اعتقاده من ابن كلاب والكرابيبي ٣٤٧
- معنى قوله تعالى: (وهو معهم أينما كانوا) ٣٥٠

- معنى حديث: «مرضت فلم تعدني» ٣٥٦
- معنى حديث: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» ٣٥٨
- معنى حديث: «وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» ٣٦٠
- معنى الآيات التي فيها نسبة النسيان إلى الله تعالى ٣٦٢
- اختلاف السلف في معنى حديث الهرولة ٣٦٧
- أسباب رواج كثير من التأويلات بين الناس ٣٩٣
- معنى حديث: «ترون ربكم كما ترون القمر» ٤٠٦
- معنى: (ليس كمثله شيء) عند الجهمية ٤٠٥
- سبب نيز المعطلة لأهل السنة بد(المشبهة، والمجسمة) ٤١٠
- بعض مصنفات أهل البدع في رد أحاديث الصفات ٤١٣
- قول أهل السنة: من علامة المعطلة تسمية أهل السنة بمجسمة ٤١٤
- سبب تشبيه المعطلة لمن أثبت صفات الله تعالى باليهود ٤١٩
- بعض الصفات التي أثبتتها اليهود ٤٢٠
- تسمية أهل السنة لغلاة الجهمية: (زنادقة) ٤٢٥
- من أنكر شيئاً من أسماء الله وصفاته قبل إقامة الحجة لا يكفر ٤٢٩
- الجهمية الأوائل لم يتجرؤوا على نفي علو الله، بخلاف المتأخرين منهم فقد صرحوا بذلك، ونقل بعض أقوالهم في نفي العلو ٤٣٩
- مسألة العلو من المسائل المعلوم من دين بالضرورة ٤٤٥
- معنى قول الجهمية: الله منزّه عن الأعراض والأبعاض والحدود ٤٥١
- أمثلة لاستخدام المعطلة للألفاظ المحدثّة لنفي حقيقة الصفات .. ٤٥٢
- من الألفاظ المحدثّة: (الاسم والمسمى) ٤٥٦

- ٤٦١ من الألفاظ المحدثه: استواء مُنَزَّها عن المماسه والتمكن.....
- ٤٧١ تضعيف أثر النهي عن الحلف بعزة الله تعالى.....
- ٣١٥ الأشاعرة وافقوا الجهمية في مذهبهم في أن الإيمان المعرفة ١٥ و
- ٣٧ معنى توحيد الألوهية عند الأشاعرة: القادر على الاختراع.....
- ١٦٥ قول السَّجْزِي أن ضرر الأشاعرة على الناس أشد من المعتزلة....
- ٢٢٥ أصول الجهمية مأخوذة من تلامذة اليهود والمشركون.....
- ٢٢٦ مؤسس الجهمية: الجعد بن درهم، والجهم بن صفون.....
- ٢٤٢ معتقد الأشاعرة في الصفات يدور بين التأويل والتفويض.....
- ٣١١ الأشاعرة لا يظهرون للناس حقيقة مذهبهم.....
- ٣١٢ تأويلات الأشاعرة هي بعينها تأويلات المريسي الجهمي.....
- ٣١٤ مقارنة بين مذهب الجهمية والأشاعرة، وعن حقيقة مذهبهم هو
- ٣٣٢ مذهب الجهمية.....
- ٣١٥ جهل من أدخل الأشاعرة في أهل السنة.....
- ١٠ تأويلات الأشاعرة موروثه من تأويلات المريسي.....
- ١٥ أول واجب عند المتكلمين هو النظر.....
- الشافعي والمتقدمون من أئمة الشافعية على ذم الكلام وأهله،
- ١٨٧ بخلاف متأخري الشافعية.....
- ٣١٦ السلف الأوائل ينسبون المؤولة إلى الجهمية.....
- ٢٤ طريقة السيوطي في تأليفه للكتب.....
- بيان بعض المخالفات التي وقع فيه القاسمي في كتابه: «تاريخ
- الجهمية والمعتزلة». وكتابه: «الجرح والتعديل». ١٣٠

- رد شعيب الأرناؤوط على الإمام البخاري رحمه الله تكفيره
- ١٣٣ للجهمية في تحقيقه لكتاب «شرح السنة» للبغوي.....
- ١٦٦ طريقة الباقلاني في عرض عقيدته للناس.....
- ١٦٨ نصيحة العلثي لابن الجوزي في تركه لمذهب المعتزلة.....
- ١٧٢ قول ابن عبد الهادي في ابن حزم وكتابه: «النحل والملل».....
- ١٧٤ لا يجوز النظر في كتاب: «جوهره التوحيد».....
- ٢١١ نصيحة الشيخ حمد بن عتيق إلى صديق حسن خان.....
- ٣٧٤ من الأقوال المهجورة عن مجاهد تأويل قول الله: (إلى ربها ناظرة).
- اعتبار ما وقع في ابن خزيمة من تأويل حديث الصورة زلة لا
- يتابع عليها..... ٣٧٦
- التنبية على بعض الأخطاء التي في كتب الذهبي..... ٢٩٥
- سليم الهلالي حقق كتاب الاعتصام للشاطبي ولم ينه على مخالفاته
- ٣٨٩ تعقب الخطابي لتأويله لحديث: (يضع السموات على ذه...)..... ٤٢١
- التصريح بأسماء المخالفين لأهل السنة في الاعتقاد..... ٩
- وقوع كثير من أهل البدع والكلام في الردة والشك في الدين..... ١٨
- هجر أهل البدع..... ٤٢
- عقوبة أهل البدع بالحبس، أو القتل .. ٩٥ و ١١٩ و ١٤٦ و ١٥١ و ١٥٨
- ١٥٨ و ١٥٩ و ١٨٦ و ٢١٠ و ٢١٦
- طرد أهل البدع من المجالس والبلدان..... ١١٩ و ١٥٠ و ١٦٠ و ٢١٧
- سبب اتفاق أهل الحديث في عقائدهم، وسبب اختلاف أهل
- الكلام في عقائدهم..... ١٢٤

- الأصل الذي يوزن به الرجال هو اتباعهم للسنة وللعقيدة الصحيحة، وليس بكثرة التأليف والحفظ. ١٤٣
- أصول البدع أربعة. ١٥٣
- الصلاة على المبتدع. ١٥٨ و ١٦١
- أهل البدع والكلام لا يدعون عند أهل السنة من العلماء ١٤٤ و ١٨٣
- قول السلف: من عقوبة المبتدع أن لا تذكر حسناته. ١٤٥
- موقف أهل السنة ممن خالف في الاعتقاد: هجره والإنكار عليه. ١٤٦
- التحذير من أهل البدع من جملة الأمر بالمعروف والنهي المنكر... ١٤٧
- فضح أهل البدع وذكرهم بأسمائهم حتى يحذرهم الناس. ١٤٨
- النهي عن مدح أهل البدع والإنكار على من مدحهم. ١٤٩
- التحذير من أهل البدع واجب باتفاق المسلمين. ١٥٠
- علامات أهل السنة، وعلامات أهل البدعة. ١٥٢
- أضرار مدح أهل البدع على المادح والممدوح. ١٥٣
- التحذير من أهل البدع بأسمائهم ليس من الغيبة. ١٥٧ و ١٦٠
- الذين يُحذَر من أهل البدع خير لأهل البدع ممن يمدحهم. ١٥٧
- توبة أهل البدع. ١٦٠ و ٢٠٣ و ٢١٠
- حرق كتب أهل البدع وإتلافها. ١٦٢ و ١٦٣ و ١٧١
- ترك مناظرة أهل البدع. ١٨٩ و ١٩١ و ٢٩٥
- ترك انظر في كتب أهل البدع. ١٧٤ و ١٨٨ و ١٩٠ و ١٩٦ و ٢٠٥
- تأثر كثير ممن سمع كلام أهل البدع بهم ووقعهم في البدعة. ٢٠٧
- الترحم على أهل البدع. ١٥٠ و ٢١١

- كراهة السلف لحكاية كلام أهل البدع والأهواء. ٢١٥
- سبب رد أهل السنة على أهل البدع. ٢٢٠
- أمثلة على تحريف أهل البدع لنصوص الصفات. ٢٥٣
- أهل البدع يتخذون التأويل جنة حتى لا يفتضحوا. ٣٠٩

٤- فهرس الموضوعات:

الصفحة

المبحث الأول: العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وأن توحيد العبادة لا يتم إلا بإثبات الصفات؛ وكُلُّ مُعْطَلٍ فلا بُدَّ أن يكون مُشْرِكَاً، وأن التَّعْطِيلَ شَرٌّ مِنَ الشُّرْكِ.....	١١
المبحث الثاني: إثبات صفات الله تعالى عند أهل السنة.....	٢٩
(فصل) ما حَدَّثَ به العلماء وتلقَّوه بالقبول من أحاديث الصفات	٤٥
(فصل): ما رُوي موقوفاً عن الصحابة رضي الله عنهم في باب الصفات.....	٥٥
(فصل): التَّحْدِيثُ بأحاديث الصفات، ونشرها بين العامة.....	٦٣
(فصل): فيمن رُوي عنه من السلف، كراهية رواية بعض أحاديث الصفات.....	٦٩
المبحث الثالث: إمرار صفات الله ﷻ كما جاءت بلا كيف.....	٧٤
نماذج من طريقة أهل السنة في إثبات الصفات وإمرارها.....	٨٢
(فصل) أهل السنة يمرون الصفات كما جاءت مع إثبات حقيقة معناها التي خاطبنا الله تعالى بها.....	٩٠
(فصل): إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس معهود..	٩٤
(فصل) حكم اقتران إثبات الصفة لله بالإشارة إليها بالفعل.....	٩٨
(فصل) في تقسيم الصفات.....	١٠٠

المبحث الرابع: مَا نَفَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ.....	١٠٣
١ - نُصُوصُ الصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ اشْتَمَلَتْ عَلَى النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ....	١٠٣
٢- ضابطة الصفات المنفية عن الله تعالى.....	١٠٤
٣- طريقة القرآن والسنة في صفات الله تعالى: الإجمال في النَّفْيِ، والتفصيل في الإثبات.....	١٠٤
٤ - النَّفْيُ الْمُجَرَّدُ عَنِ الْإِثْبَاتِ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ.....	١٠٥
٥ - النَّفْيُ تَوْقِيفِي يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ كَالْإِثْبَاتِ.....	١٠٦
المبحث الخامس: الإخبار عن الله تعالى.....	١٠٩
ما رُوي في السنة من باب الإخبار عن الله تعالى.....	١١٤
١ - الإخبار عن الله تعالى بآئه: (شخص).....	١١٤
٢ - الإخبار عن الله تعالى بآئه: (شيء).....	١١٤
ما جاء عن السلف الصالح من باب الإخبار عن الله تعالى.....	١١٥
إثبات الله فوق العرش بذاته، وإثبات الحد لله تعالى، والبينونة.....	١١٥
المبحث السادس: لا اختلاف بين السلف في مسائل الاعتقاد، ومنها: إثبات الصفات وإمرارها كما جاءت.....	١٢١
المبحث السابع: لا اجتهاد في مسائل الاعتقاد.....	١٢٩
المبحث الثامن: إنكار أهل السنة على مُعْطَلَةِ الصِّفَاتِ والتصریح	

- بأسمائهم والتحذير من مُصنّفاتهم ١٤٣
- (فصل) الحذر من الركون إلى كُلِّ أحدٍ، والأخذ من كُلِّ كتابٍ؛
لأن التلبس قد كثر، والكذب على المذاهب قد انتشر ١٧٨
- المبحث التاسع:** إجماع السلف على التحذير من الكلام وأهله ١٨٢
- (فصل) فيمن يحتج ابن تيمية على تعلم علم الكلام المذموم ١٩٤
- (فصل) اعتراف الخائضين في علم الكلام بفساده، وأنه ما زادهم
إلا حيرة وشكًا وندمهم في آخر حياتهم على الخوض فيه ٢٠٠
- (فصل) من أسباب التخليط في مسائل الاعتقاد عند كثير من
التأخرين: النظر في كتب أهل الكلام والنقل من مُصنّفاتهم ٢٠٥
- (فصل) كراهة أهل السنة لسناج كلام المبتدعة، وذكره أمام العامة
(فصل) سبب رد أهل السنة على أهل البدع مع إجماعهم على
النهي عن مجادلتهم وسناج كلامهم ٢١٩
- المبحث العاشر:** أهم أصول المعطلة التي بنوا عليها مذهبهم في
تعطيل الصفات ٢٢٥
- الأصل الأول: تقديم العقل على النقل ٢٢٩
- الأصل الثاني: الطعن في ثبوت أخبار الصفات بدعوى أنها أخبار
آحاد لا تفيد اليقين ٢٣٧
- الأصل الثالث: الطعن في دلالة نصوص الصفات بأنها أدلة

- لفظية لا تفيد علمًا، ولا يحصل منها يقين ٢٤٢
- الأصل الرابع: حمل نصوص الصفات على المجاز ٢٤٨
- (فصل) موقف المعطلة من أحاديث الصفات، وتحريفهم لها،
وكراحتهم لسماعها وروايتها ٢٥٣
- المبحث الحادي عشر:** بطلان مذهب أهل التفويض ٢٦٣
- ١- التفويض عند أهل البدع ٢٦٣
- ٢- نسبة التفويض إلى مذهب السلف ٢٦٤
- ٣- حقيقة مذهب المفوضة ٢٦٤
- ٤- ذكر الحجج والأدلة على فسَاد قول المفوضة وضلاله ٢٦٥
- (فصل) المراد بمنع السلف من تفسير نصوص الصفات ٢٦٩
- (فصل) المراد بنفي معاني الصفات عند السلف ٢٧٤
- (فصل) بطلان قولهم: (إن أسماء الله تعالى وصفاته من المتشابه
الذي لا يعلمه إلا الله تعالى) ٢٧٦
- (فصل) في الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ٢٨٩
- (فصل) في بطلان ما ادّعاه بعض المتأخرين من نسبة مذهب
التفويض إلى السلف الصالح ٢٨٣
- (فصل) في بطلان قولهم: (طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف
أعلم وأحكم) ٢٨٩

- (فصل) في بعض الأمثلة للقائلين بتفويض معاني نصوص الصفات ليكون السنّي منها ومن أمثالها على حذر ٢٩٢
- المبحث الثاني عشر:** نهى أهل السنة عن التأويل وتحريف نصوص الصفات ٣٠٤
- ١- معنى التأويل ٣٠٤
- ٢- الفرق بين ما يؤول من النصوص وما لا يؤول ٣٠٦
- ٣- فائدة التأويل عند معطلة الصفات ٣٠٦
- ٤- حقيقة قول المؤولة ٣٠٨
- ٥- أهل التأويل عند تأويلهم لنصوص الصفات لا يجزمون بأن هذا التأويل هو مراد الله تعالى ٣٠٨
- ٦- التأويل يتخذ المعطلة جنة لإنكار حقيقة صفات الله تعالى .. ٣٠٩
- (فصل) التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الأشاعرة هي بعينها: تأويلات بشر المريسي الجهمي ٣١٢
- (فصل) أقوال أهل السنة في ذم أهل التأويل ووصمهم بالجهمية ٣١٦
- (فصل) فيما روي من التأويل الفاسد عن بعض أئمة أهل السنة مما يُشكل على الجهلة الأغمار ٣٣٥
- الأول: استدلالهم على التأويل الباطل بما روي عن بعض أهل السنة من التأويل مما لا تصح نسبته إلى من رويت عنه ٣٣٩

- ما روي عن ابن عباس من تأويل صفة الاستواء ٣٤٠
- ما روي عن الأوزاعي ومالك من تأويل صفة النزول ٣٤١
- ما روي عن أحمد من تأويل بعض الصفات ٣٤٣
- ما روي عن البخاري من تأويل صفة الضحك ٣٤٧
- الثاني: استدلالهم بظواهر بعض النصوص على أنها من نصوص الصفات، وليس كذلك ٣٤٩
- ١- قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ يُسْمِعُونَ ﴾ الآية ٣٥٠
- ٢- قول الله تعالى: ﴿ وَالسَّامِعُ بِبَيْتِنَا يَا أَيُّهَا الْمَوْمِنُونَ ﴾ ٣٥٥
- ٣- حديث: « يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي » ٣٥٦
- ٤- حديث: « الحجر الأسود يمين الله في الأرض يُصافح به .. » ٣٥٨
- ٥- حديث: « وَأَجِدُ نَفْسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ » ٣٦٠
- قول الله تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ٣٦٢
- الثالث: استدلالهم بما تنازع فيه أهل السنة والجماعة من دلالة النص: هل يُراد به الصفة أم لا ؟ ٣٦٤
- ١- قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكْتَفَى عَنْ سَاقٍ ﴾ ٣٦٥
- ٢- قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ٣٦٦
- ٣- حديث .. « وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » ٣٦٧
- الرابع: أن يكون كلام السلف عن الصفة من باب الكلام عن معنى الصفة، واللازم منها، لا من باب التأويل الفاسد ٣٧٠

- ١- صفة التور لله تعالى ٣٧٠
- ٢- حديث: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرُّهُ» ٣٧١
- الخامس: استدلالهم بما صحَّح عن بعض أهل السنة من التأويل الذي لم يوافقهم عليه أئمة أهل السنة وعدّوه من الأخطاء ٣٧٤
- ١- تأويل مجاهد لقوله تعالى: ﴿وَجُودُكَ بِمَنْزِلَةِ نَارٍ مُنِيرَةٍ﴾ (١٢) إِنَّ رَبَّهَا نَاطِقَةٌ ٣٧٤
- ٢- تأويل ابن خزيمة لحديث الصورة ٣٧٨
- (فصل) في أَنَّ التَّأْوِيلَ سُرٌّ مِنَ التَّعْطِيلِ ٣٨٠
- (فصل) في بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ: إِنَّ السَّلَفَ كَانُوا يَرَوْنَ التَّأْوِيلَ وَإِنَّمَا سَكَنُوا عَنْهُ لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي عَصَرِهِمْ ٣٨٢
- (فصل) مُنَازَعَةٌ بَيْنَ سُنِّيٍّ مُثَبِّتٍ وَجَهْمِيٍّ مُعْطِلٍ ٢٨٣
- (فصل) أمثلة لبعض التأويلات الفاسدة ٣٨٦
- المبحث الثالث عشر: هَيَّيْ أَهْلُ السُّنَّةِ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّكْيِيفِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ جَلَّ، وَتَكْفِيرِ الْمَشَبَّهَةِ** ٣٩٥
- ١ - معنى التشبيه عند أهل السنة والجماعة ٣٩٥
- ٢ - معنى التشبيه عند الجهمية وغيرهم من مُعْطِلَةِ الصِّفَاتِ ٣٩٦
- ٣- ذم المشبهة لم يرد في الكتاب والسنة ولا عن الصحابة ٣٩٦
- ٤- أول من أظهر مقالة المشبهة ٣٩٧

- ٥- موقف أهل السنة من المشبهة ٣٩٧
- ٦- كيفية ذات الله تعالى من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله ٣٩٨
- ٧- إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية ٣٩٨
- ٨- العلم بالكيفية فرع عن العلم بالذات ٣٩٨
- ٩- معنى قولهم: (أمروها كما جاءت بلا كيف) ٣٩٩
- (فصل) في أقوال السلف الصالح ومن تبعهم من أهل العلم في النهي عن التمثيل والتشبيه ٤٠٠
- (فصل) من علامة المعطلة: تسمية أهل السنة: (مشبهة) ٤١٠
- (فصل) مُعْطِلَةُ الصِّفَاتِ هُمُ الْمَشَبَّهَةُ ٤١٦
- (فصل) تشبيه المعطلة لمثبته الصفات: باليهود المُجَسِّمَةِ ٤١٩
- المبحث الرابع عشر: إنكار أهل السنة وتكفيرهم لمن أنكر، أو جحد صفات الله تعالى** ٤٢٥
- ١- مرضُ التعطيل وإنكار الصفات أعظم من مرض التشبيه ٤٢٥
- ٢- غلاة الجهمية عند أئمة السلف هم زنادقة مُلْحِدِينَ ٤٢٥
- ٣- مؤسس مذهب التعطيل وإنكار الصفات: الجعد بن درهم، ثم تبعه عليه: الجهم بن صفون الذي تشبَّه إليه فرق الجهمية ٤٢٧
- (فصل) أقوال أهل السنة فيمن جحد الصفات، أو أنكرها، وتكفيرهم لهم ٤٢٩

- ٤٣٨ (فصل) المعطلة يدورون في تعطيلهم للصفات: على إنكار علو
الله تعالى على خلقه.....
- ٤٤٧ (فصل) المعطل شرٌّ من المشرِك.....
- ٤٤٩ المبحث الخامس عشر: الألفاظ المُحدثَة التي يستخدمها أهل
الكلام ويريدون منها: نفْي حقيقة صفات الله تعالى.....
- ٤٥٩ (فصل) نماذج من ردِّ أهل السُّنة على المتكلمين بالألفاظ المبتدعة
التي أدخلوها في باب الصفات.....
- ٤٦٣ المبحث السادس عشر: الجامع في مسائل في صفات الله تعالى.....
- ٤٦٣ المسألة الأولى: المضافات إلى الله تعالى.....
- ٤٦٧ المسألة الثانية: حُكم من قال: إن صفات الله تعالى مخلوقة.....
- ٤٧٠ المسألة الثالثة: الحلف بصفات الله تعالى.....
- ٤٧٢ المسألة الرابعة: هل صفات الله تعالى: هي الله، أم غيره؟.....
- ٤٧٦ المسألة الخامسة: هل يقال: الصفات زائدة عن الذات؟.....
- ٤٧٩ الخاتمة، وفيها ذكر أسماء كتب أهل السُّنة الأوائل ومن تبعهم.....